JASRNB

الدراسات الإفريقية وحوض النيل

مجلة دورية
علمية محكمة

ISSN (Print) 2569-7269
ISSN (Online) 2569-734X

المركز الديمقراطي العربي

مجلة الدراسات الإفريقية وحوض النيل

JASRNB

Journal of african studies & river nile basin

International scientific periodical journal

المركز الديمقراطي العربي
Democratic Arabic Center

مجلة الدراسات الإفريقية وحوض النيل

مجلة دورية محكمة

تصدر عن "المركز الديمقراطي العربي" ألمانيا – برلين.

تُعنى المجلة بالدراسات والبحوث والأوراق البحثية عمومًا في مجالات

العلوم السياسية والعلاقات الدولية وكافة القضايا المتعلقة بالقارة

الأفريقية ودول حوض النيل.

المجلد السادس/العدد الرابع والعشرون كانون الثاني – يناير 2024.

تنسيق: د. حجوبي سكينة

الترميز الدولي:
ISSN (Print) 2569-7269

ISSN (online) 2569-734X

التصنيف حسب AIMGSJ

B+

المركز الديمقراطي العربي-ألمانيا، برلين
Berlin 10315 Gensinger Str: 112

Tel: 0049-Code Germany

030- 54884375
030- 91499898
030- 86450098

mobiltelefon: 00491742783717

رئيس المركز الديمقراطي العربي

أ. عمار شرعان

رئيس التحرير :

د. إبراهيم الأنصاري: تخصص الهجرة الدولية بإفريقيا، جامعة الحسن الثاني، كلية الآداب والعلوم الإنسانية عين الشق، المغرب

نائب رئيس التحرير :

د. سعيد كمتي: تخصص الجغرافية البشرية، المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين بني ملال، المغرب

نائب رئيس التحرير التنفيذي

د. ادريس الدعيفي: تخصص علم الاجتماع، جامعة الحسن الثاني، كلية الآداب والعلوم الإنسانية المحمدية، المغرب

مدير التحرير

د. عبد الله الحجوي: تخصص جغرافية الأرياف، جامعة الحسن الثاني الدار البيضاء، المغرب

نائب مدير التحرير

د. شيماء الهواري: دكتورة في القانون العام والسياسات العمومية، جامعة الحسن الثاني المحمدية، ومتخصصة في الإعلام السياسي الدولي، المغرب

أعضاء هيئة التحرير

- د. فاطمة الزهراء زنواكي – جامعة ابن طفيل القنيطرة – المغرب.
- د. محمد أبحير– المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين بني ملال – المغرب.
- د. جمال الدين ناسك – المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين بني ملال – المغرب.
- د. إبراهيم النجار: نائب رئيس تحرير الأهرام ومدير المركز المصري للتواصل الحضاري ومناهضة التطرف الفكري، باحث في مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام.
- حسن كلي ورتي، موظف في وزارة الشؤون الخارجية/قسم التكامل الإفريقي، التشاد، محضر درجة الدكتوراه، جامعة محمد الخامس بالرباط أكدال. كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية الرباط.
- د.ليلى حنانة – جامعة محمد الخامس الرباط– المغرب.

التنسيق والمراجعة اللغوية:

✓ **اللغة العربية:**

- ليلى حنانة، باحثة في السيميائيات، جامعة محمد الخامس.
- د. فاطمة الزهراء إلهامي، باحثة في السوسيولوجيا.
- د. خالد العلوي، باحث في الجغرافيا.

- أنور بنيعيش: عضو هيأة التفتيش التربوي بأكاديمية طنجة الحسيمة تطوان – المغرب.
- احمد هيهات: مفتش تربوي للتعليم الثانوي بأكاديمية بني ملال خنيفرة – المغرب.
- حسين حسين زيدان: د. العلوم التربوية والنفسية الإرشاد النفسي والتوجيه التربوي العراق.
- فضيل ناصري: مفتش التعليم الثانوي، تخصص اللغة العربية–جهة العيون الساقية الحمراء (المغرب)
- شكاك سعيد: ذ. بالمركز الجهوي للتربية والتكوين الدار البيضاء–سطات المغرب.
- د. أيوب أيت فارية أستاذ اللغة العربية بجامعة ابن زهر أكادير– المغرب.
- د. مصطفى محمد أبو النور أستاذ اللغة العربية بجامعة الشارقة.
- د.بوجمعة وعلي– المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين بني ملال – المغرب.

- **اللغة الفرنسية:**

- ذ. عبد الرؤوف مرتضى – المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين بني ملال – المغرب.
- ذ. عمادي عبد الحكيم: ذ. اللغة الفرنسية– المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين بني ملال – المغرب.

- **اللغة الإنجليزية:**

- ذ. خالد الشاوش كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة السلطان مولاي سليمان (المغرب).
- ذ.هشام معدان المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين بني ملال

رئيس اللجنة العلمية:

د. إبراهيم الأنصاري: تخصص الهجرة الدولية بإفريقيا، جامعة الحسن الثاني، كلية الآداب والعلوم الإنسانية عين الشق، المغرب

اللجنة العلمية:

- الدكتورة إيمان مختاري: دراسات استراتيجية–المدرسة الوطنية العليا للعلوم السياسية– الجزائر.
- د. آمال خالي: دكتوراه دراسات دولية/المدرسة الوطنية العليا للعلوم السياسية– الجزائر.
- د. لطفي صور: علوم سياسية ودراسات دولية – جامعة معسكر – الجزائر.
- د. حلال أمينة: علاقات دولية ودراسات أفريقية– جامعة الجزائر3.
- د. عبد الرزاق أبو الصبر، ذ. باحث، المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين بني ملال خنيفرة، المغرب.
- د. محمد حسان دواجي: دراسات دولية ونظم سياسية مقارنة/جامعة مستغانم – الجزائر.
- دة. وفاء الفيلالي: أستاذة التعليم العالي تخصص القانون الدستوري وعلم السياسة كلية الحقوق الرباط –المغرب.
- د. عبد الواحد بوبرية: أستاذ التعليم العالي، الجغرافيا البشرية، جامعة سيدي محمد بن عبد الله المغرب.
- د. عبد المالك بنصالح، أستاذ باحث، المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين، بني ملال خنيفرة، المغرب.
- د.بوجمعة وعلي– المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين بني ملال – المغرب.
- عيسى البوزيدي، أستاذ التعليم العالي، شعبة الجغرافيا، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة ابن طفيل، القنيطرة

- د. البشير المتقي: أستاذ التعليم العالي، القانون الدستوري بجامعة القاضي عياض مراكش– المغرب.
- د. عبد العزيز والغازي: أستاذ الجغرافيا بجامعة ابن زهر أكادير– المغرب
- د. سعيد كمتي، أستاذ باحث، المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين، بني ملال خنيفرة، المغرب.
- د. الحسين عماري: دكتوراه في التاريخ – المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين بني ملال – المغرب
- د. بلبول نصيرة: أستاذة علم الاجتماع بكلية العلوم الاجتماعية جامعة زيان عاشور الجلفة –الجزائر.
- د. رحماني ليلى: أستاذة محاضر قسم ب، معهد العلوم الاجتماعية والإنسانية– المركز الجامعي نور البشير البيض الجزائر.
- د. غادة أنيس أحمد البياع: مدرس الاقتصاد، كلية الدراسات الأفريقية العليا، جامعة القاهرة مصر.
- د. عبد الواحد شيكر، ذ باحث، المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين خريبكة، المغرب.
- د. سالم تالحوت، ذ. باحث، المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين، الدار البيضاء، المغرب.
- د. بوعروج لمياء: أستاذة محاضرة قسم أ بجامعة عبد الحميد مهري قسنطينة.
- د. حطاب أسمهان: أستاذة مؤقتة في جامعة الجزائر 3 قسم العلوم السياسية والإعلام والاتصال الجزائر.
- د. إدريس بوزيدي: دكتور في القانون العام واللغة والتواصل جامعة الحسن الثاني المحمدية المغرب.
- د. رانيا عبد النعيم العشران: دكتوراه الفلسفة في علم الاجتماع / الجامعة الأردنية.
- د. آمنه حسين محمد سرحان: دكتورة علوم سياسية مسار علاقات دولية من جامعة القاهرة مصر.
- د. جامع سموك: كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية جامعة القاضي عياض مراكش– المغرب.
- د. محمد جلال العدناني: أستاذ اقتصاد جامعة السلطان مولاي سليمان بني ملال– المغرب.
- د. بن عمـــارة محمـــد: أستاذ جامعي: بجامعة ابن خلدون تيارت – الولاية تيارت الجزائر.
- د على عبودي نعمه الجبوري أستاذ جامعي وباحث في إدارة الأعمال جامعة الكوفه العراق أستاذ تسويق والموارد البشرية العراق.
- د. أوان عبد الله الفيضي، كلية الحقوق – جامعة الموصل، العراق.
- د. أحمد عبد السلام فاضل مهدي السامرائي، التاريخ الحديث والمعاصر، العلاقات الدولية المغرب، اسبانيا–العراق.
- د.خاليد الحاضري كلية الاداب والعلوم الانسانية مراكش
- د. محمد بواط: أستاذ محاضر قسم أ كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف.
- د. مشرفي عبد القادر: أستاذ محاضر كلية الحقوق والعلوم السياسية جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم.
- د. سمير بوعافية: أستاذ محاضر بكلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، جامعة البشير الإبراهيمي –الجزائر.
- محمد عدار ابن علي وعميروش بهجة: أستاذ محاضر(ب) جامعة "أحمد بوقرة" بومرداس المدرسة الوطنية التحضيرية لدراسات مهندس –باجي مختار–الرويبة –نع1 الجزائر.
- د. قحطان حسين طاهر: دكتوراه علوم سياسية أستاذ مساعد جامعة بابل العراق.
- د. محمد بوبوش: أستاذ التعليم العالي، الكلية المتعددة التخصصات–الناظور–جامعة محمد الأول المغرب.

- د. بوذريع صاليحة: أستاذة محاضرة علوم بيئية جامعة حسيبة بن بوعلي شلف الجزائر.
- د. قاضي نجاة: أستاذة محاضرة كلية العلوم الاقتصادية والعلوم التجارية وجامعة خميس مليانة الجزائر:
- د. جاسم محمد علي الطحان رئيس قسم الإدارة والاقتصاد أستاذ مساعد كلية الرشيد للتعليم المختلط تركيا.
- د. سالم محمد ميلاد الحاج: ذ مساعد جامعة المرقب كلية الآداب والعلوم مسلاته، علم الاجتماع، ليبيا.
- د. لحرش عبد الرحيم: أستاذ مؤقت، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، غرداية الجزائر.
- د. عمرو محمد يوسف محمد المدرس: أستاذ بقسم الاقتصاد والمالية العامة المعهد المصري أكاديمية الإسكندرية للإدارة والمحاسبة وزارة التعليم العالي جمهورية مصر العربية.
- د. بوصبيع صالح رحيمة: أستاذ محاضر "أ" جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي الجزائر.
- د. حسن رامو: أستاذ التعليم العالي مؤهل، معهد الدراسات الأفريقية – جامعة محمد الخامس –الرباط المغرب.
- د. خليدة محمد بلكبير أستاذة محاضرة، كلية العلوم الاقتصادية والعلوم التجارية وعلوم التسيير جامعة الجيلالي بونعامة الجزائر.
- الدكتور عبد القادر التايري أستاذ الجغرافيا البشرية بجامعة محمد الأول، وجدة.
- د. جواد الزروقي أستاذ التعليم العالي بكلية الآداب والعلوم الإنسانية عين الشق جامعة الحسن الثاني الدار البيضاء

شروط النشر بالمجلة:

1. أن يكون البحث أصيلا معدّ خصيصا للمجلة، وألا يكون جزءا من رسالة ماجستير أو أطروحة دكتوراه.
2. ألا يكون البحث قد نشر جزئيا أو كليّا في أي وسيلة نشر إلكترونية أو ورقية.
3. أن يرفق البحث بسيرة ذاتية للباحث باللغة العربية واللغة الإنجليزية أو الفرنسية.
4. يرسل الباحث البحث المنسّق في ملف مايكروسوفت وورد، إلى البريد الإلكتروني:
   africa@democraticac.de
5. تخضع الأبحاث والترجمات إلى تحكيم سرّي من طرف هيئة علمية واستشارية دولية، والأبحاث المرفوضة يبلغ أصحابها دون ضرورة إبداء أسباب الرفض.
6. يبلّغ الباحث باستلام البحث ويحوّل بحثه مباشرة للهيئة العلمية الاستشارية.
7. يخطر أصحاب الأبحاث المقبولة للنشر بقرار اللجنة العلمية وبموافقة هيئة التحرير على نشرها.
8. الأبحاث التي ترى اللجنة العلمية أنها قابلة للنشر وعلى الباحثين إجراء تعديلات عليها، تسلم للباحثين قرار المحكّم مع مرفق خاص بالملاحظات، على الباحث الالتزام بالملاحظات في مدة تحددها هيئة التحرير.

يستلم كل باحث قام بالنشر ضمن أعداد المجلة: شهادة نشر وهي وثيقة رسمية صادرة عن إدارة المركز الديمقراطي العربي وعن إدارة المجلة تشهد بنشر المقال العلمي الخاضع لتحكيم، ويستلم الباحث شهادته بعد أسبوع كأقصى حد من تاريخ إصدار المجلة.

9. للمجلة إصدار إلكتروني حصري صادر عن المركز الديمقراطي العربي كما أنها حاصلة على الترميز الدولي:

ISSN 2569-734X

10. لا يراعى أي أسبقية في نشر المواد العلمية ضمن أعداد المجلّة، بحيث أن المعيار الأساسي لقبول النشر ضمن أعداد المجلة هو جودة وأصالة المادّة العلمية وسلامة اللغة والعناية بكل ما يتعلق بالضوابط المنهجية في البحث العلمي.
11. أي تقرير صادر من اللجنة العلمية بما يتعلّق بالسرقة العلمية فسيحمّل الباحث تبعات وإجراءات كما هو متعارف عليه في سياسات المجلة العلمية الدولية.
12. تعتبر جميع الأفكار المنشورة في المجلة عن آراء أصحابها، كما يخضع ترتيب الأبحاث المنشورة.
13. تعرض المقالات إلى مدققين ومراجعين لغويين قبل صدورها في أعداد المجلة.
14. لغات المجلّة هي: العربية، الإنجليزية والفرنسية.
15. في حالة الترجمة يرجى توضيح سيرة ذاتية لصاحب المقال الأصلي وجهة الإصدار باللغة الأصلية.

كيفية إعداد البحث للنشر:

-يكتب عنوان البحث باللغتين العربية والإنكليزية، وتعريف موجز بالباحث والمؤسسة العلمية التي ينتمي إليها.

-الملخص التنفيذي باللغة العربية- الإنجليزية، ثم الكلمات المفتاحية في نحو خمس كلمات، كما يقدم الملخص بجمل قصيرة، دقيقة وواضحة، إلى جانب إشكالية البحث الرئيسية، والطرق المستخدمة في بحثها والنتائج التي توصل إليها البحث.

-تحديد مشكلة البحث، أهداف الدراسة وأهميتها، وذكر الدراسات السابقة التي تطرقت لموضوع الدراسة، بما في ذلك أحدث ما صدر في مجال البحث، وتحديد مواصفات فرضية البحث أو أطروحته، وضع التصور المفاهيمي، تحديد مؤشراته الرئيسية، وصف منهجية البحث، وتحليل النتائج والاستنتاجات.

كما يجب أن يكون البحث مذيلا بقائمة ببليوغرافية، تتضمن أهم المراجع التي استند إليها الباحث، إضافة إلى المراجع الأساسية التي استفاد منها ولم يشر إليها في الهوامش، وتذكر في القائمة بيانات البحوث بلغتها الأصلية (الأجنبية) في حال العودة إلى عدة مصادر بعدة لغات.

– أن يتقيد البحث بمواصفات التوثيق وفقا لنظام الإحالات المرجعية الذي يعتمده" المركز الديمقراطي العربي" في أسلوب كتابة الهوامش وعرض المراجع.

– تستخدم الأرقام المرتفعة عن النص للتوثيق في متن البحث، ويذكر الرقم والمرجع المتعلق به في قائمة المراجع.

–ترتب أرقام المراجع في قائمة المراجع بالتسلسل، وذلك بعد مراعاة ترتيب المراجع هجائيا في القائمة حسب اسم المؤلف وفقا للاتي:

أ– إذا كان المرجع بحثا في دورية: اسم الباحث (الباحثين) عنوان البحث واسم الدورية، رقم المجلد، رقم العدد، أرقام الصفحات، سنة النشر.

ب– إذا كان المرجع كتابا، اسم المؤلف (المؤلفين)، عنوان الكتاب، اسم الناشر وبلد النشر، سنة النشر.

ج– إذا كان المرجع رسالة ماجستير أو أطروحة دكتوراه: يكتب اسم صاحب البحث، العنوان، يذكر رسالة ماجستير أو أطروحة دكتوراه بخط مائل، اسم الجامعة، السنة.

د– إذا كان المرجع نشرة أو إحصائية صادرة عن جهة رسمية: يكتب اسم الجهة، عنوان التقرير، أرقام الصفحات، سنة النشر.

يراوح عدد كلمات البحث بين 2000 و7000 كلمة، وللمجلة أن تنشر بحسب تقديراتها، وبصورة استثنائية، بعض البحوث والدراسات التي تتجاوز هدا العدد من الكلمات.

يتم تنسيق الورقة على قياس 25/21، بحيث يكون حجم ونوع الخط كالتالي:

–نوع الخط في الأبحاث باللغة العربية هو **Sakkal Majalla**

–حجم 16 غامق بالنسبة للعنوان الرئيس، 14 غامق بالنسبة للعناوين الفرعية، و14 عادي بالنسبة لحجم المتن.

–حجم 11 عادي للجداول والأشكال ، وحجم 12عادي بالنسبة للملخص والهوامش.

–نوع الخط في الأبحاث باللغة الإنجليزية **Times New Roman** ، حجم 14 غامق بالنسبة للعنوان الرئيس، حجم 12 غامق للعناوين الفرعية ، 12 عادي لمتن البحث وترقيم الصفحات، 11 عادي للجداول والأشكال، 10 عادي للملخص والهوامش.

–يراعي عند تقديم المادة البحثية، التباعد المفرد مع ترك هوامش مناسب 2,5 على اليمين واليسار و2 أعلى وأسفل،

قصد تسهيل عملية تنسيق المقالات والأبحاث فإن المجلة تضع رهن إشارة المهتمين قالب يحترم الضوابط الشكلية.

وتعتمد "مجلة الدراسات الأفريقية وحوض النيل" في انتقاء محتويات أعدادها المواصفات الشكلية والموضوعية للمجلات الدولية المحكّمة. والمجلة تصدر بشكل ربع دوري "كل ثلاث أشهر" ولها هيئة تحرير اختصاصية وهيئة استشارية دولية فاعلة تشرف على عملها. وتستند إلى ميثاق أخلاقي لقواعد النشر فيها والعلاقة بينها وبين الباحثين. كما تستند إلى لائحة داخلية تنظّم عمل التحكيم، وإلى لائحة معتمدة بالمحكمين في الاختصاصات كافة.

وتشمل الهيئة الاستشارية الخاصة بالمجلة مجموعة كبيرة لأفضل الأكاديميين من الدول العربية والأفريقية حيث يتوجب على الاستشاريين المشاركة في تحكيم الأبحاث الواردة إلى المجلة. حيث أن "المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية" جهة إصدار "مجلة الدراسات الأفريقية وحوض النيل"

الفهـــرس

ر.ت	مؤلف/مؤلفو المقال Author(s)	عنوان المقال Title	الصفحات Page Range
01	د.سعيد كمتي	افتتاحية العدد	10
		المقالات باللغة العربية	
02	بوبكر جمال	الهجرات القبلية الجنوبية نحو قبائل الأطلس المتوسط الأوسط: من الأعلام والمجموعات البشرية إلى التراث القبلي	11 - 24
03	نبيل تيهي ، ذ. حسن وافريد	تأثر السلوك الهيدرومطري بالنظام المطري والسمات المورفومترية لأحواض جنوب غرب ورغة بالريف الأوسط	25 - 40
04	محمد الحنافي	الفكر السياسي المغربي بين مطلب التحديث ورهان الحداثة	41 - 56
05	يونس سيف النصر، سعيد الصغير	الموارد المائية بالمناطق الجبلية بجهة بني ملال خنيفرة: بين الإمكانات ومظاهر الهشاشة	57 - 73
06	معتصم بوبكر، محمد دحمان	"القبيلة بالجنوب المغربي من التضامن إلى الفردانية، قراءة سوسيوانثروبولوجية في تغير البنيات الاجتماعية والثقافية"	74 - 86
07	منصف الغنيوي	التين بمجال جنوب الريف الأوسط وجنوب الريف الغربي، إمكانيات التثمين ومحدودية اليات التسويق	87 - 108
08	أبوبكر خليفة أبوبكر أبوجرادة	عملية التكامل بين الانتخابات والمصالحة ودورها في تحقيق الاستقرار السياسي والوحدة في ليبيا	109 - 126
09	حليمة مفتاح	الحماية القانونية للمآثر التاريخية -المدينة العتيقة مراكش نموذجا-	127 - 133
10	الموساوي احميدة، عزي هرو	تقدير خطر انجراف التربة في حوض ملولو باستخدام مقاربة جيوماتية (شمال شرق المغرب)	134 - 146
11	الديري محمد	الانقلابات في الغرب الإفريقي بين الماضي والحاضر	147 - 166
12	يـوسف معـــروفـي، عيسى البوزيدي	مقومات النشاط الزراعي بظهير سيدي علال البحراوي، حالة جماعتي أيت مالك وأيت علي أو لحسن	167 - 190
13	نور الدين امعيط، محمد فدواش	صلحاء دكالة وأدوارهم الاجتماعية والسياسية من خلال كتاب التشوف لابن الزيات التادلي	191 - 207
14	محمد المرصعي، عبد القادر اسباعي	هشاشة التغطية المجالية من التجهيزات والخدمات التعليمية ونتائجها السوسيو-مجالية: دراسة لبعض الجماعات الترابية في الأطلس المتوسط الشمالي الشرقي، جنوب تازة، المغرب	208 - 222
	يوسف تملكوتان	تطور القواعد الخاصة بالأحداث في التشريع الجنائي المغربي : رصد المواكبة التشريعية للإتفاقيات الدولية ولتحولات المجتمع المغربي	223 - 241
	النعمة بوشامة	بوموكاي وما حولها : دراسة في بعض الكتابات المحلية.	242 - 255
		المقالات باللغة الفرنسية	
15	Zerouali Sanae	L'utilisation des techniques de communication pour réussir professionnellement	256 - 265
16	SERRHINI Hanane	Les défis de la protection sociale des migrants, réfugiés et leurs enfants au Maroc	266 - 279

افتتاحية العدد

تستمر مجلة الدراسات الإفريقية وحوض النيل في إصدار أعدادها، إيمانا منها بأهمية المساهمة في النقاش العلمي حول مختلف القضايا المطروحة على القارة الإفريقية، سواء في بعدها الاقتصادي أو الاجتماعي أو السياسي. فمنذ إصدار العدد الأول، دأبت على نشر العديد من المقالات والبحوث والدراسات في مختلف التخصصات، ووفق مقاربات مختلفة ومتكاملة في نفس الوقت.

لقد كان ولا يزال الانشغال الأساسي للمجلة هو تمكين الباحثين من نشر أعمالهم، والتعريف بإنتاجاتهم، وتسليط الضوء على مختلف الإشكالات المطروحة على القارة الإفريقية، والأكيد أن اهتمام المجلة بالبحث العلمي، وتثمينها لإنتاجات الباحثين، يجسد حرص المجلة على تقاسم مختلف زوايا النظر إلى الإشكالات والقضايا المطروحة على الفضاء الإفريقي سياسيا واقتصاديا واجتماعيا.

إن إدراكنا حجم المسؤولية الملقاة على عاتق هيئة التحرير، سواء الاستمرار في إصدار المجلة، أو في جودة المنتج المقدم، يدفعنا إلى إيلاء الأهمية القصوى للإشكالات الجديدة والراهنة التي تواجه القارة الإفريقية، ثم إلى الالتزام بجودة المحتوى المقدم لقرائها، بالإضافة إلى الارتقاء بالمجلة.

وأخيرا وليس آخرا، نؤكد أن هيئة التحرير وهي تضع بين أيديكم هذه الباقة المتنوعة من المقالات والأبحاث والدراسات الرصينة، فطموحها هو مواصلة مد الجسور بين الباحثين، داخل القارة وخارجها، وبالتالي من خلق بيئة تفاعلية بين الباحثين والأكاديميين ليساهموا معنا في سعينا لتكون مجلة متميزة دوما طموحة إلى الريادة ومجتهدة في تحقق أهدافها. وهو تواصل ونقاش يعبر عن الهم العلمي الذي يحمله الباحث حول القضايا المطروحة على القارة، والرغبة في فهمها، بل في طرح بدائل واقتراحات وحلول مبتكرة من شأنها أن تضع القارة الإفريقية على طريق التنمية الحقيقية.

ختاما تعرب هيئة تحرير المجلة عن جزيل شكرها لكل الباحثين الذين ساهموا في هذا العدد ببحوثهم العلمية القيمة على مختلف مشاربهم الفكرية والعلمية، وفي إماطة اللثام عن مشاكل القارة الإفريقية رغبة في تجاوز مظاهر التخلف، وفي حماية مواردها، وتثمين موارها البشرية.

تلكم هي الرؤية التي نسعى إلى تقديمها في هذا العدد وغيرها من الأعداد القادمة.

هيئة التحرير

د.سعيد كمتي

المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين

بني ملال خنيفرة

الهجرات القبلية الجنوبية نحو قبائل الأطلس المتوسط الأوسط: من الأعلام والمجموعات البشرية إلى التراث القبلي

Southern tribal migrations towards Middle Atlas tribes: from flags and human groups to tribal heritage

بوبكر جمال[1]

الملخص: يحاول هذا المقال العلمي، توجيه النظرة الإيجابية والدائمة للمغرب نحو أقاليمه الجنوبية، وفي الارتباط القديم للمجموعات البشرية الجنوبية بوسط وشمال المغرب، عبر تاريخه الطويل، ذلك من خلال تسليط الضوء على الامتدادات القبلية الصحراوية بين الشمال والجنوب. ذلك انطلاقا من الارتباط الحاصل-عبر التاريخ- بين الأعلام والمجموعات البشرية الجنوبية بمجال الأطلس المتوسط الأوسط، وما خلفه ذلك من تأثير ثقافي تمثل في حضور الثقافة المادية واللامادية الجنوبية، في مختلف المظاهر الثقافية لقبائل الأطلس المتوسط الأوسط. باعتبارها مدخلا رئيسيا في فهم العلاقات القديمة والحديثة بين المكونات القبلية المغربية، وفي اندماجها الثقافي، وتكاملها من الشمال إلى الجنوب.

الكلمات المفتاحية: الجنوب الشرقي المغربي - القبيلة - الأطلس المتوسط - التراث– الامتدادات الثقافية – الهجرات القبلية.

Abstract:

This article attempts to channel the positive and lasting view of Morocco towards its southern territories, and in the ancient association of southern human groups with central and northern Morocco, throughout its long history, by highlighting the desert tribal stretches between north and south. This is based on the interrelationship, through history, between Southern flags and human groups in the Middle Atlas area, and the cultural impact that this has had in the presence of Southern material and material culture, in the various cultural manifestations of the Middle Atlas tribes. as a key entry point in understanding the old and modern relations between Moroccan tribal components, their cultural integration and their integration from north to south.

Key words: Morocco's south-east- Tribe - Middle Atlas - heritage - Cultural extensions - Tribal Migration.

1 باحث في التاريخ والتراث الجهوي – بني ملال.

مقدمة:

شكلت مسألة الصحراء المغربية إشكالية كبرى في الفترة المعاصرة، لما لها من أهمية كبرى في الحفاظ على وحدة وتماسك المغرب بين جنوبه ووسطه وشماله. وانطلاقا من ذلك الهاجس المفعم بكثير من الحنكة السياسية المغربية في الرد على كل التجاوزات التي من شأنها أن تشكك في مغربية الصحراء وانتماءات القبائل الصحراوية، أو امتداداتها ليس فقط في الجنوب المغربي وإنما بشماله ووسطه، من حيث الأعلام البشرية الممثلة في الصلحاء والزعامات المحلية (القياد- العلماء- الأمناء- شيوخ الزوايا- قضاة...)، والمجموعات البشرية (اتحاديات قبائل- فخذات...)، والمعطيات التراثية المغربية المادية واللامادية. فمسألة الامتداد ليست وليدة مغرب الاستقلال، بقدر ما هي معطى وسيرورة تاريخية، امتدت عبر فترات الأمد الطويل، وتحكمت فيها عوامل تاريخية، ارتبطت بالهجرات القبلية، والظروف التي عاشتها مختلف القبائل المغربية في علاقتها الداخلية، أو في علاقتها بالسلطة المحلية أو المخزن المركزي.

عندما نتحدث عن الصحراء المغربية، نجد أنفسنا أمام مجال جغرافي شاسع وممتد، تتداخل فيه معطيات جغرافية، ترتبط تارة بالموقع والاستقرار البشري، وتارة أخرى بالأصول القبلية.

من هذا المنطلق سنحاول في هذا المقال التركيز على الامتدادات الجنوبية للقبائل، ومدى تأثيرها في الاستقرار القبلي بالأطلس المتوسط الأوسط، إضافة إلى أهمية تلك الامتدادات في إفراز تراث ثقافي مادي ولا مادي، يشهد على الانسجام والترابط الثقافي بين مكونات المجتمع المغربي. فإلى أي مدى استطاعت ثقافة الجنوب المغربي الامتداد نحو الأطلس المتوسط؟ وما تأثيرها في الأعلام والمجموعات البشرية والتراث المادي واللامادي ؟

1- الأطلس المتوسط الأوسط والأصول القبلية الجنوبية:

كانت ولازالت الهجرات القبلية بين أطراف المغرب، المحدد الرئيسي في إعمار المجالات الجغرافية المغربية، على اختلاف تضاريسها ومعطياتها الطبيعية والاقتصادية، وبالنظر إلى تاريخ تلك الهجرات نحو الأطلس المتوسط الأوسط، نجدها تعود على الأقل إلى بداية القرن 17م، خاصة في فترة حكم السلطان المولى إسماعيل، الذي لم يهنأ له بال إلا بعد تثبيت أصول الحكم المخزني على كل القبائل المغربية، وذلك ضمن سياسته في الحكم، القائمة على تحقيق الأمن والاستقرار. إذ قاده تمرد بعض القبائل الأطلسية إلى الاستنجاد بشرفاء الجنوب المغربي، لمساعدته في تحقيق توازن سياسي بالأطلس المتوسط، وذلك بحثهم على إرسال قبائل أو فخذات صحراوية للاستقرار بجوار القبائل الأطلسية، وتأسيس الزوايا، وخلق مرجعيات دينية تنبني على احترام الشرفاء والصلحاء، والتقيد بقراراتهم وتصوراتهم في علاقتهم بالمخزن المركزي.

من بين الأحداث الشاهدة على تزايد القبائل الصحراوية بالأطلس المتوسط، المراسلة التي كانت بين السلطان المولى إسماعيل والشريف سيدي بويعقوب، ذو الأصول الجنوبية، والتي ضمت طلب السلطان من الشريف إرسال فروع من القبائل التي عنده، إلى بلاد زيان بالأطلس المتوسط الأوسط. وقد تَعَرّضَ Lieutenant Reyniers بالدراسة لسياسة المولى

إسماعيل[2]، من خلال وصفه للدور السياسي الذي لعبته القبائل في المغرب الأوسط، في فترة حكمه، وبوساطةٍ من المرابط سيدي بويعقوب دفين منطقة وادي غريس. إن ما يهمنا في هذا العمل الذي أنجزه الرقيب Reyniers، هو الاطلاع على الوثيقة المخطوطة[3] التي اعتمد عليها في تحديد مجالات القبائل التي هاجرت من الجنوب الشرقي المغربي، إلى مجالات الأطلس المتوسط الأوسط، بطلب من السلطان المولى إسماعيل.

جدول : بعض القبائل وأصولها حسب مخطوطة سيدي ابراهيم الناصري التي درسها الرقيب Reyniers :

اسم القبيلة	أصولها	المجال الذي هُجرت إليه
المرابطين	مرابطي سيدي بو يعقوب بأسول (تنغير)	مجال زيان وبالضبط أيت سكوكو بمركز مريرت
أيت بو يعقوب	من مرابطي سيدي بو بيعقوب بأسول(تنغير)	مجال اشقيرن القباب، تغسالين
أيت داود اوموسى، أيت قدادا	أصول جنوبية شرقية	مجال تادلة / أيت ويرا
أيت الربان	أصول جنوبية شرقية	مجال أيت يوسي (صفرو)
أيت عبد النور، أيت عبد الرزاق	أيت حديدو	مجال أيت ام البخت (زاوية الشيخ)
أيت عُمر، أيت علي، أيت مزال	أيت حديدو	مجال تادلة (اصبحت تحمل اسم أيت التلث)
أيت يحيى	أيت مرغاد	مجال تونفيت
أيت ألغم	أيت مرغاد	مجال أيت بوزيد، أيت محمد ، أيت مساط
اولاد مبارك	أصول جنوبية شرقية	مجال بني ملال
أيت مولاي علي الشريف	عرب تافيلالت	مجال الزوايز
أيت الربع	تافيلالت	مجال اولاد موسى
اولاد بوبكر ، اولاد مبارك	منطقة المحاميد بالجنوب المغربي	مجال بني موسى
اولاد مراح، اولاد زهرة، اولاد محمود، عصارة	قبائل ذات اصول جنوبية شرقية	مجال بني موسى
أيت عطا نومالو، أيت اونير، أيت تسليت، أيت بوجكجو، أيت علوان، أيت خنوج، اعمومن، أيت وزيق، أيت احتاشن، أيت شعيب.	قبائل ذات أصول مختلفة تنتمي إلى أيت عطا الصحراء و أيت حديدو وأيت مرغاد.	مجال أيت عطا نومالو (مركز واويزغت)
أيت علي محمد، أيت حلوان	قبائل صحراوية	مجال أيت بوزيد
أيت ويرا	الصحراء	مجال نتيفة
أيت شيكر ، أيت علوي	ذات أصول جنوبية	غادرت أيت انركي وأيت سخمان (هي حاليا بمجال أيت عطا نومالو

2- Lieutenant Reyniers, un Document sur la Politique de Moulay Isma'il dans L'atlas, Archives Marocaine, volume 28, Ed, Ernest Leroux, Paris, 1931, pp 3-6.

بعد حصول الرقيب Reyniers على وثيقة مخطوطة سنة 1928م من أحد مرابطي الزاوية الناصرية بزاوية الشيخ يدعى سيدي إبراهيم الناصري، ومطلع المخطوطة " بسم الله الرحمان الرحيم وصل الله على سيدنا محمد وعلى جميع الرسل والمرسلين نسخة بحول الله وقوته وتمكينه وعونه من شجرة الشريف المقدس نسخة عالية بجاه الصبغة المسمى سيدي بويعقوب الشريف من ذرية مولاي إدريس"، وختامها " ونطلب الله تعالى أن يعون ويصلح الرعية أجمعين وهذا ما في نسخة شجرة سيدي بويعقوب وعرّفناه في شهر الله النّايْر يوم 30 عام 1928 وعبد ربه تعالى براهيم بن أحمد الناصري القطين وقته بأغبالة أسعد الله الجميع بالنبي الشفيع". للاطلاع على نص المخطوطة كاملا أنظر المرجع أعلاه.

3 تمت دراسة الوثيقة من طرف Lieutenant de la chapelle أنظر:

- Lieutenant de la chapelle, Le sultan Moulay Isma'il et les Berbères sanhaja du Maroc central, archives Marocaines, volume 28, paris, 1931.

Source : Lieutenant Reyniers, un Document sur la Politique de Moulay Isma'il dans L'atlas, Archives Marocaine, volume, 28, Ed, Ernest Leroux, Paris, 1931, pp 3-6.

يبين الجدول أعلاه أن مجموعة من القبائل أو بعض فروعها المشكلة حاليا للأطلس المتوسط الأوسط، تعود أصولها إلى الجنوب الشرقي المغربي، والتي هاجرت فترة القرن 17م[4]، من مجالاتها الأصلية نحو مجالات الأطلس المتوسط، وذلك تحت ضغط امتزجت فيه سلطة الصلاح، التي كانت تحترمها القبائل وتقدرها، مع سلطة المخزن التي قدمت للصلحاء ظهائر التوقير، لكسب طاعتها، ومساعدتها في تهدئة القبائل وإعادة انتشارها، وفقا لما يحقق سياسية السلاطين في مختلف المجالات المغربية.

شكلت تلك الهجرات القبلية المختلفة، (كما يبينها الجدول أعلاه)، من الجنوب الشرقي المغربي نحو الأطلس المتوسط، بداية امتزاج بين الثقافتين الجنوبية والأطلسية، ذلك باستقرار فروع قبلية، حافظت على ثقافتها الأصلية لفترة طويلة من الزمن، وأدخلت عليها مكونات –كانت تراها مناسبة- من ثقافة القبائل التي وجدتها في المجال الذي هاجرت إليه، هذا إضافة إلى أنها أثرت بشكل أو بآخر في ثقافة المجال القبلي الجديد بنظمها الثقافية المختلفة.

2- الأطلس المتوسط الأوسط والأعلام ذات الأصول الجنوبية

لم تكن الهجرات السابقة للقبائل من الجنوب الشرقي المغربي، نحو الأطلس المتوسط، هجرة لمجموعات بشرية تمثلت في القبائل، والفخذات، بل تجاوزت ذلك إلى توافد أعلام نحو مجال الأطلس المتوسط، التفت حولها القبائل المهاجرة، وأيدتها في مجالها الجديد الذي هاجرت إليه، كما ساعدها ذلك التأييد في جلب فروع وقبائل أصيلة في المجال الجديد، لتلتف هي الأخرى حول تلك الأعلام والزعامات وتمتثل لأوامرها.

كان من بين تلك الأعلام رجال سلطة، شكلوا زعامات محلية، تحولت فيما بعد إلى دعامة أساسية للسلطة المركزية، في فترات من تاريخ القبائل، عرفت أوجها خلال فترة القرن 19م، أو معارضة لها في فترات تاريخية كان أبرزها نهاية القرن 19م وبداية القرن 20م. إضافة إلى رجال صلحاء، أسسوا زوايا بمختلف المجالات القبلية الأطلسية، ولعبوا أدوارا مختلفة، في المجالات القبلية، منها الدينية والاقتصادية والسياسية والتحكيمية...

2-1 القايد محمد أقبلي:

[4] لا نجزم بكون كل القبائل التي استقرت في المجال قبل وبعد القرن 17م، ذات أصول جنوبية، لكننا نؤكد حضور بعض فروع القبائل في تلك الفترة بالأطلس المتوسط، خاصة بعد القرن 17م.

ذكرت الرسائل السلطانية[5] القايد أقبلي كرجل سلطة في علاقته بالسلطان المولى الحسن الأول، الذي عينه في منصبه قائدا على قبائل أيت-سكوكو[6]، ليحقق نوعا من التوازن السياسي ببلاد زيان، خاصة بعد تعيين القايد موحا وحمو الزياني على إخوانه قبائل زيان[7].

تعود أصول القايد محمد أقبلي إلى الأصول الجنوبية، رغم غياب الإشارة لهذه الشخصية في المصادر التقليدية[8]، إلا أن الرقيب de la chapelle تعرض باختصار لهذه الشخصية التاريخية، ووصفها بأصولها الجنوبية[9]، وأكد ذلك من خلال الثقافة اللغوية المحلية، التي وجد فيها أن كلمة "أقبلي" في اللهجة الأمازيغية، تعني الغريب عن القبيلة، والذي غالبا ما تكون أصوله جنوبية.

لعبت شخصية محمد أقبلي أدوارا سياسية في بلاد زيان، خلال فترة حكم السلطان المولى الحسن الأول، من قبيل تحقيق الولاء و إخضاع القبائل تحت مظلة الحكم السلطاني، فبتعيينه قائدا مخزنيا، دخلت شخصية أقبلي ومعها قبائل أيت سكوكو، ضمن سياسة السلطان المولى الحسن الأول، التي هدف من خلالها تأمين الطريق السلطاني القديم بين فاس ومراكش، عبر الأطلس المتوسط الأوسط، تلك السياسة التي غير بشكل كبير نظرية أن تصور المخزن المغربي للقبائل كان الهدف منه فقط جمع الضرائب والجبايات.

على المستوى المحلي دخلت شخصية القايد أقبلي في الفترة الحسنية في صراع[10] تاريخي محلي مع قبائل زيان بقيادة القايد موحا وحمو الزياني، والذي كان سببه رغبة الزياني ضم قبائل أيت اعمر، التي كانت تحت نفوذ القايد أقبلي، وهو الصراع الذي دام إلى وفاة أقبلي سنة 1917م على يد قوة الاحتلال الفرنسي.

---

5 من بين المراسلات التي حملت توقيع القايد محمد أقبلي مع السلطان المولى الحسن الأول، نجد هذه الرسالة ونصها : " بعد تقبيل حاشية البساط بين يدي مولانا الإمام لإعلام سيدنا دامت سعادته أن كتابه الشريف وصلنا أمر مولانا فيه بالتضييق على الفساد وأكل زرعهم وحرق مداشرهم والمبالغة ذلك..." أنظر: رسالة مؤرخة بتاريخ 1305-09-15هـ محفوظة بمديرية الوثائق الملكية، محفظة رمضان 1305هـ، تحت رقم A17-111-015.

6 تقع قبائل أيت سكوكو، ضمن المجموعات البشرية للأطلس المتوسط عامة، والمتواجد أغلبها ضمن مجال إقليم خنيفرة، وتجاورها حاليا من الجنوب قبائل زيان (خنيفرة)، ومن الغرب قبائل أيت عُمر (بوحسوسن)، ومن الشمال قبائل جروان (مكناس)، ومن الشمال الغربي قبائل زمور(الخميسات) ،ومن الشرق والشمال الشرقي قبائل بني مجيلد (أزرو).

7 المنصوري أحمد ، كباء العنبر من عظماء زيان وأطلس البربر، ج1 ، تحقيق محمد بن لحسن، مطبعة الكرامة، ط 1، الرباط، 2004، ص 125.

8 نذكر على سبيل المثال لا الحصر:

- الوزان الحسن ، وصف إفريقيا ، ج1 و ج 2، ترجمة محمد حجي ومحمد الاخضر، دار الغرب الاسلامي، ط 2، بيروت 1983 .
- الناصري أحمد بن خالد ، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصري و محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1997.
- الزياني أبو القاسم، البستان الظريف في دولة أولاد مولاي الشريف، القسم الأول، .دراسة وتحقيق رشيد الزاوية، مركز الدراسات والبحوث العلوية، (بدون سنة).

9 Lieutenant de la chapelle, Le sultan Moulay Isma'il et les Berbères sanhaja du Maroc central, Op.cit. p 55.

10 وصف صاحب كباء العنبر هذا الصراع بالقول: " وهنا انتهت معارك الشريف مولاي عبد الواحد، لتبدأ من جديد مع أيت اسكوكو (مركز الحمام)، برياسة قائدهم محمد أقبلي..." أنظر: المنصوري أحمد ، كباء العنبر من عظماء زيان وأطلس البربر، مرجع سابق، ج1، ص 146.

هذا الدور الذي لعبته شخصية القايد أقبلي بالأطلس المتوسط الأوسط، كان سببا في تعاطي سلطات الحماية مع هذه الشخصية، منذ أن حطت الرحال بقصبة بني مطير سنة 1912م، إذ تصورته القوات الفرنسية ضمن سياستها، كبوابة رئيسية لاحتلال الأطلس المتوسط الأوسط، بعد فشل مفاوضاتها مع القايد الزياني[11].

ذكرت التقارير الفرنسية طبيعية العلاقة بينها وبين القايد أقبلي، واكتشفنا أنها كانت متقلبة ومتذبذبة، في بداية التواصل مع الاستعلامات الفرنسية، إذ توصلت من طرف مخبرين من فروع قبيلة إعامين (أيت سكوكو) أن رئيس القبيلة أقبلي، عقد اجتماعا في مركز الحْمام[12] مع ابنه سيدي إسماعيل، لتدارس مسألة اقتراب الفرنسيين من مجال القبيلة، إذ ساعد أسلوب سيدي إسماعيل في إغواء والده ليقتنع بفكرة القوات الفرنسية في مجال قبائل أيت سكوكو[13]، لكن هذا لم ليحصل إذ ردّ والده بوضع الرحال بالقرب من مركز الحْمام، دون التحرك نحو أزغار، والبدء في الحرث داخل أراضي مركز الحْمام، كرد فعل على عدم قبول دخول الفرنسيين لمركز القبيلة، أو التفاوض معها في ذلك[14].

شكل القايد أقبلي، شخصية مؤثرة في مجال الأطلس المتوسط الأوسط عامة، ومجال نفوذ قبائل أيت سكوكو خاصة، إذ بفعل علاقاته المختلفة، التي ساهم فيها أصله الجنوبي، وقدرته على قيادة القبائل خاصة المرابطية ذات الأصول الجنوبية، التي هاجرت بعض فروعها من منطقة سيدي بويعقوب إلى بلاد زيان، في تقوية القبائل وتشكيل اتحاد قبائل أيت سكوكو، الذي قاوم الاستعمار الفرنسي بقيادة أقبلي إلى وفاته في معارك بالجبل سنة 1917م.

2-2 الشريف مولاي الفضيل[15]:

ارتبطت قبائل أيت سكوكو خلال القرن 19م/13هـ بالصلحاء، وكان أولهم الشريف مولاي الفضيل ذو الأصول الجنوبية، خاصة قبائل أيت عْمر وإعامين[16] بمجال ولماس[17]، "فللشريف نفوذ كبير على أقسام هذه القبائل المجاورة لسكناه، لكن لا يوجد أي منها كلها في قبضته إذ تمتد أراضي زيان بعيدا جدا في اتجاه الجنوب الشرقي وفي هذه الجهات لا يعترف زيان كثيرا بنفوذه"[18].

---

11 تقرير انطلق من مدينة مكناس في 5 يونيو 1914م، تم نشر تفاصيله تحت عنوان:
-X, La Politique Berbère et L'Action Chez Les Zaian, dans L'Afrique Française. B.M. N°7, 1914, p 257.

12 مركز قبائل أيت سكوكو في تلك الفترة والذي تحول الآن إلى مدينة مريرت.

13 Rapport Mensuel , Décembre 1912, dans L'archive du Maroc, cote N° E-0046.

14 Rapport Mensuel , Décembre 1912, Op. cit .

15 مولاي الفضيل أحد الشرفاء الذين استقروا (حسب الرواية الشفوية) على هضبة مريرت مع قبائل أيت عمر إحدى فروع قبائل أيت سكوكو قبل أن تأخذ طريقها نحو مركز ولماس.

16 نشير هنا إلى أن الاتحاد القبلي أيت سكوكو تشكل من ثلاث قبائل كبرى: قبيلة إعامين وقبيلة إمرابطن و قبيلة أيت عمر، هذه الاخير ألحقت بنفوذ القايد موحا وحمو الزياني فترة القرن 19م، وكانت سببا في تزايد وتيرة الصراع بين القايد اقبلي والقايد الزياني بشكل خاص، وبين قبائل أيت سكوكو وقبائل زيان على وجه عام.

17 حسب ما أشار إليه دوفوكو، أنظر: دو فوكو شارل، التعرف على المغرب 1883-1884 ، ترجمة المختار العربي، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، ط 1، الرباط، 1999. ص 65.

18 شارل دوفوكو، التعرف على المغرب، مرجع سابق، ص 65.

تحدث الرحالة دوفوكو عن قبائل زيان موحا وحمو الزياني، التي كانت في صراعات دائمة مع قبائل أيت سكوكو، فلم تكن بذلك للشريف مولاي الفضيل سلطة على كل قبائل زيان، بل كانت له على فروع فقط من أيت سكوكو، إذ كانت الفروع المتبقية تابعة لعائلة أخرى من الشرفاء بالأطلس المتوسط، ذات "نفوذ، لكن أقل مما لمولاي الفضيل، إنها عائلة العْمرانيين، أصلها من فاس وأنها تتوزع بين عدة أماكن وتعد حلفاء لها كثيرين بين زيان"[19].

كانت علاقة السلطان المولى الحسن الأول بالعائلات الشريفة بالأطلس المتوسط جيدة[20]، حيث أولى السلطان اهتماما كبيرا للبحث عن صداقة هذه العائلات ذات النفوذ، والتي يمكنها انطلاقا من جبالها الصعبة الاتصال، أن تلقي بجماعات من المهاجمين على بلاد المخزن، ومن بين هذه العائلات الشريفة من هي قوية إلى حد أن حقدها للمخزن يمكن أن يقلب عرشه، وأن حسن إرادتها يمكنه أن يثبت هذا الأخير. لذا فإن السلطان لا يتنحى عما يُمهد لعقد صداقة مع هذه القبائل و تقديم الهدايا، والتشريفات... لها، هكذا فإنه زوج إحدى أخواته إلى سيدي محمد العْمراني شيخ هذه العائلة، وقام بتحسين العلاقات مع الشريف مولاي الفضيل[21].

هذا التقرب من سلطة المخزن، نحو القبائل عبر العائلات الشريفة، خاصة مولاي الفضيل ذو الأصول الجنوبية، لم يغنيه عن خلق دعامة مخزنية محلية تمثلت في موحا وحمو الزياني، لخلق توازن في القوة وضمان استمرارية الولاء من جميع الأطراف ببلاد زيان، إذ "يمكن للسلطان في ظل هذه السياسة، مهما كان زيان خارجين عن طاعة المخزن أن يحصل في بعض الحالات على مؤازرتهم له بسلاحهم: وهكذا هذه السنة، خلال حركة السلطان ضد تادلة وزعير، قدم مولاي الفضيل مساعدات على شكل فرقة جد قوية"[22].

رغم ما قدمه الرحالة دوفوكو من معلومات حول العائلات الصالحة بشكل عام بالمجال القبلي، تبقى معلوماته أمام هامش كبير من الخطأ، لكون مروره بالمجال لم يكن إلا لفترة يوم أو يومين، بالتالي غابت عنه الكثير من المعلومات عن الصلحاء والعائلات التابعة لها، وعلاقتها بالقبائل.

بالعودة إلى المراسلات السلطانية المتعلقة بفترة المولى الحسن الأول، نجد أن علاقة السلطان بالصلحاء بمجال الأطلس المتوسط الأوسط عامة، وقبائل بلاد زيان خاصة، كانت علاقة تبادل المصالح، فقد وظف السلطان الصلحاء كوسيط مع بني مجيلد على سبيل المثال لتهدئتها، إذ أرسل السلطان للقايد حمو بن الجلالي[23] قائلا: " خديمنا الأرض القايد حمو بن

19 شارل دفوكو، التعرف على المغرب، مرجع سابق، ص 65.

20 كانت العلاقات جيدة كما وصفها دوفوكو، خلال فترة إقامته بالمجال، لكنها تحولت إلى صراع مع السلطة المحلية الممثلة في الزياني والمخزن المركزي، إذ سيسيطر الزياتي على خيمة مولاي الفضيل ويرسلها إلى السلطان كتعزيز له عن تمرده. فأرسل إلى السلطان يخبره: " ينهى لعلم سيدنا أيده الله ونصره أنه لما حُزْنا خيمة مولاي الفضيل وبنيناها حتى رأتها جميع القبائل أردنا توجيهها لمولانا دامت سعادته لتنظرها الوفود ليبنيها في المشور السعيد وتتقنَّع برؤيتها المردة المتمردة فها هي تصل صحبة الشريف النصيح في خدمة سيدنا ومحبته سيدي الحسين الشبوكي طالبا من سيدنا صالح الدعاء وعلى الخدمة الشريفة والسلام" أنظر رسالة مؤرخة بتاريخ 28 رجب عام 1302هـ، محفوظة بمديرية الوثائق الملكية، محفظة رجب 1302هـ، رقم A17- 070-012.

21 شارل دفوكو، التعرف على المغرب، مرجع سابق، ص 65.

22 شارل دفوكو، التعرف على المغرب، مرجع سابق، ص 65.

23 هو القايد حمو بن الجلالي البخاري عينه السلطان المولى الحسن الاول عاملا على مكناس.

الجلالي وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله وبعد وفانا كتابك مكتوبا على بطاقة ديمنا والي إكرامن* بما طلبه من سمسرة من بني مكيلد فصار بالبال"[24]، لكن رغم أن السلطان اعتمد على إكرامن لتهدئة القبائل وإخضاعها للسلطان، إلا أنه كان دائم الحرص من تمردها، عكس ما ذكر دوفوكو بخصوص تمتيعها بالهدايا والتشريفات، إذ وصفتهم المراسلات السلطانية: " لكن من يدري هل ذلك منهم** على صلاح ونجاح وتحته طائل وثمرة أم هو على نحو ما ألفوه وعهدوه من التلاعب والسمسرة"[25].

نستنتج من خلال مقارنتنا لنصوص دوفوكو، ومراسلات السلطان المولى الحسن الأول، أن الأول وصف ما لاحظه وسمعه في فترة وجيزة، أثناء مروره وإقامته بالمجال القبلي، والتقاؤه بالشريف مولاي الفضيل، كما وصف ما سمعه عن عائلة العْمرانيين، دون أن يفهم سياق العيش الكريم، الذي كانت فيه تلك العائلة الشريفة بالمجال، أما الثانية (المراسلات السلطانية)، فتبين العلاقات المبنية على فترات طويلة، امتدت من تولي المولى الحسن الأول الحكم إلى دخول المستعْمر الفرنسي، بمعنى أن السلطان كان يحاول استمالة تلك الأسر، خاصة أسرة مولاي الفضيل، لتحقيق سياسة تهدئة وإخضاع القبائل للسلطة المركزية، وخلق توازنات في القوة داخل المجال القبلي، بمقابلة الصلحاء بالجهاز المخزني المحلي الممثل في القياد، لذلك وصف الصلحاء في مراسلته بالسمسرة[26]، أي أنهم حينما يرغبون في الحصول على الهدايا والأموال وتوسيع النفوذ يقومون بتأجيج القبائل، وخلق العراقيل للسلطة المحلية، ونورد هنا مثالا لتمرد الشريف مولاي الفضيل، الذي لكم يكن الغرض منه السمسرة كما ذكرت المراسلات، بقدر ما كان هدفه قطع الطريق أمام توسع الزياني على مجالات نفوذه ورغبته في إخضاعها، وهو ما فسر الصراع بين الزياني، وبين هذا الشريف، و بعض فروع قبائل أيت سكوكو التابعة له.

ساهمت شخصية مولاي الفضيل ذات الأصول الجنوبية، في تسيير قبائل أيت سكوكو خاصة قبيلة أيت عمر (مركز ولماس) بالأطلس المتوسط الأوسط، والتأثير فيها، من خلال تعبئتها لمواجهة الأخطار الداخلية، التي تمثلت في الصراع مع القايد الزياني، إضافة إلى أدوار التحكيم بين الفخذات، وتعليمها لأصول الدين، وضمان استمرارية نفوذها على مجالها القبلي. كما أفرزت تلك العلاقة بين الشريف مولاي الفضيل ذو الأصول الجنوبية، تبعية تحت اسم الصلاح، أثرت بدورها في النظم الثقافية للقبائل، من قبيل الغذاء، والعمارة والعادات والتقاليد...

3- التراث المادي واللامادي بين المعطى المحلي والحضور الجنوبي

ساهم وبلا شك الحضور الجنوبي، من خلال الزعامات المحلية، كالقايد أقبلي، والشريف مولاي لفضيل، في إحداث تلاقح ثقافي، بين الثقافة الصحراوية الجنوبية، وثقافة القبائل الأمازيغية الأطلسية، عبر مظاهر مختلفة، أنتجت لوحة ثقافية،

* إكرامن: الأصل فيها إكْرامن، وهي كلمة أمازيغية المقصود بها الولي الصالح.

24 رسالة مؤرخة بتاريخ 17 شعبان عام 1302هـ، محفوظة بمديرية الوثائق الملكية، محفظة شعبان 1302هـ، رقم A17- 081-004

** إكْرامن. بمعنى الصلحاء.

25 رسالة مؤرخة بتاريخ 17 شعبان عام 1302هـ، مصدر سابق.

26 نتحفظ كثيرا على استعمال هذا النعت "السمسرة" الذي وصف به الصلحاء في تلك الفترة التاريخية في المراسلات السلطانية، ذلك لتواجد صلحاء شرفاء بعيدين كل البعد عن استغلال الأزمات لتحصيل الفوائد والأرباح.

تعبر عن التنوع والاختلاف، في إطار التكامل والتعايش المشترك، كان أبرزها العمارة التقليدية، التي اتخذت لدى قبائل الأطلس المتوسط أشكالا متنوعة، كان نصيب الجنوب المغربي منها نمط الخيمة، ونمط "تدارت"[27] المبنية بالتراب.

3-1 نمط الخيمة:

إن المتتبع لحركة القبائل، وانتقالاتها من مجال لآخر في الزمان والمكان، يمكن له أن يلاحظ أن ثقافة البناء وتشييد المساكن، تختلف من منطقة إلى أخرى. إذا ما أردنا أن نحدد المجالات الجغرافية التي تحضر فيها على مستوى المغرب عامة، ومجال الأطلس المتوسط الأوسط خاصة، فنجدها أينما وجد نمط الترحال والانتجاع.

الملاحظ بالمجال، أن المناطق التي يحضر فيها نمط الانتجاع ومعه نمط الخيمة، بمجالات أزغار على هضبة زيان، وجزء[28] من هضبة بني مجيلد، ومجالات المراعي الجبلية بكل من أجزاء من هضبة أجدير، وويوان، وأكلمام أزكزا، حيث تقوم القبائل بالانتجاع صيف وشتاء كل سنة.

وصف شارل دوفوكو قبيلة أيت عمر، إحدى قبائل الأطلس المتوسط الأوسط، فترة القرن 19م بقوله: "صادفنا فخذة أيت عمر في سفر: كانت الثيران المحملة بالخيام والأمتعة تسير وسط الركب على شكل صف طويل، وكانت النساء تسير وراءها، وكانت الأغنام والماعز في جوانب هذه القافلة التي يسوقها بعض الرعاة"[29].

كما أشار E.Laoust، إلى أن الخيمة، حكر على بعض المجالات دون غيرها، فمثلا مجموعات الرحل بدمنات، لا يستعملون الخيمة، كما أنها قليلة الانتشار بالأطلس الكبير، وسوس وحوض درعة ودادس، وهي معروفة فقط عند أمازيغ ملوية العليا، والأطلس المتوسط، وهضاب جنوب مكناس إلى حدود المعمورة[30].

تطرح أمام الباحثين مسألة التأصيل للخيمة، نظرا لصعوبة تحديد تاريخ استعمالها بالأطلس المتوسط؟ إذ تبقى فقط الإشارات في بعض المصادر، كتقريب لتاريخ الخيمة. فقد أشار "الوزان" أن هناك نوعين من الاستقرار بالمجال المغربي عامة، عرب مستقرون بالمدن وآخرون تحت الخيام[31]. وهي إشارة تقربنا من أن الخيام في تلك الفترة كانت حكرا على القبائل ذات الأصول العربية، دون القبائل الأمازيغية. وهي نفس الإشارة التي أشار إليها MICHAUX-BELLAIRE سنة 1932م، إذ

27 كلمة أمازيغية تطلق على المنزل المشيد من الطين أو الحجارة.

28 هنا نتحدث عن الجزء المتوجد من مريرت الى نواحي مركز بوشبل و مركز الصخيرات وهو الجزء الذي ينتمي إلى قبائل أيت سكوكو

29 شارل دوفوكو، التعرف على المغرب، مرجع سابق، ص 63

30 E.Laoust, Mots et Choses berbères, notes de linguistique et d'ethnographie, Chalamel, Paris , 1920, p 20.

31 الحسن الوزان، وصف افريقيا، مرجع سابق، ص 37.

رجح أن قبائل الأطلس المتوسط، وخصوصا الأمازيغية منها، تتشابه والعنصر العربي في التنقل بواسطة الخيمة[32]. كما أكد الجنرال Guillaume، أن الأطلس المتوسط، مجال لحضور الخيمة الأمازيغية بامتياز[33]، بالقول: "زيان وبني مكيلد وأيت سكوكو، هم الأقل ارتحالا من بين كل قبائل الأطلس، حيث يتبعون المواسم وحركة القطيع بين أزغار والجبل ويعيشون تحت الخيمة الكبيرة السوداء، المنسوجة من الصوف"[34].

أما E.Laoust، فيعيد أصل الخيمة إلى انتقال القبائل العربية إلى مجالات "زمور" و"زعير"، واحتكاكها بالقبائل الأمازيغية التي كانت تنتجع على تلك الهضاب. لكن دون أن يقدم إشارة تاريخية حول الفترة الزمنية التي حصل فيها ذلك الانتقال. عكس ما نجده عند Rahal Boubrik و Saad Tazi في دراستهما للخيمة الصحراوية السوداء[35]، والتي تشبه الى حد كبير، الخيمة بالأطلس المتوسط الأوسط. إذ أعادا أصلها إلى انتقال القبائل العربية المعقلية من المشرق العربي إلى المغرب، فترة القرن 13م، وأعدا ذلك، إلى تشابه أسماء مكونات الخيمة لدى قبائل شمال إفريقيا الأمازيغية والعربية، كدليل على الأصل العربي للخيمة، بل جعلا من الخيمة امتدادا مجاليا أبعد من المغرب إلى الصين[36].

هذا الطرح الذي يعيد الخيمة إلى الأصول العربية المعقلية في القرن 13م، يجعلنا نتساءل عن الزمن الذي استغرقته للوصول إلى الأطلس المتوسط؟ لكن إذا ما افترضنا أن المجال الذي تقطنه قبائل الأطلس المتوسط، التي كانت ولازالت تصل إلى حدود هضاب مكناس لدى قبائل جروان، قد عرفت الخيمة منذ فترة القرن 13م. فقبل ذلك كانت إشارات عن الجيوش العربية بقيادة عقبة بن نافع، التي فتحت المغرب الأقصى، وبلغت حدود هضاب مكناس، واستقرت بالقرب من زرهون ومدينة وليلي[37]. ما جعلنا نفترض أن احتكاك القبائل الأمازيغية، بالقبائل العربية، كان في القرن 7م في المجال، ومن تم انتقال الخيمة إلى نمط عيش هذه القبائل بالأطلس المتوسط.

وإذا ما أعدنا فكرة أن العديد من قبائل المنتجعين بالأطلس المتوسط، تعود أصولهم إلى المناطق الصحراوية، كما أشار إلى ذلك E.Laoust سنة 1935م، إذ حدد على سبيل المثال انتقال قبائل زيان من سهل "إخف ومان" حوالي سنة

32 M. Michaux-Bellaire, villes et tributs du Maroc , direction des Affaires Indigènes, Horne Champion, Paris , 1932 p 30.

33 -Général A . Guillaume, Les Berbères Marocains et La Pacification de L'atlas Central (1912- 1933), René Julliard, paris , 1946, p 18.

34 Général A . Guillaume, Les Berbères Marocains et La Pacification de L'atlas Central, op. cit, p 63

35 Rahal Boubrik , Saad Tazi, Alkhayma- Tente Noir du Sahara, Marsam, Rabat, 2008.

36 Op.cit, p 35

37 أحمد بن خالد الناصري، الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى، الجزء الأول، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1997 ، ص 38

1004م، من بلاد ملوية العليا و كروان نحو مكانهم الحالي، ولم يستقروا إلا عند حدود القرن العاشر الميلادي، حيث كانوا يحتلون من قبل مناطق "تفيلالت" و"الرك"[38].

كما قدم Lieutenant de la chapelle إشارات حول، قبائل "إمرابطن"[39] بالأطلس المتوسط الأوسط، وأعاد أصولهم إلى مرابطي سيدي بويعقوب، بأسول قرب مدينة تنغير الحالية[40]. تدفعنا كل تلك الإشارات السابقة، إلى وضع افتراض بخصوص أصول الخيمة بالأطلس المتوسط الأوسط، إذ يعود بعضها إلى الخيام التي استعملتها القبائل في معقلها الأول بالجنوب الشرقي، خاصة عند زيان وقبائل إمرابطن بأيت سكوكو. بالتالي يبقى افتراض أنهم احتكوا بالقبائل العربية بالمجال المجاور ضعيفة، إذا ما أخذنا هذه الهجرة من الجنوب نحو الأطلس المتوسط بعين الاعتبار.

لم يكن انتقال الخيمة من الجنوب نحو الأطلس المتوسط الأوسط، مع القبائل فقط في شكل الخيمة، بل تجاوزها إلى ما يرتبط بها من مظاهر رمزية، كطقوس بناء الخيمة وتفكيكها، وطريقة نسجها التقليدية، إضافة إلى مكوناتها وطريقة تزينها، وهو ما يجعلها لوحة فنية تراثية، تعكس مظاهر الثقافة الجنوبية، ومدى حضورها لدى قبائل الأطلس المتوسط الأوسط.

3-2 نمط تدارت:

ينتشر هذا النوع من العمارة في مختلف المناطق الجبلية المغربية، ويتميز بالسطح المسطح، حيث نجد له حضورا بكل من الأطلس الكبير المركزي، والأطلسين الصغير والمتوسط. كما يتميز بخصوصيات معمارية فريدة، تأخذ شكلين من السكن، الأول مبني بالتراب، والثاني مشيد من الحجر. وتتخذ "تدارت" في أغلب المناطق شكلا متفرقا[41] بين ثنايا الحقول الزراعية، أو الخوانق والسفوح الجبلية.

يحضر نمط عمارة "تدارت" بالأطلس المتوسط، بالمناطق العليا بالبقريت، وتمحضيت، ومرموشة، وبولمان، وبني مكيلد، وأيت يوسي، وأيت سغروشن، وزيان... و تحتل موضعها، أينما قل الارتفاع، وقلت الثلوج والتساقطات المطرية الغزيرة، فنجدها قرب الأودية على التلال، وعلى السفوح الصخرية.

38 Op.cit, p 293

39 إمرابطن، قبائل تنتمي إلى اتحاد قبائل أيت سكوكو، الذي يضم بالاضافة إليها قبائل إعامين وقبائل أيت عمر.

40 Lieutenant de la chapelle, Le sultan Moulay Isma'il et les Berbères sanhaja du Maroc central, Op.cit, p 63

41 السكن المتفرق نوعان: منتظم تكون فيه المنازل موزعة بشكل منتظم، وغير منتظم تتوزع فيه المنازل بشكل فوضوي وسط المجال. (عن محمد بالفقيه، أوليات في الجغرافية الزراعية، منشورات صومابروب، الطبعة 2، الرباط، 1988، ص 88)

هذا الانتشار لعبت فيه الطبوغرافية الدور الكبير، حيث المجال الهضبي الذي تقل فيه التساقطات الثلجية مقارنة بالجبل الذي يستقبل كميات تتجاوز في متوسطها 600 ملم سنويا، ما يسمح للثلوج بالاستمرار على القمم العالية إلى حدود نهاية شهر مارس، ودخول شهر أبريل. أما المجال الهضبي حيث نمط "تدارت" التي لها سطح مسطح، فتقل به التساقطات الثلجية ما يسمح بتشييد هذا النوع من العمارة.

توقف E.Laoust، عند إشكالية السكن عند منتجعي المغرب الأوسط، نظرا لتميزها بالتعقيد الراجع بالأساس إلى تعدد أنواع العمارة[42]، ما جعلنا نتيه في تحديد تاريخ استعمال هذا النوع من العمارة بشكل أدق عند قبائل الأطلس المتوسط، إذ يمكن تقريب أصوله من حيث الهندسة ومواد البناء، التي تشبه إلى حد كبير التقنيات المتواجدة عند سكان الجنوب المغربي، خاصة في نمط عمارة "تدارت" المشيدة بالتراب. أما نمطها المشيدة بالحجارة فيصعب التأصيل له، إذ أعاده E.Laoust إلى الأصول الرومانية[43]، وهي نفس الاشارة التي أحال عليها De Segonzac، الذي وصف السكن بمنطقة تونفيت على أنه: "مشيد بالحجر بدون إسمنت، مرصن بالتراب، والأبواب والنوافذ والأعمدة كلها من الخشب، ويسميها السكان تدارت إرومين، التي سكنها المسحيون قبل دخول الاسلام إلى المنطقة"[44].

تعتمد طريقة البناء عند قبائل الأطلس المتوسط على تقنيات متعددة ومتنوعة، أولها تقنية البناء بالطابية أو"اللوح"، وهي تقنية تعتمد البناء بالألواح الخشبية والركائز "إخْنَايْ"، حيث يفرغ التراب الممزوج بالماء و التبن في قالب خشبي يسمى "التابوت"، ويتم دكه من طرف المعلم حتى يتمازج الخليط ويأخذ مكانه. كما نجد تقنية أخرى تعتمد على البناء بالحجر المتراص بالتراب. ومن الملاحظ أن هذه التقنية تشبه كثيرا تقنية البناء بالطابية في الأقاليم الجنوبية، والتي اعتمدت في أصقاع وأزمنة مختلفة، كما أن الحديث عن أصولها قد يحدد لنا تاريخ الهجرات أوالتلاقح بين مختلف الثقافات، حيث افترض البعض على أنها تقنية تعود الى تلاقح المغرب بفراعنة مصر القديمة، أو تعود أصولها إلى الرومان الذين استعملوا الطريقة الاغريقية البدائية في البناء المعتمدة على الحجارة دون بلاط.[45]

خلاصة

42 E. Laoust , L'habitation chez les transhumants du Maroc centrale, Hespéris, n°6 , paris , 1935 , p 292.

43 E. Laoust , L'habitation chez les transhumants du Maroc centrale, Op.cit. p 291

44 Marquis De Segonzac, Au Cœur de L'Atlas : Mission au Maroc 1904-1905, Emile Larose , Paris , 1910 , p 69.

45 حامد قادوس، مدخل الى علم الآثار اليونانية والرومانية، جامعة الاسكندرية، ط 1 ، الاسكندرية، 2007 ، ص 159.

تشكل الثقافة الجنوبية بكل مكوناتها، تراثا متميزا انتشر عبر فترات تاريخية مختلفة، حاولنا الوقوف عند بعضها، في هذا العمل، إذ ساهمت الحركات القبلية في المجال من انتقال بعض مكونات التراث، من الجنوب إلى الأطلس المتوسط الأوسط، ذلك بحضور شخصيات وأعلام تاريخية، بوزنها السياسي أو الديني، في ترسيخ تلك الثقافة الجنوبية بين قبائل الأطلس المتوسط، هذه الأخيرة التي امتزجت ثقافتها بثقافة الجنوب، من خلال اتباعها وولائها لتلك الشخصيات الجنوبية، ما ساهم في بناء تاريخ وثقافة قبائل الأطلس المتوسط، من خلال المشاركة في الأحداث السياسية التي عاشها المغرب، أو من خلال حضورها في التراث المحلي للقبائل، من قبيل حضور نمط الخيمة الجنوبية، في نمط الانتجاع القبلي، وحضور نمط عمارة تدارت المبنية بالتراب، التي انتقلت تقنية بنائها مع الهجرات القبلية من الجنوب نحو الأطلس المتوسط.

لائحة المصادر والمراجع

باللغة العربية:

- المنصوري أحمد ، كباء العنبر من عظماء زيان وأطلس البربر، ج1 ، تحقيق محمد بن لحسن، مطبعة الكرامة، ط 1، الرباط، 2004.
- الوزان الحسن، وصف إفريقيا ، ج1 و ج 2، ترجمة محمد حجي ومحمد الاخضر، دار الغرب الاسلامي، ط 2، بيروت 1983 .
- الناصري أحمد بن خالد ، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصري و محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1997.
- الزياني أبو القاسم، البستان الظريف في دولة أولاد مولاي الشريف، القسم الأول، .دراسة وتحقيق رشيد الزاوية، مركز الدراسات والبحوث العلوية، (بدون سنة).
- دو فوكو شارل ، التعرف على المغرب 1883-1884 ، ترجمة المختار العربي، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، ط 1، الرباط، 1999.
- الناصري أحمد بن خالد ، الاستقصا لأخبار دول المغرب الاقصى، الجزء الأول، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1997.
- بالفقيه محمد، أوليات في الجغرافية الزراعية، منشورات صومابروب، الطبعة 2، الرباط، 1988.
- قادوس حامد ، مدخل الى علم الآثار اليونانية والرومانية، جامعة الاسكندرية، ط 1 ، الاسكندرية، 2007.
- رسالة مؤرخة بتاريخ 15-09-1305هـ محفوظة بمديرية الوثائق الملكية، محفظة رمضان 1305هـ، تحت رقم A17-111-015.
- رسالة مؤرخة بتاريخ 28 رجب عام 1302هـ، محفوظة بمديرية الوثائق الملكية، محفظة رجب 1302هـ، رقم A17- 070-012.
- رسالة مؤرخة بتاريخ 17 شعبان عام 1302هـ، محفوظة بمديرية الوثائق الملكية، محفظة شعبان 1302هـ، رقم A17- 081-004

باللغة الفرنسية

- Boubrik Rahal , Saad Tazi, Alkhayma- Tente Noir du Sahara, Marsam, Rabat, 2008.
- De Segonzac Marquis, Au Cœur de L'Atlas : Mission au Maroc 1904-1905, Emile Larose , Paris , 1910.
- Général A . Guillaume, Les Berbères Marocains et La Pacification de L'atlas Central (1912- 1933), René Julliard, paris , 1946.
- Laoust Emile, Mots et Choses berbères, notes de linguistique et d'ethnographie, Chalamel, Paris , 1920.
- Laoust Emile, L'habitation chez les transhumants du Maroc centrale, Hespéris, n°6 , paris , 1935.

- Lieutenant de la chapelle, Le sultan Moulay Isma'il et les Berbères sanhaja du Maroc central, archives Marocaines, volume 28, paris, 1931.
- Lieutenant Reyniers, un Document sur la Politique de Moulay Isma'il dans L'atlas, Archives Marocaine, volume 28, Ed, Ernest Leroux, Paris, 1931.
- M. Michaux-Bellaire, villes et tributs du Maroc , direction des Affaires Indigènes, Horne Champion, Paris , 1932.
- Rapport X, La Politique Berbère et L'Action Chez Les Zaian, dans L'Afrique Française. B.M. N°7, 1914.
- Rapport Mensuel , Décembre 1912, dans L'archive du Maroc, cote N° E-0046.

تأثر السلوك الهيدرومطري بالنظام المطري والسمات المورفومترية لأحواض جنوب غرب ورغة بالريف الأوسط

نبيل تيهي [1]، ذ. حسن وافريد [2]

1) مختبر المجالات الهشة بالمغرب، كلية شعيب الدكالي، جامعة الآداب والعلوم الإنسانية–الجديدة
2) مختبر المجالات الهشة بالمغرب، كلية شعيب الدكالي، جامعة الآداب والعلوم الإنسانية – الجديدة

ملخص

يمتاز حوض ورغة جنوب الريف الأوسط بنظامه الهيدرومطري المضطرب وغير المتجانس، ينقسم لنظام ذو استجابة سريعة وأخرى بطيئة. يعزى هذا لعدة عوامل على رأسها السلوك المطري، وهندسة الأحواض وطبيعة بنية الصخارة، وانحدار السفوح والكثافة الهيدروغرافية، التي هي ظروف تتقاسمها جل أحواض الريف الأوسط والريف عموما.

اعتمدت الدراسة على منهجية التكميم الوصفي لتغايرية الصبيب النهري، في علاقته بتغايرية التساقطات المطرية من جهة، والابعاد الهندسية للاحواض المعتمدة من جهة أخرى. اذ تم استعمال معاملات حسابية كالمتوسط المطري ومعاملي التراصية وهرتون، لتقدير تأثر الصبيب النهري بالسلوك المطري والسمات الهندسية للأحواض. حيث خلصت النتائج لاستجابتان هيدرومطريتان، الأولى تعبر عن تأخر ذروة الصبيب النهري عن ذروة التساقطات المطرية على المستوى البيفصلي والبيسنوي، والتي تتحكم فيها أكثر مورفومترية الاحواض النهرية. أما الثانية تمثل تزامن ذروتي الصبيب النهري والتساقطات المطرية خلال الفترات القصيرة ذات التساقطات الاستثنائية اليومية، والتي تتحكم فيها أكثر التركز الزمني للتساقطات المطرية والكثافة الهيدروغرافية وانحدار السفوح.

الكلمات المفتاح: *الاستجابة الهيدرومطرية، الصبيب النهري، السمات المورفومترية، حوض ورغة، الريف الجنوبي الأوسط*

Abstract

The Ourgha Basin of South-Central Rif is characterized by its turbulent Hydro-rainfall system, divided into a fast-response system and a slow system. This is due to several factors, mainly the rainfall regime, the geometry of the basins, the nature of the rock structure, the hydrographic density, which are conditions shared by most of the central Rif basins and the Rif in general.

The study was based on a descriptive methodology for quantifying the heterogeneity of river flows, in relation to the heterogeneity of precipitation on the one hand, and the geometric dimensions of the basins on the other. the study used several indices, such as the average rainfall and the Compactness and Horton indices, to estimate the effect of rainfall regime, and the morphometry of the basins on the river flow. We conclude two Hydro-rainfall responses, the first reflects the lag of the peak river flow in relation to the peak rainfall at seasonal and interannual levels, which is controlled by the morphometry of the watersheds. The second represents the synchronization of river flow and precipitation peaks during short periods of daily exceptional precipitation, which are controlled by precipitation concentration, hydrographic intensity and slope slope.

Key words: *Hydro-rainfall response, river flow, morphometric characteristics, Ouargha basin, central-south Rif.*

مقدمة

يتحكم النظام المطري الريفي ومورفومترية أحواضه النهرية وكثافتها الهيدروغرافية، في بناء سلوك هيدرومطري متناقض سواءً على المستوى السنوي أو الفصلي أوالشهري. تتجلى معالم تناقضاته أكثر خلال فترات التساقطات المطرية

الاستثنائية والمركزة زمنيا، التي تجد في شدة تقطع وانحدار سفوح مجال الدراسة، الظروف المناسبة لخلق جواب هيدرومطري سريع ومفاجئ ينتهي بامتطاحات المجاري الرئيسية والثانوية كذلك.

1. تقديم منطقة الدراسة

1.1. الإطار الجغرافي والطبيعي لمنطقة الدراسة

خريطة 1: موقع المنطقة المدروسة والمحطات المعتمدة من حوض ورغة والمغرب

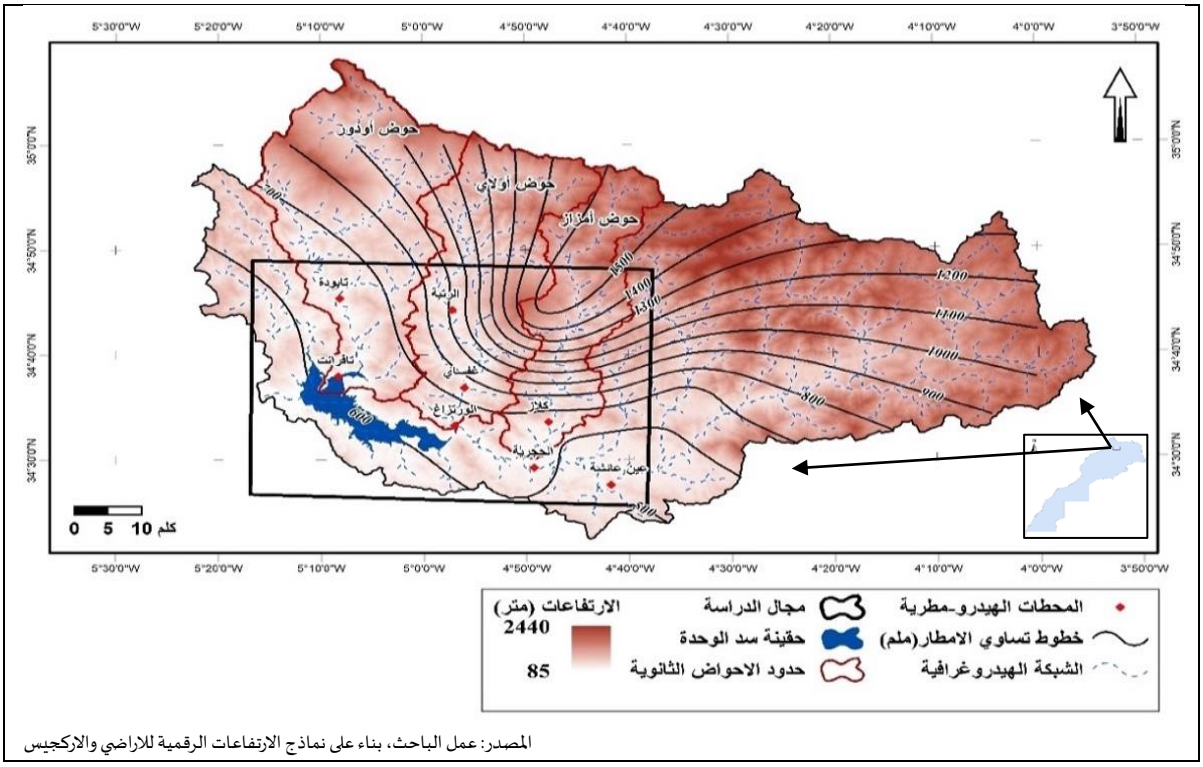

المصدر: عمل الباحث، بناء على نماذج الارتفاعات الرقمية للاراضي والاركجيس

يقع مجال الدراسة، غرب حوض ورغة بالريف الجنوبي الأوسط، تتوازى انحداراته مع السفوح الجنوبية للريف ككل من الشمال نحو الجنوب. يمتاز بسفوحه المنحدرة شديدة التقطيع جراء كثافة الشبكة المائية، مما ينتج عنه محدودية وضيق المنبسطات الصالحة للزراعة. يسود شمال المجال بروزات صخرية وتلال ومرتفعات متوسطة (جبل ودكة 1600م)، تنحدر من التعقد البنيوي للريف الخارجي والفرشة النوميدية ووحدة كتامة وطنجة (الخريطة البنيوية للريف 1/500000).

يسود مجال الدراسة مناخ متوسطي محلي، ناتج عن تعرضه للمؤثرات الهوائية الجافة شرقا، وتسربات الرطوبة المتوسطية شمالا والأطلنتية غربا. يتبلور عنها حرارة عالية صيفا ومنخفضة خريفا وشتاءً، وتساقطات تتراجع من المرتفعات شمالا (1480 ملم) نحو الشرق والغرب اللذان يسجلان نصف المتوسط المطري بمرتفعات وشمال المجال.

2.1. التوزيع الجغرافي والخصائص التقنية للمحطات المطرية المعتمدة

جدول 1: الخصائص التقنية و الجغرافية للمحطات المطرية المدروسة

المحطة	الحوض المائي	الرمز	الطول(X)	العرض(Y)	الارتفاع(Z)	فترة القياس	السنوات
جبل ودكة	أولاي	4626	55300	45900	1115	20/2019 -81/1980	40
غفساي[46]		6400	54280	44590	190	02/2001 -81/1980	22
الرتبة[1]		6372	54240	46420	640	20/2019 -00/1999	21

[46] توقفت محطة غفساي عن القياس سنة 02/2001، بعد تشغيل سد الوحدة 1996 وتم تعويضها بمحطة الرتبة.

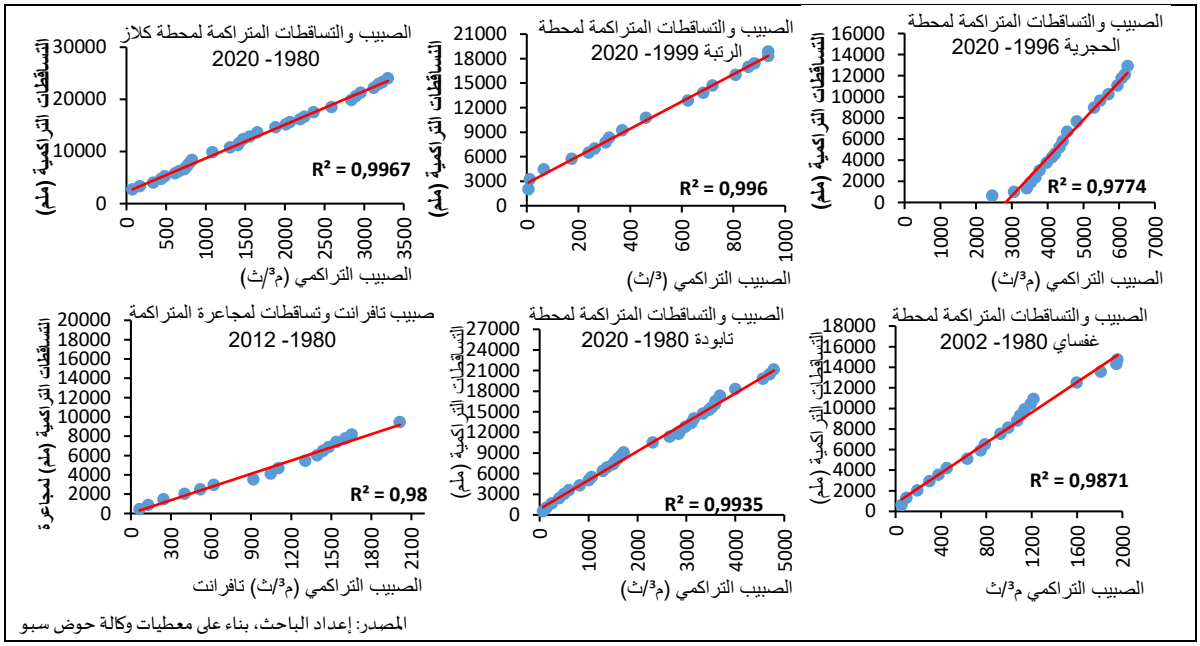

مبيان1 : مصداقية القياسات الهيدرولوجية بطريقة التراكم المزدوج بين الصبيب والتساقطات للمحطات المعتمدة

تابودة	أودیار	7283	52425	46160	180	20/2019 -81/1980	40
تافرانت[47]		608/9	-	-	-	97/1996 -81/1980	18
كلاز	أمزاز	3924	55532	43985	214	20/2019 -81/1980	40
الحجرية		4148	55320	43180	200	20/2019 -97/1996	24
لمجاعرة[48]	ورغة	5128	51360	44320	96	13/2012 -81/1980	33
عين عائشة		236	56470	42880	230	20/2019 -82/1981	39

المصدر: عمل الباحث، بناء على سجلات وكالة حوض سبو- فاس

تعتمد الدراسة على تسع محطات لا يتجاوز قطر تباعدها 40 كلم، تراقب القياسات الهيدرومطرية لحوض ورغة وروافده. تشرف على تسيرها وكالة الحوض المائي سبو، منها من شرعت مبكرا أواخر الفترة الاستعمارية كمحطة غفساي وتافرانت، ومنها من أحدثت قريبا كمحطة الحجرية والرتبة. تعتبر فترات السجلات الرصدية من أهم إكراهات المحطات المعتمدة، نظرا لما تعرفه من تباين فترات القياس، الامر الذي حتم توحيدها ما بين 81/1980 و20/2019.

3.1. مصداقية معطيات المحطات المدروسة

أكد فحص سجلات المحطات المعتمدة بطريقة التراكم المزدوج بين صبيب الاودية والتساقطات الواردة، على سلامتها وترابطها. كما أسفرت نتائج هذه الطريقة (المبيان 1) على مؤشر ارتباط (R^2) عالي جدا تراوح بين 0,97 و0,99، وهو يعبر عن تلائم سجلات تصريف الجريان بسجلات التساقطات المطرية الواردة على الأحواض المدروسة.

2. منهجية وأدوات الدراسة

1.2. منهجية الدراسة

[47] توقفت نهائيا سنة 97/1996 بعد اشتغال سد الوحدة، تم اعتماد سجل صبيبها فقط لكنه يفتقر لمعطيات الاحداثيات الجغرافية.
[48] شرعت محطة الحجرية متأخرة منذ سنة 97/1996، بعدما عوضت محطة االورتزاغ الواقعة على حقينة سد الوحدة شرقا.

إعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، لرصد تطور علاقة التساقطات المطرية بالصبيب النهري، وتحديد خصائص النظام الهيدرومطري جنوب غرب حوض ورغة. ووظف المنهج الاستنباطي، لتكميم تطور الظواهر الهيدرومطرية زمنيا ومجاليا، وتحديد فترات فائض وعجز الصبيب النهري، وربطها بمؤثرا الشبكة الهيدروغرافية والسمات المورفومترية وكذا بتغايرية النظام المطري.

2.2. أدوات ووسائل الدراسة

استعانت الدراسة بعدد من الأدوات والوسائل الكلاسيكية والأخرى العصرية، بهدف وصف وتحليل النتائج المتوصل لها. حيث وظفت سجلات البيانات المطرية وسجلات بيانات الصبيب النهري لتسع محطات غرب حوض ورغة، وكذا تمت الاستعانة بست (6) خرائط طبوغرفية مقياس 1/50000 (غفساي وتموروت وكتامة وتافرانت وتاونات وبني أحمد). علاوة عن اعتماد نظم المعلومات الجغرافية (ArcGis)، لتوطين ووصف المحطات المدروسة جغرافيا وطبوغرافيا، فضلا عن برنام Excel 2016 لتكميم الظواهر الهيدرومطرية، وانشاء رسومات بيانية وصفية توضيحية.

3. تقديم النتائج ومناقشتها

1.3. دور التساقطات المطرية في تشكيل الاستجابة الهيدرومطرية بمجال الدراسة

1.1.3. نظام الاستجابة الهيدرومطرية السنوية

يتقلب الصبيب السنوي جنوب غرب حوض ورغة متوازيا مع تقلبات مجموع التساقطات السنوية، مما يعبر عن ارتباط السلوك الهيدرولوجي السنوي بالسلوك المطري السنوي للمجال المدروس. إذ تعتبر فترات الرطوبة المناخية فترى لفائض الصبيب، والعكس صحيح حيث تتطابق فترات العجز الهيدرولوجي مع فترات الجفاف والشح المطري. يفسر هذا بطبيعة الصخارة الهشة المتكونة أساسا من الأطيان والصلصال الشيستي والطَفَل، ذات النسيج ضعيف النفاذية خاصة بعد تشبعها. والذي يتبلور عنه نضوب سريع لجريان الأودية الموسمية والدائمة، وغور العيون والآبار القليلة مع حلول

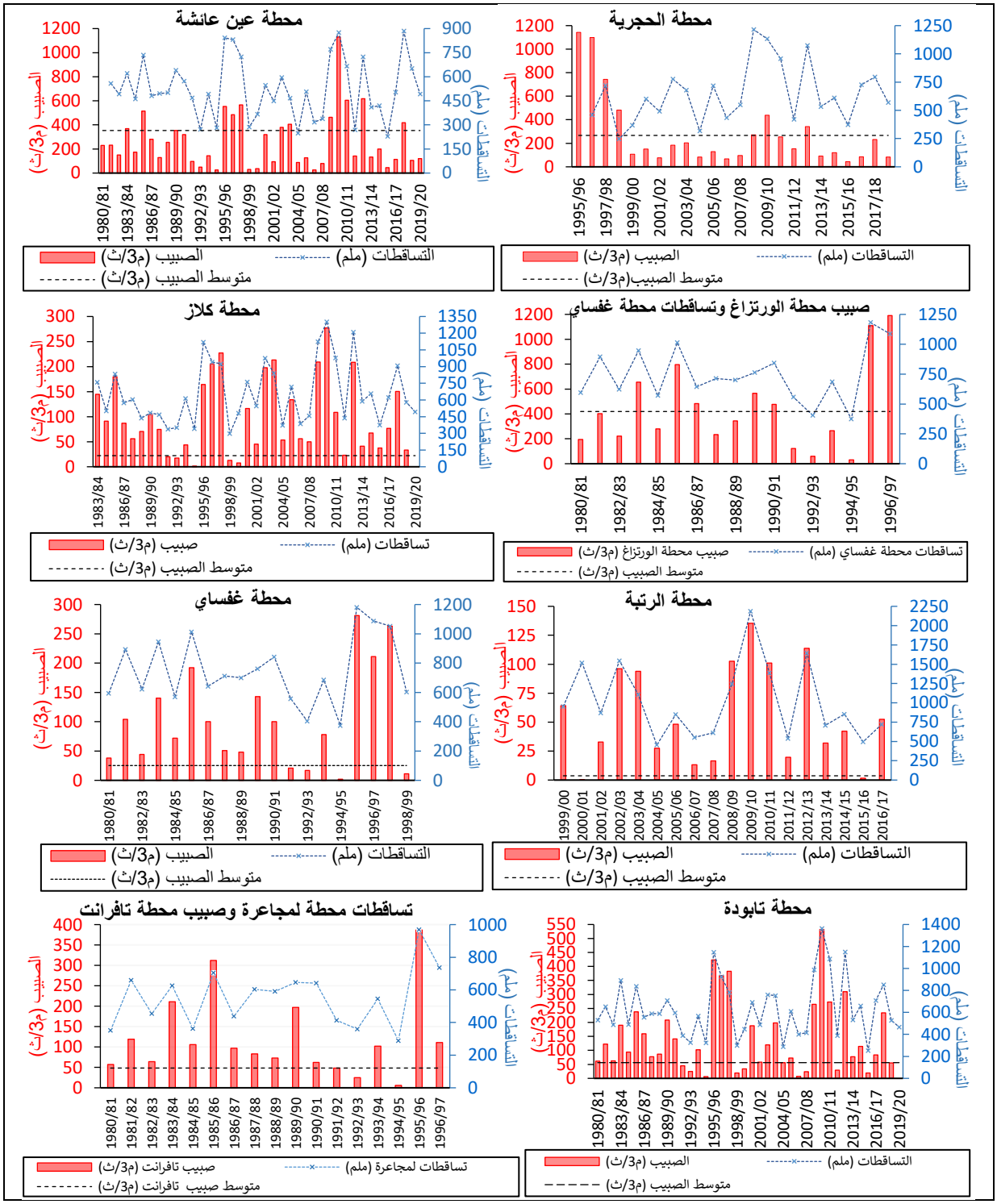

مبيان2 : الصبيب الهيدرولوجي السنوي والتساقطات المطرية السنوية بمحطات جنوب غرب حوض ورغة

العلامات الأولى لفترات الجفاف. كما يسرع انحدار السفوح الريفية (بوطلاقا، وآخرون 2020) استجابة الجريان المائي للتساقطات المطرية، خاصة بعد التساقطات المركزة زمنيا ومجاليا. ينتج عن هذه العوامل تردد الصبيب بين قيم عالية الوفرة وأخرى قوية الشح، اذ انخفض صبيب محطات مجرى ورغة الأوسط لأقل من 30 م³/ث سنة 95/1994 (سنة عجز مطري)، لكن ارتفع مباشرة سنة 96/1995 (سنة فائض مطري) بين 550 و1150 م³/ث. بل انخفض هذا الصبيب بباقي محطات المجاري الثانوية للضفة الشمالية لحوض ورغة سنة 95/1994، لأقل من 6م³/ث بمحطة تابودة وتافرانت،

جدول 2: تردد السنوات الهيدرومطرية المتناقضة بين الصبيب والتساقطات

	المحطات	سنوات التناقض الهيدرومطري	طبيعة التناقض
محطات ورغة الأوسط	عين عائشة	**1988/1987**	**تناقص الصبيب مقابل ارتفاع التساقطات**
		1998/1997	ارتفاع الصبيب مقابل تناقص التساقطات
		2004/2003	ارتفاع الصبيب مقابل تناقص التساقطات
	الحجرية	2004/2003	ارتفاع الصبيب مقابل تناقص التساقطات
		2010/2009	**تناقص الصبيب مقابل ارتفاع التساقطات**
	الورتزاغ	**1988/1987**	**تناقص الصبيب مقابل ارتفاع التساقطات**
		1989/1988	ارتفاع الصبيب مقابل تناقص التساقطات
		1991/1990	**تناقص الصبيب مقابل ارتفاع التساقطات**
		1997/1996	ارتفاع الصبيب مقابل تناقص التساقطات
محطات الحواض الثانوية للضفة الشمالية لورغة الأوسط	كْلاز (حوض أمزاز)	**1988/1987**	**تناقص الصبيب مقابل ارتفاع التساقطات**
		1997/1996	ارتفاع الصبيب مقابل تناقص التساقطات
		1998/1997	ارتفاع الصبيب مقابل تناقص التساقطات
		2004/2003	ارتفاع الصبيب مقابل تناقص التساقطات
		2008/2007	**تناقص الصبيب مقابل ارتفاع التساقطات**
	الرتبة (حوض أولاي)	**2001/2000**	**تناقص الصبيب مقابل ارتفاع التساقطات**
		2002/2001	ارتفاع الصبيب مقابل تناقص التساقطات
	غفساي (حوض أولاي)	**1988/1987**	**تناقص الصبيب مقابل ارتفاع التساقطات**
		1991/1990	**تناقص الصبيب مقابل ارتفاع التساقطات**
		1998/1997	ارتفاع الصبيب مقابل تناقص التساقطات
	تابودة (حوض أودور)	**1988/1987**	**تناقص الصبيب مقابل ارتفاع التساقطات**
		2004/2003	ارتفاع الصبيب مقابل تناقص التساقطات
	تافرانت (حوض أودور)	**1988/1987**	**تناقص الصبيب مقابل ارتفاع التساقطات**

المصدر: إعداد الباحث بناء على معطيات وكالة حوض سبو

وأقل من1م³/ث بمحطة غفساي وكْلاز. في حين ارتفع صبيب سنة 96/1995 لقيم عالية، تراوحت بين 160 و425 م³/ث.

يختل تزامن تطور النظام الهيدرولوجي بنظام التساقطات المطرية بالمجال المدروس (جدول2) من سنة لأخرى، اذ تتناقض استجابة الجريان مع حجم التساقطات المطرية. يتمثل هذا التناقض في وضعيتين من عدم الاستجابة الهيدرومطرية السنوية، تعبر الأولى عن ارتفاع الصبيب السنوي النهري رغم تراجع منحى التساقطات السنوية. وتتجلى الثانية في انخفاض منسوب الصبيب السنوي النهري، رغم ارتفاع التساقطات السنوية مقارنة بالسنة الفرطة. يعزى هذا الاضطراب الهيدرومطري جنوب غرب ورغة بوضعيتيه، لعدة عوامل بنيوية وهيدرولوجية تتلخص كما يلي:

- وضعية استمرار ارتفاع الصبيب النهري مقابل تراجع التساقطات الواردة: تعزى لاستمرارية تَغْذِي الجريان النهري من عيون الفرشة المائية، التي تعتبر رغم سعتها المحدودة مغذي رئيسي للجريان السطحي خلال فترات الجفاف، سواء

الجفاف الفصلي الممتد بين أواخر الربيع الى الصيف وأوائل الخريف، أو الجفاف العام الذي يمتد على سنة أو سنوات. مما ينتج عنه انخفاض منسوب الفرشة المائية الباطنية للمجال المدروس، مما ينعكس على تراجع صبيب السنة الموالية ولو كانت سنة مطرية رطبة.

- وضعية استمرار تناقص الصبيب النهري مقابل ارتفاع التساقطات الواردة: يساهم استمرار تغذي الجريان النهري على الفرشة الباطنية في فترات الجفاف، في انخفاض منسوب الفرشة الباطنية واعتماد الصبيب النهري على الجريان السطحي الناتج عن التساقطات المطرية. كما ان نسيج المكونات السطحية قليل النفاذية (أطيان وصلصال)، لا يغذي الفرشة الباطنية إلا بكميات محدود من المياه قبل تماسك نسيجها. مما لا يخفف وطأة الجفاف (جناتي ادريسي 2017)، في ظل ضعف تخزينها الباطني للمياه، وتصريفها السطحي العالي الذي ينتهي بمصباته على الاطلنتي.

2.1.3. نظام الاستجابة الهيدرومطرية الشهرية

1.2.1.3. الاستجابة الهيدرومطرية غير متزامنة ذروة الصبيب والتساقطات الشهرية

تمتاز كل من محطة عين عائشة والحجرية الورتزاغ على مجرى ورغة، وكذا محطة غفساي وتافرانت على واد أولاي وأودور تواليا، بعدم تزامن استجابتها الهيدرومطرية الشهرية. حيث تتأخر استجابة صبيب واد أولاي عند محطة غفساي للتساقطات المطرية الواردة على حوضه لشهر واحد، حيث يسجل دجنبر أعلى ذروة مطرية شهرية خلال السنة بمتوسط

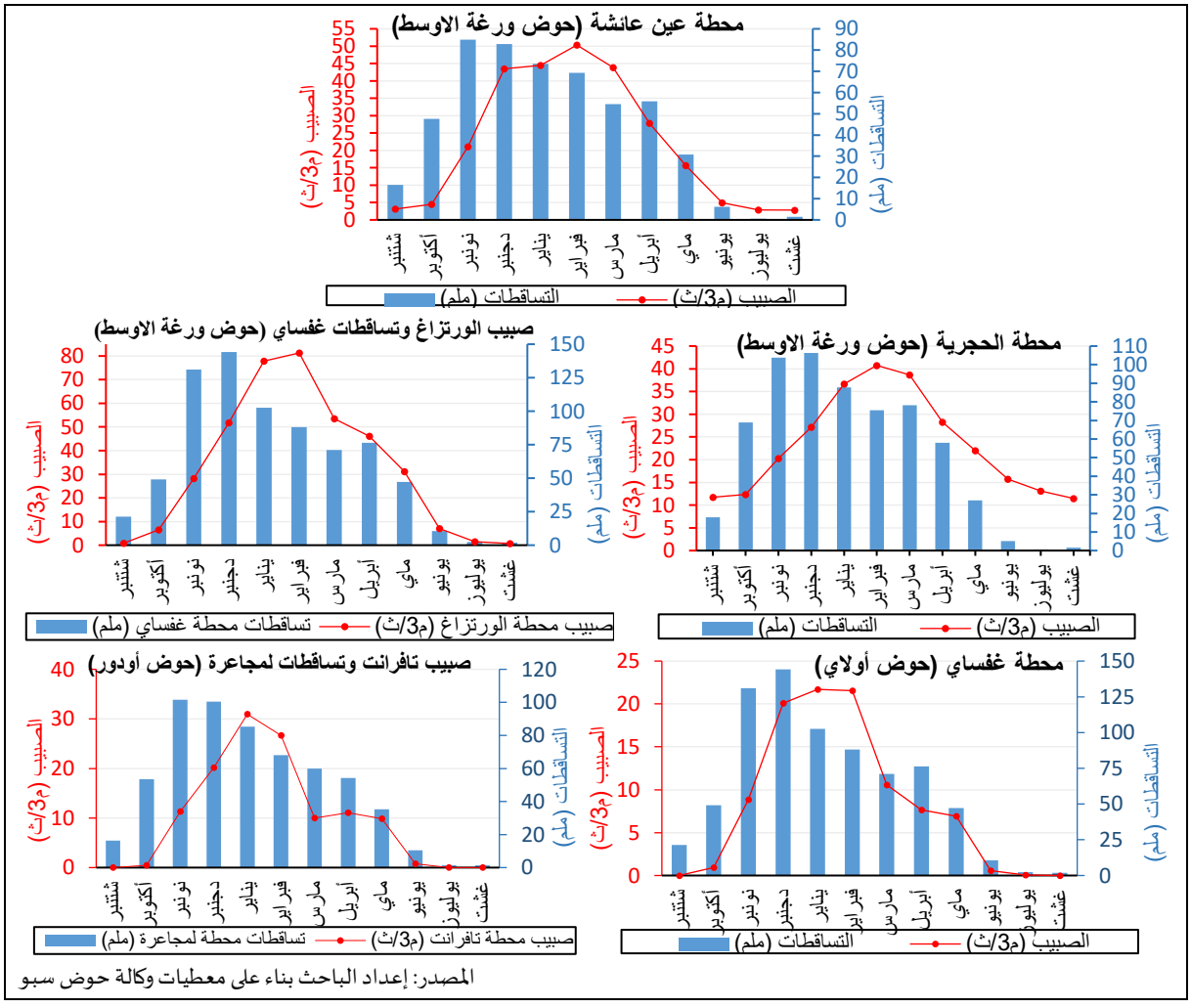

المصدر: إعداد الباحث بناء على معطيات وكالة حوض سبو

مبيان 3: الاستجابة الهيدرومطرية غير متزامنة ذروة الصبيب والتساقطات ببعض المحطات المعتمدة

144 ملم، في حين لا تُسجل ذروة الصبيب الشهري إلا خلال يناير بمتوسط 22 م^3/ث. في حين تتسم باقي المحطات الأخرى

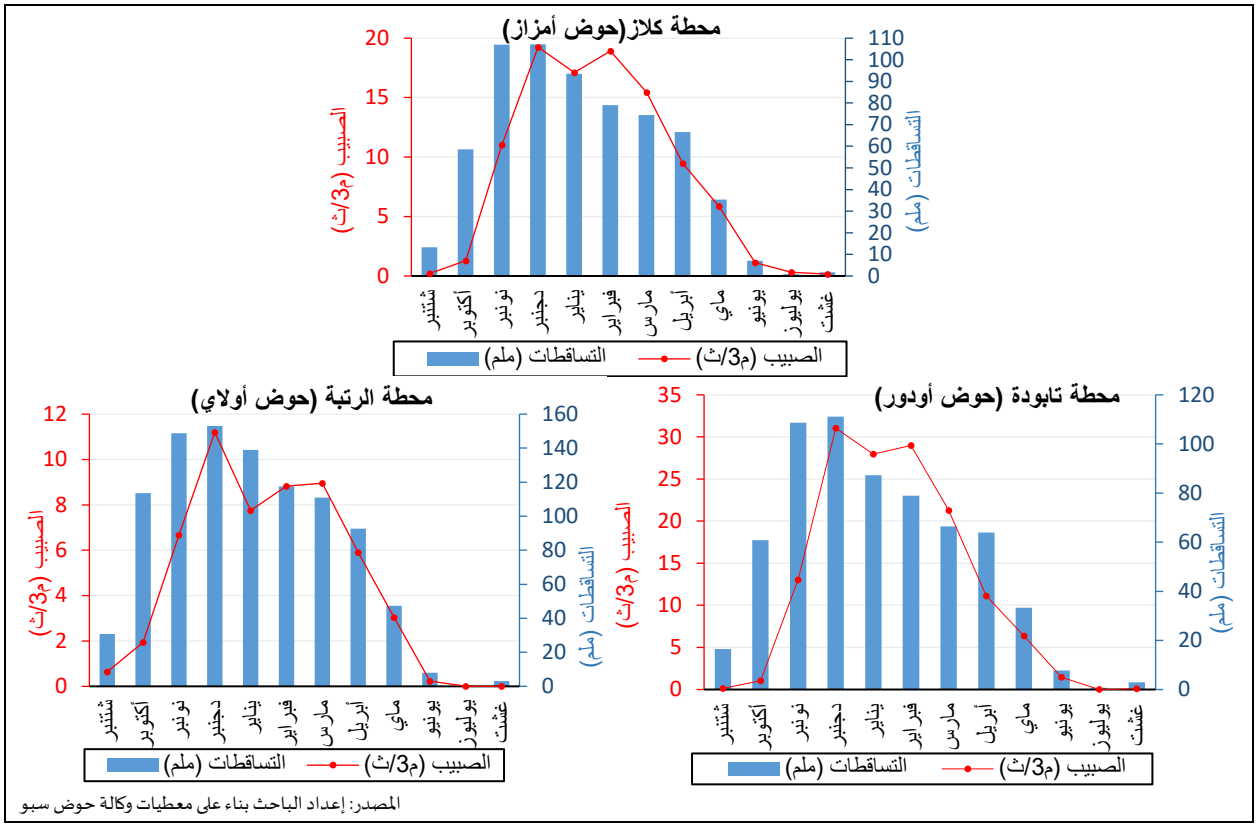

مبيان 4: الاستجابة الهيدرومطرية المتزامنة للبعض الاخر من المحطات المعتمدة على الاحواض الثانوية لحوض ورغة

بجوابها الهيدرومطري المتأخر جدا، الذي قد يصل لأربع أشهر بين الذروة الشهرية للتساقطات والصبيب خلال السنة. تسجل محطة عين عائشة ذروتها المطرية الشهرية خلال نونبر بمتوسط 85 ملم، في حين لا تسجل ذروة صبيبها الا خلال فبراير الموالي بمتوسط 50 م³/ث. وبلغ متوسط الذروة المطرية الشهرية بمحطة الحجرية خلال دجنبر ما يعادل 106 ملم، لكن جوابها الهيدرولوجي الأعلى لا يتجلى إلا في فبراير بمتوسط 41 م³/ث. كما مَثَّلَ أيضا شهر دجنبر ذروة التساقطات المطرية الشهرية بمحطة الورتزاغ بمتوسط 144 ملم، لكن ذروة الصبيب الشهري تتأخر لغاية فبراير بمعدل 81 م³/ث. ويشكل نونبر الذروة المطرية الشهرية بمحطة تافرانت بمتوسط 102 ملم، لكن وَقْعُ هذه الرطوبة على الصبيب يتأخر لغاية يناير بمتوسط 31 م³/ث. وعموما يتصف السلوك الهيدرومطري للمحطات السالفة، بـ:

- توافق ذروة تساقطاتها الشهرية بين نونبر ودجنبر من كل سنة، في حين تتوافق ذروة صبيبها النهري الشهري بين يناير وفبراير (فترة نشاط هيدرولوجي) مما يولد أحيانا فيضانات محدودة.
- انخفاض الصبيب التدريجي بين أواخر فصل الشتاء وفصل الصيف والخريف، اللذان ينخفض خلالهما صبيب المحطات المعنية لمقادير دنيا بواد ورغة مقابل نضوب جريان أولاي وأودور.

2.2.1.3. الاستجابة الهيدرومطرية متزامنة ذروة الصبيب والتساقطات الشهرية

تتطابق ذروتي الصبيب النهري والتساقطات الشهريين بثلاث محطات في المجال المدروس، مما يعبر على تزامن الاستجابة الهيدرومطرية الشهرية خاصة خلال الخريف، ثم ينخفض الصبيب بعد تراجع التساقطات وانحباسها أواخر الربيع والصيف. يُشكل دجنبر شهر الذروة الهيدرومطرية بمحطة كْلاز والرتبة وتابودة، حيث سجلت خلاله محطة كْلاز صبيبا عادل 20 م³/ث مقابل متوسط مطري ناهز 107ملم. سجلت أيضا خلاله محطة الرتبة صبيبا عادل 11م³/ث، بعدما بلغ متوسطها المطري 153ملم. وبلغ خلال الشهر نفسه صبيب محطة تابودة 33 م³/ث، مقابل متوسط مطريا بلغ 111 ملم.

يتصف السلوك الهيدرومطري الشهري المتزامن الاستجابة، بتطور الصبيب مع التساقطات المطرية الشهرين بمحطة كْلاز والرتبة وتابودة. اذ يتصاعد صبيبها الشهري خلال الخريف من أكتوبر لذروته بدجنبر، ثم يتجه نحو التراجع التدريجي لغاية النضوب أحيانا بفصل الصيف أو الربيع خلال السنوات العالية الجفاف. يتفرد السلوك الهيدرومطري لهذه المحطات بين شهري فبراير ومارس بطفرة هيدرولوجية، تتمثل في الارتفاع المفاجئ للصبيب رغم استمرار انخفاض التساقطات الشهرية. تعزى هذه الطفرة الهيدرولوجية خلال السنة، لتضافر تغذية هذا الصبيب النهري عبر الجريان السطحي القوى لهذه الفترة الرطبة، وكذا من العيون الباطنية التي تكون في أوج قدرتها التصريفية.

3.1.3. الاستجابة الهيدرومطرية للأيام القصوى/الاستثنائية خلال السنة بالمحطات المعتمدة

1.3.1.3. تردد أنواع الاستجابات الهيدرومطرية للايام القصوى خلال الفترة المعتمدة

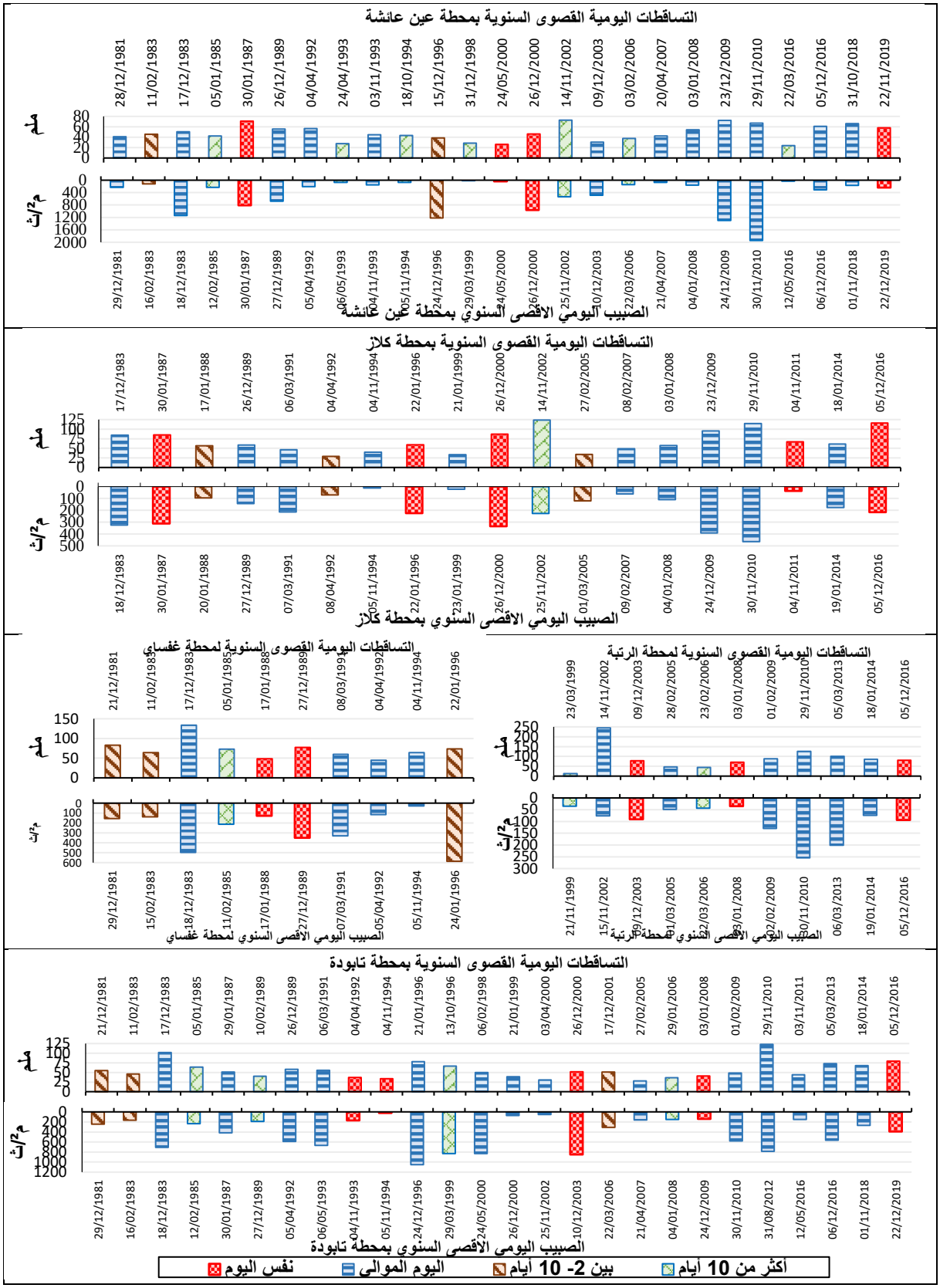

مبيان 5: الاستجابة الهيدرومطرية للايام القصوى خلال السنة بالمحطات المعتمدة

يتبلور عن التساقطات المطرية اليومية الاستثنائية بمجال الدراسة نوعان من الاستجابة الهيدرولوجية، فالأولى سريعة لا تتجاوز اليوم الواحد كفارق زمني بين التساقطات اليومية القصوى والصبيب اليومي الأقصى خلال السنة، أما الاستجابة الثانية متأخرة تتعدى اليوم.

فاقت نسبة تردد الاستجابة الهيدرومطرية السريعة للأيام القصوى نسبة 60% بكل سجلات المحطات المعتمدة، حيث بلغت نسبتها 64% بمحطة عين عائشة، و79% بمحطة كْلاز، ثم 72% بمحطة غفساي والرتبة معا وأخيرا 73% بمحطة تابودة. تتبلور هذه الاستجابة الهيدرومطرية السريعة، كرد فعل للتصريف السطحي على التركز الاستثنائي للتساقطات اليومية، وتخديد كثافة الشبكة الهيدروغرافية للسفوح المنحدرة نحو المجرى الرئيسي. ينعكس هذا التصريف السطحي العالي على ضعف التخزين الباطني للمياه، وتنشيط التعرية المائية والنهرية وتدهور الأوساط الطبيعية، عبر حركية السطوح على شكل تهدلات وانهيالات وانزلاقات كتلية للأطيان. ناهيك عن تدهور الغابة والتربة من خلال عمليات التعرية الانتقائية، المساهمة في اقتلاع وجرف الغطاء النباتي وجرف الاتربة نحو المجاري المائية ومصباتها.

لا تتجاوز الاستجابة الهيدرومطرية المتأخرة للأيام القصوى عتبة 40% من سجل كل المحطات المرصودة، حيث بلغت هذه النسبة 36% بمحطة عين عائشة و21% بمحطة كلاز، ثم 28% بمحطتي الرتبة وغفساي معا، وأخيرا 27% بمحطة تابودة. نميز في الاستجابة الهيدرومطرية المتأخرة بين نوعين متباينين زمنيا، الأول تتأخر فيه استجابة الصبيب النهري وبلوغه ذروته القصوى من اليومين لعشر أيام منذ أعلى تركز يومي للتساقطات المطرية. بالمقابل يتجاوز النوع الثاني عتبة عشر أيام بين ذروة التساقطات القصوى اليومية، وذروة الصبيب اليومي الأقصى خلال السنة.

جدول 3: تردد أنواع الاستجابة الهيدرومطرية للأيام القصوى خلال السنة بمجال الدراسة

المحطات (الحوض)	فترة الرصد	الاستجابة السريعة		الاستجابة المتأخرة		المجموع
		نفس اليوم	بعد يوم	2–10 أيام	أكثرمن 10 أيام	
عين عائشة (ورغة)	2019- 1981	(%16)**4**	(%48)**12**	(%08)**02**	(%28)**07**	**25**
كْلاز(أمزاز)	2016- 1983	(%26)**5**	(%53)**10**	(%16)**03**	(%05)**01**	**19**
غفساي والرتبة (أولاي)	1996- 1981	(%24)**5**	(%48)**10**	(%14)**03**	(%14)**03**	**21**
تابودة (أودور)	2016- 1981	(%19)**5**	(%54)**14**	(%12)**03**	(%15)**04**	**26**

المصدر: إعداد الباحث بناء على معطيات وكالة حوض سبو

2.3.1.3. التوزيع الفصلي والشهري للاستجابة الهيدرومطرية للأيام المطرية القصوى السنوية

جدول 4: توزيع الاستجابة الهيدرومطرية شهريا وفصليا للايام القصوى السنوية جنوب غرب ورغة (1981- 2016)

		محطة عين عائشة		محطة كْلاز		محطة غفساي والرتبة		محطة تابودة	
		الاستجابة							
		السريعة	المتأخرة	السريعة	المتأخرة	السريعة	المتأخرة	السريعة	المتأخرة
الخريف	أكتوبر	(%4)01	(%4)01	(%0)00	(%0)00	(%0)00	(%0)00	(%0)00	(%4)01
	نونبر	(%12)03	(%4)01	(%16)03	(%5)01	(%14)03	(%0)00	(%11)03	(%0)00
	دجنبر	(%28)07	(%8)02	(%27)05	(%0)00	(%19)04	(%5)01	(%15)04	(%8)02
–	يناير	(%8)02	(%4)01	(%27)05	(%5)01	(%14)03	(%9,5)02	(%19)05	(%8)02

	فبراير	00(%)	01(%4)	01(%5)	01(%5)	02(%9,5)	02(%9,5)	03(%11)	02(%8)
	مارس	00(%)	02(%8)	01(%5)	00(%0)	02(%9,5)	01(%5)	02(%8)	00(%0)
فصل الشتاء	أبريل	02(%8)	01(%4)	00(%0)	01(%5)	01(%5)	00(%0)	02(%8)	00(%0)
	ماي	01(%4)	00(%0)	00(%0)	00(%0)	00(%0)	00(%0)	00(%0)	00(%0)

المصدر: إعداد الباحث بناء على معطيات وكالة حوض سبو

تتركز أكثر من 88% من الاستجابة الهيدرومطرية اليومية الاستثنائية بالمحطات المعتمدة خريفاً وشتاءً، الا أن المحطات الشرقية للمجال ترددت بها الظاهرة خلال فصل الخريف أكثر. حيث مثلت 60% من مجموعها بمحطة عين عائشة و47,5% بمحطة كْلاز. في حين تركزت الظاهرة نفسها بالمحطات الغربية خلال فصل الشتاء، الذي بلغت خلاله نسبة 57% بمحطتي الرتبة وغفساي و54% بمحطة تابودة. كما يتزامن التركز الشهري لهذا النوع من الاستجابة الهيدرومطرية بعموم المحطات المعتمدة، بين نونبر وفبراير من كل سنة، بما يتراوح بين 70 و90%. لكن تركزها الأعلى يسود شهور دجنبر بالمحطات الشرقية، التي هيمنت بنسبة 36% بمحطة عين عائشة و27% بمحطة كْلاز. بالمقابل تركزت الظاهرة نفسها بالمحطات الغربية خلال شهور يناير، التي سجلت حوالي 24% بمحطتي غفساي ثم 27% بمحطة تابودة.

2.3. وقع مرفومترية الاحواض النهرية وكثافتها الهيدروغرافية على السلوك الهيدرومَطري للمجال

1.2.3. دور السمات المرفومترية لأحواض مجال الدراسة في طبيعة سلوكه الهيدرومطري

تحدد السمات الهندسية والمرفومترية للحوض النهري طبيعة سلوك صبيبه الهيدرولوجي، عند ارتباطه كميا وزمنيا بالتساقطات المطرية الواردة على هذه الاحواض. كما يمكننا من خلالها تحديد مدى نشاط التعرية في إعادة تشكيل الأوساط الطبيعة وتدهور مواردها، على رأسها المكونات السطحية من تربة وغطاء نباتي. يظل معامل الاستدارة وهرتون (معامل الشكل)، من أهم المعادلات الرياضية المحددة للخصائص الهندسية والمرفومترية للأحواض النهرية.

جدول 5: الخصائص الهندسية والمرفومترية للأحواض النهرية لمجال الدراسة

حوض	الاتجاه	المساحة (كلم²)	الطول (كلم)	العرض (كلم)	طول المجرى (كلم)	المحيط (كلم)	معامل الاستدارة IC		معامل هرتون RE	
ورغة	شرق- غرب	6155	137	44	136,5	473	1,68	غير دائري	0,33	استجابة بطيئة وجريان أقل عنفا
أمزاز	شمال- جنوب	573	54	13	53,6	168	1,96		0,20	
أولاي		853	52	18	53,2	185	1,77		0,30	
أودور		1053	60	22	60,3	188	1,62		0,29	

المصدر: إعداد الباحث بناء على الصور الجوية والخرائط الطبوغرافية (غفساي وتمروت وبني أحمد وتافرانت وتاونات ثم كتامة)

1.1.2.3. معامل التراصية أو الاستدارة L'indice de Compacité

تدل قيمته القريبة من "1" على استدارة الحوض وسرعة استجابته الهيدرولوجية، في حين بعدها يدل على شكله الطولي وتأخر استجابته الهيدرولوجية. تستخلص قيمته من علاقة محيط الحوض P (كلم) بمساحته A(كلم²)، عبر المعادلة التالية $IC: \frac{P}{2\sqrt{\pi A}} = 0,28\frac{P}{\sqrt{A}}$.

تساهم عدة عوامل بنيوية وأخرى طبوغرافية في تشكيل سلوك الاستجابة الهيدرومطرية للأحواض المدروسة، اذ تتسم هذه الاستجابة بتأخرها وتباعدها بين الشهر والشهرين، لا سيما على مستوى استجابة الصبيب الشهري للتساقطات المطرية الشهرية. يعزى هذا النظام الهيدرومطري للسمات الهندسية للأحواض النهرية المعتمدة، والتي تمتد مجاريها على مسافة طويلة تتراوح بين 50 و140 كلم من العالية نحو السافلة. وتعزى أيضا لسماتها المرفومترية، التي تتجلى

في شكلها الهندسي البعيد عن الاستدارة والاقرب للمستطيل. حيث يقدر مؤشر تراصية حوض ورغة بـ 1,68 ويعادل 1,96 بحوض أمزاز، ثم يناهز 1,77 بحوض أولاي، وأخيرا 1,62 بحوض أودور.

تدل قيم مؤشر تراصية أحواض مجال الدراسة على تأخر استجابتها الهيدرومطرية، الراجعة أساسا للشكل الطولي لهذه الاحواض، المتميزة بتنوعها وتعقدها البنيوي الممتد على مجال الضمريفي ومجال الريف الانتقالي من نطاق الريف الخارجي (MICHARD 1976). حيث تتشكل هذه المجالات من صخارة هشة تتألف أساسا من الطَفَلْ والأطيان والصلصال والفليش والكلس الياسي، وهي مكونات تسمح باستمرارية النشاط الحثي من العالية نحو السافلة على شكل طولي (شعوان 2015)، خاصة مع الانحدار الطبوغرافي المهم للأحواض الثلاث الثانوية من الشمال نحو الجنوب والانحدار الأقل نسبيا من الشرق نحو الغرب بالنسبة لحوض ورغة الام.

2.1.2.3. معامل الشكل "هورتون" L'indice de Forme de Horton

يعبر عن انتظام الطول الأقصى بعرض الحوض (الحسبان و زريقات 2015)، ويدل على سرعة الجريان النهري. تمثل قيمه الأقل من 0,78 عن الاحواض الطولية ذات الجريان والاستجابة الهيدرومطرية البطيئتين، في حين تجاوز القيمة العتبة السالفة، تشير للأحواض الدائرية ذات الجريان والاستجابة الهيدرومطرية السريعتين (Waikar et Aditya 2014). ينجز هذا المعامل باعتماد علاقة مساحة الحوض A (كلم²) بمربع طوله الأقصى Lb (كلم)، حسب المعادلة التالية $Rf = \frac{A}{Lb^2}$.

يقل معامل شكل الأحواض المدروسة عن عتبة 0,78، مما يؤكد الشكل المستطيلي لكل هذه الأحواض مع فوارق هندسية بسيطة. كما يعتبر معامل شكل حوض ورغة الأعلى قيمة بما يناهز 0,33 في حين حوض أمزاز لم يتجاوز معامل شكله قيمة 0,20. تدل هذه القيم على دور شكل الأحواض في تباطؤ الاستجابة الهيدرومطرية للأحواض المعتمدة خلال فترات التساقطات المطرية العادية، الأمر الذي يُنْتِج جريان أقل عنفا جراء عدم تزامن ذروة الصبيب النهري مع ذروة التساقطات.

2.2.3. دور الشبكة الهيدروغرافيةلأحواض مجال الدراسة في طبيعة سلوكه الهيدرومطري

يُمَكِنُ الوصف الهيدروغرافي تفسير السلوك الهيدرومطري، من خلال علاقة الكثافة الهيدروغرافية بالتساقطات المطرية وبمرفومترية الأحواض النهرية. يفيد كذلك في تفسير الحالات الهيدرومطرية الاستثنائية، التي يكون إيقاع صبيبها مخالفا عن العلاقة العادية بين التساقطات والجريان السطحي. كما تقربنا دراسة الرتب النهرية وتكرارها من تقييم قدرة الشبكة الهيدروغرافية على التعرية السطحية، وكذا تحديد دورها في زمن الاستجابة الهيدرومطرية. أُعتمد في هذا الصدد على طريقة "ستريلر" لتصنيف الرتب النهرية، من الرتب الأولى التي تعبر عن الانحدار والتعرية العالية، نهايةً بالمجرى الرئيسي ذو الرتبة العليا والانحدار الضعيف والنفاذية العالية (احماموشي 2019).

1.2.2.3. الرتب النهرية وتكرارها بالشبكة الهيدروغرافية للأحواض المدروسة

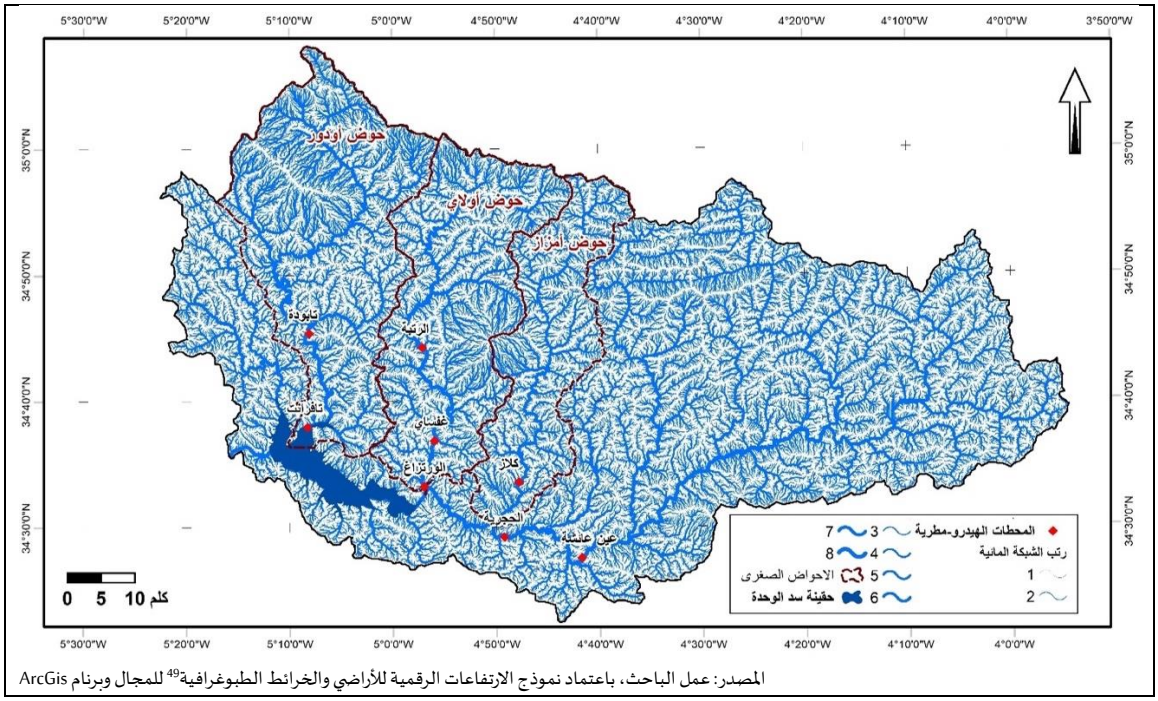

المصدر: عمل الباحث، باعتماد نموذج الارتفاعات الرقمية للأراضي والخرائط الطبوغرافية[49] للمجال وبرنام ArcGis

خريطة 2 : تصنيف الشبكة الهيدروغرافية لأحواض مجال الدراسة جنوب غرب ورغة حسب طريقة ستراير Strehler

صنفت رتب الشبكة الهيدروغرافية بالأحواض المدروسة، لثمان رتب بحوض ورغة الام، وسبع رتب بالأحواض الثلاث الثانوية الأخرى. يتبين من خلال تعدد الرتب النهرية السالفة، نشاط التعرية المائية على سفوح حوض ورغة. كما يتضح أيضا مدى كثافة وسلاسة نقل المكونات السطحية من العالية نحو المصب، والذي بدوره يرسبها بحقينة سد الوحدة.

تخترق الأحواض المدروسة شبكة هيدروغرافية كثيفة جدا، تتراوح بين 19000 و146900 مجرى نهري. تدل هذه الكثافة على النشاط التعروي القوي للسطوح الأكثر انحدارا والأقل مقاومة، اذ يتراوح معامل التكرار النهري العام ما بين 32 مجرى/كلم² بالأحواض الثلاثة الثانوية وحوالي 24 مجرى/كلم² بحوض ورغة. تشكل الرتبة الأولى (1) منها نسبة 56% بحوض ورغة، وبين 55% و57,5% بباقي الأحواض الأخرى من مجموع الشبكة المائية. نحصل على معامل التكرار النهري، عبر علاقة مجموع الرتب النهرية Σr بمساحة الحوض A (كلم²)، حسب المعادلة التالية $Ff = \frac{\Sigma r}{A}$.

2.2.2.3. الكثافة الهيدروغرافية للأحواض المدروسة

تقيس الكثافة الهيدروغرافية تركز طول المجاري المائية على مساحة الحوض، وهو مقايس أخر يفسر دور كثافة التصريف وطبيعة الجواب الهيدرومطري الناتج عنها. كما يمثل مؤشر لحجم وعنف نشاط التعرية المائية المرتبطة بالجريان السطحي، تُستخلص الكثافة الهيدروغرافية من علاقة طول مجموع الشبكة الهيدروغرافية ΣLh (كلم)، بمساحة الحوض A (كلم²)، بواسطة المعادلة التالية $Chy = \frac{\Sigma Lh}{A}$.

جدول 6 : كثافة المجاري المائية بعموم الأحواض الاساسية لمجال الدراسة

الحوض	مساحته A (كلم²)	عدد مجاريه	الكثافة العددية للمجاري حسب الرتب				طول المجاري ΣLh	الكثافة الطولية للمجاري حسب الرتب			
			1	2 و3 و4	باقي الرتب	العام		1	2 و3	باقي الرتب	العام
ورغة	6155	146909	13,3	9,2	1,3	23,8	46226	5,1	1,9	0,5	7,5

[49] الخرائط الطبوغرافية المعتمدة: غفساي وتامروت وبني حمد ثم تافرانت وتاونات وكتامة.

أمزاز	573	19002	19	13	1,1	33,1	4348	5,2	1,8	0,4	7,6
أولاي	853	28139	19	13	1,2	33	6536	5,1	1,9	0,5	7,7
أودور	1053	34382	18,2	13,1	1,3	32,6	8180	5,1	2,1	0,5	8,1

المصدر: عمل الباحث، بناء على النماذج الرقمية للأراضي (M.N.T) والارکجيس Arc Gis

يمتاز المجال المدروس بكثافة شبكته المائية، التي تقطع رتابة تضاريس عالية الأحواض أكثر من سافلتها. تخترق حوض ورغة أكثر من 46000 كلم من المجاري النهرية، تتناقص كثافتها تدريجيا من شرقه نحو غربه، في حين تخترق كل من حوض أمزاز وأولاي ثم أودور شبكة هيدروغرافية مهمة تتراوح بين 4300 و8200 كلم، تخف كثافتها من عاليتها بالشمال نحو مصباتها بالجنوب. يتضح من الكثافة الهيدروغرافية للأحواض المعتمدة، تركزها العالي المتراوح بين 7,5 و8,1 كلم/كلم²، وهي نتيجة عالية تؤكد دور الجريان السطحي في تشكيل الأحواض النهرية وحركة السفوح.

تساهم الكثافة العالية للشبكة الهيدروغرافية بحوض ورغة وأحواضه الثانوية، في سرعة تصريف الجريان السطحي. والذي تزيد كفاءته وقوته عند تركز التساقطات المطرية زمنيا ومجاليا بمجال الدراسة، مما يقود لحدوث امتطاحات فجائية وسريعة بمحاور المجاري الرئيسية. حيث يتبلور عن علاقة الصبيب بالتساقطات المطرية استجابة هيدرومطرية سريعة، إذ شكلت فئة الاستجابة السريعة التي لا تتعدى اليوم الواحد من 65% لـــ 80%، بين ذروة التساقطات اليومية القصوة وذروة الصبيب اليومي الأقصى خلال الفترة الرطبة من السنة.

خلاصة

يلعب كل من النظام المطري والسمات الهندسية والهيدروغرافية للمجال المدروس، دورا حاسما في تبلور نظام هيدرومطري تتقاسمه الاحواض النهرية جنوب غرب ورغة. يمتاز باستجابته البطيئة التي تقطعها استجابات سريعة من حين لأخر، تبعا لمدى تأثر تصريف الجريان السطحي للتساقطات المطرية بالسمات الهندسية المرفومترية أو بالكثافة الهيدروغرافية. فتأثر التصريف السطحي بالتساقطات المطرية المنتظمة وغير المركزة، إضافة لتأثره بالخصائص المرفومترية الطولية، ينتج استجابة هيدرومطرية بطيئة، ذات تصريف بطيء للجريان النهري وعمل تعروي أقل عنفا. في حين تأثر التصريف السطحي بالتساقطات المركزة والاستثنائية، وكذا تأثره بكثافة الشبكة الهيدروغرافية، يساهم في تشكل استجابة سريعة وعنيفة التعرية، تتجاوز بذلك القوانين الهندسية والسمات المرفومترية للأحواض المعتمدة في هذه الدراسة جنوب غرب ورغة، باعتباره أنموذج للنظام الهيدرومطري لجنوب الريف الأوسط خاصة والريف الأوسط عامة.

البيبليوغرافيا

- **احماموشي مصطفى .2019**. "دينامية الاوساط الطبيعية بين هشاشة المجالات والضغط البشري بحوض أولاي بالريف الجنوبي الاوسط. *دكتوراه في الجغرافيا*. جامعة سيدي محمد بن عبد الله سايس، ص 349 .

- **الخريطة البنيوية للريف** 1/500000

- **بوطلاقا محمد، بنبراهيم يوسف، التاج ادريس، شعوان جمال، وأزحيمي محسن. 2020**. آثار التقلبات المناخية على الانظمة الهيدرومطرية بحوض ورغة-الريف الاوسط. *Espace Geographique et Société Marocaine Revue*، عدد 38/37، ص ص 253-263.

- **جناتي ادريسي عبد الحميد .2017**. *التراجع المطري والموارد المائية بحوض سبو في عالية مشروع بلقصيري*. الطبعة الاولى. كلية الاداب والعلوم الانسانية سايس-فاس، ص 301.

- **شعوان جمال .2015**. توظيف الاستشعار عن بعد ونظم المعلومات الجغرافية في دراسة التعرية المائية بالريف الاوسط- حوض أمزاز أنموذجا. دكتوراه في الجغرافيا، جامعة سيدي محمد بن عبد الله- فاس سايس، ص 383 .

- **يسرى الحسبان، و دلال زريقات. 2015**. "الخصائص المورفومترية لحوض نهر الزرقاء في الاردن باستخدام نظم المعلومات الجغرافية ونموذج التضرس الرقمي. *دراسات العلوم الانسانية والاجتماعية*، ص ص 1294-1281.

- **MICHARD Andre. 1976.** *Elements de Geologie Marocaine* .Rabat : Editions du Service Geologique du Maroc.

- **Waikar, M.L, et P. Nilawar Aditya. 2014.** Morphometric Analysis of a Drainage Basin Using Geographical Information System: A Case study.» *International Journal of Multidisciplinary and Current Research*. P P 179-184.

الفكر السياسي المغربي بين مطلب التحديث ورهان الحداثة

Moroccan political thought between the demand for modernization and the bet on modernity

محمد الحنافي: دكتور في القانون العام والعلوم السياسية-جامعة الحسن الأول،كلية العلوم القانونية والسياسية -سطات

ملخص

ارتبط نشوء الفكر السياسي المغربي بلحظة صدامه بالحداثة الغربية التي كشفت مدى جموده وعدم مسايرته لمتطلبات العصر الحديث، المعطى الذي أبرز الحاجة لتحديث ميكانيزماته بما يضمن إسهامه الفعلي في توفير الوعاء الفكري الحداثي الذي يستطيع من خلاله التأسيس لتحديثية سياسية لسلطنة مغربية ظلت تقبع تحت براثين التقليد، ما خلف ولادة منظومة فكرية سياسية غير قادرة على بلورة نموذج تحديثي يضمن سلاسة الانتقال نحو نموذج الدولة الحديثة في ظل التوترات التي رافقت عملية الولوج لعالم الدسترة بالمغرب إبان الاستقلال، والتي أسهمت في خلق الإزدواجية المعرفية التي قسمت الفكر السياسي المغربي إلى نموذجين تحديثيين متناقضين أنتجا لنا فكرا سياسيا مغربيا تتمازج فيها التقليدانية بالحداثة إلى حد التيهان.

الكلمات المفتاحية: الفكر السياسي-لحداثة السياسية-التحديث السياسي.

Abstract

The emergence of Moroccan political thought was linked to the moment of its clash with Western modernity, which revealed the extent of its stagnation and its lack of keeping pace with the requirements of the modern era, which highlighted the need to modernize its mechanisms in a way that ensures its actual contribution to providing the modernist intellectual vessel through which it can establish political modernization for a Moroccan sultanate that has remained under the clutches of tradition. Behind the birth of a political intellectual system that is unable to crystallize a modernizing model that guarantees a smooth transition towards the modern state model in light of the tensions that accompanied the process of entering the world of constitutionalization in Morocco during independence, which contributed to the creation of cognitive duality that divided Moroccan political thought into two contradictory modernizing models that produced for us political thought. In Morocco, tradition blends with modernity to the point of becoming lost.

Keywords: Political thought - political modernity - political modernization.

مقدمة:

يعرف الفكر السياسي بكونه مجموعة من المبادئ والأفكار السياسية التي تحاول الإجابة عن الحاجات التي يفرزها تطور المجتمع والدولة عبر سيرورتهما التاريخية.وقد خلفت الأزمة التي رافقت نشوء الدولة الحديثة بالمغرب لحظة استقلاله أواسط خمسينيات القرن الماضي إلحاحية الحاجة إلى فكر سياسي حداثي يساعد على الولوج لعالم الدسترة ويحد من تأثيرات الأزمة التي خلفها هذا الانتقال الاضطراري في ظل مجتمع متوجس من الحداثة وسلطنة مرتكزة على التقليد. هذا

الوضع الذي أسس للازدواجية المعرفية والفكرية بالمغرب ببروز مدرستين فكريتين متنافضتين ، المدرسة الحداثية التي نادت بالتحديثية السياسية المنطلقة من المرجعيات الغربية، والمدرسة السلفية التي تبنت التحديثية السياسية المرتكزة على الخصوصيات الدينية والثقافية والمنفتحة على المبادئ الديموقراطية. هذا التناقض الذي خلف أشكالا لا زال يطرح إلى حدود اليوم في **مدى قدرة الفكر السياسي المغربي على إنتاج منظومة فكرية حداثية في ظل استمرارية الروافد المعرفية التقليدية ؟** إشكال تتناسل من خلاله أسئلة بنيوية أخرى أبرزها: ما هي ظروف نشأة نشأة الفكر السياسي المغربي؟ وما الكيفية التي تطور بها؟ ما هي المشاريع الفكرية البارزة التي أثثت منظومته المعرفية؟ ما هو النموذج الفكري الذي يتبناه في تحديثيته السياسية؟

أسئلة وغيرها تحاول هذه المقالة الإجابة عنها من خلال رصد أهم ما طرحه الفكر السياسي المغربي من مشاريع إصلاحية تحديثية، وما يرتبط بها من القيم المعرفية والسياسية التي تبناها مجموعة من المفكرين والنخب السياسية قبل الحماية وأثناءها في (محور أول)، وإدراج مجموعة من المشاريع الفكرية التحديثية التي عرفها المغرب فترة الاستقلال في(محور ثان)

المحور الأول : الفكر السياسي المغربي قبل الاستقلال .

أسهمت الارهاصات الأولى لنشأة الفكر السياسي المغربي في تشكل وعي دستوري أفرز مجموعة من المشاريع الدستورية التي عرفتها فترة ما قبل الاستقلال، والتي عبرت عن مجموع التصورات الفكرية والسياسية لعدد من المفكرين والزعماء السياسيين، ورواد الحركة الوطنية المغربية في طرح المسألة الدستورية. تأسيسا عليه سنحاول من خلال هذا المحور رصد أهم ما طرحه الفكر السياسي المغربي من مشاريع إصلاحية تحديثية، وما يرتبط بها من القيم المعرفية والسياسية التي تبناها مجموعة من المفكرين والنخب السياسية، والتي ميزت تاريخ هذا الفكر قبل الحماية وأثناءها[50].

أولا: إرهاصات نشأة الفكر السياسي الدستوري المغربي قبل الاستقلال.

إن حديث الفكر السياسي المغربي عن الإصلاح والتحديث يبين أصالة وتجذر هذه المقاربة في البنية الفكرية الإصلاحية المغربية، إذ لم تحل الظروف الاجتماعية وتقلبات السلطة السياسية والتحولات الهيكلية للنخب، دون استمرار طرح الإصلاح والتحديث السياسي ضمن نسق فكري واحد، منطلق من منظوره المرجعي وخبرته التاريخية الخاصة، ومستوعب لسياقه المغربي من جهة، وسياق المفاهيم والخبرة الغربيتين من جهة ثانية"[51].الشئ الذي يصعب معه تمثل وإدراك هذه المنظومة الفكرية بمعزل عن الظروف التي صاحبت نشأتها في مراحل سابقة من التاريخ السياسي المغربي، وبخاصة فترة ما قبل الحماية، التي برزت فيها الإرهاصات الأولية للتفكير الدستوري في المغرب.

---

[50] محمد الحنافي،"المسألة الدستورية وإشكالية التحديث السياسي بالمغرب"،أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في القانون العام والعلوم السياسية،جامعة الحسن الأول،كلية العلوم القانونية والسياسية سطات، السنة الجامعية 2022-2023 ص 46،

[51] خالد ياموت، "الحداثة السياسية بين عالمية المفهوم وخصوصية التطبيق عربيا: دراسة في إشكالية والاصلاح والتحديث في الفكر المغربي المعاصر "، اطروحة لنيل الدكتوراه في القانون العام، كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية سلا، السنة الجامعية 2013-2014، ص1-2.

أ- المشاريع الدستورية المغربية قبل الحماية.

ساهمت مجموعة من الأحداث السياسية والعسكرية عن الكشف عن مدى التأخر العسكري والتاريخي والسياسي الذي عرفه المغرب قبل خضوعه للحماية الفرنسية[52] في بروز مجموعة من المشاريع الفكرية الإصلاحية، والتي اتخذت في البداية شكل مذكرات موجهة من قبل المثقفين إلى سلاطينهم، والتي من بين أبرزها **مذكرة الحاج علي زنيبر**، الذ ي يرجع له الفضل في تقديم أول مشروع دستور مغربي إلى السلطان المولى عبد العزيز سنة 1904، في مذكرة بعنوان "**حفظ الاستقلال ولفظ السيطرة والاحتلال** ". وقد اتسم هذا المشروع بميسم الوطنية الداعية لبث هذه الروح التي بدونها لا يمكن ولوج عالم التمدن والحداثة، منطلقا من هدف أسمى يتمثل في الحفاظ على استقلال المغرب وحمايته من الأطماع الغربية المتلاحقة، عبر منظور إصلاحي حديث عماده مشروع دستوري يقترح فيه السبل التنظيمية الحديثة لتأسيس العلاقة بين السلطان والرعية، وانتخاب مجلس يقترح الإصلاحات الضرورية في جميع الميادين، والحفاظ على "الهوية الوطنية"...، وإيجاد حكومة مسؤولة عن القطاعات الحيوية للبلاد[53]. في حين شكل مشروع دستور **عبد الكريم الطرابلسي** سنة 1906، وثيقة هامة تضمنت مجموعة من المطالب الإصلاحية التنظيم شؤون الدولة، وإحداث مجلس للأمة على غرار ما كان موجودا ببعض دول أوروبا الغربية. وباستقراء لمضمون هذه الوثيقة نلاحظ أن تصورات الشيخ الإصلاحية تمحورت حول ثلاث مجالات: المجال التشريعي[54] ،والمجال المالي، والمجال العسكري. بالمقابل اعتبر العديد من المؤرخين أن أول مشروع دستور متكامل في التاريخ الدستوري المغربي، هو **مشروع دستور جريدة لسان المغرب** الذي نشر بين أبريل ونونبر سنة 1908، في جريدة لسان المغرب، الذي يختلف المؤرخون حول هوية محرريه[55].ويتكون هذا المشروع من93 مادة، ذكرت مفهوم فصل السلط[56]، وفصلت سلطات المؤسسة الملكية والحكومة والهيئة التشريعية. في حين حرص مشروع الدستور هذا على

---

[52] – 1844 تتجلى هذه الأحداث في: الهزائم العسكرية المتتالية للمغرب أمام خصومه الأوربيين :الهزيمة العسكرية أمام فرنسا في معركة ايسلي سنة . هذه المحطات التاريخية الكبرى أدخلت المغرب في مسلسل التحديث الجارف 1906، ومؤتمر الجزيرة الخضراء سنة 1860وهزيمة تطوان مع إسبانيا في رغما عنه نظرا لحجم الضغوط والإكراهات الأجنبية التي مورست عليه بعدها.

[53] 49 محمد الحنافي،"المسألة الدستورية وإشكالية التحديث السياسي بالمغرب"، مرجع سابق، ص

[54] ينبغي أن يناط بمجلس الأمة، مهمة حل جميع المسائل وفق الشريعة الإسلام، مع حفظ المعاهدات الأجنبية وتقرير خدمة الوزراء والعمال مع ترتيب مؤونتهم وتقرير الأموال وتوفير المصارف اللازمة للحكومة وتنظيم قانون تعليم الرعية "الحركات العسكرية" ، ومراقبة أعمال العمال؛ ومحاكمة الرعية العمال ومحاكمة العمال فيما بينهم ؛ ومحاسبة الأمناء ؛ وتقرير كل عمل يلزم عمله في الحكومة، كما أناط الشيخ الطرابلسي لهذا المجلس مهمة سن قوانين القضاء، بل إنه يتحول إلى شبه محكمة استئناف، إذ على المحكوم عليه أن يستأنف دعواه أمام مجلس الأمة ، انظر المادة السابعة من الوثيقة السالفة الذكر. انظر محمد المنوني: "مظاهر يقظة المغرب" مطبعة امنية – ج أ – الرباط 1973. ص- الرباط 1973. ص ص 406-405. انظر ايضا محمد زين الدين، "الأنظمة السياسية المقارنة "، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الاولى 2018، ص 109.

[55] Khalid Naciri" Le droit constitutionnel marocain ou la maturation progressive d'un système évolutif،

نسخة محفوظة، بيروت جامعة سان جوزيف، موقع الدراسات القانونية للعالم العربي (واي باك مشين)، 23شتنبر 2015.

[56] "19 مائة عام على مشروع دستور 1908 "، موقع مغرس، عبد العالي حامي الدين، اكتوبر 2017.

الحفاظ على الثوابت الأساسية للإيالة الشريفة، وأكد على رسمية الدين الاسلامي للدولة، والمذهب المالكي كمذهب شرعي[57].

تأسيسا على ما سبق ذكره، يمكن ملاحظة التباين الكبير في المرجعيات السياسية الموظفة من طرف أصحاب هذه الحركة الإصلاحية رغم انتمائهم للحقل الديني، إذ نجد في وثيقة واحدة مرجعيات متعددة، مثلما هو عليه الحال في وثيقة الشيخ الطرابلسي،حيث نجد حضورا لافتا لتوظيف مقتضيات دستور الإمبراطورية العثمانية لسنة 1876[58] بل، إن عبد الله العروي ذهب أبعد من ذلك حينما اعتبر مشروع دستور 1908 لم يكن سوى تبنيا للدستور العثماني[59].بالمقابل، وعلى مستوى النتائج، فقد أعلن الخطاب الإصلاحي التحديثي في مغرب ما قبل الحماية فشله الذي ارتبط بمسببات عدة، أرجعها البعض عوامله لفشل مفهوم الإصلاح نفسه وكيفية تطبيقه.ذلك أن هذا الإصلاح لم يمثل في تصور أصحابه قطيعة مع الماضي والتوجه نحو مجتمع الحداثة، فتصور مؤسسة السلطان للإصلاح، لم يكن هو نفسه الإصلاح الذي كان ينادي به دعاة هذه الإصلاحات الدستورية[60]. ماتسبب ذلك في إقبار هذه المطالب الإصلاحية، والذي يرجعه عبد اللطيف أكنوش إلى غياب أذان صاغية عند كل الشرائح المغربية وغياب رغبة حقيقية للإصلاح من طرف النظام المخزني، ليسايره في نفس التوجه عبد الإله بلقزيز معتبرا أن فشل الإصلاح السياسي يكمن في سبب مركزي ومفصلي هو الفساد، فساد الأفراد المسؤولين وفساد المؤسسات المركزية الحاكمة[61].

عموما، وبغض النظر عن النتائج التي أفرزتها المشاريع الفكرية السياسية والدستورية الأولية لمغرب القرن العشرين التي وإن خلفت مجموعة من الانتقادات، نعتقد أنها أعلنت بالمقابل داية تشكل وعي فكري حداثي مغربي جديد، والذي ورغم انطلاقه من المرجعية الدينية، إلا أنه تضمن رؤية حداثية عبرت عن انفتاحه على الاخر ووعيه بأهمية المسألة الدستورية كمدخل لتحديث الدولة ومواجهة الأطماع التي تحوم حولها[62].

ب- الفكر السياسي المغربي زمن الحماية.

أسهمت سلطات الحماية الفرنسية في ترسيخ مجموعة من المشاريع التحديثية الهادفة لطمس هوية الشعب المغربي وترسيخ عرى التفرقة بين مكوناته، لعل أبرزها إصدار الظهير البربري سنة 1930، الذي تصدت له مكونات الحركة الوطنية

---

[57] أنظر المادة الرابعة من مشروع دستور 1908.

"تأملات أولية في الفكر الدستوري لمغرب ما قبل الحماية "، مقال منشور في جريدة الاتحاد الاشتراكي، العدد 5007 بتاريخ 27 أبريل 1997.

[58] محمد زين الدين، "تأملات أولية في الفكر الدستوري لمغرب ما قبل الحماية "، مقال منشور في جريدة الاتحاد الاشتراكي، العدد 5007 بتاريخ 27 أبريل 1997.

[59] نفس الموقف تبناه "ميشيل روسي" في مؤلفه: "المؤسسات الإدارية بالمغرب".

[60] محمد زين الدين، المرجع السابق نفسه.

[61] عبد الإله بلقزيز، "الخطاب الإصلاحي في المغرب: التكوين والمصادر"، مرجع سابق، ص 181.

[62] 55 محمد الحنافي،"المسألة الدستورية وإشكالية التحديث السياسي بالمغرب"، مرجع سابق، ص

والشعب المغربي بمقاومة عنيفة، نشأت على إثرها مدرسة فكرية سلفية جعلت من التوفيق بين الأصالة والمعاصرة ومحاربة المستعمر الأجنبي أبرز مهماتها.

1- *نشأة المدرسة الفكرية السلفية.*

شهدت الساحة الفكرية المغربية في فترة الحماية نشأة أحد أبرز المدارس الاصلاحية المتمثلة في المدرسة السلفية. فعلى المستوى التاريخي، تشكلت السلفية في فترة الحماية الفرنسية على المغرب، وبالضبط بعد صدور بعد صدور الظهير البربري سنة 1930، وكانت تدعو إلى الرجوع إلى ينابيع الإسلام الصافية كالقرآن والسنة، متأثرة بالسلفية المشرقية، التي كان يتزعمها كل من محمد عبده وجمال الدين الأفغاني ورشيد رضا وعبد الرحمن الكواكبي، وكانت مهمتها التوفيق بين الأصالة والمعاصرة ومحاربة المستعمر الأجنبي، والسعي نحو الإصلاح. في ذات السياق قسيم عثمان أشقرا هذا الفكر السلفي إلى اتجاهين: السلفية التراثية، والسلفية الجديدة التي قسمها بدورها إلى قسمين: **السلفية الجديدة ذات المنحى التحديثي** ويمثلها: أحمد بن خالد الناصري (1835-1897)، وأحمد بن عبد الواحد المواز (1922)، ومحمد بن الحسن الحجوي (1956)، **والسلفية الجديدة ذات المنحى الوطني:** ويمثلها محمد بن عبد الكريم الخطابي وعلال الفاسي[63].

- ***السلفية الجديدة ذات المنحى التحديثي: محمد بن الحسن الحجوي (1874-1956)***

تأسس المشروع الاصلاحي التحديثي لمحمد بن الحسن الحجوي على ثلاث منطلقات أساسية، أولها وفض الجمود والتقليد[64].ثانيها ضرورة ممارسة عملية للاجتهاد في ظل مسايرة العصر بنوازله الدينية والدنيوية[65]، وثالثها إيلاء التعليم أهمية قصوى[66]. واعتبر الحجوي أن مصدر شرعية النظام السياسي قائمة على الشورى، وأن تحقيق رضى الناس يمر بالتأكيد عبر تحقيق الشورى والالتزام بها في الشؤون السياسية بين الحاكم والمحكوم، مؤكدا على أن هذه القاعدة الأصيلة، لم تقدمها لنا التجربة السياسية الأوربية الحديثة وحدها، حيث عرف الإسلام مجلس شورى الخلافة في عهد عمر بن الخطاب الذي قام بتنظيمه وهو محتضر، ولذلك فإن مأسسة مبدأ الشورى، واعتماده على نظام انتخابي، لم يكن غائبا في الاجتهاد السياسي الإسلامي، خاصة في الفكر السياسي لعمر بن الخطاب.

لقد دافع الحجوي عن النظام الشورى الاسلامي وخصوصيته الحضارية وكفايته السياسية وتأثر بالوضعية المتأزمة للمغرب على المستوى الداخلي والخارجي وناقش مسألة السلطة السياسية، فطرح ضرورة توفر المغرب على حكومة قوية،

---

63. عثمان أشقرا، "في الفكر الوطني المغربي، المعرفة للجميع "، العدد 17، 2000، ص ص:69-85.

64 محمد الحجوي، "النظام في الإسلام مخطوط بالمكتبة الوطنية "، رقم ح 118، ص 93- 94.

65 محمد الحجوي، "الفكر السياسي"، الجزء الرابع، ص 305.

66 انظر أيضا، "الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي" ، مجلة بصمات، العدد 389أحمد العمراوي، "الفكر السامي"، المجلد الثاني ص 5، منشورات كلية الآداب المحمدية، ص 272.

انظر ايضا خالد ياموت، مرجع سابق، ص ص118-119.

وأنه على السلطان أن يجعل كل وزارة مستقلة في نفسها (...)، فلا تتعذر المصالح ولا تضيع الحقوق[67]. ولئن امن الحجوي في البداية بفكرة تحقيق الإصلاح والتحديث في ظل شروط معاهدة الحماية الفرنسية[68]، فإن اكتشافه للنوايا الاستعمارية لهذه الأخيرة دفعه لانتقادها وتحميلها مسؤولية تأزيم وضعية المغرب على جميع المستويات[69].

- ***السلفية الجديدة ذات المنحى الوطني: علال الفاسي***

عرف علال الفاسي السلفية الجديدة بكونها "دعوة تجديدية إصلاحية تتبنى التجديد الديني كمنهج للوصول إلى غاية البعث الإسلامي المتوافق مع العصر. ذلك أن التجديد هو غير التجدد، إنه يرمي إلى إعادة عرض لعلوم الاسلام بالأسلوب الجديد الذي يتقبله العصر، وإنه يرمي إلى أن تدرس الحاجات المستجدة في عصره، والبحث لها عن الأصول العامة التي يمكن أن تندرج تحتها"[70]. تأسيسا عليه، فإن المنظور للتجديد يتجاوز النظر الى الضيق في التراث ومكاسب الأمة إلى إدراك ما عند الغرب والنخبة المسلمة التابعة له معرفيا، وبالتالي فإن التجديد يتوخى" (...)دعوة للرجوع للماضي البعيد، ذلك أن الرجوع الذي يظهر في شكل تقهقر للوراء، هو نفسه تحرر كبير من أشياء كثيرة وضعتها الأجيال المديدة والعصور المختلفة، والتحرر منها هو تخفف يسهل السير إلى الأمام بخطى واسعة، وإزالتها من الطريق يفتح أفقا عاليا يهدي السائرين للغاية الصحيحة التي يجب أن يوجهوا أنفسهم إليها" [71].وبخصوص التصور السياسي للسلفية الجديدة في علاقة الشريعة الإسلامية بالقانون فإنه جاء بشكل متقدم عن التيارات الاسلامية المعاصرة، حيث يرى علال الفاسي أنه من "الواجب ألا يبتعد المسلمون عن القانون المستمد من الشريعة"، لكنه يطرح منظورا غير مألوف عند النخب الدينية التقليدية يحدد كل من الفقه والشريعة، ودور كل منهما في المجتمع والدولة الاسلامية، وللوصول لذلك يجب العمل على أن يصبح منظورنا للتشريع مدني عام، لا أنه هو نفس الشريعة التي لا يمكن أن يقوم عليها اجتهاد ولا تطوير. ولا يخص علال الفاسي النخبة الدينية –الفقهاء- لوحدهم بهذه المهمة الاجتهاد والتطوير (...) ، فالاجتهاد التشريعي يقوم به نواب الأمة ولهذه الأخيرة سلطة اختيارهم باعتبارها مصدر السلطة، وباكتساب النواب لصفة تمثيلية الأمة يكونون بذلك بمثابة أهل الحل والعقد، كما هو في التصور السياسي التقليدي"، ومعنى ذلك أنه لا مناص من تفعيل النظام الدستوري المبني على حكم الشعب بواسطة من يختارهم من نوابه[72].

خلف الفكر السلفي اراء متضاربة، فقد رأى محمد الكتاني أن السلفية "انبعثت في العصر الحديث لمواجهة الضلالات والغزو الأوربي، وإنقاذ المسلمين مما تفشى فيهم من البدع والخرافات، فكانت رسالة السلفية الحديثة هي الإصلاح

---

[67] من محاضرة الحجوي، "النظام في الاسلام"، انظر محمد الصغير الخلوفي، "انتحار المغرب الأقصى بيد ثواره "، مطبعة النجاح الجديدة، الرباط، الطبعة الثانية 1994، ص 83. انظر ايضا خالد ياموت، المرجع الساق نفسه، ص 133.

[68] مخطوط بالمكتبة الوطنية، رقم ح 254، ص 28.

[69] مخطوط بالمكتبة الوطنية، رقم ح 122 ص ص 130 – 138.

[70] علال الفاسي، "عن الحركة السلفية "، مجلة المنهل السعودية، عدد سبتمبر 1984، ص43.

[71] نفس المرجع السابق، ص 43.

[72] علال الفاسي، الحركات الاستقلالية، ص 157 .

والتغيير،لكن روادها[73]لم يفرقوا بين البعث الإسلامي والتعبئة السياسية لمقاومة الاحتلال الأجنبي والغزو الفكري"[74].

بالمقابل هناك من اعتبره **فكرا رجعيا** متخلفا إيديولوجيا ومحافظا، يرتبط بالماضي والمقدس والمؤسسة التقليدية"[75]، حيث أكد عبد الإله بلقزيز على أن المقالة السلفية هي دعوة للإصلاح ازدهرت في الثقافة العربية المعاصرة محاولة ترميم الصرح الإسلامي الأصيل، الذي أصابت منظومته صدوع وشروخ نتيجة عمل بنيات الانحطاط المتكلسة، كما في أعقاب الاصطدام الهائل بالمنظومة الثقافية والاجتماعية الحديثة الوافدة مع الأجنبي. فلم تكن قضية السلفية سوى تحقيق الماضي في المستقبل، على اعتبار أن المستقبل الأمثل ليس إلا ذلك النفي الحازم للحاضر في صورة استعادة لماض انزوى في زاوية النسيان. وهي لم تفعل-بذلك-سوى أنها أغلقت التاريخ على المقدس وحقيقته الأصل المطلقة، وجعلت معنى التغيير يتطابق ومعنى المحافظة على النظام"[76].

المحور الثاني: تطور الفكر السياسي المغربي بعد الاستقلال.

انتظم الفكر السياسي المغربي بعد الاستقلال داخل منظومة تحمل تصورات جديدة حول موضوع الاصلاح والتحديث السياسي والدستوري، وبرز ذلك بفعل الصراع السياسي حول السلطة والقيادة السياسية بين المؤسسة الملكية الحاملة للشرعية التاريخية والدينية، والحركة الوطنية التي تحولت بفعل العامل السياسي من مدرسة فكرية واحدة إلى نخبتين: أطلق على الأولى اسم **النخبة السلفية**[77]، وتنعت إيديولوجيا بالمحافظة، وعلى الثانية **النخبة اليسارية أو الاشتراكية**[78]،

---

[73] محمد عبده ورشيد رضا وعبد الحميد بن باديس وعلال الفاسي، وعدد لا يمكن حصره من رجال الإصلاح.

[74] محمد الكتاني،" السلفية إشكالية المفهوم والممارسة"، ندوة الحركة السلفية في المغرب العربي، مطبوعات جمعية المحيط الثقافية، أصيلة، المغرب، الطبعة 1، 1989، ص 86 .

[75] عبد القادر الشاوي،" السلفية والوطنية "، بيروت، لبنان، الطبعة الاولى، 1986، ص 120.

[76] عبد الإله بلقزيز، "أسئلة الفكر العربي المعاصر "، المعرفة للجميع، الطبعة الأولى، 2001، ص ص: 14-15.

[77] تشكلت من أعضاء الحزب الوطني السابق ومن رؤساء وأعضاء المجالس الإدارية الجمعيات قدماء تلاميذ مدن الرباط وفاس ومكناس وسلا ومراكش ، بالإضافة إلى العديد من الشخصيات البارزة كالمفتين والقضاة الشرعيين "الحركة القومية"وأزرو ووجدة وآسفي. كما انضمت إليه شخصيات بارزة من ومعلوم أن هذه المكونات تضم كذلك النخبة اليسارية، التي لها منظور والمدنيين وكبار الموظفين المخزنيين وأساتذة جامعة القرويين والمدارس الثانوية" . أنظر أيضا علال الفاسي: "الحركات "جديد لعلاقة الحداثة بالإصالة السياسية والمجتمعية. انظر أحمد بلافريج، "حزب الاستقلال في دجنبر 1943 الاستقلالية في المغرب العربي"، ص: 246.

[78] ظل الفكر الحزبي والفكري الليبرالي ضعيفا في المغرب إلى حدود الثمانينات من القرن العشرين، رغم أن البعض يعتبر رضا كديرة زعيم حزب الأحرار المستقلين ومستشار الملك الحسن الثاني ليبراليا، كما أعتبر قبله محمد بن الحسن الوزاني ليبراليا، ومعلوم أن هذا التصنيف لا يخلوا من حيف ومن شحنة إيديولوجية خاصة إذا استحضرنا موقف الوزاني الخاص الإسلام والتراث الإسلامي بالمغرب. انظر محمد حسن الوزاني، "مذكرات: حياة وجهاد التاريخ السياسي للحركة الوطنية التحريرية المغربية"، مؤسسة حسن الوزاني، دار الغرب الإسلامي، بيروت طبعة م 1982 ص 52- 53. أنظر كذلك أحمد الحارثي: "الإصلاحي المغربي ما بين الدعوة والتاريخ" مجلة نوافذ العدد الثاني عشر، أكتوبر 2000 ص ص 16- 17.

وتنعت إيديولوجيا بالتقدمية[79].فما هي اذن المرجعيات النظرية لكلا المدرستين؟ ما هي منطلقاتهما الفكرية وتصوراتهما السياسية؟ وكيف ساهمتا في تطوير نموذج الدولة الحديثة بالمغرب؟ للإجابة عن كل هذه الأسئلة، سنعرج على المنظور التحديثي للسلفية الجديدة من خلال فكرة الدولة عند علال الفاسي (أولا)، وللمنظور المقابل للمشروع الدولة الوطنية ذات النزوع الحداثي عند عبد الله العروي (ثانيا).

أولا: الفكر السياسي للسلفية الجديدة : فكرة الدولة عند علال الفاسي.

شكلت المرجعية السلفية دافعا قويا للفكر المغربي للتحرر من جميع القيود التي عرقلت مسيرته، سواء كانت فكرية أو سياسية، وفتحت الباب واسعا أمام خروج النخبة المثقفة عن صمتها والدخول في ممارسة التجديد على المستوى الديني الذي سيمهد الطريق لممارسة التحديث[80]، وانتاج نظريات فكرية تواكب الانتقال المفروض نحو الحداثة. ما ترجمته كتابات علال الفاسي حول الدولة الوطنية والتحديث السياسي المنطلق من الخصوصية المغربية، والتي جاءت متضمنة في مشروع قيام الدولة بعد الاستقلال في عهد الملك محمد الخامس، ولا زال صداها الفكري سائدا لحدود الساعة. فما هي المنطلقات الفكرية لعلال الفاسي؟ كيف نظر لتحديثية الدولة في ظل موروثها الثقافي الحضاري الاسلامي؟ وهل استطاعت أفكاره تحقيق حداثة دولة ظلت ترزخ تحت التقليد؟ للإجابة عن هذه الأسئلة، سنحاول إبراز أهم التصورات السياسية لعلال الفاسي للدولة الوطنية ومنظوره للمسألة الدستورية والتحديث السياسي

أ- المنطلقات الفكرية لفكر علال الفاسي

يعتبر علال الفاسي أحد أبرز مكونات النخبة العالمة المجددة المغربية، والتي حملت مشعل التحديث في الفكر السلفي وأسست كتاباته لمنظور جديد للنظام السياسي وبناء الدولة الوطنية بالمغرب انطلاقا من تحديث الموروث التاريخي والحضاري. وقد ارتبط مسار علال الفاسي الفكري بالتيار السلفي نتيجة تكوينه الديني- الفقهي وعلاقته برموزه الفكر السلفي بالمشرق، لكن النزوع السلفي في شخصيته لم يعني الانتماء للسلفية النصية المنغلقة، التي كان المذهب الوهابي

[79] للاطلاع على جزء من الصراع الدموي الذي دار بين مكونات الحركة الوطنية، أنظر كتاب، " من مظاهر التعذيب الحزبي أو دار بريشة الثانية "، تحقيق الأستاذ الحاج أحمد معنينو، مكتبة دار الأمان، طبعة 1990 ص ص 55-129

[80] ادريس جنداري، " الفكر الإصلاحي في المغرب ورهان الإصلاح السياسي والاجتماعي –الاستاذ علال الفاسي نموذجا– "، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، الرباط، ص2015، 6.

ناطقها الرسمي، وإنما على العكس سلفيته منفتحة على واجهتين[81] ساهمتا معا في إخصابها وربطها بأسئلة العصر بدل الذوبان في متاهة الماضي"[82].

حمل كتاب النقد الذاتي لعلال الفاسي أجوبة محتملة عن مجموعة من الأسئلة التي ترتبط بالنموذج التحديثي الذي يتوافق وخصوصيات المغرب الدينية والثقافية والحضارية، والذي طوره فيما بعد عبر مجموعة من المؤلفات، حيث جاء تصوره للدولة مازجا بين مسألتين كبيرتين:

المسألة الأولى: علاقة الدين بالدولة، والتي تبنى فيها رأيا واضحا وقطعيا حسم عبرها الأمر في جملة واحدة تقضي بأن الاسلام لا يطيق هذا الفصل، حيث يرى أن الفصل بين الدين والدولة على النحو الذي عرفته أوربا لا يصدق على حال الإسلام في شيء، لأن السلطة الكنسية غير موجودة في الاسلام.

المسألة الثانية: وهي الأكثر تعقيدا، فهي تستوجب التمييز في الاسلام بين ما كان دعوة عامة وخطابا للبشر جميعا-وذاك شأن المبادئ والكليات- وما كان متعلقا بأمور التدبير البشري فهو يقبل التبدل من جهة، ويخضع لمقتضيات شتى من جهة أخرى. يقول علال الفاسي " تركت للمسلمين حق النظر في كل ما هو من شؤون الحياة وما يسمى عند علماء المسلمين بالمصلحيات، أي المسائل الراجعة للمصلحة العامة، وفي مقدمتها ما يتعلق بشؤون الدولةوأنظمتها وشكل الحكم الذي تختاره الامة لنفسها، وهذا معناه أن الإسلام وجه المسلمين نحو الحياة الاستشارية[83].

ب- المسألة السياسية والدستورية في فكر علال الفاسي.

حمل المنظور الفكري لعلال الفاسي إلى جانب الحرص على الموروث الثقافي والتراثي، الانفتاح على المرجعية الفكرية الحداثية الغربية، وهذا ما جعله مهووسا بسؤال التحديث في علاقة بالمسألة السياسية لأنه ظل مقتنعا بحاجة الأمة العربية عموما والمغربية على وجه الخصوص إلى نظرية سياسية تساعد على قيام الدولة العربية الحديثة، ويمكن مقاربة هذا التصور الحديث في مشروع علال الفاسي باعتماد المحاور التالية:

---

[81] **الواجهة الاولى:** كانت سلفية علال الفاسي مقاصدية النزعة، بما يعنيه ذلك من إيمان بالعقل والاجتهاد في قراءة النص الديني، وهو يؤكد ذلك في كتابه "مقاصد الشريعة الاسلامية ومكارمها بقوله: " اعتنى العلماء بتجلية مقاصد الشريعة إيمانا منهم بأن الديانة الاسلامية مبنية على العقل وعلى النظر. انظر علال الفاسي، "مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها "، دار الغرب الإسلامي، ط 5، 1993، ص 7.

الواجهة الثانية: كانت سلفية علال الفاسي منفتحة على التطور الفكري والعلمي الحديث، وهذا ما عبر عنه "بالسلفية الجديدة"، وهي في اعتباره، مزيج بين الليبرالية والسلفية معا 81. وفي علاقة بهذا الانفتاح الفكري كان علال الفاسي يسعى إلى بلورة المشروع الإصلاحي النهضوي في المغرب باعتبار أن هذا المشروع كان في الأساس جوابا على التحدي الغربي، الذي فرض توازنات سياسية وفكرية واجتماعية جديدة على العالم العربي–الإسلامي. انظر سعيد بنسعيد العلوي، "الاجتهاد والتحديث: دراسة في أصول الفكر السلفي في المغرب"، سلسلة الفكر العربي المعاصر، مركز دراسات العالم الإسلامي، عدد 3، ص 19.

[82] ادريس جنداري، مرجع سابق، ص 9.

[83] سعيد بنسعيد العلوي، المرجع السابق نفسه. انظر ايضا علال الفاسي، "النقد الذاتي"، مرجع سابق، ص 125.

الأمة صاحبة السلطة: عمل علال الفاسي على ربط المفهوم ذاته بحركية الفكر السياسي الحديث، حيث ينطلق من فكرة يعتبرها مسلمة - الأساس الأخلاقي للسلطة أنها تعمل لصالح الجميع- ، والتي تعتبر من ثمار الحداثة السياسية التي نجحت في قلب المعادلة السياسية من خدمة الشعب للسلطة إلى خدمة السلطة للشعب، بناء على هذه الفكرة ينطلق علال الفاسي، في دفاعه عن المصدر الشعبي للسلطة، ويؤكد "إن الأمة هي صاحبة السلطة والحفيظة عليها لأن السلطة كامنة في الأمة، ومنها تصعد إلى أيدي الرؤساء وأولى الأمر، ومن حق الأمة وواجبها أن تظل حارسة على مواطن الاستعمال لما هو منها وإليها" [84]. لكنه نبه إلى أن حق الأمة في أن تحكم نفسها بنفسها ليس تصورا مثاليا بقدر ما هو ممارسة عملية، ولذلك فهو يحث على المشاركة السياسية، باعتبارها المدخل الرئيس لتجسيد هذا الحق"[85].

الفصل بين السلط: اعتبر علال الفاسي أن مبدأ الفصل بين السلط، الذي جاء به (مونتسكيو) في كتابه (روح القوانين)، كان موجهة لمحاربة الحكم المطلق. ولذلك فهو يؤكد أن "الديمقراطية تستدعي بطبيعتها تقسيم العمل على القائمين بالحكم، لأن تكديس الأمر في يد واحدة أو وجهة معينة يعطيها مقدرة هائلة بالنسبة للمحكومين.

سلطة حزب الأغلبية: لقد عبر علال الفاسي عن وعي فكري وسياسي عميق حينما أكد أن الفصل بين السلط لا يكفي وحده لمواجهة الحكم المطلق، بل إن هذه المواجهة تمر عبر أحزاب سياسية قوية تمتلك مشاريع قادرة على إحداث التغيير الاجتماعي والسياسي[86].

أما بخصوص **تصورات علال الفاسي للنظام السياسي**، فقد جاء منظوره للملكية الدستورية قائما على ضرورة الإبقاء على المكانة السياسية التي تحتلها المؤسسة الملكية لكي تسود وتحكم مع إدخال نظام دستوري ينظم الصلاحيات والسلطات داخل البلاد، وذلك ما عبرت عنه أيضا كتاباته ومواقفه التي أحاطت بوضع الدستور. فموقفه المرن تجاه انتخاب مجلس تأسيسي لم يكن صادرا عن ظرفية سياسية معينة، بل كان نابعا عن قناعة سياسية راسخة حول المكانة الجوهرية التي تحتلها الملكية داخل النظام السياسي. فالدستور في نظره ليس إلا نظاما للتنظيم السياسي أكثر منه نظاما للتقييد السياسي[87].

وفي اعتقادنا، أن علال الفاسي قد دعا لتحديث سياسي يراعي الخصوصية الدينية والثقافية للمجتمعات العربية الاسلامية وينفتح على القواعد الديموقراطية الحديثة، كما تضمنت أفكاره منهجا توفيقيا[88] يدعو لعدم الانغلاق على الذات والايمان بقدرة هذه المجتمعات على قيادة مسيرة التحديث السياسي من داخل منظومتها الاسلامية التي لا تتنافى مع ما تضمنته قواعد الديموقراطية الغربية، شريطة العمل بالاجتهاد في مقاصد الدين والانفتاح على هاته القواعد -

---

[84] علال الفاسي، "مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها "، مرجع سابق، ص 137.

[85] المرجع السابق نفسه، ص 137.

[86] المرجع السابق نفسه، ص 144.

[87] محمد شقير، "إرهاصات إقرار نظام الملكية الدستورية في فكر علال الفاسي"، مقالة منشورة بالجريدة الالكترونية هسبريس بتاريخ 19/03/2020.

[88] استعمل اللفظ من طرف عبد العالي حامي الدين في اطروحته، "المسألة الدستورية في الفكر السياسي المغربي المعاصر"، بحث لنيل شهادة الدكتوراه، كلية الحقوق اكدال ، الرباط ،الموسم الجامعي 2002، ص 146.

الغربية –بالقدر الذي لا يتنافى مع الشـريعة الاسـلامية، ولعل ما ميز علال الفاسـي هو مزاوجته بين التنظير والنضـال لفرض هذه المطالب من خلال دوره كزعيم سياسي لحزب الاستقلال.

ثانيا: الفكر السياسي الحداثي : مشروع الدولة الحديثة عند عبد الله العروي

إن رصد سيرورة تطور الفكر الاشتراكي اليساري المغربي، تحتم علينا رصد ظروف ولادة هذا الفكر الذي ارتبط بانشقاق النخبة الحزبية الوطنية اليسارية عن حزب الاستقلال سنة 1959، وتكتلها في حزب جديد، أطلق عليه الاتحاد الوطني للقوات الشعبية[89]. الحدث الذي شكل إعلانا عمليا، عن ولادة الازدواجية المعرفية بالمغرب[90]، والتي تجسدت من خلال كتابات مجموعة من الحداثيين الاشتراكيين، أبرزهم عبد الله ابراهيم والمهدي بن بركة واللذان تطرقا لإشكالية تحديث نظام الحكم في المغرب. ففي حين كان يرى عبد الله ابراهيم أن المكونات التقليدية للحكم بالمغرب هي أحد الأسباب الكامنة وراء وضعيته المتخلفة، والتي حددها في المرجعية "اللاهوتية" و"الأساس الفردي للحكم"[91]. اقترح المشاركة الشعبية في الحكم كآلية للخروج من هذه الأوضاع المزرية[92]. تمحورت أفكار المهدي **بن بركة**،[93]حول تجديد بنية الحكم المتخلفة من خلالتحديث السلطة عبر دمقرطة الحياة السياسية وتقعيد المشاركة الشعبية، وتحديث المجتمع، وتطوير الاقتصاد من خلال تحقيق تنمية اقتصادية، وتوزيع عادل للثروة الوطنية[94] .بالمقابل انتظمت أفكار الحداثيين المعاصرين داخل منظومة ايديولوجية يسارية أفرزت مشاريع تغيث بناء الدولة الوطنية الحديثة (كالمشروع الفكري لعبد الكبير الخطيبي، ومشروع على أومليل، وكتابات محمد عابد الجابري وعبد اخرون). وأمام كل هذه الطفرة الفكرية والتي يصعب معها الاختيار، انتقينا المشروع الفكري لعبد الله العروي كونه يرتبط بمفهوم الدولة الحديثة وينظر لها بشكل عصري.

---

89 للاطلاع على جزء من الصراع الدموي الذي دار بين مكونات الحركة الوطنية، أنظر كتاب،" من مظاهر التعذيب الحزبي أو دار بريشة الثانية "، تحقيق الأستاذ الحاج أحمد معنينو، مرجع سابق ص 55-129 وما بعدها. انظر أيضا محمد الطوزي: "الملكية والاسلام السياسي في المغرب"، مرجع سابق، ص23.

90 يقول الفيلسوف المغربي محمد لحبابي " أعلن الفقيد المهدي بن بركة غداة الاستقلال تأسيس الاتحاد الوطني للقوات الشعبية، أن الأمر لا يتعلق بإنشاء حزب بالمعنى الضيق للكلمة، ولكن بحركة أوسع وأعمق من ذلك، تجسد المجتمع المغربي بكل مكوناته المتطلعة نحو التحرر، الطامحة الى التغيير نحو المستقبل. حركة تحتضن قوات تقدم المجتمع المغربي وتهدف الى تقويض الهياكل التي تكبح دخول المغرب مجال العصرنة من باب الثورة الصناعية. انظر قراءة في السياق 1959-1983"مقدمة محمد عزيز الحبابي لكتاب المساوي العجلاوي: من الاتحاد الوطني الى الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية 1959-1983 التاريخي للحزب من خلال مساري عبد الرحيم بوعبيد ومحمد الفقيه البصري "، الطبعة الاولى 2002، ص7 .

91 انظر" محمد شقير، الفكر السياسي المغربي المعاصر"، افريقيا الشرق الطبعة الدار البيضاء، افريقيا الشرق المغرب 1،2005، ص 146.

92 المرجع السابق نفسه، ص ص 163-165.

93 يقول محمد شقير أنه: "من الصعب جدا تصنيف المهدي بنبركة كمفكر سياسي فقط، لما صاحب حياته السياسية من اضطراب (طبعها، الاعتقال، والنفي، والملاحقة، ثم الاغتيال) والتي لم تترك المجال لهذه الشخصية لتبلور أفكارها السياسية في مناخ يوفر شروط التأمل والتمحيص والتفكير العميق، المرجع السابق نفسه، ص لكن رغم كل هذه الخصائص فإن المهدي بن بركة يعتبر مفكرا سياسيا طبع الحياة السياسية المغربية المعاصرة ", 183.

94 المرجع السابق نفسه، ص 183 .

1-المنطلقات الفكرية لعبد الله العروي.

أورد **عبد الله العروي** [95] مجموعة من الشروط لقيام الدولة الحديثة متأثرا بأستاذه فان غروبنام، وبكارل ماركس النافع على حد تعبيره. فما هي المنطلقات الفكرية الذي تأسس عليها مشروعه الفكري؟وكيف نظر لقيام الدولة الحديثة لدى العرب والمغاربة؟ وما الإضافات التي حملها بخصوص المسألة الدستورية والتحديث السياسي؟

لقد استطاع عبد الله العروي[96] أن يصوغ مشروعا فكريا حول الحداثة والتحديث[97]وتجاوز التأخر التاريخي من خلال إنتاج مؤلفات عديدة ومتنوعة. ويمثل مشروعه هذا خارطة فكرية تنتظم في نسق خاص، تنطلق من الية الفكر والعقل في تجاوز التأخر التاريخي[98]. حيث دعا للحداثة من أبواب متعددة، "بوابة الدولة، بوابة المجتمع المدني، بوابة الاحزاب السياسية إلى غير ذلك. لكنه يطرح سؤالا محوريا يتعلق بمدى توفر شروط تحقق الحداثة في الواقع المغربي والعربي الحالي"[99].

ربط العروي الحداثة بثلاثة مقومات أساسية: **مقوم العقل** عبر إعمال العقل الحداثي الذي "يعد هو والعمل سواء" الذي تأصل عليه المفهوم الحداثي الغربي للعقلانية. أما عندنا فيرى العروي أن العقل ظل محدودا[100]، وبالتالي ما كان من شأنه أن يؤدي إلى تطوير المجتمع[101]. **ومقوم الفرد** الفاعل، الواقعي، لا الفرد الخيالي[102]. والحال أنه في الدولة الاسلامية السلطانية يصير الفرد العاقل يرى فيها، قبل كل شيء، أنها "جهاز قمع"، وأن له الحق في أن ينجو بنفسه، كما أن له الحق

---

[95] كالأيديولوجيات السياسية العربية وكتبه حول مفاهيم (الدولة، والأيديولوجية، والحرية، والعقل).

[96] ولد عبد الله العروي في مدينة أزمور المغربية سنة 1933، عمل في بداية الاستقلال مستشارا ثقافيا في السفارة المغربية بالقاهرة. ويعتبر أحد أبرز المفكرين العرب والمغاربة الذين أسهموا بكتاباتهم في إغناء الحياة الفكريّة العربيّة والمغربية، حيث اهتم مبكرا بالمصير العربي وقضايا الحداثة، وتجلى هذا الأمر بوضوح في كتابه الشهير " الأيديولوجية العربية المعاصرة " (1967م).

[97] في إطار ضبطه للمفاهيم والعلاقة الرابطة بينهما، يؤكد العروي أن "الحداثة ليست هي التحديث، فالحداثة تتمتع بكونها رؤية كلية شمولية، رؤية إلى العالم تتحدد من خلال الفرد لمصيره ومصير الجماعة. بينما التحديث هو إنجاز سيال يهم قطاعا من قطاعات المجتمع، وقد يبدأ بالثقافي أو الاقتصادي وينتهي بالسياسي، أو قد يحدث العكس حسب حاجة وأولويات المجتمع، في زمن ومحيط معين. ويقول ايضا العروي: "فقد كنت دائما أعتقد أنه حين يصبح المجتمع مستغنيا عن المفكر التحديثي، فذلك يعني أنه يسير على طريق التحديث "جريدة المساء ، انظر ايضا خالد ياموت،" 2008نونبر 26 ، 255.الحداثة السياسية بين عالمية المفهوم وخصوصية التطبيق عربيا "، مرجع سابق، ص

[98] ، مجلة آفاق العدد 1-4، ص163."حوار عبيد الله العروي، "التحديث والديمقراطية

[99] 4.، ص 2007فبراير 18حوار لعبد الله العروي، جريدة العالمية، بتاريخ

[100] ظل العقل العربي محدودا بأمرين: أولهما؛ أن الثقافة الإسلامية اعتبرت أن فوق كل "عقل" ثمة "عقل أعلى" هو "اليقين" بالمعنى المطلق. فلا مجال هنا لإعمال "الفحص" و"التأمل" و"الحيرة" و"الشك". وهنا يكون اليقين حاصلا قبل النظر، ثانيها: الحدود ولم يتجاوزها حتى يصير عقلا حداثيا، أنه ظل على الدوام عقلا تأمليا فرديا؛ أي أنه بقي "مفهوما نظريا" محضا. انظر عبد الله العروي،" مفهوم العقل "، المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء، بيروت، 358-360.، ص ص 1996الطبعة الأولى

[101] 164.المرجع السابق نفسه، ص

[102] 41.، ص 1984عبد الله العروي، " مفهوم الحرية "، دار التنوير، الدار البيضاء، بيروت، الطبعة الثالثة

في أن يحقق حريته عن غيره بمعزل، والحل عنده حل فرداني طوباوي[103]، **ومقوم الحرية** بمفهومها الأوربي"[104]، لا الحرية في المجتمع العربي الإسلامي التي ما شهدت القدامة العربية قط، وإنما على "طوبى الحرية"، أي" الحرية الوجدانية "، لا " الحرية العاقلة " أو " الحرية الفاعلة ". وإذا كانت هذه هي مقومات الحداثة التي لا تتحقق بدونها حسب رأي عبد الله العروي، فما هو منظوره للدولة العربية الحديثة؟

ب- نظرية الدولة عند عبد الله العروي.

ينظر العروي للدولة بعيدا عن" اليوتوبيا الاسلامية"، محيلا بذلك على التعارض الذي يؤمن به، والقائم بين إيديولوجيا الدولة الاسلامية (الخلافة) وحقيقة الدولة الوطنية مؤكدا أن استمرارية الأولى لا تسمح بتوطيد الثانية[105].ويؤكد أن الدولة الحديثة لا تنشأ وتتقوى إلا بإقامة بيروقراطية عصرية تجسد العقلانية الاجتماعية، كذلك لا ينضج الفكر السياسي في أي مجتمع كان، إلا بعد أن يتمثل بجد المفاهيم الثلاثة: الحرية، الدولة، العقلانية، في ان واحد[106].وقد شكل التنظير لماهية الدولة واحدا من أبرز إخفاقات النخبة العربية لما بعد الاستقلال، فقد كان الانشغال بالدول الوليدة يعكس إلى حد بعيد الانتقال القسري من "الدولة الأمة "المجسدة في الدولة العثمانية إلى الدولة القطرية". وكان هذا الكيان الجديد صورة مجتمعية غير مبالية بالتاريخ الاجتماعي وتشكلاته القبلية والعشائرية. ولعل مسار الدولة الحديثة، وما أفرزته من صراعات سياسية ذات بعد اجتماعي، عرقي ومذهبي وإيديولوجي، قد ساهم في ازدياد اهتمام النخبة الوطنية بمفهوم وماهية الدولة [107].

أما بخصوص الدولة الحديثة بالمغرب، يؤكد عبد الله العروي بأن ولوج النظام السياسي لهذه الدولة، كان عبر إقرار دستوري يظهر السلط وكأنها منفصلة ومتمايزة، كما تحولت الأجهزة المغربية الى مؤسسات دولتية وبيروقراطية، تدعم قوة الدولة وإضعاف المجتمع وقواه المدنية والسياسية. لكن الملك الراحل الحسن الثاني "كان وفيا للتراث المغربي ثم تمرد عليه في الان ذاته، مما خول لنا مشاركته نفس الحرية، ازدواجية تتجاوز البسيكولوجيا، أدت الى الصعوبات التي عرفها المغرب ولا زال يعيشها"[108]. "فلم يكن الملك الحسن الثاني يعر أهمية لمنطق الدستور في حد ذاته، بل كان متيقنا أنه سيوظفه لصالحه في جميع الأحوال"[109]، فالمراقبة تعود للملك باعتباره صاحب الأمر، لكنها حسب الدستور تفوض

---

[103] يكون أن يطلب الطوبى التي لا تتحقق: دولة الحكمة (الفيلسوف النابتة)، أو دولة الخلافة (الفقيه المقهور)، أو دار السعادة (الصوفية).

[104] عبد الله العروي، "مفهوم الحرية "، مرجع سابق، ص 12.

[105] انظر حوار عبد الله العروي مع مجلة (LA REVE ECONOMSIA) العدد 5، 11 /2008 ، انظر كذلك جريدة المساء عدد 26/11/2008 .

[106] عبد الله العروي، "مفهوم الدولة "، مرجع سابق، ص 167.

[107] المرجع السابق نفسه، ص 125 .

[108] جريدة المتوسط اونلاين، عدد الاثنين 31 /5 /2010، ص 6.

[109] انظر حوار العروي مع مجلة مقدمات، صيف 2006.

لجماعة، يتم انتخابها من المغاربة، تجسيدا للمشاركة في الاختيار بطريقة خاصة. ثم إن السلطة التي يفترض أن تمثل سلطة التشريع أي البرلمان ملحق بالحكومة، كما أن الحكومة ملحقة بالحاكم[110].

يقول العروي: "إن التقليد لا يتيح لنا إمكانية الاندماج الكلي في الحداثة، إلا أن الدولة المغربية الموروثة عن الحماية دولة تحديثية، وإن كانت ترتبط دائما بمبدأ الاستمرارية، الذي لا يمكن أن تفلت منه، فالمغرب الدولة في حاجة دائمة الى اللغة السلفية، إلى ضمانة الفقيه ومباركته. كما أن الدولة لا تحتاج إلى تبرير ما تبنته بشكل نفعي من التحديث للشخص الحداثي، والا أدى التبرير الى إعاقة الدولة "[111].وليس أمامنا سوى القيام بالإصلاح السياسي والاصلاح الثقافي، وخلق ثقافة عصرية تواكب العصر الذي نعيشه كما فعلت شعوب أخرى[112]. وقد عرف الفكر السياسي الحداثي المغربي أقطاب اخرين أمثال محمد عابد الجابري، وعلى اومليل، وبعدهم جيليا محمد سبيلا وعبد الإله بلقزيز، والذين كان مركز اهتماماهم البحث في إشكالية النهضة العربية، ما ساعد على خلق غنا منهجيا وفكريا للمدرسة الحداثية المغربية.

خاتمة

إن الانطلاق من المرجعيات الفكرية ورصد سيرورة تطورها وتأثيرها في عملية التحديث السياسي يتأسس من قناعتنا الراسخة بأن أي تحديث إنما هو مرتبط بالنزعة التحديثية المؤسسة له. فلا تحديث دون حداثة فكرية تمثل وعائه الذي يمكنه من اكتساب قيم جديدة تتماشى ومتطلبات العصر. قاعدة لم تحد عنها المنظومة الفكرية السياسية المغربية التي برز تجدد وعيها السياسي في لحظات تاريخية متفرقة ارتبطت بالتحولات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي عرفها هذا البلد. ما أسهم في بروز مجموعة من المشاريع الدستورية الحاملة لفكر سياسي متقدم في فترة ما قبل الحماية التي وإن اتسمت بمرجعيات أصحابها الفقهية فإنها حملت في الان ذاته تمظهرات التلاقح مع الفكر المشرقي والفكر الغربي الحداثي، ليواصل الوعي السياسي تجذره فترة الحماية والاستقلال من خلال أفكار كل من الحجوي وعلال الفاسي الذي يعد من أبرز رواد مدرسة السلفية الجديدة التي رفعت شعار التحديث من منظور يراعي الخصوصيات الثقافية والحضارية الاسلاميو وينفتح على الديموقراطيات الحديثة.في مقابل ذلك نشأت المدرسة اليسارية الاشتراكية سنة 1959 بنزوع حداثي، وأعلنت بداية الازدواجية المعرفية التي ساهمت في تطوير الفكر السياسي المغربي من خلال مشاريع حملت الطابع الحداثي، كان أبرزها شكل مشروع الدولة الحديثة لعبد الله العروي. وفي اعتقادنا أن تطور الفكر السياسي المغربي بكل مشاربه وتمظهراته قد أنتج وعيا سياسيا مجتمعيا أسهم ولا يزال في تحديث الممارسة السياسية بالمغرب.

قائمة المصادروالمراجع

- أحمد معنينو ،"من مظاهر التعذيب الحزبي أو دار بريشة الثانية"، مكتبة دار الأمان، طبعة 1990 .
- عبد الإله بلقزيز، "أسئلة الفكر العربي المعاصر "، المعرفة للجميع، الطبعة الأولى، 2001.
- عبد الله العروي، " مفهوم الحرية "، دار التنوير، الدار البيضاء، بيروت، الطبعة الثالثة 1984.

110 عبد الله العروي، "من ديوان السياسة "، مرجع سابق، ص 116.

111 جريدة المساء، عدد 26 /11/2008.

112 عبد الله العروي، "حوار مع جريدة العالمية "، صحيفة العالمية، عدد 18 /2 /2007.

- عبد الله العروي،" مفهوم العقل "، المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء، بيروت، الطبعة الأولى 1996.
- علال الفاسي، "مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها "، دار الغرب الإسلامي، ط 5 ،1993.
- محمد الصغير الخلوفي، "انتحار المغرب الأقصى بيد ثواره"، مطبعة النجاح الجديدة، الرباط، الطبعة الثانية1994.
- محمد الكتاني،" السلفية إشكالية المفهوم والممارسة"، ندوة الحركة السلفية في المغرب العربي، مطبوعات جمعية المحيط الثقافية، أصيلة، المغرب، الطبعة 1، 1989.
- محمد المنوني: "مظاهر يقظة المغرب" مطبعة امنية – ج أ - الرباط 1973. ص- الرباط 1973.
- محمد زين الدين، "الأنظمة السياسية المقارنة "، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الاولى 2018.
- خالد ياموت، "الحداثة السياسية بين عالمية المفهوم وخصوصية التطبيق عربيا: دراسة في إشكالية والاصلاح والتحديث في الفكر المغربي المعاصر "، اطروحة لنيل الدكتوراه في القانون العام، كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية سلا، السنة الجامعية2014-2013.
- عبد العالي حامي الدين ، "المسألة الدستورية في الفكر السياسي المغربي المعاصر"، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، كلية الحقوق اكدال ، الرباط ،الموسم الجامعي 2002.
- محمد الحنافي،"المسألة الدستورية وإشكالية التحديث السياسي بالمغرب"،أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في القانون العام والعلوم السياسية،جامعة الحسن الأول،كلية العلوم القانونية والسياسية سطات، السنة الجامعية2022 - 2023.
- أحمد الحارثي، "الإصلاحي المغربي ما بين الدعوة والتاريخ ، مجلة نوافذ العدد الثاني عشر، أكتوبر 2000 .
- ادريس جنداري، " الفكر الإصلاحي في المغرب ورهان الإصلاح السياسي والاجتماعي -الاستاذ علال الفاسي نموذجا- "، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، الرباط،2015.
- جريدة الاتحاد الاشتراكي "تأملات أولية في الفكر الدستوري لمغرب ما قبل الحماية "، العدد 5007 بتاريخ 27 أبريل 1997.
- مجلة آفاق العدد 1-4،"حوار مع عبد الله العروي، "التحديث والديمقراطية".
- سعيد بنسعيد العلوي، "الاجتهاد والتحديث: دراسة في أصول الفكر السلفي في المغرب"، سلسلة الفكر العربي المعاصر، مركز دراسات العالم الإسلامي، عدد 3.
- عبد القادر الشاوي،" السلفية والوطنية "، بيروت، لبنان، الطبعة الاولى، 1986.
- عبد الله العروي، "حوار مع جريدة العالمية"، صحيفة العالمية، عدد 18/2/ 2007.
- عثمان أشقرا، "في الفكر الوطني المغربي، المعرفة للجميع "، العدد 17، 2000.
- علال الفاسي،"عن الحركة السلفية"، مجلة المنهل السعودية، عدد سبتمبر 1984.
- محمد الحجوي، "النظام في الإسلام مخطوط بالمكتبة الوطنية "، رقم ح 118.

- محمد حسن الوزاني، "مذكرات: حياة وجهاد التاريخ السياسي للحركة الوطنية التحريرية المغربية"، مؤسسة حسن الوزاني، دار الغرب الإسلامي، بيروت طبعة م 1982
- محمد زين الدين، "تأملات أولية في الفكر الدستوري لمغرب ما قبل الحماية "، مقال منشور في جريدة الاتحاد الاشتراكي، العدد 5007 بتاريخ 27 أبريل 1997.
- محمد شقير،" الفكر السياسي المغربي المعاصر"، افريقيا الشرق، الدار البيضاء، افريقيا الشرق المغرب الطبعة 1، 2005.
- محمد عزيز الحبابي لكتاب المساوي العجلاوي: من الاتحاد الوطني الى الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية -1959 1983قراءة في السياق التاريخي للحزب من خلال مساري عبد الرحيم بوعبيد ومحمد الفقيه البصري "، الطبعة الاولى 2002.
- مخطوط بالمكتبة الوطنية، رقم ح 254.
- مخطوط بالمكتبة الوطنية، رقم ح122.

الموارد المائية بالمناطق الجبلية بجهة بني ملال خنيفرة: بين الإمكانات ومظاهر الهشاشة

Water resources in the mountainous areas of the Beni Mellal Khenifra region: between potential and fragility

1.يونس سيف النصر، جامعة الحسن الأول بسطات، المغرب .

2.سعيد الصغير، جامعة السلطان مولاي سليمان ببني ملال، المغرب.

ملخص: بحكم موقعها الجغرافي، وطبيعتها الطبوغرافية والجيولوجية وخصائصها المناخية، تتوفر المناطق الجبلية بجهة بني ملال خنيفرة، على مؤهلات مائية، باطنية وسطحية غنية، توفر إمكانات مهمة من أجل التنمية الاقتصادية والاجتماعية بجهة بني ملال خنيفرة، وهو ما جعل هذا المجال يحتل مكانة هامة في الحوض المائي لأم الربيع. غير أن هذه الموارد الترابية المائية، تتعرض لمظاهر متعددة من الهشاشة والتدهور، نتيجة عوامل بشرية بالأساس. جراء الاستعمالات غير المعقلنة، وضعف استراتيجيات الاعداد والتدبير والتثمين، المعتمدة من قبل الفاعلين الترابين.

الكلمات المفاتيح: الموارد المائية-الهشاشة-الإعداد-التثمين-الفاعلين الترابيين

Absract : Due to its geographical location, topographic and geological nature and climatic characteristics, the mountainous areas of The Beni Melal Khenifra have rich water, internal and surface qualifications that provide important possibilities for economic and social development in the area of Beni Melal Khenifra, which has made this area occupy an important place in the water basin of Um al-Rabie. However, these territorial resources are exposed to multiple manifestations of fragility and degradation, mainly as a result of human factors. Due uncomplicated uses, poor preparation, management and valuation strategies, adopted by the The territorial Actors.

Keywords : water resources- Fragility- The territorial Actors- management and valuation strategies

تقديم عام:

تحظى المناطق الجبلية بجهة بني ملال خنيفرة بتنوع خصائصها الطبيعية واختلافها، انعكس هذا الأمر على تنوع الموارد الترابية الطبيعية. وهذا ما يشكل تميزا لهذه المناطق عن باقي المناطق الأخرى داخل الجهة (السهل والهضاب). ويرجع هذا إلى طبيعة هذه المجالات الجبلية، التي تتوفر على ارتفاعات مطلقة كبيرة وتنوع الأودية والأنهار والغطاء الغابوي وتنوع بيولوجي مهم، مع اختلاف في طبيعة التكوين الصخري والتربة. منها ما يشكل نقطة قوة لهذه المناطق، من أجل توظيفها في

العملية التنموية والخروج بها من أوضاعها الهشة إلى وضعية تليق بها، ومنها ما يشكل تحديا واختبارا حقيقيا للإرادة والاستراتيجيات والبرامج التنموية المعتمدة.

تعرف الموارد الترابية الطبيعية، مظاهر متعددة من الهشاشة وذلك راجع للعوامل الطبيعية والبشرية، في ظل غياب سياسة ناجعة واستراتيجيات واضحة في الاعداد والتثمين. وهذا ما يظهر من خلال مستويات الهشاشة والاكراهات التي تعرفها الموارد المائية بالمناطق الجبلية بجهة بني ملال خنيفرة. فالمقاربات المعتمدة في هذا الإطار، تتجلى في اعتبار هذه المناطق خزانا للماء فقط، دون إيجاد استراتيجية واضحة المعالم تحترم خصوصيات هذه المناطق، وتوظف كل مكوناتها الطبيعية بشكل نسقي في عملية التنمية الترابية، والعمل على مأسسة التضامن المجالي ما بين المناطق السهلية والجبلية.

إشكالية الموضوع:

تتمتع الجبال بجهة بني ملال خنيفرة بإمكانات مهمة فيما يخص الموارد المائية وتنوعها وثرائها، يمكن أن تساهم في خلق تنمية ترابية للمجالات الجبلية فضلا عن المناطق الوطنية، ورغم اعتماد ونهج بعض السياسات والمخططات والاستراتيجيات التنموية، من أجل إعداد الموارد المائية الجبلية وتثمينها، لم تشهد هذه المناطق تقدما على مستوى تهيئة وتدبير الموارد المائية حسب المرجو، حيث لازالت تعاني هذه الموارد من عدة إكراهات ساهمت في هشاشتها، وفي محدودية انعكاساتها التنموية على الساكنة المحلية؛ في ظل اعتماد مقاربة قطاعية وتقنية.

منهجية الدراسة:

أثناء إنجاز هذه الورقة البحثية تم الاعتماد على عدة عناصر أساسية في جميع المعطيات، يتعلق الشق الأول بالعمل النظري المتمثل في دراسة بعض الكتب والمقالات العلمية التي لامست الموضوع من قريب أو من بعيد، إلى جانب زيارة عدة مصالح لامركزة بالجهة للحصول على معطيات إحصائية، تبين خصائص الظاهرة الجغرافية المدروسة، مع القيام باستطلاع ميداني للمجال المدروس.

تم توظيف مجموعة من الوسائل التقنية من أجل معالجة مختلف المعطيات الإحصائية المحصل عليها، ونخص بالذكر برنامج (إكسيل Excel) للحصول على المبيانات، وبرنامج Arcgis من أجل رسم الخرائط.

أهداف الموضوع:

تستهدف هذه الورقة البحثية تشخيص، دراسة وتحليل إمكانات الموارد المائية بالجبال بجهة بني ملال خنيفرة، من خلال الوقوف على مظاهر وعوامل هشاشتها، وانعكاسات هذه الوضعية على المستوى المعيشي للساكنة المحلية؛ وطبيعة المجهودات المبذولة لتهيئة وتدبير الموارد المائية المتاحة.

تقديم المجال المدروس:

خريطة رقم 1: التقسيم الترابي لجهة بني ملال خنيفرة والمكون الجبلي

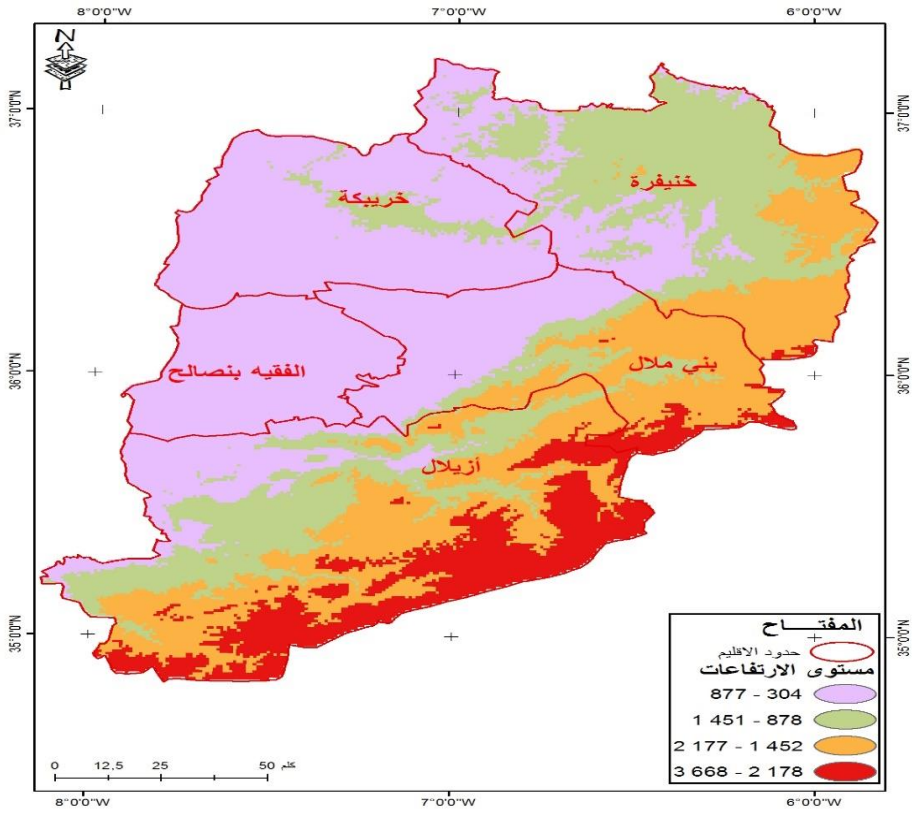

المصدر: خريطة الارتفاعات الرقمية بتصرف

توجد جهة بني ملال خنيفرة في وسط المغرب، حيث تمخض تشكيلها عن التقسيم الجهوي المصادق عليه سنة 2015، في إطار تبني سياسة الجهوية المتقدمة، التي جاءت بتعديلات شملت كل جهات المغرب، بفعل دستور 2011.

تعتبر جهة بني ملال خنيفرة جهة استراتيجية، وذلك بتواجدها على المحور السياحي الكبير، فاس-مكناس-الدار البيضاء. وكذلك تواجدها على مجال يتميز بتنوع وحداته التضاريسية؛ تضم جزء كبير من الأطلس المتوسط والكبير، ومنطقة الدير وحوض خنيفرة وجزء من الهضبة الوسطى وهضبة الفوسفاط وسهل تادلة. حيث تمتد هذه الجهة على مساحة 28 374 كلم مربع، ويشغل المجال الجبلي حوالي 65% من مساحة الجهة، (إقليم خنيفرة، إقليم أزيلال وجزء من إقليم بني ملال) وتتمثل حدود الجهة الإدارية وفق الآتي: من جهة الشمال تحدها جهة الرباط سلا القنيطرة، ومن جهة الشمال الشرقي تحدها جهة فاس مكناس، ومن الجنوب والجنوب الغربي تحدها جهة درعة تافيلالت، ومن الغرب تحدها، كل من جهة الدار البيضاء سطات وجهة مراكش آسفي[113].

نتائج ومناقشة:

1.تتوفر المناطق الجبلية بجهة بني ملال خنيفرة على موارد مائية غنية تعرف عدة إكراهات

1.1.مناخ المناطق الجبلية بجهة بني ملال خنيفرة: يشكل مؤهلا وعاملا مساعدا للتنمية الترابية

[113] .منوغرافية جهة بني خنيفرة، أكتوبر 2015.

يتميز مناخ جهة بني ملال خنيفرة بالتنوع، حيث يسود مناخ قاري شبه رطب إلى رطب بالسلاسل والقمم الجبلية ومناخ قاري شبه جاف بالسهول والهضاب. فخاصية المناخ، أنه قاري بارد ومطير شتاء وحار وجاف صيفا. وتعرف القمم الجبلية والسفوح الشديدة الانحدار تساقطات ثلجية مهمة.

إن تدخل عامل الموقع العرضي، لا يعني إطلاقا أن التساقطات تتوزع فوق مجال مسطح، فالامتداد العام للتضاريس الجبلية، يلعب دورا رئيسيا في توزيع الأمطار. ويتدخل هذا العامل بواسطة عنصري الارتفاع والتوجيه. فمن جهة أولى، يلاحظ أن كمية التساقطات تزداد بشكل مضطرد كلما ازداد الارتفاع الطبوغرافي، وهذا ما يؤكده معامل الارتباط والذي تقدر قيمته ب 0.92. فهو يكشف عن علاقة طردية قوية ومباشرة بين كمية الأمطار والارتفاع الطبوغرافي للمراصد. واعتبارا لذلك، فإن القمم الجبلية وسفوحها تنفرد بأغزر الكميات المطرية، ويستقبل الأطلس المتوسط والهضبة الوسطى ما بين 800 و1500 ملم. أما الأطلس الكبير تساقطاته تتراوح ما بين 600 و1000 ملم سنويا، ويستقبل كميات أكبر في بعض القمم العالية. ويلاحظ من جهة ثانية، أن عنصر التوجيه الطبوغرافي يتدخل بقوة ليفرز تفاوتا كبيرا بين سفوح الجبال من حيث كمية التساقطات: فالسفوح الغربية والشمالية للأطلس المواجهة للرياح الممطرة الآتية من المحيط الأطلنتي، هي التي تستقبل كميات غزيرة. بينما لا تستقبل نظيرتها السفوح الشرقية والجنوبية سوى كميات ضعيفة.[114]

خريطة رقم 2 : التساقطات المطرية بجهة بني ملال خنيفرة

[114] . باحو عبد العزيز.، 2002، الجفاف المناخي بالمغرب: خصائصه وعلاقته بالدورة الهوائية وآثاره على زراعة الحبوب، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة في الجغرافيا، تخصص الجغرافيا الطبيعية، جامعة الحسن الثاني، المحمدية.

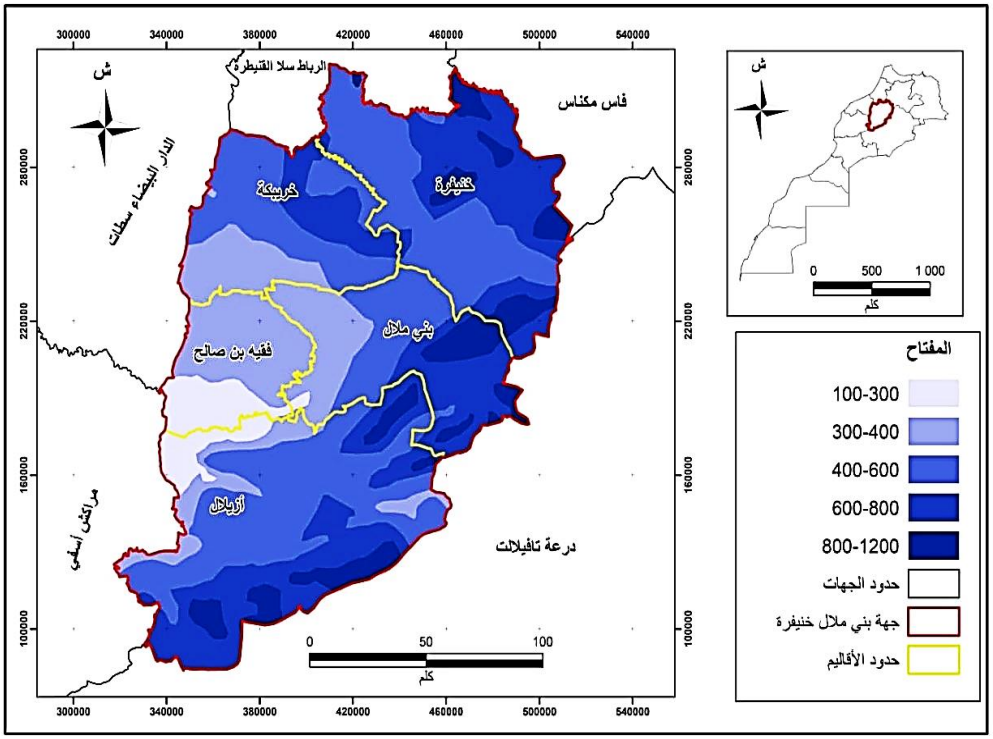

المصدر: منوغرافية جهة بني ملال خنيفرة بتصرف

تشكل التساقطات الثلجية والمطرية التي تتلقاها المناطق الجبلية (إقليم أزيلال، إقليم بني ملال وإقليم خنيفرة)، موردا وخزانا مائيا مهما يغذي معظم الأودية التي تنبع من المنطقة، والتي تتجلى في واد أم الربيع وروافده، واد الخضر، واد العبيد وغيرها من الأودية. حيث تتوفر المناطق الجبلية بالجهة، على موارد مائية سطحية وباطنية مهمة.

2.1.تشكل المناطق الجبلية بجهة بني ملال خنيفرة موردا استراتيجيا للمياه السطحية

تتوفر المناطق الجبلية على مؤهلات مائية مهمة، سواء على المستوى الهيدرولوجي أو الهيدروجيولوجي، وهو ما جعل هذا المجال يحتل مكانة هامة في الحوض المائي لأم الربيع.

تتألف الموارد المائية السطحية من الأنهار المختلفة الدائمة والموسمية، والتي تدخل في إطار الأحواض الصغرى المحلية، كالحوض المائي لواد تساوت، وواد درنة وواد العبيد، وواد أم الربيع، إضافة إلى مجموعة من البحيرات الاصطناعية التي أنشأت على بعض الأنهار، كبحيرة سد بين الويدان، سد مولاي يوسف، والحسن الأول إضافة إلى بعض البحيرات الطبيعية[115].

بفضل مختلف الأودية النابعة بالمناطق الجبلية، تتوفر الجهة على مقومات مائية كبيرة، مكنتها من المساهمة في التنمية الاقتصادية والاجتماعية. ويتجلى ذلك في خدمة الماء للتطور الزراعي الحديث على نحو متزايد، وكذا الصناعة والقطاعات المعدنية والمنجمية بالإضافة إلى النشاط السياحي.

[115] . منوار أحماد&أواجاي خديجة.، 2015، مشاريع التنمية المندمجة بالجبال المغربية حالة مشروع المنتزه الجيولوجي مكون، بتنسيق محمد البقصي ومحمد الزرهوني، أشغال الدورة الخامسة لمنتدى التنمية والثقافية لإغزران أبريل 2015، حول موضوع المشروع الترابي أداة استراتيجية للتنمية المحلية حالة جماعة إغزران الجبلية، الطبعة الأولى، فاس، ص 243.

يعد نهر أم الربيع وروافده أهم مجرى مائي مزود لجهة بني ملال خنيفرة، ويستمد النهر موارده المائية أساسا من الأطلس المتوسط الذي يساهم بنسبة 18.2 مليار م^3. كما تساهم بعض العيون وذوبان الثلوج في توفير تزويد منتظم بالمياه لنهر أم الربيع الذي يبلغ صبيبه السنوي 35 م^3 في الثانية.[116]

تتميز الموارد المائية بحوض واد أم الربيع وروافده، بصبيب قدره 1550 م^3/ث، وكميات مهمة من المياه تفوق 4 مليارم^3 سنويا. منها حوالي 3.365 مليارم^3 معبئة ومنها 635 مليون م^3 في طور التعبئة.[117]

يعد حوض أم الربيع من أكبر أحواض المملكة ويغطي مساحة 35000 كلم ويمتد المجرى المائي الرئيسي على طول 550 كلم. وينطلق نهر أم الربيع من سلسلة جبال الأطلس المتوسط على ارتفاع 1800م ويخترق السلسلة الجبلية وسهل تادلة والهضبة الساحلية قبل أن يصب في المحيط الأطلنتي، بمقربة مدينة أزمور على بعد حوالي 16 كلم شمال مدينة الجديدة. توجد الأحواض الساحلية الأطلسية للجديدة وآسفي في الجنوب الغربي لحوض أم الربيع وتمتد على مساحة تبلغ 13070 كلم^2 ،[118].

تستفيد من هذا الموارد المائي الجبلي، في النشاط الزراعي عدة مناطق، كسهل تادلة ودكالة وتساوت. وتتواجد بالمنطقة مساحة مهمة مسقية بطريقة عصرية، ومزدة بواسطة تجهيزات مائية مهمة. وتتمثل غالبية المزروعات في النباتات الصناعية والخضروات والنباتات العلفية والحوامض والزيتون والحبوب. حيث أصبحت منطقة تادلة أحد دعائم السياسة الفلاحية الوطنية وأحد الأقطاب الرائدة على الصعيد الوطني، هذا بفضل اعتماد سياسة مسقية، هذه السياسة عمادها وعمود فقرها الأساسي الماء، حيث يساهم حوض أم الربيع، بنسب مهمة جدا في توفير هذه المياه المسقية. وبهذا المعنى ساهم الجبل في تنمية السهل، في المقابل بما يساهم هذا السهل في تنمية الجبل؟

خريطة رقم 3 : الموارد المائية السطحية بجبال بني ملال خنيفرة

[116] .وكالة حوض أم الربيع.، 2012، مشروع المخطط التوجيهي للتهيئة المندمجة للوارد المائية لحوض أم الربيع والأحواض الساحلية الأطلسية، التقرير التقديمي.

[117] - علي وزا، 2003 مرجع سابق

[118] . وكالة حوض أم الربيع.، 2012، مرجع سابق.

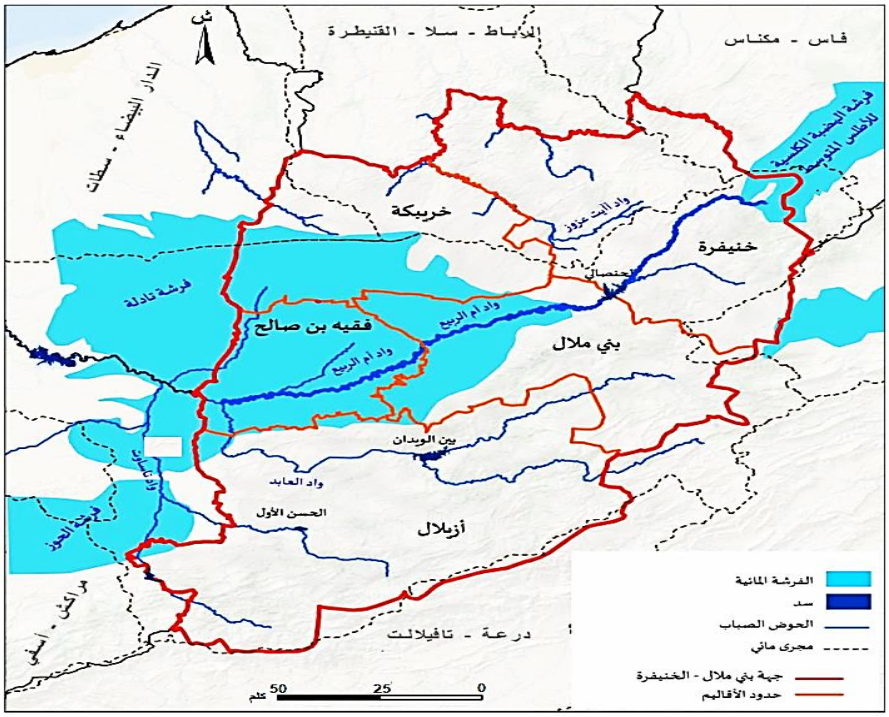

المصدر: وكالة حوض أم الربيع ببني ملال

لكل الأودية والأنهار بجهة بني ملال خنيفرة، منبعها من المناطق الجبلية، سواء من الأطلس المتوسط بإقليم خنيفرة كواد أم الربيع، وبإقليم بني ملال نجد واد الخضر أو من الأطلس الكبير الأوسط كواد العبيد وتساوت مثلا بإقليم أزيلال. وتساهم هذه الأودية والأنهار في توفير موارد مائية للجهة، وتوظف في الاستعمالات المختلفة الاقتصادية منها والاجتماعية. وبناء على الثروة المائية الجبلية، ثم إنشاء سدود متعددة توظف في استعمالات تنموية متنوعة.

3.1.تساهم الأودية الجبلية في تغذية السدود بواردات مائية مهمة بجهة بني ملال خنيفرة

تضم جهة بني ملال خنيفرة سدود متنوعة، من أكبر السدود على المستوى الوطني فيما يتعلق بالطاقة الاستيعابية، وهو ما يمكن من ضمان الحاجيات والمتطلبات الاجتماعية والاقتصادية، من توفير مياه للشرب وللاستعمال الصناعي والفلاحي.

جدول رقم 1 : بعض السدود بجهة بني ملال خنيفرة واستعمالاتها

السد	الوادي	تاريخ الشروع في الاستغلال	الاستعمالات	الحجم العادي (مليون م^3)

أحمد الحنصالي	أم الربيع	2002	السقي-الماء الصالح للشرب-الطاقة	721
ايت مسعود	العبيد	1954	السقي والطاقة-الماء الصالح للشرب	13
بين الويدان	العبيد	1954	السقي والطاقة-الماء الصالح للشرب-الطاقة	1257
ايت أوعرضة	العبيد	1954	السقي والطاقة-الماء الصالح للشرب-	4
قصبة تادلة	أم الربيع	1935	السقي والطاقة	0.1
المسيرة	أم الربيع	1979	السقي-الماء الصالح للشرب-الطاقة	2654
إمفوت	أم الربيع	1940	السقي-الماء الصالح للشرب-الطاقة	14.3
الدورات	أم الربيع	1950	الماء الصالح للشرب-الطاقة	9.5
سيد سعيد معاشو	أم الربيع	1929	الماء الصالح للشرب-الطاقة	1
حاجز سيدي الضاوي	أم الربيع	1984	الماء الصالح للشرب-السقي	5.5

المصدر: وكالة حوض أم الربيع ببني ملال

ساهمت الموارد المائية الجبلية، في تغذية مجموعة من السدود داخل الجهة أو خارجها، حيث تستفيد هذه السدود من أودية نابعة من الجبال كنهر أم الربيع وواد العبيد وواد لخضر وتساوت، وتوظف في حاجيات مختلفة اقتصادية واجتماعية.

يتوفر حوض أم الربيع على حوالي 600 كلم من قنوات جر المياه، سواء بين مختلف الأحواض الفرعية أو إلى خارج الحوض. وتكمل هذه القنوات الدور الذي تلعبه السدود الكبرى في تلبية مختلف الحاجيات المائية، وتمثل أهم التحويلات المائية سواء داخل الحوض أو إلى خارجه فيما يلي[119]:

- ✓ داخل الحوض يتم تحويل حصة تقدر ب 330 مليون م^3 حوض العبيد نحو المنطقة السفلى، حيث يتم عمليا تحويل 30% من الحصة السنوية المخصصة للسقي، انطلاقا من سد بين الويدان نحو منطقة تساوت السفلى، بينما تستفيد دائرة بني موسى من 70% المتبقية،
- ✓ إلى خارج الحوض، يتم تحويل جزء من الحاجيات المائية لمدن الدار البيضاء وسطات وبرشيد (120 مليون م^3/سنة) ومراكش (50 مليون م^3/ سنة)، وبالإضافة إلى حاجيات السقي لدائرة الحوز (290 كحصة مائية سنوية).

[119] . وكالة حوض أم الربيع.، 2012، مرجع سابق.

جدول رقم 2: نسبة الملء ببعض السدود بجهة بني ملال خنيفرة

السد	الواد	الاستعمالات	تاريخ الشروع في الاستغلال	2015	
				الحجم العادي بمليون م3	نسبة الملء
بين الويدان	العبيد	السقي، الطاقة، الماء الصالح للشرب	1954	1233.1	69.9
الحسن الأول	الأخضر	السقي، الطاقة، الماء الصالح للشرب	1986	242	71.2
أحمد الحنصالي	أم الربيع	السقي، الطاقة، الماء الصالح للشرب، الصناعة	2001	724.4	69.7
آيت مسعود	أم الربيع	السقي، الطاقة، الماء الصالح للشرب، الصناعة	2003	14.2	83
آيت أو عرضة	العبيد	السقي، الطاقة، الماء الصالح للشرب	1954	0.7	-
تقليت	أم الربيع	الطاقة	2010	0.5	-
تنافنيت	أم الربيع	الطاقة، الماء الصالح للشرب	2011	2	-

المصدر: وكالة الحوض المائي لأم الربيع ببني ملال

بفضل المياه النابعة من الأطلس المتوسط ومن الأطلس الكبير الأوسط، تم إنشاء بنية تحتية تمثلت في مسطحات مائية كبيرة تضم عدة سدود كبيرة بسعة تخزين تبلغ 2586 مليون متر مكعب، ومجموعة من السدود الصغيرة. هذه البنية ساهمت في التنمية الاجتماعية والاقتصادية بالجهة، لا سيما في مجالات السقي، والصناعة وتوفير مياه الشرب.

4.1.توفر المناطق الجبلية نسبة مهمة من المياه الجوفية بجهة بني ملال خنيفرة

ساهم تطور الطبيعة الكارستية والأنظمة البيومناخية والباليومناخية في تطور مجموعة من الأنظمة الكارستية، التي خلفت مجموعة من الفرشات المائية السديمية، تنتمي إلى اللياسي الأسفل والجوراسي الأوسط والأعلى والكريطاسي وكذا الرباعي[120]. كما أدت هذه الأنظمة الكارستية إلى انبثاق مجموعة من العيون الكارستية خاصة بمنطقة الدير وضفاف بعض الأودية وعند منابعها. فبالنسبة لعيون منطقة الدير، وهي الأكثر أهمية، نجد عين أسردون (1000 ملم^3/ث) ببني ملال، وتامدة واكلي (زاوية الشيخ)، وتغبالوت نوحليمة وشقوندة بالقصيبة، وعيون إمي-ن-إفري (دمنات)، وتعد هذه العيون

[120] .Gombe M., 1977, Ressources en eau du Maroc, T.3, Haut Atlas Calcaire, p.p.129-132

المصدر الأساسي لتزويد الساكنة المحلية بالماء الشروب والسقي التقليدي المنتشر بالمنطقة[121]. وتمتد الفرشة المائية للدير على طول قدم السلسلة الجبلية، من امريرت شمالا إلى تساوت جنوبا.

1.4.1.أهم العيون بالمناطق الجبلية بجهة بني ملال خنيفرة وواردااتها المائية

شكل رقم 3 : أهم العيون بالمناطق الجبلية وواردااتها حسب سنة 2015

العيون	شتنبر	أكتوبر	نونبر	دجنبر	يناير	فبراير	مارس	أبريل	ماي	يونيو	يوليوز	غشت	المعدل
عين أسردون	764 5.	734. 4	842. 2	102 8.7	105 7.6	109 8	116 7.1	120 5.8	116 0.7	106 1.9	959 7.	838 8.	993. 3
النودين	138 2.	138. 3	133. 1	142. 5	142	158. 9	161. 7	155. 9	159. 7	153. 7	157	147 8.	149. 1
إيخوريبة	55. 5	55.2	69.3	69	79.2	93.3	80.9	73.8	74.8	96.7	65. 4	74. 7	71.7
أوصفرو	98. 2	90.1	89.1	94.2	81.4	109. 1	102. 9	95.8	107. 2	102. 2	107 4.	109 4.	98.9

[121] .منوار أحماد&أواجاي خديجة.، 2015، مرجع سابق، ص 46.

أزود	130 2	118 0.5	152 6.2	173 5.4	148 7.6	167 0.8	201 8.8	193 2.4	190 8.9	177 0.7	132 9	866 3.	156 0.7
تامدا	178 2.	298. 9	290. 2	430. 3	357. 6	504. 6	613. 3	488. 1	323. 1	255. 4	229 3.	211 5.	348. 4

المصدر: وكالة حوض أم الربيع ببني ملال

تتكون الطبقة المائية الجبلية، وتجمع تحت هذا الاسم عدد من الطبقات المائية الواقعة، على الحاشية الشمالية للأطلس: دوكير أزيلال وايت امحمد والطباشري الأعلى لأيت عتاب ودوكير ولياس في منطقة دمنات، ولياس في إقليمي خنيفرة وبني ملال. فهي توفر موارد مائية مهمة واستراتيجية، على مستوى طبقات المياه الجوفية العميقة[122].

فأغلب العيون المائية بالجهة لها منابع بالجبال، لكن المستفيد الأساسي والرئيسي هم السهول والمناطق المنبسطة، من خلال توظيف هذه المياه في الشرب والسقي، وتبقى الجبال مجرد مزود لا مستفيد، مقارنة مع المجالات الجغرافية الأخرى.

صوررقم 1: مشهد من بعض العيون بالجبال بجهة بني ملال خنيفرة واستعمالاتها

المصدر: عدسة الباحث يونس سيف النصربتاريخ 12 أبريل 2019

مشد من بعض العيون بأغبالة وواويزغت، التي توظف في الحصول على الماء الصالح للشرب ولغسل الملابس والأثاث المنزلية ولتوريد الماشية، إلى جانب غسل الحبوب المعدة للطحن.

[122] . وكالة حوض أم الربيع.، 2012، مرجع سابق.

2.تعرف الموارد المائية الجبلية مظاهر متعددة من التدهوروالهشاشة

نظرا للأهمية التي تحتلها جبال بني ملال خنيفرة، لكونها خزانا مهما من المياه، فإن هذه الثروة تعاني من مجموعة من الاكراهات ومن مظاهر الهشاشة، نتيجة عدة عوامل طبيعية وبشرية.

1.2.تعرف الموارد المائية للمناطق الجبلية تراجعا ملحوظا

يعتبر الماء موردا طبيعيا ضروريا لحياة الانسان والحيوان والنبات. ويعد موردا استراتيجيا للتنمية الاقتصادية والاجتماعية، حيث تنبني عليه جل الأنشطة الفلاحية والصناعية والسياحية والعمرانية كذلك.

ومما لا شك فيه أن التطور الاقتصادي والاجتماعي لساكنة جهة بني ملال خنيفرة، نتج عنه تزايد ملحوظ في الطلب على الموارد المائية، سواء في مجال التزود بالماء الصالح للشرب أو فيما يتعلق بالسقي والإنتاج الزراعي، أو بخصوص الأنشطة الصناعية والخدمات.

في ظل التغيرات المناخية وبحكم الاستعمال غير العقلاني لهذه الثروة، بدأت في التراجع والتناقص، كما أدت التنمية الاقتصادية والاجتماعية للمجالات السهلية، وتزايد التجمعات الحضرية، وكذا باقي المناطق الأخرى خارج الجهة، المزودة انطلاقا من مياه حوض أم الربيع، إلى ضغط شديد على الموارد المائية بسبب تزايد الطلب على الماء من جهة، وارتفاع نسبة التلوث من جهة أخرى. وقد تزامن ازدياد وقع هذا الضغط مع توالي فترات الجفاف، واستفحال ظاهرة التغيرات المناخية.

ترتبط مسألة تراجع الموارد المائية بالمناطق الجبلية بجهة بني ملال خنيفرة، بالعوامل الطبيعية وبفعل تدخل الانسان معا. فإذا كانت مسألة تراجع الواردات، وندرة المياه ناجمة عن التغيرات المناخية، فإن للساكنة المحلية دور في استنزاف هذه المياه، نتيجة الاستغلال غير العقلاني وسوء التدبير والإفراط في الاستهلاك، هذا إلى جانب التلويث.

يؤدي تزايد الضغط على الموارد المائية وتناقص حجم المياه القابلة للتعبئة إلى مشاكل مركبة، تؤثر على جميع القطاعات وخاصة الزراعة المسقية. هذا الوضع يفرض إيجاد حلول عميقة ودائمة، لتمكين نشاط الزراعة المسقية من القيام بدوره كرافعة للتنمية، والمساهمة في زيادة الناتج الداخلي الخام، إضافة لمساهمته في ضمان الأمن الغذائي، واستقطاب العملة الصعبة عن طريق التصدير.

وتعرف الموارد المائية وضعية عدم استقرار، من شأنها تعميق الاختلالات المتعلقة بندرة الماء وتذبذب حجم المياه المعبأة. وفي هذا الصدد، أصبح الأمر يتطلب إعادة النظر في التدبير الحالي لغرض تقليص استهلاك الماء من طرف النشاط الزراعي المسقي، وذلك من خلال تغيير أساليب وتقنيات الري، لكي تتماشى مع استراتيجيات التنمية المستدامة. إضافة إلى البحث عن المزروعات الأقل استهلاكا للماء، خاصة أن بعض المزروعات ورغم حاجاتها المائية الكبيرة، أصبحت مردوديتها ضعيفة.

3.تشكل المياه العادمة المنزلية إحدى العوامل الرئيسية في هشاشة الموارد المائية الجبلية

يعتبر تأثير مقذوفات مدينة خنيفرة على جودة مياه وادي أم الربيع ظاهرة ملوثة، وهو التأثير الأكثر إضرارا بفعل مساهمته في الزيادة في تركيز البكتيريا القولونية البرازية. كما أن تأثير نفايات مدينة قصبة تادلة على جودة مياه وادي أم الربيع بليغ،

وبالأخص في فصل الصيف، وهو ظاهر نسبيا كذلك في فصل الشتاء، حتى وإن كان مداه ضعيفا. نفس الأمر حاصل بالنسبة لمدينة بني ملال ومركز أولاد عياد[123].

جدول رقم 4: التدفقات الملوثة للمياه الجبلية الصادرة عن المجال الحضري

السنة	التلوث بالأطنان					
	حجم المياه المستعملة (مليون م3)	الطلب البيوكيميائي من الأكسجين خلال 5 أيام	الطلب الكيميائي من الأوكسجين	المواد العالقة	الأزوت	الفسفور
2005	58	25733	52485	34731	7044	1174
2015	66	32071	65348	43207	8758	1460

المصدر: وكالة حوض أم الربيع ببني ملال

يخلف المجال الحضري بالجهة أطنانا من الملوثات التي تؤثر على جودة المياه السطحية والباطنية، وتساهم بشكل كبير في تكريس الهشاشة المرتبطة بالموارد المائية، وخاصة أن هذه الملوثات تلقى أغلبها بوادي أم الربيع، مما يؤثر على جودته.

ولتفادي هذه الوضعية، فانه من الضروري دعم ومواصلة تدابير معالجة مقذوفات المدن والمراكز الحضرية. وإيجاد أمكان مخصصة لذلك دون الإضرار بالتوازنات البيئية.

4.تساهم المياه العادمة الصناعية في تدهور الموارد المائية الجبلية بجهة بني ملال خنيفرة

توجد بجهة بني ملال خنيفرة، عدد من المقاولات الصناعية في المنطقة. تتوزع بين قطاعات صناعة السكر وصناعة الحليب معاصر الزيوت، والمجازر والمدابغ والمناجم.

جدول رقم 5: التدفقات الصناعية الملوثة للموارد المائية بجهة بني ملال خنيفرة (طن)

[123] . وكالة حوض أم الربيع.، 2012، مرجع سابق.

السنة	الطلب البيوكيميائي على الأوكسجين خلال 5 أيام	الطلب الكيميائي على الأوكسجين
2005	19523	52316
2015	39382	113984

المصدر: وكالة حوض أم الربيع ببني ملال

تعادل التدفقات الملوثة الصناعية بالحوض تلك الصادرة عن الحواضر؛ نظرا لخاصياتها الفلاحية، يتواجد بالمنطقة نشاط اقتصادي واجتماعي مهم، مرتبط بإنتاج زيت الزيتون. لهذا فإن مقذوفات معاصر الزيتون، تشكل أحد أهم مصادر التلوث.

تتمركز هذه الوحدات بالخصوص بإقليم بني ملال والفقيه بن صالح وأزيلال، تساهم بنسب مهمة في تلويث حوض أم الربيع.

يتميز هذا النشاط الاقتصادي بالتنوع، فيما يخص طبيعة الوحدات (عصرية-شبه عصرية وتقليدية) وكذلك فيما يتعلق بتقنيات المعالجة. ويقدر حجم المرجان الملقى به ب 90500م^3 خلال موسم الزيتون، ويعادل المتر مكعب الواحد، مع ارتفاع نسبة الملوحة (8 إلى 10 غ/ل) بفعل زيادة الملح خلال المعالجة.[124]

يعتبر التصدي للتلوث يشكل أحد الأولويات الكبرى من أجل الحفاظ على الموارد المائية، بجهة بني ملال خنيفرة.

5.ضعف تدبير النفايات وتلوث الموارد المائية بالمناطق الجبلية بجهة بني ملال خنيفرة

أضحت الموارد المائية سواء كانت سطحية أو جوفية مهددة من حيث وفرتها وجودتها بسبب سوء التدبير، وبسبب تزايد عدد الأنشطة الاقتصادية والاستعمالات الملوثة. توجد كميات متزايدة من المياه العادمة والنفايات الصناعية السائلة، التي يتم التخلص منها في المجال الطبيعي بدون أدنى معالجة. ويشكل الاستعمال غير العقلاني للأسمدة والمبيدات في المجال الفلاحي مصدرا، لتلوث المياه السطحية والجوفية وتدهور جودتها. كما يشكل استغلال المياه بشكل غير عقلاني في المجال الحضري، وكذلك في مجال الأنشطة الفلاحية والسياحية، تبذيرا للموارد المائية المتاحة، في غياب معايير للاستعمال العقلاني.

[124] .وكالة حوض أم الربيع.، 2012، مرجع سابق.

1.5.غياب مركز للطمر وتثمين النفايات الصلبة المنزلية خاصة بإقليم أزيلال

خريطة رقم 4 : مراكز طمر وتثمين النفايات الصلبة المنزلية

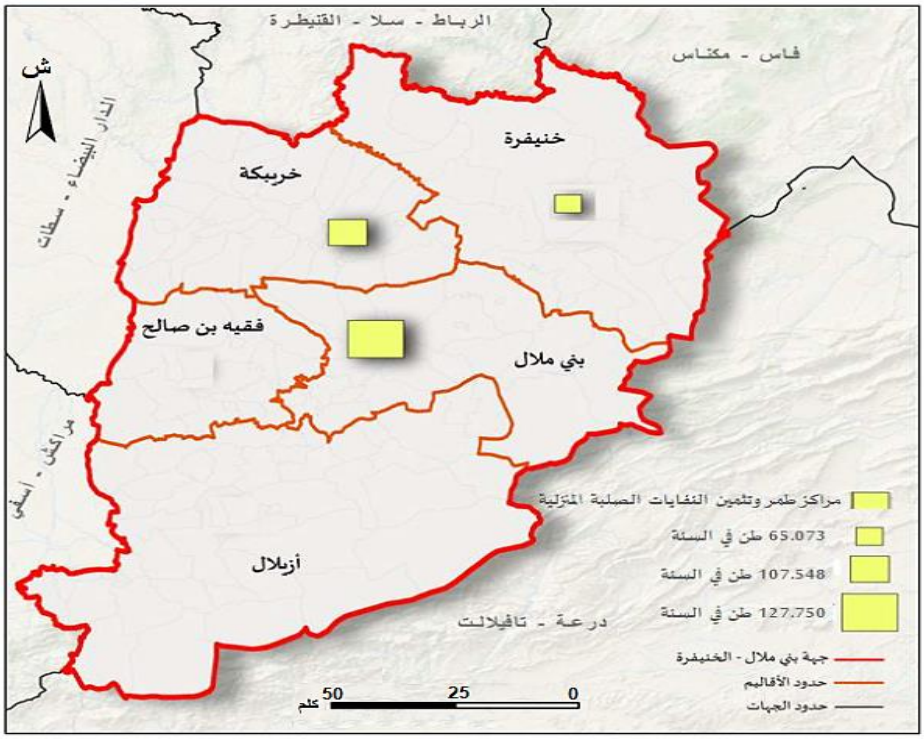

المصدر: التصميم الجهوي لإعداد التراب لجهة بني ملال خنيفرة 2019

يتم تجميع النفايات الصلبة، على مستوى أقاليم خريبكة والفقيه بن صالح وخنيفرة وبني ملال، في إطار عقود للتدبير المفوض، تم إبرامها مع شركات متخصصة في هذا المجال. وبمساعدة البرنامج الوطني لتدبير النفايات المنزلية، تم تزويد مدن بني ملال وخنيفرة وخريبكة بثلاث مطارح مراقبة، تتوفر على مراكز لطمر وتثمين نفاياتها المنزلية. غير أن إقليم أزيلال لا يتوفر على أي مركز، من أجل طمر وتثمين هذه النفايات، الأمر الذي يبرز حجم الضرر الذي يمكن أن يلحق البيئة الجبلية بهذا الإقليم.

6.ضعف استراتيجية تدبير النفايات الصناعية الخطيرة بجهة بني ملال خنيفرة

بالنسبة لجهة بني ملال خنيفرة بلغ حجم النفايات الصناعية الخطيرة سنة 2010، حوالي 7.350 طن حسب تقرير المركز الوطني للتخلص من النفايات الخاصة لسنة 2010، أي ما يمثل 2.8 بالمائة من مجموع حجم هذا النوع من النفايات على الصعيد الوطني[125]، وهناك تزايد مستمر لحجم هذه النفايات.

لا شك أن هذه النفايات تؤثر سلبا على البيئة في ظل غياب تجهيزات مرخصة لمعالجتها، حيث أن المنشأة الوحيدة بجهة بني ملال خنيفرة التي بإمكانها التخلص من نفاياتها وتثمين جزء منها هي معمل Cimat، أما أقرب منصة لمعالجة هذا النوع من النفايات فتتواجد بمدينة الكارة[126].

في غياب مراكز للطمر والتثمين، تظل كل الموارد الترابية بالمناطق الجبلية، معرضة لعوامل التدهور والإتلاف والهشاشة. فإنتاج النفايات سواء المنزلية أو الصناعية، يشكل تهديدا حقيقيا، لمستوى التنمية الترابية بهذه المجالات الجغرافية المهمة.

خلاصة:

توفر المناطق الجبلية إمكانيات مهمة فيما يخص الموارد المائية، غير أن هذه الموارد الترابية تحتاج إلى استراتيجيات فعالة من أجل الإعداد والتدبير الجيد. ولا يمكن ذلك إلا في ظل اعتماد مقاربة ترابية للتنمية، المنطلقة من سياسة تنموية خاصة بالجبال، التي تعد ركيزة أساسية لفهم الإمكانيات المتاحة والكامنة بهذه المناطق، ووضع أسس ناجعة لتعبئتها وإعداداها وتثمينها وتكييفها مع متطلبات الساكنة ومع مبادئ الاستدامة، باتباع ميكانيزمات المقاربة التشاركية وتجنيد جميع الفاعلين الترابيين، في إطار رؤية موحدة ومشتركة وإرادة تنموية حقيقية.

[125] .مجلس جهة بني ملال خنيفرة.، 2019، مرجع سابق.
[126] .مجلس جهة بني ملال خنيفرة.، 2019، مرجع سابق.

لائحة المراجع المعتمدة

- التركي إبراهيم.، 2008، إشكالية استدامة الماء بمنطقة زعير بين قلة الموارد وتزايد الطلب، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الجغرافيا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالمحمدية، جامعة الحسن الثاني.

-الكتمور حسن&مزور ليلى.، 2012، التنمية القروية بالمناطق الجبلية بين المؤهلات والاكراهات، تنسيق البقصي محمد والزرهوني محمد، أشغال المنتدى الثاني للتنمية والثقافة لإغزران، التنمية القروية بالمناطق الجبلية الحاجيات والمنتظرات، الطبعة الأولى.

-باحو عبد العزيز.، 2002، الجفاف المناخي بالمغرب: خصائصه وعلاقته بالدورة الهوائية وآثاره على زراعة الحبوب، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة في الجغرافيا، تخصص الجغرافيا الطبيعية، جامعة الحسن الثاني، المحمدية.

-منوار أحماد&أواجاي خديجة.، 2015، مشاريع التنمية المندمجة بالجبال المغربية حالة مشروع المنتزه الجيولوجي مكون، بتنسيق محمد البقصي ومحمد الزرهوني، أشغال الدورة الخامسة لمنتدى التنمية والثقافية لإغزران، حول موضوع المشروع الترابي أداة استراتيجية للتنمية المحلية حالة جماعة إغزران الجبلية، الطبعة الأولى، فاس.

- نافع رشيدة.، 1998، الأحواض النهرية بالمغرب وإشكالية التهيئة، أعمال الملتقى السابع للجيومورفلوجيين المغاربة، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالمحمدية، جامعة الحسن الثاني.

Liste des références

- Aderghal Mohamed., 2005, La montagne Marocaine : les représentations d'un espace marginal, actes du 7ème colloque Maroc-allemand, Rabat.

-Aammari brahim & Hemmoud Abde Elatif & Halouan Said., 2016, Le moyen atlas méridional le tourisme solidaire, vecteur de désenclavement des espaces montagneux, cas d'el Ksiba et son arrière-pays, In villes de montagne et les enjeux de la gestion territoriale, Ed Meziane Aziz & Saidi Jamila, Actes du 1er colloque d'elksiba.

-Gombe M., 1977, Ressources en eau du Maroc, T.3, Haut Atlas Calcaire.

- Qadem Abdelghani., 2015, Quantification, modélisation et gestion de la ressource en eau dans le bassin versant du Haut Sebou (Maroc), thèse de doctorat en Géographie, Université Sidi Mohamed Ben Abdelah, et Université de lorraine.

الوثائق الإدارية والمصالح الخارجية

-المكتب الجهوي للاستثمار ببني ملال
-المندوبية السامية للتخطيط
-منوغرافية جهة بني ملال خنيفرة.، اكتوبر 2015.
-مجلس جهة بني ملال خنيفرة.، 2019، التصميم الجهوي لإعداد التراب لجهة بني ملال خنيفرة.
-وكالة حوض أم الربيع.، 2012، مشروع المخطط التوجيهي للتهيئة المندمجة للوارد المائية لحوض أم الربيع والأحواض الساحلية الأطلسية، التقرير التقديمي.

"القبيلة بالجنوب المغربي من التضامن إلى الفردانية، قراءة سوسيوانثروبولوجية في تغير البنيات الاجتماعية والثقافية"

The tribe in southern Morocco from solidarity to individuality - a socioanthropological reading of changing social and cultural structures

- **معتصم بوبكر**: طالب باحث في سلك الدكتوراه تخصص علم الاجتماع، جامعة ابن طفيل كلية العلوم الانسانية والاجتماعية القنيطرة/المغرب

- **محمد دحمان**: أستاذ التعليم العالي، جامعة ابن طفيل كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، القنيطرة/ المغرب

ملخص الدراسة باللغة العربية:

لغرض من هذا المقال هو تحليل البنيات الاجتماعية والثقافية للقبيلة بالجنوب المغربي. ثم رصد لظاهرة التغير الاجتماعي التي شهدتها القبيلة كمجتمع محلي، وذلك من خلال إبراز بعض المتغيرات التي أصبحت تعرفها مناحي الحياة الاجتماعية بهذا المجتمع المحلي، ولعل أهمها الانتقال من التضامن إلى الفردانية، ومدى أهمية تأثير هذا الانتقال على العلاقات الاجتماعية بين الناس داخل هذا المجتمع.

الكلمات المفاتيح: القبيلة، التضامن، الفردانية، التغير الاجتماعي والثقافي

Summary of the study:

The purpose of this article is to analyze the social and cultural structures of the tribe in southern Morocco. Then he monitored the phenomenon of social change that the tribe witnessed as a local community, by highlighting some of the changes that have become known to the aspects of social life in this local community, and perhaps the most important of which is the transition from solidarity to individualism, and the importance of the impact of this transition on social relations between people within this society.

Keywords: tribe, solidarity, individualism, social and cultural change

مقدمة:

نسعى من خلال هذا المقال إلى دراسة وتحليل وفهم البنيات الاجتماعية والثقافية بقبيلة أيت باعمران بالجنوب المغربي، وذلك من زاوية سوسيوانثروبولوجية. كما نهدف من خلاله أيضا، إلى إعطاء لمحة تاريخية موجزة عن هذه القبيلة، قصد تقريب القارئ منها وفهم كل ما يتعلق بجوانب هذا المجتمع المحلي، بشكل محترم.

تعتبر القبيلة في المغرب من أبرز المؤسسات التي حظيت باهتمام الدارسين والباحثين، سواء الأجانب منهم أو المغاربة، وذلك راجع بالأساس إلى عدة نقاط، لعل أبرزها، أنّ القبيلة هي كيان سياسي واجتماعي، له دور في تسيير شؤون المجتمع المحلي ..، وكثيرا ما يوصف المجتمع المغربي في كثير من الدراسات بأنه مجتمع قبلي، وذلك قبل الدولة وحتى أثناء قيام الدولة الحديثة بعد الاستقلال بحر الخمسينيات، ظلت القبيلة قائمة بكل مكوناتها.

وفي هذا الصدد ارتئينا أن نقدم هذه الأخيرة على ضوء ما انتجته مجموعة من الدراسات حول مكون تَشَكَّل من خلاله المجتمع المغربي، وهي القبيلة، لكن هذه المرة انصب اختيارنا على قبيلة بالجنوب المغربي وهي قبيلة أيت باعمران.

وفي هذا الصدد وكما أسلفنا الذكر سابقا سوف نقوم بتحليل بعض من الجوانب الاجتماعية والتاريخية والثقافية لهذه الأخيرة من زاوية سوسولوجية وأخرى أنثروبولوجية، وذلك بغرض وضع إحاطة عامة لهذا المكون من كل الجوانب.

اشكالية الدراسة:

ما مدى تأثير التحولات الاجتماعية المعصرنة على البنيات الاجتماعية بالقبيلة؟ وكيف ساهم هذا التحول من بروز نمط جديد لظاهرة الفردانية والاستغناء عن روح وقيم التضامن الأساسية في مثل هكذا مجتمعات؟.

أهمية الدراسة:

- دراسة البنيات الاجتماعية بالقبيلة في علاقتها بالتغير الاجتماعي
- رصد وتتبع مصار التغير الاجتماعي وأثره على الفرد والأسرة
- المكانة الاجتماعية للمرأة داخل القبيلة في ظل التغيرات الاجتماعية والثقافية

في البداية لابد من وضع تعريف مختصر للقبيلة وفق بعض المعاجم والمصادر حيث نرى في أول تعريف عن ابن منظور ما يلي: يقول ابن منظور في لسان العرب: "ابن الكلبي يرى أنّ الشعب أكبر من القبيلة ثم القبيلة ثم العمارة ثم البطن ثم الفخذ، واشتق الزجّاج القبائل من قبائل الشجرة أي أغصانها، ويقال قبائل من الطير أي أصناف وكل صنف منها قبيلة ... والقبيلة هي الجماعة من الناس يكونون الثلاثة فصاعدا من قوم شتى، كالزنج والروم والعرب. وقد يكونون من نحو واحد وربما كان القبيل من أب واحد كالقبيلة"[127].

يحيلنا هذا التعريف إلى استنتاج عام مفاده، أن القبيلة عند العرب في الأصل تتأسس على مبدأ الجد المشترك. وفي "**الموسوعة العربية الميسرة**"، نجد تعريفا للقبيلة حيث كتب "القبيلة تتكون من مجموعة من الناس يتكلمون لهجة واحدة ويسكنون إقليما واحدا مشتركا يعتبرونه ملكا خاصا بهم"[128].

وفي إطار حديث شامل عن القبيلة يورد "**الهادي الهروي**" ما يلي: "لا أحد يشك في أن جل الدارسين الأجانب سواء الذين ينتمون إلى المدرسة الفرنسية أو المدرسة الأنجلوسكسونية قد ركزوا اهتمامهم على دراسة المجتمع المغربي الحديث لفهم تاريخه وبنياته. ومنه انطلقوا ليسقطوا مفاهيم جاهزة ونتائج بحوثهم على الفترات السابقة من تاريخ المغرب، الشيء الذي أوقعهم في كثير المغالطات والاضطرابات المنهجية والأوهام المعرفية، وقد بدت أبحاثهم بمثابة أنساق مغلقة تدور حول محاور اعتبروها مركزية في تاريخ المجتمع المغربي، مثل القبيلة والمخزن والسيبة والسلطة، والزوايا والزعامات الفردية إلخ... ولا أحد ينكر أيضا أن التركيز على مثل هذه القضايا لم يكن بريئا، بل كان يحمل شحنات إيديولوجية وخلفيات سياسية".[129]

ربما تكون هذه المقدمة بمثابة إعلان صريح عن الغموض الذي كان يلف الدراسات التي أنجزت عن المجتمع في حقبة تاريخية معينة، تلك التي تستهدف بنياته الاجتماعية بالدرجة الأولى كالقبيلة، ولهذا يضيف الهروي لكلامه تسلسل آخر ليوضح مفهوم القبيلة أكثر، حيث قال. "بأن هؤلاء قدموا لنا بالرغم من اختلاف مناهجهم في تفسير الأحداث وفهمها،

---

127 - ابن منظور : لسان العرب: ص 541.
128 - محمد شفيق غربال، مشرف ، الموسوعة العربية الميسرة، بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، المجلد الثاني.
129 - الهادي الهرروي: القبيلة الإقطاع و المخزن مقاربة سوسيولوجية للمجتمع المغربي الحديث 1844-1934، افريقيا الشرق ، الطبعة الأولى، سنة 2010، ص 45.

(تاريخ المغرب، بأنه تاريخ قبائل)"[130] ، منطلقين من فرضية قبلية ونتيجة استقرائية تتجلى في كون، "القبيلة هي الأساس الذي شيد عليه المجتمع المغربي"[131].

وكما سبقت الإشارة، فإن هذا الكلام في شكله العام يحاول أن يلامس عمق الدراسات التي انصبت على المجتمع المغربي، والقبيلة منها على وجه الخصوص، وفي ذات السياق نقرأ عن القبيلة عند ابن خلدون ما يلي ، "أن النسب أمر وهمي ولا حقيقة له"[132]، بل هو ميكانيزم تلجأ إليه القبيلة بطريقة لا شعورية من أجل إعادة صياغة علاقة التعاون والالتحام والاتصال بين أفرادها باعتبارها علاقة طبيعية وقاعدة أساسية للإنسانية، ويقول ابن خلدون في هذا الصدد: "من البين أن الالتحام والاتصال موجود في طباع البشر وإن لم يكونوا أهل نسب واحد، إلا أنها كما قدّمناه أضعف مما يكون بالنسب، وأنه تحصل به العصبية بعضا مما يحصل بالنسب"[133]

أما في قاموس علم الاجتماع حيث ورد فيه عن القبيلة ما يلي: "القبيلة نسق من التنظيم الاجتماعي يتضمن عدة جماعات محلية مثل القرى والعشائر، وتقطن عادة إقليما معينا وتسود بينها ثقافة مشتركة ولغة واحدة وإحساس قوي بالتضامن والوحدة ..، وقد تنقسم القبيلة في بعض الأحيان إلى أجزاء أصغر، خاصة عندما تكون مساحة الإقليم كبيرة بالنسبة لحجم السكان"[134].

أما فيما يتعلق بالجانب السياسي في القبيلة حيث لابد من وجود زعيم تخضع هذه الأخيرة لسلطته وبهذا يقال بأن، "القبيلة تخضع لسلطة الزعيم نفسه، يعيش أعضاؤها في منطقة واحدة، وينتسبون إلى أصل واحد أو جد واحد بعيد، بغض النظر عن كون هذا النسب صحيحا من الزاوية التاريخية أم لا، فالمهم هو الشعور بالانتماء الواحد"[135].

وتبقى القبيلة في مختلف الدراسات والأبحاث المنجزة حولها، بمثابة مفهوم زئبقي إن صح التعبير، إذ أعدت حولها الكثير من الدراسات وتباين في الآراء والاختلافات فيها، وذلك تبعا للمدارس والمناهج الموظفة في مقاربتها لها وفهمها، وسوف نأخذ مدرستين على الشكل التالي:

---

130 - عبد الله العروي: مجمل تاريخ المغرب، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط 1984، ص 89.
131 - الهادي الهروي: مرجع سابق، 45.
132 - عبد الرحمان بن خلدون: المقدمة، الطبعة الأولى، دار القلم، بيروت 1978، ص 129.
133 - عبد الرحمان بن خلدون: نفس المرجع، ص 129.
134 - محمد عاطف غيث: قاموس علم الاجتماع، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1979 (قبيلة Tribu)، ص 490-491.
135 - سامي ذبيان وآخرون: قاموس المصطلحات السياسية الاقتصادية والاجتماعية، الطبعة الأولى، رياض بريس، للكتب والنشر (القبيلة) ، لندن 1990، ص 359.

- **أولا: القبيلة حسب المدرسة الأنثربولوجية:**

حسب الهادي الهروي، "لم يتوصل الأنثربولوجيون إلى الاتفاق حول تعريف محدود وعام للقبيلة، وبالرغم من ذلك، فإن دراستهم تتداول ثلاثة مفاهيم أساسية حول القبيلة، فهي أداة للدلالة على التجمعات السكانية المنتشرة في بقعة جغرافية خلال فترة ما قبل المرحلة الاستعمارية، وهي أيضا كيان ذو هوية ثقافية يتداول لغة محددة ونظاما من الرموز و المعاني".[136]

وبهذا تكون المدرسة الأنثربولوجية قد حاولت قدر المستطاع تحديد تعريف للقبيلة ولو بشكل قد يقرب هذه الظاهرة الاجتماعية/الثقافية من تعريف يحدد جوهرها بدقة.

- **ثانيا: القبيلة حسب المدرسة الماركسية:**

إن التحليل المادي التاريخي لمفهوم القبيلة يرتكز على مفاهيم مادية مرتبطة بنمط الإنتاج وملكية وسائل الإنتاج وما يترتب عن ذلك من علاقات إنتاج و تراتبات اجتماعية. "فالقبيلة، كوحدة اقتصادية أساسية بالنسبة للبشر في فترة تاريخية معينة، تندرج في إطار البناء التحتي للمجتمع، وهي بذلك تعتبر المحرك الأساسي لتاريخ الإنسان وصيرورته وتطوره وتجاوز أزماته الاقتصادية أو المادية في فترة زمنية معينة".[137]

إن اعتمادنا على هاتين المدرستين، لم يأتي من فراغ بل هو نتاج لما قدمته هاتين الأخيرتين للقبيلة من ناحية الدراسات والأبحاث، فالمدرسة الماركسية تعتبر القبيلة كما سبقت الإشارة كوحدة اجتماعية/اقتصادية، يتم تحديدها من خلال نمط العيش ووسائل الإنتاج، وبالنسبة للمدرسة الأنثربولوجية رغم كل ما تقدمت به، إلا أنها لم تحدد سلفا مفهوم واحد بمقدور الجميع الاتفاق عليه، لكن بالرغم من ذلك حددت بعد الموصفات التي يمكن من خلالها تحديد ما هي القبيلة.

وفي هذا الإطار سوف نحاول رصد مجموعة من الإسهامات ذات الاتجاه السوسيولوجي التي تقدم بها مجموعة من الدارسين والباحثين الذين ساهموا بدراسات وأبحاث كثيرة عن واقع القبيلة بالمغرب، محاولين أيضا وضع كل دراسة في سياقها المعرفي، وسوف نذكر إسهام كل منهم على الشكل التالي:

- **ثالثا: القبيلة في الإرث السوسيولوجي:**

---

[136] - الهادي الهروي : مرجع سابق ، ص 49.
[137] - الهادي الهروي : مرجع نفسه ، ص 51.

سنحاول قدر المستطاع في هذا الجانب تسليط الضوء على القبيلة في الإرث السوسيولوجي، وسنتوقف عند مجموعة من الباحثين الذين تناولوا القبيلة في المجتمع المغربي في فترات تاريخية معينة، مستعرضين بذلك إسهامات كل واحد منهم، بالإضافة إلى التطرق أيضا لبعض التعقيبات المضادة حول هذه الدراسة عن مفهوم القبيلة.

يعتبر **دوتي** من الدارسين الذين تقدموا إلى المغرب قصد الاستكشاف والدراسة، وقدم مؤلفا بعنوان "**القبيلة**"، فهذا المؤلف يحظى بأهمية كبيرة في مقارنته بالأبحاث التي قدمها دوتي، وفي هذا المؤلف نجد صاحبه يتناول، "الجوانب البيولوجية للأصل القبلي والمحيط الجغرافي والحياة الاجتماعية داخل القبيلة، والأساطير المتداولة والطقوس الدينية، والتنظيمات السياسية".[138]

أما بالنسبة ل **ميشو بلير**، نجده يضع مجموعة من التصورات الجاهزة حول المجتمع المغربي عامة والقبيلة بصفة خاصة، مبنية على أحكام مسبقة وقوالب جاهزة وخلفية إيديولوجية جعلته ينظر إلى المجتمع المغربي من زاوية تقوم على منطق ثنائي متعارض :

العام = النظام والانتظام والانضباط، العدالة والانسجام = المخزن .

الخاص = العنف والانشقاق والتنافر والسخط = السيبة.

"و لا غرابة أن يقوم تصوره حول المغرب على هذا النوع من المنطق، لأن ذلك كان بمثابة قاعدة عامة تحكم تصورات مهندسي الحماية الفرنسية على المغرب. ويمكن أن نظيف لهذا التصور الذي يقدمه هذا الأخير عن المجتمع المغربي تصوره الخاص حول القبيلة في علاقتها بالمخزن، فهي عند ميشو بلير تعترف بسلطته الدينية وسيادته الروحية دون أن تعترف كليا بسلطته السياسية وبجهاز السلطان الإداري"[139].

ترتكز دراسات **كيلنر** حول القبيلة على مسألة النسب بالدرجة الأولى، ويتضح هذا من خلال دراسته لقبائل الأطلس من أولية أساسية حكمت توجهه النظري العام وأيضا المنهجي، "فالمجتمعات القبلية البربرية في الأطلس، ذات نسب أبوي تنعكس أبعاده وعلاقاته القرابية على المجال الجغرافي بحيث نجد أن لكل قبيلة مجالها المحدد"[140].

---

[138] - الهادي الهروي: مرجع نفسه ، ص 54.
[139] - الهادي الهروي: مرجع نفسه ، ص 56.
[140] - الهادي الهروي: مرجع نفسه، ص، 57.

وزيادة على النسب الأبوي كتحديد أولي للقبيلة، نجد **كيلنر** يولي اهتماما خاصا بالمجال الجغرافي، باعتباره نوع من المقومات التي ترتكز عليه القبيلة، ومن خلاله يمكن تعريفها.

يعترف **روبير مونطاني** بصعوبة تحديد مفهوم القبيلة، وبالرغم من هذا الاعتراف فإنها في تصوره: "مجموعة من المناطق (المواضع)، يتراوح عددها ما بين ثلاثة وإثنى عشر، وتملك بقعة محددة واسما خاصا، وبعض العادات الجماعية المشتركة، وتفتقر في الوقت نفسه إلى كل مؤسسة سياسية مضبوطة ودقيقة، وبالأخص في ناحية الأطلس الكبير المركزي البعيدة عن جاذبية المخزن"[141] .

يبقى هذا المفهوم حسب **روبير مونطاني** تعريفا نوعيا بخصوص القبيلة في الأطلس الكبير، ويعود مستدركا الحديث بقوله، "غير أن المفهوم المستعمل عادة في جنوب المغرب (سوس) هو "تاقبيلت"".

وفي سياق متصل يجعل **روبير مونطاني** العائلة (الإخس) من العوامل الأساسية في الحياة القبلية لبربر الأطلس الكبير والجنوب المغربي، والإخس هو جمع إخسان (العظام) (العائلات) تشكل قرية أو دوارا ويظم ما بين عشرين وثلاثين كانونا.

وهذه الجزئيات حسب **روبير مونطاني** هي التي تتوسع وتشكل عائلة كبيرة فيما بعد، ويمكننا أن نستنتج أن العائلة والأعداد الكبيرة لـ "لكوانين" داخل وحدة سكنية ما تعزز من نفوذ القبيلة وتجعل منها قبيلة ذات نفوذ واسعة وقوية.

يتميز **جاك بيرك**، حسب الهادي الهروي بتناوله الخاص للقبيلة والنظام القبلي، حيث يعطي أهمية بالغة للعنصر الإيكولوجي دون إغفال العناصر الأخرى كالعادات والأعراف والتقاليد والاقتصاد والجغرافيا وأيضا التاريخ.

ويؤكد **جاك بيرك** منذ البداية في "***ما هي القبيلة بشمال إفريقيا***"، "على ضرورة كتابة تاريخ هذه الأخيرة، حيث لا نجد أي عمل مماثل باستثناء أعمال ابن خلدون. ويشك هو بنفسه في مجموعة من التفسيرات التي تعتمد على السلالة الواحدة والأصل المشترك. ونبنى تصوره هذا وفق واقع الاختلاط والانصهار ضمن الوسط الجغرافي، ويعود الأمر هنا بالنسبة لشمال إفريقيا (سكساوة)، معلنا تواجد أصول كثيرة متفرعة في كل المناطق بحيث نجد كل أسماء القبائل أينما كنا في المغرب الكبير المعاصر. ناهيك عن الظواهر المتعددة التي تصيب القبيلة ك الهجرة القوية والاندثار، والأحداث المتشابكة، كلها

141 -Robert Montagne : Les Berbéres et le Makhzen dans le sud du Maroc . Ed. F. Alcon . Paris , 1930 , p 159.

عوائق تقف أمام إعطاء للقبيلة تعريف موجز عند بيرك، وأمام هذا التصور، برز عند بيرك بخصوص قبائل سكساوة، انعدام وجود نسق قبلي قائم بذاته بل هناك تطابق بين المستوى الطبيعي والبنية الاجتماعية".

لكن في النهاية، وبالرغم من هذه الدراسات التي حاولت قدر المستطاع تسليط الضوء على القبيلة، تبقى هي الأخيرة بمثابة ظاهرة اجتماعية تتميز بخصائصها الفريدة، ويحددها كل على حدا، فتارة هناك من يعتبر الجانب الجغرافي مهم، وهناك من يعتبر الأرض ومساحته هي التي يمكن أن تحدد لنا القبيلة، وطورا هناك من يعتبرها عددا كبيرا من السكان أي وحدة سكنية كبيرة...، وبالرغم من كل هذه التحديدات تبقى القبيلة هي وحدة سكانية تسهر على تنظيم شؤونها الداخلية و الخارجية.

وفي علاقتنا دائما بالقبيلة حيث نقرأ عند **العروي**، منذ البداية أنه يشتغل على "النظريات التي قدمت تحليلا لعلاقات القوة بين المخزن و النخب المحلية، والتي ناقشت "السيبة"، ودرجة الوعي بالهوية المحلية، بغض النظر عن التفكير الخلدوني ومفهوم القبيلة في شكلها الهلالي، وعمقها الجينيالوجي الذي شكل أساسا نقديا لدراسات الكولونياليين".

فمن الترابط/ التعارض بين الأدبين الكولونيالي والتراثي ينطلق **العروي** لسبر مفهوم القبيلة من خلال، "تنصيب" لقواعد السلطة المنافسة للمخزن، ومنه يخلص إلى سؤال مفصلي حول الشروط العامة التي تظهر فيها مؤسسة تسمى "القبيلة" بشكل متواتر داخل المجتمع، حيث يعمد **العروي** "إلى محاولة تجاوز المصادر التاريخية الوطنية والدراسات الكولونيالية في الوقت نفسه، ومن جهة ثانية يريد وضع مفهوم القبيلة في إطاره التاريخي بعيدا عن الاستعمالات الإيديولوجية"[142] . وبالتالي ستصبح هنا القبيلة، "موضوعا للتفسير وليس منطلقا لتفسير سيرورة تاريخية معينة"[143].

فالعروي يريد بهذا القول أن يتجاوز فكرتين شائعتين عن القبيلة: "**الأولى** مفادها أن للقبائل المغربية الأصول الجينيالوجية نفسها، والفكرة **الثانية** مفادها أنّ للقبيلة بعد اثني يتمثل في العمق الأمازيغي".

فالحديث عن القبيلة هو، "بالضرورة حديث عن شأن وضع لم يسبق له أن توقف عن التطور، تم شرحه بنظريات متحولة"، حيث يعترف العروي بأن أطروحة "**مونطان**" هي الأطروحة الوحيدة التي اقترحتها الإثنولوجيا طيلة فترة

[142] - عبد الكبير الخطيبي: النقد المزدوج، مطابع عكاظ، 1990، ص 13
[143] - المختار الهراس: الدورة العصبية، قراءة في التحليل الخلدوني للمجتمع المغاربي، مجلة المستقبل العربي، ص 63.

الاستعمار، إذ تؤسس لنظرية تفسر بشكل عام المجتمع الشمال إفريقي، بما تحمله من أيديولوجيا منظمة لجغرافية المؤسسات.

وفي سياق متصل تحدث **محمد نجيب بوطالب** عن القبيلة كالآتي: "أدى اختلاف سياقات التناول لدى الدارسين في العلوم الإنسانية والاجتماعية إلى اختلاف في تحديد مفهوم القبيلة، هذا المفهوم على اتساع استخدامه، فإنه لا يحظى بالاتفاق على الدلالة والمعنى نفسيهما. فكثيرا ما يحدث الخلط بين القبيلة (Tribu) و الاثنية (Ethnie). كما يحصل الخلط أحيانا بين الوحدات الاجتماعية المدروسة بما يساوي بينها، على رغم اختلاف حجمها وأسس بنائها ووظائفها. لقد أدى هذا الخلط إلى تسرب مفهوم القبيلة اليوم إلى الخطاب الإعلامي والسياسي ليدل على أية مجموعة منغلقة وخصوصا إذا كانت دينية أو حرفية أو طائفية"[144] .

لا يخرج هذا الكلام عن سابقه بحجة اعتماده على مسألة النسب الأبوي في تحديد القبيلة ومكوناتها، حيث يقوم هذا الأخير عادة على أنّ، "اعتقاد المجموعات القبلية في انتمائها إلى جد أعلى مشترك، انتماء يميزها من مجموعات أخرى مماثلة ويفصلها عنها، بحيث تكون العلاقات بين الطرفين علاقات تعارض وتنافس وصراع".[145]

ويعتبر ***شيلود*** (***Chelhod***)، أن ***النويري*** هو الذي قدم لنا مورفولوجية القبيلة حينما وضع تصنيفا دقيقا تندرج فيه عبر تشكلها المستمر. ومن خلال التصنيفات المعتمدة في اللغات الأجنبية يمكن الخروج بالمقابلة التالية:

1- الجذم: Race 2- الجمهور: Ehtnie 3- الشعب: Peuple 4- القبيلة: Tribu

5- العمارة: Fraction 6- البطن: Sous-fraction 7 - الفخذ: Segment

8- العشيرة: Clan 9 - الفصيلة: Lignage 10 - الرهط: Famille

---

[144] - محمد نجيب بوطالب: سوسيولوجية القبيلة في المغرب العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، يونيو 2002، ص 53.

[145] - محمد عابد الجابري: العقل السياسي العربي، محدداته وتجلياته، نقد العقل العربي، الدار البيضاء ، المركز الثقافي العربي، 1990، ص 73.

أما على مستوى حجم الوحدات القرابية تحالفا أو انقساما فتوجد مجموعة مصطلحات تعبر عن ذلك. ***فرحمة بورقية*** ترى أن هناك فرقا كبيرا بين، "***التجمع القبلي***" و "***التحالف القبلي***" و "***الاتحاد القبلي***". "وهذا المصطلح الأخير هو الذي استخدمته المدرسة الأنثربولوجية على نطاق واسع، وكذا السوسيولوجيا الكولونيالية. أما التجمع القبلي فهو الذي يضم مجموعة قبائل تكون فروعا في الإتحاد القبلي".[146]

وفي **قاموس علم الاجتماع**، تم تحديد ثلاثة مفاهيم للقبيلة، وهي على الشكل التالي:

- " هي نسق التنظيم الاجتماعي يتضمن عدة جماعات محلية، مثل القرى والبدنات والعشائر، وتقطن القبيلة عادة إقليما معينا ويكتنفها شعورا قوي بالتضامن والوحدة يستند إلى مجموعة من العواطف الأولية.
- هي تجمع كبير أو صغير من الناس يستغلون إقليما معينا ويتحدثون اللغة نفسها وتجمعهم علاقات اجتماعية خاصة متجانسة ثقافيا.
- هي وحدة متماسكة اجتماعيا ترتبط بإقليم، وتعتبر في نظر أعضائها ذات استقلالية سياسية ".[147]

أما تعريف **معجم علم الاجتماع** فإنه يطابق بين مفهومي، "القبيلة والإثنية وينفي البعد القرابي، فهو تعريف يعتمد نموذج القبيلة الأفريقية أساسا لوضع تحديد لمفهوم القبيلة"[148].

ويضيف **نجيب بوطالب**، أن القبيلة، "تنقسم في داخلها إلى نوع من الانشطار، يعني نظام التشريح القبلي، تشريح القبيلة إلى جماعتين متكاملتين. كان استعماله الأول يعني النظام القرابي الثنائي (أي جميع أقارب الأب وأقارب الأم)، وقد استعملته الكتابات الفرنسية بكثرة خصوصا دوركهايم وموس في محاولتهما تصنيف المجتمعات البدائية، كما استعمله العالم الاجتماعي الانجليزي رادكليف براون في دراسته لقبائل استراليا الغربية، بالإضافة إلى العالم الأمريكي غيفورد"[149].

أما بالنسبة لمفهوم القبيلة **عند ابن خلدون**، فنجد أنها لا "تتحدد بكونها جماعة متفرعة عن جد أول، كما لا تتحدد فقط بما يجمع بين أعضائها من روابط الدم، كما حدد ذلك الأنثربولوجيون الكلاسيكيون. إنّ النسب في معناه الضيق لا يعدو

---

146 - رحمة بورقية: الدولة والسلطة والمجتمع، دراسة في الثابت و المتحول في علاقة الدولة بالقبائل في المغرب، دار الطليعة ببيروت، سنة 1991.
147 - محمد عاطف غيث: محرر قاموس علم الاجتماع ، مصر ، دار المعرفة الجامعية، 1990.
148 - دينكن ميتشيل: محرر معجم علم الاجتماع، ترجمة ومراجعة، إحسان محمد الحسن ، الطبعة الثانية، بيروت ، دار الطليعة، ص 247
149 - محمد نجيب بوطالب: مرجع سابق، ص 54.

أن يكون معطى وهميا لا يصمد أمام واقع الاختلاط وعلاقات الجوار والتعايش في المكان. أما الإطار الحقيقي للقبيلة عند ابن خلدون فهو النسب في معناه الواسع والرمزي"[150].

وبالنسبة لما يمثله النسب من أشكال التحالف والولاء والانتماء. فابن خلدون يؤكد دور المكان، أي الأرض، الذي يشكل محور التحام الجماعة. ومما يذكي الإحساس بالانصهار ضمن الجماعة القبلية ويعزز تلاحمها الداخلي، الخطر الخارجي الذي قد يهدد استمرار وجودها، سواء كان ناجما عن عصبية زاحفة من خارجها أو عن تدخل سلطة مركزية. كما أن علاقات القرابة والتحالف الموجودة بين أعضاء القبيلة الواحدة تؤدي إلى إقامة الفوارق بين المجموعات القبلية، التي كثيرا ما تتسبب في عمليات التنافس الحاد والصراع على الموارد ومصادر العيش. وهذا ما يدفع إلى إضفاء طابع الصراع الدائم والمستمر على المجتمع القبلي.

يحيلنا كلام ابن خلدون هذا على مجموعة من الشروط التي من خلالها تتأسس القبيلة كالنسب، والعلاقات الخارجية، والصراع الدائر بين القبائل، خصوصا على المحاصيل، كل هذا يزيد من تقوية القبيلة، ويزيد أيضا من تحالفاتها القوية قصد ضمان استمرارها الدائم.

وبالرغم من كل ما تم عرضه إلى الآن وتركيز كل هؤلاء على بعض النقط الأساسية التي كانت تخص القبيلة، إلاّ أننا لم نعثر على نقطة انطلاق الدراسة والتي تشمل قيم التضامن، اللهم إذا استثنينا ابن خلدون الذي تناول النسب باعتباره محدد رئيسي يساهم هو الآخر في نشوء وبروز هذه القيم. لكن اليوم تغيرت معالم الأفق واتعست دوائر التحولات الاجتماعية بالمجتمعات المحلية، ناهيك عن تدخل الدولة عن طريق بناء مراكز صحية وتعليمية وذلك من أجل ضبط المجالات القروية البعيدة عن المركز دوما وذلك من خلال مجموعة من الآليات التي تقوم بهذا العمل.

إنّ القيم الاجتماعية المستمدة من العرف والدين والثقافة كان لها دور كبير في الالتحام الذي شهدته قبائل الجنوب المغربي على وجه التحديد وباقي قبائل المغرب عموما، حيث أنّ هذه القيم هي الضامن الرئيسي لاستمرارية القبيلة بكل فروعها، وإذا كان ابن خلدون يؤكد على مسألة النسب، فنحن نضيف لهذه المسألة أيضا القيم الاجتماعية المستمدة من العرف بالدرجة الأولى.

[150] - أبوزيد عبد الرحمن بن محمد بن خلدون: المقدمة ، بيروت دار الكتاب ، إحياء التراث العربي، ص 131. فصل النسب الخاص و النسب العام

عموما، إن التحولات الاجتماعية ساهمت بشكل كبير في تغيير من هذه القيم، ولعل أبرز ما أنتجته هذه التحولات يمكن ملامسته في الانتقال من الأسرة الممتدة إلى الأسرة النووية بالمجال القبلي المدروس، ولعل هذا الانتقال أفرز مجموعة من المتغيرات الأخرى تلك التي أدّت إلى اندثار مجموعة من القيم.

لقد ضلت القبيلة إلى وقت غير بعيد متماسكة ومترابطة في شتى المجالات، ولها أيضا قوانين خاصة بها تطبق على كل من سولت له نفسه الخروج عن هذا المكون..، لكن مع توالي الأيام ورياح التغير الاجتماعي تلوح في الأفق، أصبحت القبيلة أمام هذا التحول هشة إن صح التعبير، زيادة على ذلك العوامل الطبيعية التي لم تسلم منها هي الأخيرة، فتوالي سنوات الجفاف والهجرة القروية وتدخل الدولة في شؤون القبيلة ككل، ساهمت هي الأخيرة في تقليص مهام هذا الكيان الاجتماعي.

إن هذا التقليص الممنهج في حق مكون اجتماعي له تاريخ طويل أدى في نهاية المطاف إلى فقدانه لمجموعة من النقط الرئيسية التي كانت محورها، ونقصد هنا بالدرجة الأولى قيم التضامن التي لم تعد حاضرة بالشكل المعهود، اللهم إذا استثنينا بعض المناسبات الاجتماعية التي تظهر فيها على شكل زيارات ولقاءات موسمية ..، لتحل محلها ظاهرة الفردانية التي سادت في كل أرجاء المجتمع بدءا من الأسرة إلى العلاقات الاجتماعية والأفراد.

لقد تغيرت معالم القبيلة التي تأسست عنها منذ البداية حتى أصبح اليوم من الصعب جدا تحديد حتى الحدود الجغرافية للقبيلة ناهيك عن مجمل القيم الاجتماعية التي تأسست عنها والتي اندثرت بشكل مباشر ولم يعد لها أي وجود، وكل هذا بفعل التحولات الاجتماعية التي شهدتها المجتمعات وتدخل الدولة لفرض سلطتها ورقابتها على هذه المجتمعات المحلية نتيجة الأدوار التاريخية التي كانت تقوم بها سابقا، والآن ومع قيام الدولة الحدية أًصبح من الضروري التخلص من هكذا مجتمعات وكل ما يتعلق بها وليكن هناك مجتمع واحد منهصر في ثقافة اجتماعية واحدة، وأدت هذه الفرضية إلى ظهور عوامل اجتماعية أكثر من الفردانية نفسها في مجتمعات تأسست على قيم التضامن والتلاحم.

لائحة المصادروالمراجع بالعربية والفرنسية

- ابن منظور: لسان العرب
- أبوزيد عبد الرحمن بن محمد بن خلدون: المقدمة ، بيروت دار الكتاب ، إحياء التراث العربي،فصل النسب الخاص و النسب العام.
- الهادي الهرروي: القبيلة الإقطاع و المخزن مقاربة سوسيولوجية للمجتمع المغربي الحديث 1844-1934، افريقيا الشرق ، الطبعة الأولى، سنة 2010.
- العروي عبد الله: مجمل تاريخ المغرب، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط 1984.

- المختار الهراس: الدورة العصبية، قراءة في التحليل الخلدوني للمجتمع المغاربي، مجلة المستقبل العربي.
- الخطيبي عبد الكبير: النقد المزدوج، مطابع عكاظ، 1990.
- الجابري محمد عابد: العقل السياسي العربي، محدداته وتجلياته، نقد العقل العربي، الدار البيضاء ، المركز الثقافي العربي، 1990.
- بن خلدون عبد الرحمان: المقدمة، الطبعة الأولى، دار القلم، بيروت 1978.
- بوطالب محمد نجيب: سوسيولوجية القبيلة في المغرب العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، يونيو 2002.
- بورقية رحمة: الدولة والسلطة والمجتمع، دراسة في الثابت و المتحول في علاقة الدولة بالقبائل في المغرب، دار الطليعة بيروت، سنة 1991.
- غيث عاطف محمد: قاموس علم الاجتماع، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1979 (قبيلة Tribu).
- غيث عاطف محمد: محرر قاموس علم الاجتماع ، مصر، دار المعرفة الجامعية، 1990.
- غربال محمد شفيق: مشرف ، الموسوعة العربية الميسرة، بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، المجلد الثاني.
- ذبيان سامي وآخرون: قاموس المصطلحات السياسية الاقتصادية والاجتماعية، الطبعة الأولى، رياض بريس، للكتب والنشر (القبيلة) ، لندن 1990.
- دينكن ميتشيل: محرر معجم علم الاجتماع، ترجمة ومراجعة، إحسان محمد الحسن ، الطبعة الثانية، بيروت ، دار الطليعة.
- Robert Montagne : Les Berbéres et le Makhzen dans le sud du Maroc . Ed. F. Alcon . Paris , 1930 , p 159.

التين بمجال جنوب الريف الأوسط وجنوب الريف الغربي، إمكانيات التثمين ومحدودية اليات التسويق

Figs in the south of the central Rif and the south of the western Rif: valorization possibilities and limited marketing mechanisms

د. منصف الغنيوي[151] /جامعة سيدي محمد بن عبد الله/المغرب

Dr Monssif Ghanioui/University of sidi Mohammed ben Abdellah/Morocco

ملخص

رغم الإكراهات التي يعاني منها قطاع التين بمجال جنوب الريف الأوسط ومجال جنوب الريف الغربي، فإنه في المقابل يوفر إمكانيات مهمة لتثمين هذه السلسة Filière Figuier ، في إطار تضامني من مرحلة الإنتاج حتى التسويق، الذي يتيح خلق فرص مهمة للتشغيل والاستثمار داخل المجال فهو يساهم بأكثر من 20% من الدخل الفلاحي خلال السنوات الجيدة . كما يحتل المرتبة الأولى من حيث الإنتاج على المستوى الوطني بمعدل 30000 طن، أي بنسبة 33% من مجموع الإنتاج الوطني الذي يقدر ب 90000 طن. إن مسألة تثمين سلسلة التين بالمجال بقدر ما هي ماضية في إعادة الهيكلة والتنظيم بهذه الخطى البطيئة، تُفوِت على هذا المجال الهامشي وساكنته، إمكانيات مهمة لتنمية الاقتصاد المحلي، وذلك نتيجة عدم مسايرتها سرعة التحولات الاقتصادية والتنافسية داخل الدول والأقطار المنافسة للمنتوج المحلي على غزو الأسواق الدولية. ومن جهة أخرى، يجب تصحيح ثقافة السكان المحليين اتجاه هاته السلسلة، وذلك من خلال فهم قيمتها واستيعابها ومحاولة رد الاعتبار للمنتوجات المحلية، بالإضافة إلى العمل على رصد وإبداع طرق واستراتيجيات محكمة ودقيقة لتثمين وتسويق التين بالمجال.

الكلمات المفاتيح :الأشجار المثمرة ، سلسلة التين، التثمين ، التسويق ، جنوب الريف الأوسط وجنوب الريف الغربي

Abstract

Despite the compulsions suffered by the fig sector the south of the central Rif and the south of the western Rif, on the other hand, it provides important possibilities for: valorization , in a solidarity framework from the production stage to marketing, which allows creating important opportunities for employment and investment within the field, it contributes more than 20% of the agricultural income during the good years . It also ranks first in terms of production at the national level with an average of 30,000 tons, which is 33% of the total national production estimated at 90,000 tons. The issue of valorization the fig chain in the field, insofar as it is undergoing restructuring and organization at such a slow pace, misses important possibilities for the development of the local economy on this marginal field and its inhabitants, as a result of not keeping pace with the speed of economic and competitive transformations within countries and countries competing for the local product to conquer international markets. On the other hand, the culture of the local population must be corrected in the direction of this chain, by understanding its value, absorbing it and trying to restore consideration to local products, in addition to working on monitoring and creating accurate methods and strategies for the valorization and marketing of figs in the field.

Keywords: fruit trees, the chain of fig trees, valorization, marketing, the south of the central Rif and the south of the western Rif

[151]– باحث في الجغرافيا البشرية.

مقدمة

يتوفر مجال جنوب الريف الأوسط وجنوب الريف الغربي على إمكانيات مهمة لتثمين المنتوجات المحلية ذات الخصوصية، نذكر هنا على الخصوص (التين)، التي أصبحت مطلبا أساسيا لتحقيق تنمية مستدامة بهذه المجالات الهشة، ورهانا للتسويق الترابي والرفع من تنافسية المجال الريفي. لذلك نعتبر أن الطابع المحلي، سواء فيما يتعلق بالزراعة أو غيرها من الأنشطة، يعد مكسبا وجب تعزيزه وتثمينه، لما ينطوي عليه من أبعاد تنموية مستدامة تصب في خانة المنتوجات المحلية ذات الخصوصية، والتي تمثل بدائل رؤوفة بالبيئة، وذات قيمة مضافة عالية ومدرة للدخل، ولا تحتاج إلى رساميل واستثمارات كبيرة. وتظل هذه المنتوجات في عمومها مرتبطة بالإمكانيات التي ينفرد بها هذا المجال.

إن إنتاج وتسويق التين بمجال جنوب الريف الأوسط وجنوب الريف الغربي، يشهد تطورا مهما، ورغم ذلك يجب تكثيف الجهود لتحسين انتاجهما والرفع من جودتهما، عبر الزيادة من المساحة المزروعة واعتماد تقنيات حديثة تسمح بزيادة المردودية، وتشجيع المؤسسات المستثمرة في هذا القطاع، وذلك لمواكبة المنافسة في السوق الداخلية والخارجية، إن معظم منتوج التين بالمجال يتم تسويقه عبر الأسواق المحلية والأسبوعية، في غياب شبه تام للمنافسة الوطنية، وهذا لن يتم إلا عبر تثمين المنتوج من خلال تجميع وتنظيم المنتجين وهيكلة السلسلة بكاملها(من الإنتاج إلى التوزيع) وذلك لتتكيف مع الأسواق الوطنية والدولية. إن الإنتاج والتسويق الفردي للتين بالمجال، لن يسمح بخلق منتوج ذا جودة قوية، له القدرة على اقتحام الأسواق الوطنية والدولية، ومواجهة المنافسة القوية للسوق الدولية، في هذا الصدد، دفعنا التفكير إلى النظر في عمق الاختلال الحاصل، والبحث عن تدخلات مناسبة للانطلاق من إشكال رئيسي ألا وهو: كيف يمكن تثمين سلسة إنتاج التين بمجال جنوب الريف الأوسط وجنوب الريف الغربي في ظل الاكراهات السالفة الذكر قصد تنمية هذا الأخير؟.

I. تثمين التين جنوب الريف الأوسط و جنوب الريف الغربي: ركيزة للتسويق الترابي ورهان للرفع من تنافسية المجال

1. موقع جغرافي متميز ساعد على انتشار غراسة التين

ينتمي مجال الدراسة إلى جنوب الريف الأوسط وجنوب الريف الغربي ويتشكل من إقليم تاونات، الذي يمتد جنوب الريف الأوسط، أي على الجزء الأكبر من الجبال المنخفضة للريف التي تستوطنها ساكنة اجبالة وعلى الجزء الأكبر من مقدمة الريف التي تستوطنها قبائل هي في الأصل قبائل كَيشية في معظمها (الحياينة وشراكَة).[152] ويضم جنوب الريف الغربي ثلاث جماعات تابعة لقيادة تروال وقيادة المجاعرة (عين درجي) إقليم وزان، وتعتبر هذه المنطقة منطقة ذات استقرار قديم، تميزت بممارسة الفلاحة وغراسة شجر التين ، لكونه يعيش داخل الأوساط المناخية المتوسطية التي ينتمي إليها، كما أنها تعرف اعتدالا في الحرارة خلال فصل الشتاء، وحرارة مرتفعة في فصل الصيف. ويلعب هذا النوع من المناخ (المتوسطي) دورا أساسيا في تطور زراعة أشجار التين، لاسيما في المنطقة الشمالية ، والتي يندرج ضمنها مجالنا هذا. وقد شكلت هاته الشجرة في الآونة الأخيرة أهمية اقتصادية لدى سكان الريف، حيث شهدت توسعا زراعيا كبيرا وتطورا مهما في ظل ارتفاع ثمنها وتزايد الطلب عليها .

- [152]- حسن ضايض (2005) ، المجال والمجتمع جنوب الريف الأوسط. أطروحة لنيل دكتورة الدولة، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سايس ـ فاس، ص 06

شكل 1: موقع المجال المدروس ضمن التراب الوطني والجهوي والإقليمي

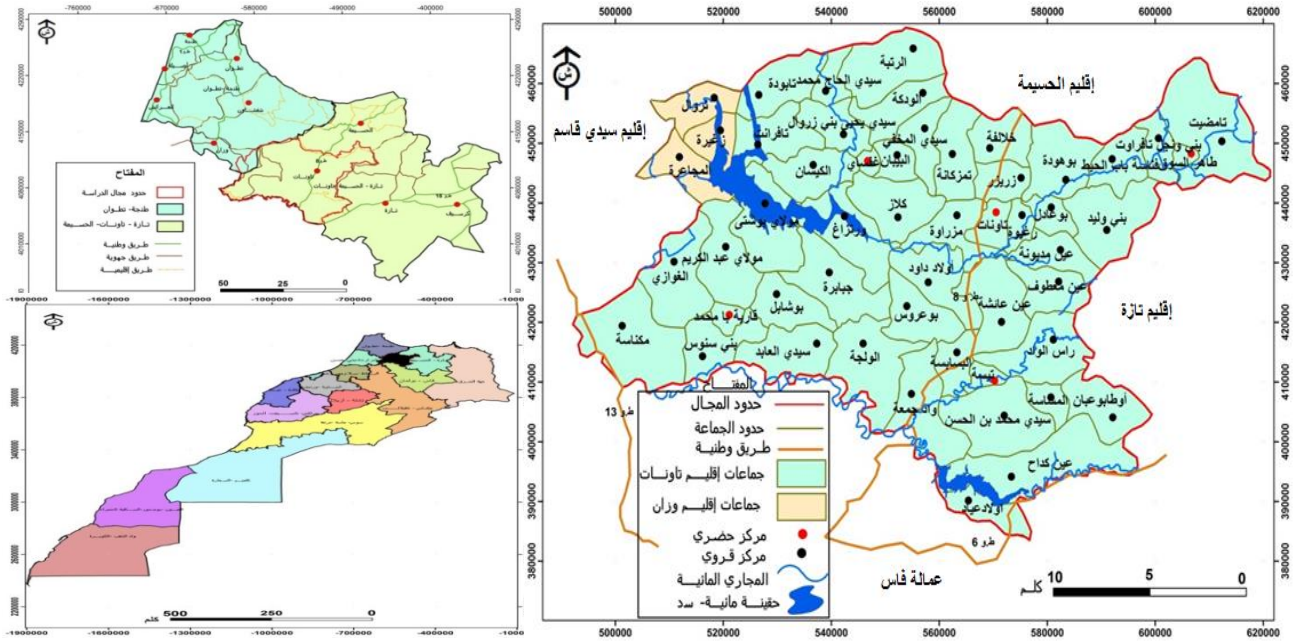

المصدر: منصف الغنيوي،2016، تحليل الخرائط

الطبوغرافية، تاونات وغفساي والقرية وتيسة ووزان، k 50

2. أهمية شجرة التين بمجال جنوب الريف الأوسط وجنوب الريف الغربي

يعتبر مجال جنوب الريف الأوسط وجنوب الريف الغربي من بين أهم المجالات الجغرافية المنتجة للتين على المستوى الوطني بمساحة مهمة تقدر ب 23820هكتار منها 21000 هكتار منتجة، أي بنسبة 45.7% من مجموع المساحة الوطنية،

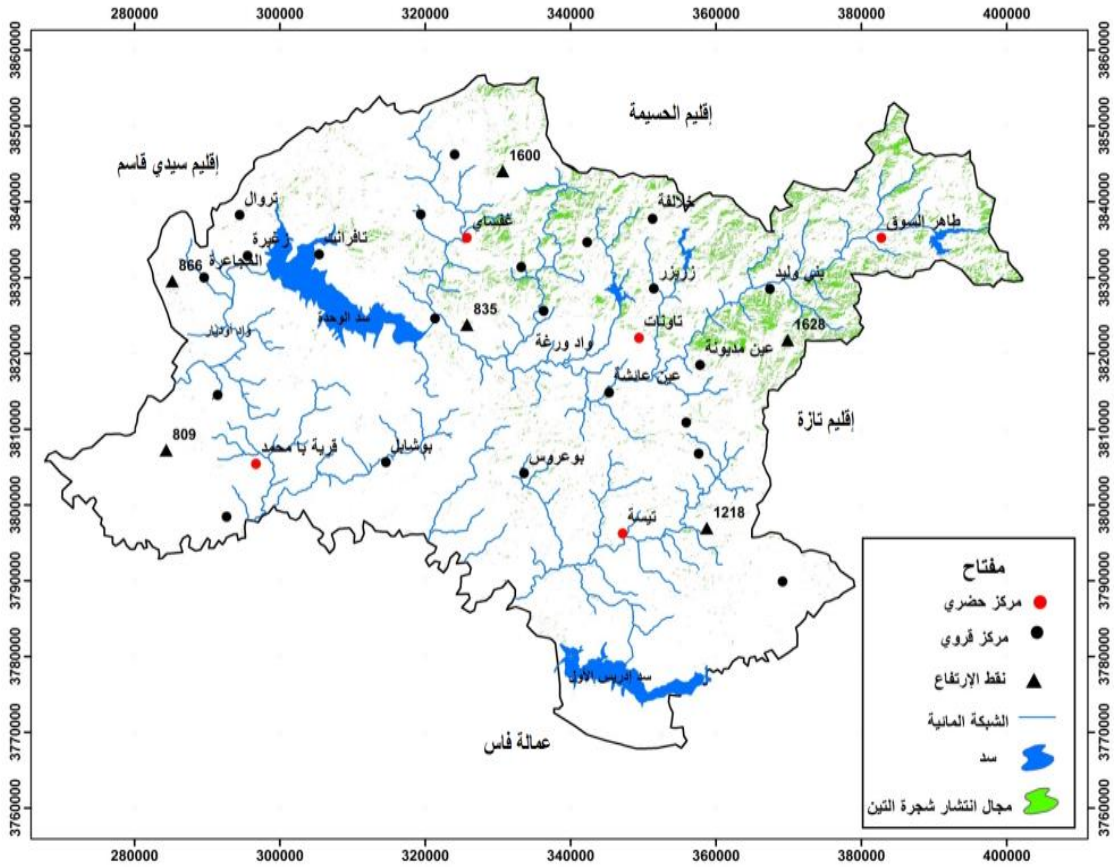

و 14% من مساحة الأشجار المثمرة بالمجال، و5 % من المساحة الإجمالية بالمجال و2.2 % من تراث المغروسات الوطنية[153] . ويحتل هذا المجال المرتبة الأولى في إنتاج التين على المستوى الوطني بمعدل 30000 طن، أي بنسبة 33% من مجموع الإنتاج الوطني الذي يقدر ب 90000 طن ، ويمتد مجال انتشارها على طول الشريط الممتد من طهر السوق شمال جنوب الريف الأوسط في اتجاه مجال جنوب الريف الغربي(وزان).

شكل2 : خريطة توزيع شجرة التين بالمجال سنة(2023)انطلاقا من صور الأقمار الاصطناعية لندسات 8

المصدر: منصف الغنيوي،2017، تحليل صور الأقمار الاصطناعية

3. طرق تثمين الفلاح المحلي لمنتوج التين بالمجال

يشكل استمرار الأنماط التقليدية في الإنتاج والتثمين والتسويق، عائقا أمام تطور سلسلة إنتاج[154] التين جنوب الريف الأوسط وجنوب الريف الغربي.

شكل3 : طرق تثمين الفلاح المحلي لمنتوج التين بالمجال

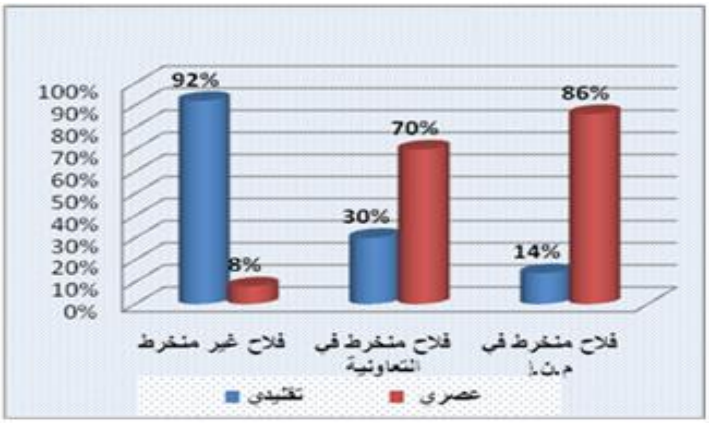

المصدر: الاستمارة ميدانية، 2016

يتبين من خلال نتائج الاستمارة الميدانية[155] الموجهة لفلاح التين غير المنخرط، أن نسبة كبيرة منهم والتي تفوق 88%، يعتمدون على التثمين التقليدي لهذه المنتوجات، في حين نجد النسبة المتبقية الضئيلة من الفلاحين صرحوا بأنهم يقومون بهذه العملية بشكل عصري وغالبيتهم ينتمون إلى تعاونيات، أو بالأحرى يُدخلون بعض التغييرات على تثمين منتوج التين ، والتي لم تعدوا أن تكون شكلية من قبيل وضع التين في علب البلاستيك أو الكرتون، بالمقابل، نجد نسبة كبيرة تتراوح بين 60% إلى 90% من الفلاحين المنخرطين في المجموعات ذات النفع الاقتصادي والتعاونيات، تقوم بعملية التثمين

153 - RAHOUTI M. (2017) - rapport sur la présentation du secteur de figuier et olivier dans la province de Taounate, P 8

154 – السلسلة الانتاجية : هي عبارة عن مجموعة من الخطوات والمراحل المختلفة التي يمر منها منتوج معين من الغرس حتى النضج، ويمكن أن نقول أن السلسة الانتاجية هي ذلك المسار التقني الذي يخضع له منتوج فلاحي معين في جميع مراحل غرسه ونموه.

155 –– استمارة ميدانية (2016)، وجهت للفلاح المنتج للتين بالمجال، وشملت المنتج المنخرط في التعاونيات والتنظيمات المهنية والمنتج غير المنخرط، في اطار إنجاز بحثنا لنيل شهادة الدكتوراه في الجغرافيا حول موضوع غراسة التين والزيتون بمجال جنوب الريف الأوسط وجنوب الريف الغربي.

العصري، وهذا مرده إلى المواكبة المالية لمخطط المغرب الأخضر للتنظيمات المهنية، وتمكين هذه المنتوجات من العلامات المميزة للجودة، التي تفرضها التعاونيات على الفلاحين المنخرطين. ومن هنا، يمكن القول إن عمليات تثمين منتوج التين التي يضطلع بها الفلاح تتحدد وفق وضعيته في التنظيمات المهنية، بحيث تتطور وتتحسن عمليات تثمين المنتوج كلما تقوت وتعززت هيكلة هذه التنظيمات. وتجدر الإشارة هنا إلى أن الغالبية الساحقة من الفلاحين بالمجال ما زالت غير مهيكلة داخل هذه التنظيمات، وأنها تشتغل بشكل فردي ووفق نمط إنتاج تقليدي، وهو ما يعني ضعف كميات الإنتاج المثمن بطرق عصرية مقبولة وفق شروط دفتر التحملات. وبالتالي، فإن الكميات الكبرى من الإنتاج تكون رديئة الجودة، ولا تحترم المعايير المتفق عليها، مما يؤثر على سمعة المنتوج على المستوى الوطني والدولي.

1.3.تثمين "التعاونية" لمنتوج التين بمجال جنوب الريف الأوسط وجنوب الريف الغربي

يتضح مما سبق، أنه رغم الإكراهات التي يعاني منها قطاع أشجار التين بمجال جنوب الريف الأوسط ومجال جنوب الريف الغربي، فإنه في المقابل يوفر إمكانيات مهمة لتثمين هذه السلسة Filière Figuier ، في إطار تضامني من مرحلة الإنتاج حتى التسويق، الذي يتيح خلق فرص مهمة للتشغيل والاستثمار داخل المجال، ووسيلة للمساهمة في التنمية والمحافظة على البيئة، خاصة إذا علمنا أن أشجار التين بدورها تساهم في الحفاظ على استقرار التربة في المناطق المنحدرة، ولها أهمية في الحياة الاقتصادية والاجتماعية لفئة عريضة من ساكنة المنطقة. وفي هذا الإطار، وتماشيا مع الاستراتجية الوطنية لتنمية قطاع الأشجار المثمرة، فإن مجال جنوب الريف الأوسط ومجال جنوب الريف الغربي لازال في حاجة إلى بلورة مشاريع نموذجية ومهيكلة تهم تطوير القطاع وفق رؤية شمولية ترمي إلى إعادة هيكلته في إطار سلاسل الإنتاج. وفي هذا الإطار، نسوق تجربة بعض التعاونيات أو المجموعات ذات النفع الاقتصادي التي شهدها قطاع التين بالمجال، والتي تلعب دورا مهما في التنمية الترابية، من خلال إطلاق برامج ومشاريع طموحة لتحديث وتثمين سلسلة التين من الإنتاج حتى التسويق، ثم برمجتها وبلورتها في إطار الأهداف العامة للاستراتيجية الوطنية" مخطط المغرب الأخضر ". وتهم هذه التعاونيات والمجموعات المشاريع التالية:

- ✓ خلق وحدة تثمين تابعة لجمعية تنمية إنتاج "منابع بوعادل النسائية"، ويوجد مقر هذه التعاونية ضمن الحدود الإدارية لجماعة بوعادل، حيث تم إنشاؤها في شهر أبريل لسنة 2007، بفضل شراكة بين المندوبية الإقليمية للفلاحة بتاونات (DPA)، والمبادرة الوطنية للتنمية البشرية (INDH)، ومنظمة الأمم المتحدة للتنمية الصناعية (ONUDI)، بالإضافة إلى عمالة تاونات، وقد تمت هذه الشراكة على الشاكلة التالية:

جدول 1: شركاء وحدة تثمين تابعة لجمعية تنمية إنتاج "منابيع بوعادل النسائية

المؤسسة	المساهمة
منظمة الأمم المتحدة للتنمية الصناعية (ONUDI)	شراء المعدات (500000) درهم
المندوبية الإقليمية للفلاحة بتاونات (DPA)	التكوينات القبلية لكيفية استعمال معدات التجفيف بالوحدة، ومن أجل التدبير الإداري للتعاونية.
المبادرة الوطنية للتنمية البشرية (INDH)	تهيئة الوعاء العقاري للتعاونية، بقدر مالي يقدر ب 100000 درهم
عمالة تاونات	توفير الوعاء العقاري بقدر مالي يقدر ب 500000 درهم

المصدر: الزيارة الميدانية،2015

وتعد هذه التعاونية من التعاونيات الناجحة بالمجال فيما يخص تجفيف وتسويق التين ومربى التين. ويعد الهدف من إنشاء هذه التعاونية، تطوير المقاولة النسائية في العالم القروي بشكل يستجيب لتطلعات هذه الشريحة من المواطنات، إلى جانب استغلال مؤهلات منطقة تاونات في إنتاج هذه الفاكهة، الذي يبلغ أحيانا 30 طنا خلال المواسم الجيدة. وتعتمد هذه الوحدة النسائية على مقاربة النوع، وذلك عبر إدماج المرأة في مسلسل تنمية قطاع التين والاهتمام بالمنتوجات المحلية بالمنطقة، من خلال تثمين المنتوج والترويج له. وقد تمكنت هذه الوحدة من الحصول على العلامة المميزة للمنشأ والجودة سنة 2015، وتتوفر هذه التعاونية النسائية على وحدة لتجفيف التين بجماعة بوعادل، بالإضافة

إلى وحدة لإنتاج مربى التين بالحي الحرفي بعين عائشة، بسعة إنتاجية تتعدى 300 كيلوغرام في الساعة، وبقيمة 500 مليون سنتم[156]، وهو إنجاز مهم يحسب للتعاونية. ويعتبر هذا المشروع النواة الأولى لإنشاء مجمع للصناعات الغذائية بالمجال. إلا أنه رغم ذلك، فالتعاونية لازالت تعترضها عدة مشاكل أهمها، قلة المنتوج الموجه إلى الوحدة من طرف الفلاح، وعدم التوفر على المواد الأولية نظرا لقلة الإنتاج وغلائه نتيجة مشكل المضاربة. وتشتغل هذه التعاونية بشراكة مع منظمة OXFAM للتسويق والترويج للمنتوج على المستوى الخارجي، بعقد لمدة ثلاث سنوات، حيث مكنتها من الوصول إلى عدة زبناء بالدول الأوربية، كإيطاليا وبلجيكا وإسبانيا، لكن الكميات المصدرة لم تتعد 4.5 أطنان، نظرا لأن إمكانيات التعاونية لا تسمح بتوفير وتلبية الطلبات، كما أنها لا تتوفر على الوسائل اللوجيستيكية الضرورية، ما يجعل الكلفة مرتفعة وهامش الربح ضعيفا.

تتوفر وحدة "منابع بوعادل" لتجفيف التين على معدات عصرية، وتقدر الطاقة الاستيعابية للوحدة ب 12 طن سنويا حسب مواسم الإنتاج، والتي تتوزع بين 6 أطنان للنابوت و6 أطنان أخرى لصنف الشطبي والحمري. وقد يرتفع هذا المعدل في مواسم الإنتاج الجيدة، وقد ينخفض في مواسم الإنتاج الضعيفة، كما يستفيد أعضاء هذه التعاونية من تكوينات مستمرة، من أجل استعمال المعدات بحرفية عالية، وأيضا من أجل مراقبة جودة التين الموجهة إلى التعاونية من طرف الفلاح، ثم ينقل هؤلاء الأعضاء تجاربهم إلى باقي المنتجين بالمنطقة، خصوصا في الشق التقني لعملية الجمع، وعلى الوجه الأخص فيما يتعلق بالتين الموجهة للتجفيف.

- خلق وحدة عصرية لتجفيف التين، استفادت منها" تعاونية التيسير النسائية "بدوار المقراوي بسيدي المخفي، في إطار برنامج حساب تحدي الألفية بدعم من الوكالة الأمريكية للتنمية وزارة الفلاحة، ويمتد إنجاز المشروع على مدى عامين، وذلك بهدف تنمية سلسلة التين بسيدي المخفي والجماعات المجاورة.
- تحسين ظروف جني وتسويق التين الطازج، بدعم من وكالة التنمية الفرنسية، الذي استفادت منه مجموعة ذات النفع- الاقتصادي" امتيوة لوطا بجماعة الخلالفة، بغلاف مالي إجمالي يناهز 520 ألف درهم، بالإضافة إلى وحدة لتجفيف التين العصرية في طور الإنجاز بغلاف مالي قدره 2 مليون 695 ألف درهم[157]، وذلك بشراكة بين تعاونية التيسير بخلالفة والمؤسسات التالية:

جدول 2 : شركاء وحدة تثمين مجموعة ذات النفع- الاقتصادي" امتيوة لوطا" بجماعة الخلالفة

المندوبية الإقليمية للفلاحة D.P.A	الوكالة الفرنسية للتنمية A.F.D	المكتب الوطني للاستشارة الفلاحية N.C.A
إبرام الصفقات وتوفير التجهيزات	تمويل وحدة لتجفيف التين عصرية في طور الإنجاز بغلاف مالي قدره 2 مليون 695 ألف درهم	التجهيزات

المصدر: الزيارة الميدانية،2015

تسعى هذه الوحدة إلى تحسين طرق جني وخزن وتلفيف وتسويق التين الطازج، وذلك من خلال اقتناء أدوات الجني ووسائل النقل ووسائل التلفيف، هذا بالإضافة إلى صنع آلة للتجفيف الطبيعي في متناول الفلاحين مع إمكانية ضمان ظروف الجودة والنظافة من خلال العمليات التالية: صنع مجفف للتجفيف الطبيعي للتين وبناء ثلاثة محلات للتخزين وتجهيز وحدة لتلفيف التين المجفف طبيعيا.

- تأهيل وحدة تجفيف التين ببوهودة التابعة "لتعاونية البركة" بجماعة بوهودة، والتي تم إنشاؤها سنة 2009،

[156] – زيارة ميدانية،2017

[157] – محسن الزحيمي، منصف الغنيوي (2018): تثمين المنتوجات المحلية ركيزة أساسية للتسويق الترابي والرفع من تنافسية المجال القروي : دراسة حالة إقليم تاونات، مجلة التنمية والمجال، العدد3، ص7

بشراكة بين وزارة الفلاحة والصيد البحري وخلية التنمية الاقتصادية للريف الغربي (DERO)، بالإضافة إلى المبادرة الوطنية للتنمية البشرية، وجاءت هذه الشراكة على الشاكلة التالية:

جدول 3: الجهات الممولة لتأهيل وحدة تجفيف التين "البركة" بجماعة بوهودة

وزارة الفلاحة والصيد البحري	خلية التنمية الاقتصادية للريف الغربي	المبادرة الوطنية للتنمية البشرية
تخصيص مبلغ 500000 درهم لشراء معدات التجفيف والتثمين	توفير الوعاء العقاري للوحدة	تمت الاستفادة من 200000 درهم في المرحلة الأولى و 100000 درهم في المرحلة الثانية

المصدر: استمارة ميدانية 2016

قامت جمعية الألفية الثالثة من أجل التنمية التي تم إنشاؤها في شتنبر 2002، وأعضاء مجلس إدارتها، والذين هم أنفسهم أعضاء التعاونية، على اعتماد الشراكة المشار إليها أعلاه، من أجل بناء وحدة لتجفيف التين، إلا أنها لم تستطع أن تستفيد من أرباح الوحدة، وذلك لإضفاء الطابع الرسمي على تقاسم الأرباح بين 9 أعضاء، لكونها غير موجودة في النظام الأساسي للجمعيات. وبالتالي قامت جمعية الألفية الثالثة بإنشاء تعاونية البركة، وتهدف هذه التعاونية إلى تحسين مستوى عيش الفلاح، عن طريق تثمين المنتوج وتحسين ظروف تجفيفه، عبر تحسيس الفلاح بأهمية قيمة منتوج التين المحلي، وقدرته على تحسين دخلهم في غياب الوساطات التجارية. وفي مقابلة مع رئيس الوحدة، أكد لنا أن الهدف الأساسي من هذا المشروع، هو ربط المنتوج مباشرة بالمستهلك دون وساطات تجارية، بهدف تحقيق أسواق جديدة بعيدة عن منطق الاحتكار من شأنها تحريك عجلة الإنتاج، ودعم الإنتاج المحلي. لكن الواقع أن هذه الوحدة لا تضمن منتوجا كافيا يلبي حاجيات الأسواق الممتازة، حيث إن طاقتها التخزينية لا تتعدى في أحسن الأحوال 8% من قدرتها الاستيعابية، وتشتغل هذه الوحدة بشراكة مع عدة مؤسسات أهممها جمعية الألفية الثالثة، من أجل البحث عن الموارد المالية والتهيئة، ومجموعات ذات النفع الاقتصادي (تيسير – ومنابع بوعادل) في إطار العمل الجماعي التكاملي، وبهدف الرفع من كمية المنتوج قصد ربح أسواق جديدة ذات طلب كبير، بالإضافة إلى انفتاحها على منظمة OXFAM، والتي مكنت الوحدة من ولوج عدة أسواق على المستوى الدولي خصوصا السوق الألمانية[158].

عموما وكتقييم أولي لهذه التجارب، يمكن التنويه بأهميتها، لأنها مكنت منطقة تاونات من تطوير وتثمين أشجار التين، من خلال الاعتراف "بالبيان الجغرافي" للتين المجفف" نابوت تاونات" واعتبار قطاع التين بالمجال قطاعا حيويا لتشجيع الاستثمار وتحقيق التنمية . لكن في المقابل تم الإقرار بأنه رغم كل المجهودات، فإن القطاع لازال يعاني من ضعف المردودية مقارنة مع المؤهلات، وبحاجة إلى توفير فرص أوسع للاستثمار مع ضرورة انخراط جميع الفاعلين في مسلسل تنمية القطاع وضمان استدامة المشاريع المنجزة. خاصة، وأن هذا المجال يتيح مؤهلات وفرصا لا نجد مثيلها في مناطق أخرى. ولإنجاح هذه الرؤية نقترح التركيز على مجموعة من العمليات التي تروم تأهيل وعصرنة القطاع وفي نفس الوقت المحافظة على الموروث المحلي من خلال:

- توسيع المساحة المغروسة وتشبيب المغارس القديمة، خاصة وأن الاقليم لازال يوفر مساحات شاسعة لتوسيع القطاع في المناطق الجبلية الرطبة، لكونها تشكل البيئة المناسبة لتوسيع أشجار التين البورية، ونجد كذلك هذا التوسيع في المدارات المسقية التي بدأت تعرف اتساعا في الإقليم.
- الاهتمام بالأصناف المحلية خاصة "النابوت "، الذي يتميز بجودة عالية ويشكل منتوج التميز بالإقليم، مع إحداث مشاتل لتطوير شتائله وتجويد مردوديتها، وإدخال أصناف تتميز بإنتاجية عالية كما وكيفا وتتماشى مع الخصوصيات الطبيعية.

158 - TIDAOUI N, (2011), Organisation professionnelle agricole autour du figuier selon le genre : Cas des coopératives de séchage de la figue dans la province de Taounate, projet de fin d'études pour l'obtention du diplôme d'ingénieur d'état en agronomie, filière ingénierie de développement, p15

- دعم الاستثمار في مجال التين، وذلك بخلق وحدات لتثمين المنتوج في مراحل الإنتاج من الجمع حتى التسويق، خاصة في مرحلة التجفيف والتخزين، من أجل الحفاظ على جودة المنتوج وتنافسيته في السوق. وفي هذا الإطار، نشير إلى أن الإقليم لا زل يعاني من ضعف كبير على مستوى البنيات التحتية لتثمين منتوج التين، التي يضطر معها المجمعون إلى تخزين منتوجهم خارج الإقليم في مراكش والدار البيضاء.
- التجميع ودعم التنظيمات المهنية، وذلك بتحسيس السكان بأهميتها في هيكلة قطاع الأشجار المثمرة وفوائدها بالنسبة لهم، وتكوينهم في كيفية تأسيس وتنظيم وإدارة هذه التنظيمات، مع تبسيط المساطر الإدارية في وجه السكان لخلق هذه التنظيمات والانخراط فيها، وتعريفهم بالفرص والامتيازات التي تمنحها الدولة لها، خاصة على مستوى دعم استثماراتهم وإيجاد منافذ لتسويق المنتوج.

2.3. أهمية علامة الترميزوالجودة في تثمين التين بجنوب الريف الأوسط وجنوب الريف الغربي

يبدل مخطط المغرب الأخضر مجهودات كبيرة في تثمين المواد الفلاحية، من حيث حماية المهارات وغنى المناطق والعمل عبر إرساء نظام العلامات المميزة للمنشأ وعلامات الجودة. وبما أن منطقتنا تتوفر على منتوجين مهمين(التين والزيتون)، فإن المديرية الإقليمية للفلاحة بتاونات ووزان بذلت مجهودات بارزة في تثمين هذه المنتوجات، عبر تمكين تين تاونات وزيت الزيتون البكر الممتازة وزان من علامة الجودة.

يعتبر الترميز آلية للحفاظ على المنتوج المحلي وتثمينه، فمن خلاله يمكن تنظيم عملية التلفيف والتسويق، وتكثيف الإنتاج ودعم ولوج الأسواق. فهذه العلامات الترميزية مهمة بالنسبة للمستهلك الذي ما يزال يجهل الدور الذي تلعبه في التنمية الاقتصادية والاجتماعية للفلاحين الصغار، وذلك عبر تثمين المنتوج من خلال سعر البيع. وهذا سيعطي للمنتجين قيمة مضافة والمزيد من العائدات، بالإضافة إلى المساهمة في الحفاظ على النشاط المحلي وتعزيزه، والضمان للمستهلكين الجودة والخصائص الأصلية للمنتوج[159].

إن الحفاظ على خصوصية المنتوج المرتبط بمنشأه الجغرافي الذي تستند إليه السمعة، يُفترض فيه أن يتوفر على وضع مواصفات تحدد معاييره وخصوصياته. إذ يتعين على المنتجين أن يحددوا بشكل جماعي الخصائص التي يتميز بها مجال الإنتاج من قبيل الموارد الطبيعية(المناخ- المجال – الأصناف ..) والخصائص اللامادية (الثقافة – التقاليد- الأعراف ...).

والجدير بالذكر هنا أنه وطبقا للمادة 10 من (قانون 06-25)، تم قبول الطلب بمنح تين تاونات(النابوت) البيان الجغرافي بتاريخ 2014/02/17، بعدما قامت تعاونية منابع بوعادل بتقديم ملف الاعتراف بالبيان الجغرافي أو تسمية المنشأ (التين المجفف نابوت تاونات)، حيث تم انتداب مكتب دراسات لتقديم الدعم التقني للتعاونية. إذ حملت معها المشروع، مع مواكبتها لتكوين وتقديم طلب الاعتراف السالف الذكر للسلطات المركزية المختصة، وذلك تماشيا مع المادة 8 من القانون اعلاه، المتعلق بالعلامات المميزة للمنشأ والجودة للمواد الغذائية والمنتوجات الفلاحية والبحرية، مصحوبا بدفتر تحملات الهيئة المعنية، كما يتضمن العلامة الزراعية وتسمية المنشأ والمؤشرات الجغرافية.

3.3. المهرجانات فرصة لتثمين التين بجنوب الريف الأوسط وجنوب الريف الغربي

تشكل المهرجانات الفلاحية على اختلافها فرصة للتثمين والتعريف بالمنتوجات الترابية، وهي تظاهرات تجدرت في المجتمع الريفي المغربي منذ القدم. دأبت فعاليات عدة على تنظيمها في مناسبات فصلية أو سنوية، وبفضل امتدادها في الزمن وترسيخها في الذاكرة والممارسة، ما فتئت هذه المواسم تتطور شكلا ومضمونا حجما ووظيفتها خلال العقود الماضية،

[159] -Direction de Développement des Filières de Production (DDFP) ,guide demandeur pour le dépôt d'une demande de reconnaissance d'un signe distinctif d'origine et de qualité (SDOQ) , Février 2010

بحكم التحولات العميقة التي شهدها المغرب الريفي، ولعل اللافت للنظر أن هذه التظاهرات سجلت طفرة غير مسبوقة في السنوات الأخيرة، بحيث أصبحت تتزايد بسرعة فائقة وتنتشر في كل ربوع البلاد.[160] وذلك خدمة لأهداف وغايات مختلفة، ويشكل مهرجان التين بتاونات أهم هذه المهرجانات بمجال جنوب الريف الأوسط وجنوب الريف الغربي.

يمثل مهرجان التين بجنوب الريف الأوسط وجنوب الريف الغربي أحد المهرجانات الأساسية على المستويين الجهوي والوطني. وينظم هذا المهرجان بشكل سنوي، حيث يرجع تاريخ تنظيم مهرجان التين الى سنة 2014 كنسخة أولى، بشراكة مع عمالة اقليم تاونات والمجلسين الجهوي والاقليمي وغرفة الفلاحة للجهة، حيث تحولت هذه التظاهرات، من "مواسم" تنظم من قبل الساكنة المحلية، الى مهرجانات تنظم بشكل سنوي، ويمثلان اعلانا لنهاية موسم الجني[161].

يتجلى الدور الأول لهذه المهرجانات خلال مختلف دوراته في التعريف بالتين جهويا ووطنيا، وثانيا، تثمين هذا المنتوج والتكثيف منه والرفع من تنافسيته وطنيا، وتشجيع الأنشطة المرتبطة به من أجل الولوج الى الأسواق، وكذا تعزيز القدرات المحلية والدعم المؤسساتي لقطاع التين بهذا المجال، ويشكل مهرجان التين فرصة للتثمين عبر البحث عن علامة تميز هذا المنتوج، ثم تعزيز سبل تسويقه للقضاء على الوساطات المتطفلة. كما يشكل فرصة لتبادل التجارب والخبرات والتلاقي مع كافة الفاعلين في المجال الفلاحي. كما تمثل هذه التظاهرات أصالة ورمزية هاته الشجرة لدى المجتمع بجنوب الريف الأوسط وجنوب الريف الغربي،" فهي تمثل ارثا، ينجر للأحفاد والأبناء، عن الآباء والأجداد عبر الأجيال؛ الأمر الذي يقوي العلاقة الراسخة بين الشجرة ومالكيها. وهي تطبع بحضورها المشهد والحياة الاجتماعية للساكنة المحلية، إذ ارتبطت بظروفهم المعيشية وعاداتهم، وانغرست في ثقافتهم"؛ حتى أصبحتا رمزا متعدد الأصناف بمنطقة تاريخية في مجال ريفي أصيل.

4.طرق تجفيف التين بمجال جنوب الريف الأوسط ومجال جنوب الريف الغربي

يعرف التجفيف بأنه عملية إزالة كمية من الماء من المادة الغذائية، بحيث تنخفض نسبة الرطوبة فيها إلى الحد الذي يصعب على الكائنات الحية الدقيقة أن تعيش فيها وبأقل تغيير في طبيعتها. وينبغي في عملية التجفيف رفع محتوى المواد الصلبة الذائبة إلى ما لا يقل عن 70 %، بحيث يصبح الضغط التنافذي مانعا لنمو الأحياء المجهرية، فبازدياد تركيز أملاح وسكريات المادة المجففة (على أساس الوزن الطري)، يضطرب هذا الضغط، مما يدعو إلى سحب الماء من بروتوبلازم الكائن الحي الدقيق بصورة أسرع مما يمكن استعادته. كما أن هذه العملية تؤدي إلى القضاء على الخمائر والعفن والبكتيريا الموجودة في المادة المطلوب تجفيفها، حيث إنها لا تبدأ في النمو في بيئة جافة[162].

للتعرف أكثر على طرق تجفيف التين وتثمينها، قمنا بزيارات ميدانية متكررة عند الفلاح في الحقل وفي المنزل، وقمنا أيضا بزيارات لوحدات التجفيف العصرية المتواجدة في كل من جماعة بوهودة، وبوعادل وسيدي المخفي، وذلك بهدف معرفة خصوصية عملية التجفيف، سواء تعلق الأمر بالطريقة التقليدية أو العصرية.

160 – الزرهوني محمد،2013، المواسم والمهرجانات بالمغرب في مسرح النقاش العمومي، المواسم والمهرجانات فضاءات لتثمين الموروث الثقافي، أشغال الدورة الرابعة والعشرين لملتقى الثقافي لمدينة صفرو، مطبعة الشركة العامة للتجهيز والطبع– فاس،ص،11.

161 – الغنيوي منصف،(2022)، تثمين الموارد الترابية ورهان تحقيق التنمية المستدامة حالة اقليم تاونات :جهة فاس –مكناس، الجهة–التراب والتنمية الجهوية والمحلية : رؤى متقاطعة، وقائع المؤتمر الدولي، إصدارات المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية، الاقتصادية والسياسية ألمانيا، برلين، ص، 291.

162 - FERRADJI A, MALEK A, BEDOUD M, BAZIZ R et AOUA S A. (2001) - Séchoir Solaire à Convection Forcée pour le Séchage des Fruits en Algérie ; Rev. Energ. Ren. Vol. 4.

شكل 4: نسبة تجفيف لدى الفلاح بالمجال شكل5: طرق تجفيف التين الفلاح بالمجال

المصدر: الاستمارة الميدانية، 2016

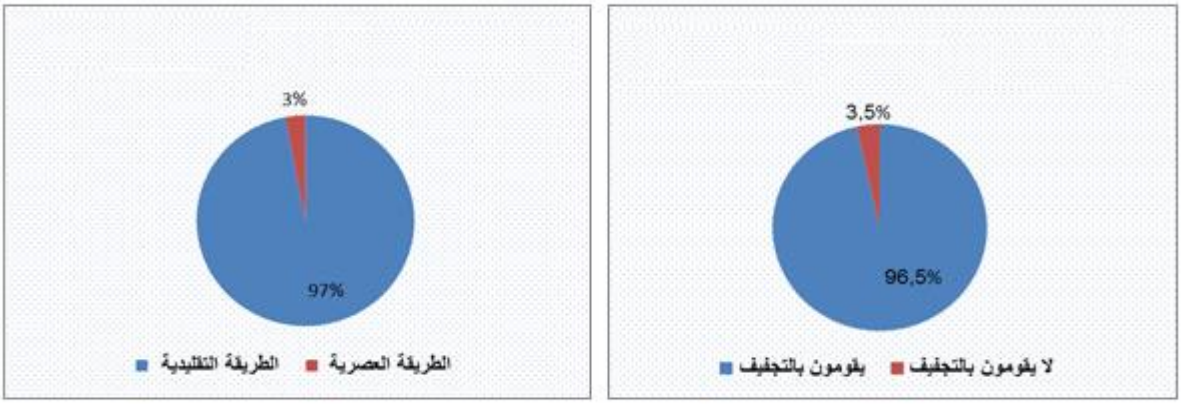

يتضح من خلال الشكل (4 و5) أن 96.5 % من المستجوبين يقومون بعملية التجفيف، ونسبة 3.5 % لا يقومون بهذه العملية تماما، وذلك بسبب ضعف الإنتاج أو توجيهه إلى التسويق بشكل طازج. وتتم هذه العملية عند97% من المزارعين بشكل تقليدي، في حين 3% فقط من المزارعين يستعملون الطريقة العصرية في التجفيف، الذين ينشط معظمهم بتعاونيات تشتغل في التين. وهذا ما يفسر كون أن هذه الطريقة غير متاحة للجميع، وأنها تبقى حكرا على الأشخاص المنخرطين ضمن التنظيمات المهنية، بسبب غياب التحسيس لهذه الطريقة بالمجال.

1.4. الطريقة التقليدية:

إن عملية التجفيف التقليدي تتم بشكل عادي وطبيعي على مستوى الشجرة، حيث تبقى الفاكهة حتى مرحلة متقدمة من النضج، إلى أن يبدأ الجلد بالتجعد وتغيير اللون عن طريق فقدان الماء بفعل مجموعة من العوامل المناخية على رأسها الحرارة، وذلك حتى تسقط بمفردها أو بتدخل الفلاح الذي يقوم بجمعها.

يتم جمع التين المراد تجفيفه في فترة يكون فيها الطقس باردا، وخاصة في الفترة الصباحية أو المسائية، حيث يتم وضع الفاكهة على مستوى البستان أو المنزل من أجل التشميس الطبيعي، وذلك لتقليل الرطوبة من التين قصد تخزينها فترة أطول. هذا هو الأسلوب الذي يقوم على أساس التدفق الحراري الطبيعي للهواء، حيث يصبح التين جافا ويجمع في أكياس البلاستيك.

عُرِفت تقنية التجفيف بواسطة التشميس الطبيعي "التقليدي" منذ العصور القديمة، وتعتبر هذه الأخيرة من الطرق الأكثر انتشارا في تجفيف التين بالمجال، حيث تفوق نسبة 97% حسب الاستمارة الميدانية، وتتم هذه العملية من خلال نشر التين تحت أشعة الشمس (على الأرض مباشرة - فوق سطوح المباني- فوق أراضي الإسمنت الصلب)، أو من خلال وضعها على الصواني أو فوق الحصير، أو فوق الأعشاب (الزعتر)، وتعد هذه الطريقة غير مكلفة، إلا أنها لا تعطي منتوجا ذا جودة، حيث تتعرض التين المجففة للغبار والحشرات والآفات والأتربة، مع إمكانية إصابتها بالتخمير. كما تأخذ وقتا طويلا ما بين 7و 15 اليوم في المعدل. وبالتالي، فإن هذه الطريقة لا تشجع اقتصاديا ولا سيما أثرها السلبي على الصحة العامة، إذ "المنتجات التي تم الحصول عليها تشكل خطرا حقيقيا على صحة المستهلك".163

صورة1 : عملية التجفيف التقليدي بواسطة التشميس الطبيعي (النشير)

درعة

المصدر : تصوير شخصي،2017

بعد عملية التجفيف يقوم المنتجون بتقسيم منتوجهم من التين إلى نوعين:

- بيضاء اللون أو(البيضة) حسب التسمية المحلية: وتعتبر من أجود الأنواع خاصة(النابوت)، حيث يتم عزلها وترتيبها حسب الحجم، وتشك بواسطة خيط ومخيط على شكل شريط والذي يسمى باللهجة المحلية 'ازلاك"، لتوجه بعد ذلك إلى البيع في الأسواق.
- سوداء اللون أو الكحلة (العوالي) بالتسمية المحلية: وتضم الأصناف الأخرى سواء حمراء أو سوداء البشرة، والتي يتم تخزينها في أكياس البلاستيك بكميات وافرة للاستهلاك من قبل المزارعين أو يتم استعمالها كعلف للمواشي، أو بيعها للتجار على شكل حبوب بثمن جد قليل، حيث يتم تقطيرها لصناعة "ماء الحياة"، وهو نوع من الخمور التي يعصرونها من التين المجفف الأقل جودة عبر وضع التين المجفف في إناء كبير وتضاف إليه الخميرة ثم يغلق الإناء بإحكام لمدة زمنية تتراوح بين 20 يوما إلى شهر، أو عبر الاحتفاظ بكمية من الشريحة تحت أرض رطبة قصد تخميرها. بعد هذه المرحلة، يتم وضع الخليط في إناء على النار، ثم يغلق بإحكام ما عدا فتحة صغيرة يخرج منها أنبوب نحاسي نهايته مغمورة في الماء، ثم تترك المكونات تحت درجة حرارة مرتفعة لتتفاعل، وتسمى هذه العملية بالتقطير، ويتم تسويقه محليا بثمن يتراوح ما بين 70 إلى 100 درهم للتر الواحد.

يتم تخزين هذا الصنف الأقل جودة من التين في غرفة خاصة بعيدا عن الرطوبة في اتصال مباشر مع الهواء، وتحت الإضاءة الخافتة والمحمية بشكل جيد من القوارض، وتتم عملية التخزين من قبل بعض المنتجين في أكياس أو براميل من البلاستيك(25-50 كلغ)، مع وجود فروع من الأعشاب (زعتر، ...)، وذلك لتحسين الطعم و طرد الحشرات. ويمكن أن تصل مدة التخزين في هاته الحالة إلى سنة واحدة.

إن تطوير هذا القطاع يتطلب تحسين الجودة في جميع مراحل الإنتاج ، وذلك لكسب الأسواق ومنافسة المنتوجات الأجنبية فيها، وهذا لن يتم إلا عبر تحسين طرق الإنتاج وعصرنتها، عبر إدخال الأصناف الجيدة، مع إجراء توعية للمزارعين لتحسين أحوال المحاصيل على مستوى المزارع والنقل والتجفيف.

الشروط الجيدة لعملية التجفيف الشمسي:

- يجب عدم تعريض التين بشكل مباشر لأشعة الشمس.
- لا يجب على الفاكهة أن تجفف بسخونة الشمس المباشرة، بل عبر الرياح الساخنة.
- عملية التجفيف يجب أن تتم في درجة حرارة بين 35 و 38°.

2.4. الطريقة العصرية لتجفيف التين بالمجال

يبقى هذا النموذج من التحويل ضعيفا وغير منتشر بكثرة في المجال، حيث نجد نسبة 3% فقط ممن يمارسونها بالمجال حسب الاستمارة الميدانية، لما يتطلب ذلك من إمكانيات مادية كبيرة. فرغم أهمية التين بالمجال، غير أن بنية التحويل تبقى غير كافية لتحويل كمية كبيرة من الإنتاج، حيث نجد فقط ثلاث وحدات للتجفيف العصري، "البركة" بجماعة بوهودة و"التيسير" المتواجدة بجماعة سيدي المخفي، ووحدة "بوعادل النسائية" بجماعة بوعادل، وتقدر الكمية

التي يتم تحويلها يوميا ب 500 كلغ164 في اليوم لكل وحدة.

إن التجفيف العصري عبارة عن تقنية تحويل الطاقة الشمسية إلى طاقة حرارية، التي تُستخدم لرفع درجة حرارة المنتوج وتبخير الرطوبة منه. وقد تكون هذه العملية بواسطة مجمعات شمسية ذات حمل طبيعي أو قسري وتكون إما مباشرة أو غير مباشرة، وتعتمد على الإشعاع الشمسي المتوفر لها. ويتميز الإشعاع الشمسي بأنه متغير الشدة خلال ساعات النهار ويصل إلى قيمته العظمى عند منتصف النهار، ثم ينخفض بعد ذلك ليصل الى أقل قيمة له عند الساعة الرابعة عصرا. وتتم هذه العملية في مكان مجهز بفرن على شكل طبقات من الخشب، إذ يتم إدخال التين في درجة الحرارة اللازمة للتجفيف، عبر تثبيت محول الطاقة على درجة حرارة ما بين 40إلى 45 °،وقد تصل إلى 65 و-70°. فبالإضافة إلى درجة الحرارة يجب توفر عوامل أخرى جد مهمة، أهمها ضبط الوقت التي تستغرقه عملية التجفيف حسب نوعية المجفف[165]، ويقوم بهذه العملية تقني متخصص قام بعدة دورات تكوينية في هذا المجال، حيث يتم ترك التين داخل المجفف لمدة زمنية تتراوح بين 20 إلى 40 دقيقة. وتكون مدة التجفيف في المجفف الشمسي أقل بكثير بالنسبة للتجفيف الشمسي الطبيعي، كما أن رطوبة التين تنخفض مع زيادة زمن التجفيف، وأن انخفاض رطوبة التين عند المجفف الشمسي تكون أعلى بكثير من التجفيف الشمسي الطبيعي.

تتم عملية التجفيف الصناعي للتين عبر استعمال مجففات صناعية وأفران، بالإضافة إلى غرفة مغلقة تسمح بتدبير الطاقة في إتقان إعدادات التجفيف وضمان الجودة المطلوبة، غير أن النتائج تكون أقل جودة من التجفيف بالتشميس، الذي يعد أكثر استعمالا بالمجال، ويتم هذا النوع بواسطة (الضوء، الطاقة الشمسية، الغاز ، وكذلك عبر الهواء الذي يسخن بشكل غير مباشر بواسطة الكهرباء أو عبر إحراق الغاز في الغرفة المخصصة لذلك، أو الموقد الذي يوجد مباشرة في المجفف. إذ تعمل هذه العملية على رفع درجة حرارة الهواء الذي يلف بغرفة التجفيف عبر استخدام مروحة التهوية، أو من خلال الحمل الحراري الطبيعي، والذي يقود إلى تجفيف الفاكهة [166].

ويمر التجفيف من ثلاث فترات متميزة:

- الفترة الأولى: ضبط درجة حرارة المنتوج.
- الفترة الثانية: عملية التجفيف (تبخر سطح المنتوج).
- الفترة الثالثة: فترة الخمود

تمر عملية التجفيف العصري عبر المراحل التالية:

جدول 4: مراحل تجفيف التين بالوحدات العصرية

المراحل	المعايير
الاستقبال الوزن	-فحص جودة الفاكهة، البيانات، التتبع(المزودين، التاريخ، الأصل، الكمية.....).

[164] -Rapport de l'examen aptitude professionnelle, Secteur du figuier dans la province de Taounate , Situation et Stratégie de développement, 2016

[165] AMRANI M(1986) - Aptitude de différentes variétés d'abricots au séchage et effet du calibre sur la cinétique du séchage et sur la modification morphologie de l'abricot Mémoire fin d'études. IAV rabat

[166] - BOUTKHIL S. (2011) – Caractérisation de l'organisation du séchage des figues dans les régions de Taounate et chefchaouen et étude de l'effet de quelques prétraitements sur la cinétique du séchage et la qualité de la figue séche. Projet de fin d'études pour l'obtention du diplôme d'Ingénieur d'Etat en Agronomie, Ecole Nationale D'agriculture de Meknès, p 31.

الفرز	- إزالة الفاكهة المصابة، الشوائب بواسطة اليد
الغسل	- عزل التين المتجانسة
التبيض	- استعمال المياه المعالجة في عملية الغسل
التنقيط	- التمليح عن طريق وضع 40 غرام من كلوريد الصوديوم يسخن إلى 80°C مئوية.
الكبرتة	- درجة حرارة تصل إلى65°C، مع درجة رطوبة تتراوح ما بين 20 و25%
التنقيط	- مدة التجفيف تصل إلى 72 ساعة
التجفيف	- التعبئة والتغليف (مواد بلاستيكية ، أو الكرتون)
الفرز	- التتبع (المنتوج المجفف – هوية المنتوج)
التبخير	- درجة الحرارة 5C°<T>10 C°
التكييف	- الرطوبة <65C°
التخزين	-الظروف المواتية: درجة الحرارة، الرطوبة، البيئة، الحالة الصحية لوسائل النقل.
النقل	
التسويق	

Source: Lahcen , Jeddi(2009) Valorisation des figues de Taounate- Potentiel, mode et stratégies proposées.

1.2.4. المعالجة الأولية لتجفيف التين

- المعالجة الطبيعية:

بعد عملية جني التين التي تكون في حالة شبه مجففة بواسطة الشمس، ومن خلال قطفها من الشجرة أو جمعها بعد تساقطها على الأرض من طرف المنتجين، يتم نقل التين في سلال أو صناديق بواسطة الدواب أو السيارات إلى مقر التعاونية (وحدة للتجفيف)، وبعدها تأتي عملية وزن كميات التين الواردة على الوحدة، لتمر بعد ذلك إلى مراحل المعالجة الأولية.

- **عملية الفرز:**

تعتبر عملية الفرز، عملية انتقاء الفاكهة حسب تجانسها من ناحية النضج والوضع الصحي وحسب درجة جودتها. وتتم هذه العملية غالبا بطريقة يدوية، في حين يتم استبعاد الثمار التالف وغير مكتمل النضج، والاحتفاظ بالثمار الجيدة والقابلة لعملية التجفيف.

- **عملية التقويم:**

تتم هذه العملية بهدف الحصول على ثمار من نفس الحجم، لضمان منتوج موحد أثناء عملية التجفيف. فمن خلال هذه العملية يتم انتقاء الثمار المتشابهة من حيث القطر والوزن، بهدف الحصول على منتوج منسجم خلال عملية التسويق سواء تعلق الأمر بالطريقة التقليدية عن طريقة "ازلاك" أو بالطرق العصرية في علب بلاستيكية وغيرها .

- **عملية الغسل:**

تتم عملية غسل وتنقية التين من جميع الشوائب بواسطة نساء يشتغلن في الوحدات، حيث يتم وضع التين في أكياس بلاستيكية صحية ووضعها في صهريج مملوء بالماء، ويضاف إليه مواد للترطيب لتكون العملية أكثر جودة. وتتركز هذه المرحلة على اختيار المنتوج ومعالجته، ويتم من خلالها مراعاة نظافة المنتوج، وذلك بهدف تحقيق شروط الجودة، التي تتمثل في إزالة كافة "الجسيمات الغريبة"، بما في ذلك الغبار والمواد الكيميائية في حالة العلاج.

صورة 2-3: عملية غسل التين قبل تجفيفه في "وحدة تيسير" ووحدة البركة

شخصي، 2017

- **عملية التبييض:**

تتم هذه العملية بواسطة تسخين الماء وتعريض التين للبخار، ويمكن أن تجفف الثمار دون عملية التبيض، لكن هذه العملية تسهل عملية ربح الوقت خلال التجفيف، الذي يعطي أفضل المنتجات ذات الجودة العالية والشفافة. ويمكن لعملية التبييض أن تتم في منتصف عملية التجفيف، والتي تحسن لون وملمس الفاكهة.

- **المعالجة الكيمائية للتين:**

تأتي هذه العملية للحد من أكسدة التين التي تعطي اللون البني غير الجذاب، وأيضا لتسهيل عملية التجفيف. وتمر هذه العملية من المراحل التالية:

- **تفريغ التين في محلول هيدروكسيد الصوديوم:**

تفرغ التين في المياه المالحة، في نفس الوقت تتم عملية تنظيفها من الطفيليات والأوساخ وتسهيل عملية التلين مما يزيد من سرعة التجفيف، وذلك عن طريق تشقق الجلد بواسطة هذه العملية التي تتم في درجة حرارة جد مرتفعة قبل عملية التجفيف، إذ يتم استعمال2% من مادة الصوديوم في 90° لمدة 30 إلى 60 ثانية استعمال الكبريت أو "الكبرتة"[167]:

يتم استعمال ثاني أوكسيد الكبريت في عملية المعالجة الكيميائية للتين، بهدف الحفاظ على اللون الأصلي للفاكهة. فالاحتفاظ بالمكونات الغذائية أمر ضروري للحفاظ على اللون الطبيعي للفاكهة خلال الفترة المتبقية من عملية التجفيف. كما تسمح هذه العملية أيضا بالحصول على منتوج شفاف ذو جودة عالية، وتسمح بالحد والوقاية من الطفيليات والميكروبات وحماية المنتوج من الحشرات) [168].

- **عملية التجفيف:**

بعد عملية الغسل والتنقية، يتم إفراغ التين في أطباق مشبكة مصنوعة من الألمنيوم واحدا فوق الآخر، وبكمية مقدارها 5 كلغ مصادق عليها من طرف لجنة مراقبة الجودة، التي يتم وضعها داخل المجفف. وتختلف المدة التي تستغرقها العملية في حجرات التجفيف حسب العملية التي نريد القيام بها، ففي حالة وجود تين مجففة بشكل طبيعي بواسطة التشميس، يتم تسخين التين فقط عبر برمجة المجفف على درجة حرارة° 45، وتستغرق هذه العملية ساعتين فقط. وفي حالة التجفيف يتم برمجة المجفف على درجة حرارة °65 درجة، وتستغرق هذه العملية ما بين 4 إلى 5 ساعات، حيث يتم إغلاق المجفف وينتقل الإشعاع الشمسي عبر الأخير إلى داخل الحوض، فتقوم الطبقة السوداء بامتصاص جزء منه وتسخين الأسلاك النحاسية. وبالتالي، تسخين التين عبر امتصاص جزء من الطاقة الشمسية عن طريق الإشعاع، والقسم الآخر عن طريق الهواء الساخن بفعل الأسلاك، وهذا ما يؤدي إلى فقدان الهواء رطوبته إلى الخارج عبر فتحات التهوية، إذ يندفع الهواء الجوي إلى الداخل ويسخن، وتستمر العملية.

صور4-5: عملية وضع التين في حجرات التجفيف بوحدة البركة "بوهودة"

2017،ي

مباشرة بعد عملية التجفيف، حيث يتم إخراج التين وإفراغه في أكياس بلاستيكية، ثم يتم وضعه في غرفة تسمى غرفة التجفيف، وهي عبارة عن غرفة لا تتجاوز 1 متر في العرض و1 متر في الطول، ثم يتم تغطية المنتوج بواسطة قطعة من البلاستيك، بعد رشه بنوع من الأدوية يسمى "phostoxin"، وتدوم التين في هذه الغرفة المغلقة 72 ساعة، لتمر بعد ذلك إلى مرحلة التعليب.

167 - EL BOUCHOUAFI H. (1990) - Ressources génétiques du figuier dans la région de Taounate : inventaire, identification, aptitude de séchage et qualité organoleptique des variétés locales. Mémoire de Troisième cycle en Agronomie, Ecole Nationale d'Agriculture de Meknès, p 41

168 -MEZIANT L. (2014) - Etude de l'effet du séchage sur les caractéristiques physico-chimiques et l'activité antioxydante de neuf variétés de figues (Ficus carica L.), Mémoire de l'obtention du diplôme de Magister Filière : Biologie, Université Abd Errahmane Mira de Bejaia, Faculté des Sciences de la Nature et de la Vie ; Département des Sciences Alimentaires.

- **عملية التكييف والتعليب:**

تأتي هذه العملية مباشرة بعد التجفيف، حيث يتم من خلالها القيام بمراقبة التين المجففة، وعزل وإزالة التين المحروقة والجافة جدا، ثم يتم بعد ذلك، وزنها وتعليبها في علب من البلاستيك أو الكرتون مصممة خصيصا لضمان الشروط التالية:

- الحفاظ على جودة المنتوج (النكهة، اللون، الرائحة...).
- حماية المنتوج من العوامل الكيميائية(الغاز، الرائحة، الأبخرة...)، والفيزيائية (الصدمات، الاهتزازات، السقوط...)، والبيولوجية (الحشرات، القوارض...).
- حماية المنتوج من العوامل المناخية (الرطوبة، الحرارة، الضغط...).
- النقل والتخزين وتوزيع المنتوج.
- تطابق التعليب والمنتوج، حيث يجب على علب التين المجففة أن تحمل المعلومات اللازمة للتعريف بها وفقا للمرسوم رقم 2-01-1016 المؤرخ ب 4 يونيو سنة 2002 ، والذي ينظم شروط وضع العلامات على المواد الغذائية المعدلة بموجب المرسوم 2-06-226 ب 28 يونيو 2007. [169]

صور6-7 : عملية التعليب من داخل وحدة البركة "بوهودة"

2

II. طرق تسويق التين بمجال جنوب الريف الأوسط وجنوب الريف الغربي:

تختلف طرق تسويق التين بالمجال، حسب طبيعة المنتجين وكمية الإنتاج ، حيث يمكن التمييز بين أربعة أشكال من التسويق بالمجال، والتي تختلف مميزاتها وكذا مردوديتها، وهي على الشكل الاتي:

شكل 6 : أنماط تسويق التين بجنوب الريف الأوسط وجنوب الريف الغربي

[169]- العلامة التجارية للمنتوج، فئة المبيعات، الوزن الصافي، اسم وحدة التجفيف (تعاونية، جمعية)، عنوان الوحدة المصنعة، الموعد النهائي للاستهلاك، المكونات، طريقة الاستعمال.

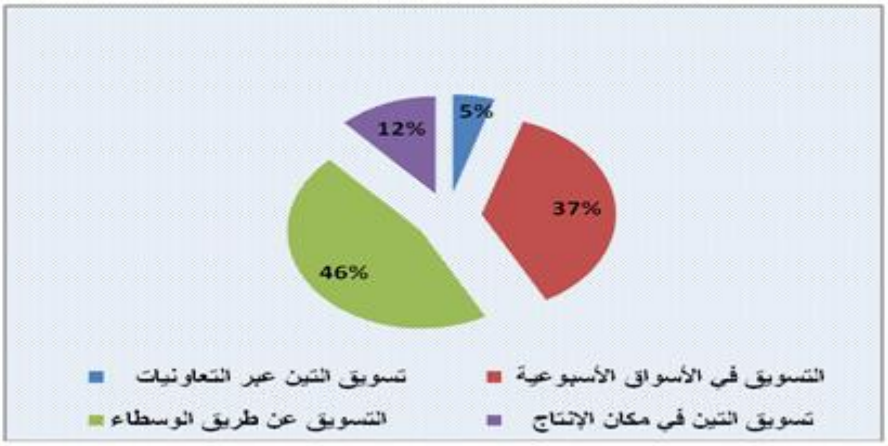

المصدر : نتائج الاستمارة الميدانية 2015

1. **تسويق التين في مكان الإنتاج:**

في المجال المدروس هناك نسبة من الفلاحين والتي تقدر حسب الاستمارة الميدانية ب12%، يفضلون بيع غلاتهم من التين الطازج للمستهلكين مباشرة في مكان الإنتاج. وتتم هذه العملية، من خلال وضع التين في سلال من القصب أو صناديق من البلاستيك على جنبات الطرق وفي بعض الأحيان أمام المنازل.

2. **التسويق عن طريق الوسطاء[170]:**

تعد هذه الطريقة الأكثر انتشارا بالمجال، حيث يقوموا بعض التجار الكبار (الوسطاء)، على اتفاق مبدئي مع صاحب الغلة على بيع غلاته بثمن مناسب، ويعملون على توزيعها على تجار التقسيط بالمدن الكبرى، وتمثل هذه الطريقة حسب نتائج العمل الميداني نسبة مهمة تقدر ب 46% من مجموع المستجوبين.

3. **التسويق في الأسواق الأسبوعية:**

تمثل هذه العملية حسب نتائج العينة، نسبة مهمة من الفلاحين والتي تقدر ب37%، والتي تتم بطرق تقليدية تعتمد على تسويق كمية معينة من التين بشكل أسبوعي في الأسواق المحلية. و يظل هذا الفلاح رهين أثمنة الوسطاء وتجار التقسيط، وهو ما يحول دون استفادته في غالب الأحيان من مصاريف الإنتاج ومشاق العمل على طول السنة، الأمر الذي يفسره بتحكم الوسطاء والسماسرة في أثمنة المنتوج محليا، وبالتالي اضطراره إلى بيع منتوجه بأثمنة منخفضة ليوفر ما يعيل به أسرته.

4. **تسويق التين عبر التعاونيات:**

يهم هذا النوع من التسويق فئة قليلة من المنتجين والتي لا تمثل سوى نسبة% 5 منهم، خصوصا منها المنخرطين في تعاونيات التين النشيطة بالمجال. حيث يمكن هذا النوع من التسويق، التعاونيات التي تستجيب لمعايير وشروط الجودة من تسويق منتوجها في السوق الوطنية والأسواق الدولية، عبر "مجموعة مغرب تسويق"، بالإضافة إلى الاستفادة من تدعيم الإنتاج والتثمين. ويتضمن التصديق الدولي على منتجات التعاونيات إضافة إلى البنيات التحتية للإنتاج، باعتبار أنه تأشيرة من أجل الولوج إلى الأسواق الخارجية، كما يمثل عنصر اطمئنان بالنسبة إلى المستهلك الوطني، خاصة أن الأمر يتعلق بمنتجات تعاونيات صغيرة. كما تقوم هذه المجموعة بالاهتمام بالجانب التسويقي عبر عرض منتجات التعاونيات في أروقة شبكة المحلات التجارية، التي تسوق هذه المنتجات في مختلف جهات المملكة، بالإضافة إلى إطلاق أربعة فضاءات للتجارة الإلكترونية، والتي سجلت انتعاشا ملحوظا على المستوى الوطني والدولي.

[170] – الوسطاء: قد يكونون تجارا بالجملة، أو نصف الجملة، أو سماسرة يعملون لصالح التجار الكبار في مناطق الإنتاج.

5. عملية تسويق التين الطازج بالمجال:

تمر عملية تسويق التين الطازج بالمجال عبر مراحل:

- المرحلة الأولى: ويتعلق الأمر بتسويق الإنتاج الأول من الفاكهة، المسمى "الباكور"، والذي يبدأ إنتاجه في نهاية شهر يونيو ويمتد إلى غاية أواخر شهر يوليوز، وهذا النوع من الغلة لا يحتاج للقاح خارجي لكي ينضج.

- المرحلة الثانية: ويتعلق الأمر بتسويق المنتوج الثاني الذي يسمى "الكرموس" عبر مرحلتين في شكلها الطازج والمجفف، وتمتد هذه المرحلة من بداية شهر غشت إلى أواخر شهر شتنبر، وهذا النوع من الغلة يحتاج للقاح خارجي لينضج، وهذه العملية تسمى محليا "بالدكار".

عموما تكتسي تجارة التين الطازجة أهمية بالغة بالمجال، لكونها تمتاز بالخصوصية الجغرافية، كما أنها تعرف إقبالا كبيرا داخل الأسواق المحلية والوطنية، وتمر عملية تسويق التين بعدة مراحل:

- المرحلة الثالثة: شراء المنتوج من الفلاح

تتم هذه العملية عبر توزيع السلال والصناديق من طرف تجار الجملة على المزارعين في المساء، والتي ينبغي ملؤها في الصباح الباكر، حيث يقوم التجار بتوجيهها إلى المدن الكبرى وخاصة منها المجاورة كمدينة فاس ومكناس ...، ويتراوح ثمن بيعها لتجار الجملة بين 15 و 30 درهم للسلة الواحدة، وذلك حسب الكمية والجودة والظرفية والعرض والطلب، وهناك نسبة أخرى من الفلاحيين يقومون بهذه العملية بنفسهم دون الاعتماد على الوساطات التجارية.

6. كمية التين الطازج المسوقة بمجال جنوب الريف الأوسط وجنوب الريف الغربي

تسوق بالمجال كمية مهمة من التين الطازج، حيث تقدر ب 7500 طن[171]، فحسب النتائج المستقاة من البحث الميداني، يتبين أن نسبة كبيرة من الفلاحين والتي تتجاوز 78% ، يسوقون كمية ضعيفة لا تتجاوز 500 كيلوغرام، وذلك راجع بالأساس لضعف الإنتاج، بالإضافة الى أن معظمهم يفضلون تسويق منتوجه على شكل مجفف بسبب ثمنه المرتفع، في حين نجد نسبة% 12 من المستجوبين فقط مما تفوق كميتهم من التين المسوقة 1000 كلغ، وتختلف هذه الكمية المسوقة باختلاف سنوات الإنتاج، حيث ترتفع في بعض السنوات وتنخفض في سنوات أخرى. وهذا التذبذب، يجد تفسيره في عدة عوامل نذكر منها: عدم انتظام التساقطات، وضعف صبيب بعض العيون والمنابع خلال الفترة الجافة، الذي له أثر سلبي على مجموعة الدوائر السقوية التقليدية التي تعرف انتشار أشجار التين، وتعرض المنتوج لمجموعة من الأمراض والحشرات التي تصيبه، بالإضافة إلى قلة اليد العاملة المتخصصة، واستعمال تقنيات تقليدية في كل مراحل الإنتاج من الجمع حتى التسويق مرورا بالتجفيف والتخزين، وهذا ما يؤثر على المنتوج ويقلل من جودته وتميزه وتنافسيته في السوق.

7. تجارة التين المجفف بالمجال رواج كبيرواستهلاك على نطاق واسع:

يتميز تين تاونات المجفف وبالخصوص "النابوت" بنكهته الخاصة، التي أكسبته شهرة واسعة على المستويين المحلي والوطني، ويشتهر مجال جنوب الريف الأوسط وجنوب الريف الغربي بزراعة التين، والذي يعتبر من أهم المواسم الزراعية في المجال، وهو من الفاكهة المحببة لكثير من الناس، التي انتشرت منذ القدم. إذ يعتبر موسم التين موسماً اقتصادياً يعود بمبالغ مالية جيدة على المزارعين والتجار. وتتعدد صناعاته بين المربيات والتين المجفّف، حيث نجد غالبية الفلاحين يقومون بتجفيف منتوجهم قبل البيع، وعند التجفيف هناك من يبيع منتوجه بدون عملية "الشك" في أزلاك؛ أي على شاكلة الحبوب، خاصة منها التين الضعيفة الجودة أو التين ذات البشرة السوداء(العوالي) لعدم الإقبال عليها، ويكون ثمنها بخسا يتراوح ما بين 5 إلى 10 دراهم للكيلوغرام، حيث يتم استعمالها في عملية التقطير لصناعة الخمور(ماء الحياة)، أو يتم استعمالها في العلف للمواشي أو يوجهونها للاستهلاك العائلي، والتي تتم تعبئتها بطرق تقليدية من خلال أكياس من

[171]– المديرية الإقليمية للفلاحة، تاونات،2017، وثائق

البلاستيك (مثل الأكياس المستعملة للسماد)، بحيث يتم كبس التين في هذه الأكياس لإخراج الهواء المتواجد في الفراغات بين التين وداخلها.

في حين نجد الأغلبية الساحقة من الفلاحين يقومون بعزل التين ووضعها في خيوط على شكل "تسابيح"، وتسمى محليا هذه العملية "الشك في أزلاك"، والتي تتم بشكل يدوي، حيث يتم "شك" التين في أشرطة "أزلاك" مصنوعة من خيوط الدوم أو البلاستيك، قبل توجيهها للتسويق في الأسواق المحلية بثمن يتراوح ما بين 20 درهم إلى 40 درهم للكيلوغرام، وذلك حسب الإنتاج والجودة والعرض والطلب.

صورة 8: عملية شك التين بشكل تقليدي في أشرطة تسمى "أزلاك" باللهجة المحلية

المصدر: تصوير شخصي،2017

تعتبر عملية تسويق التين المجففة المرحلة الأخيرة من مراحل الإنتاج، وتأتي هذه العملية بعد توجيه الفلاح منتوجه من التين إلى الأسواق الأسبوعية المحلية، حيث يقوم ببيعها على شكل أشرطة "أزلاك"، أو على شكل حبوب لتجار التقسيط، والذين بدورهم يسوقونها إلى تجار الجملة، الذين يعمدون إلى شحنها في صناديق تقليدية عادية من الكرتون المستعمل(والذي يزن ما بين 18 إلى 25 كيلوغرام) داخل شاحنات كبيرة ويتوجهون بها إلى الدار البيضاء ومراكش، أو يقومون بتخزينها في الثلاجات المخصصة لذلك مقابل 0.50 درهم للكيلوغرام، إلى حين ارتفاع ثمنها ويسوقونها للمحلات والأسواق الكبرى مقابل ثمن مرتفع يصل إلى 80 درهم للكيلوغرام، حيث يحققون من ورائها ربحا وافرا.

صورة 9: شحن التين من طرف تجار الجملة قصد توجيهها إلى الأسواق الكبرى

صي،2017

يتم تسويق التين من قبل الفلاح غير المنخرط في التنظيمات المهنية وفق نتائج العينة التي شملتها الاستمارة الميدانية، بطرق تقليدية تعتمد على تسويق كمية معينة من التين بشكل أسبوعي في الأسواق المحلية، ويظل هذا الفلاح رهين أثمنة الوسطاء وتجار التقسيط، وهو ما يحول دون استفادته من مصاريف الإنتاج ومشاق العمل طول السنة، وبالتالي اضطراره إلى بيع منتوجه بأثمنة منخفضة ليوفر ما يعيل به أسرته في هذه الفترة من السنة. هذا الوضع هو ما يُفسَر به كذلك، عدم تسويق منتوجه خارج الأسواق المحلية، حيث نجد 95% من الفلاحين يسوقون منتوجهم من التين محليا، في حين نسبة% 5 فقط ممن يوجهون منتوجهم إلى الأسواق الجهوية والوطنية.

8. تسويق التعاونية لمنتوج التين المجفف بالمجال:

يتم تسويق منتوج التين من طرف الفلاح داخل التعاونيات عبر المسالك التعاونية وكذلك المسالك التقليدية، مع اعتماد الأسواق وبعض الوسطاء لتصريف كميات مهمة من الإنتاج، وهو ما يفسر التركيز الكلي لهذه التعاونيات على تسويق المنتوج محليا فقط، وعدم قدرتها على المنافسة وطنيا ودوليا، باستثناء بعض المشاركات في المعارض والصالات الوطنية وبعض الاتفاقيات أهمها مع إحدى الجمعيات الألمانية، والتي صرح أحد مسؤولي وحدة البركة لتجفيف التين، على أنها لم تكتمل بسبب ضعف الإنتاج لتسديد الكمية المطلوبة والتي قدرت ب 150 طن، رغم التنسيق مع جميع الوحدات والتعاونيات الأخرى الموجودة بالمجال. وذلك كله، راجع إلى قلة الإنتاج وغياب الإمكانيات المادية والبشرية القادرة على وضع استراتيجية تسويقية مضبوطة، تستند إلى الإشهار والتعريف بمزايا منتوجها وطنيا ودوليا، والعمل على تعزيز مكتسباتها عن طريق تحسين وتطوير جودة التلفيف والتعبئة.

رغم أهمية التعاونية ومكانتها في عملية التسويق، فإنه تجدر الإشارة، إلى أن نسبة المبيعات حسب نتائج الاستمارة الميدانية داخل هذه التعاونيات لا تتجاوز 29 %، وأن نسبة 71% المتبقية يتم توزيعها في الأسواق بأثمنة منخفضة، وهو ما يؤثر على عائدات الفلاح بشكل حاد، ويعجزه عن تغطية تكاليف الإنتاج، ويحول دون استفادته من الخدمات المثلى للتعاونية ، وبالتالي استمرار سوء هيكلة وتنظيم سلسلة التين بالمجال.

خاتمة

عرف تحويل التين بالمجال حتى عهد قريب، هيمنة للطرق التقليدية، لكن وفي ظل التحولات الحديثة التي أصبحت تطبع مراحل الإنتاج، وبشكل خاص مع انتشار المكننة، تراجعت أهمية الإقبال على الطرق التقليدية بهذه المنطقة التاريخية المعروفة بوفرة وجودة منتوج شجرة التين لصالح الوحدات العصرية، ، هذا التحول لم يواكبه تطور على مستوى التثمين والتسويق، نتيجة عدة اكراهات، يمكن حصرها في ضعف انخراط الفلاح في التنظيمات المهنية المتخصصة في تنمية قطاع التين ، مما يجعل مساهمة سلسلة التين في سد الخصاص الذي يعاني منه المجال يظل ضعيفا نسبيا، نظرا لضعف التثمين وهيمنة الطرق التقليدية على عملية التسويق، وهذا مرده الى عدة عوامل منها بشرية وطبيعية، يمكن حصرها في وعورة التضاريس وضعف البنية الطرقية الأمر الذي يعرقل تصريف الانتاج في اتجاه الأسواق المحلية، بالإضافة الى ضعف وانعدام وسائل النقل العصرية يدفع بالكثير من المستغلين الى عرض سلعاتهم على جنبات الطرق، وهو الأمر الذي يسبب في تلف منتوج التين مما يقلل من قيمته عند البيع، هذا بالإضافة الى الدور السلبي للوسطاء والسماسرة الذين يتمكنون من تخفيض ثمن البيع الى أدنى مستوياته، مستغلين في ذلك ظروف عيش الباعة بإشاعة دعايات تقلل من جودته، فالفلاح في هذه الحالة، لعوزه ،لا يجد بدا من بيع غلته بثمن هزيل لتغطية النفقات الأسرية ونفقات الاستغلال الفلاحي.

تـوصيـــات

- **استراتيجيات التحويل**

– إصدار منشورات إرشادية حول أفضل أساليب تخزين التين.

- إرشاد المزارعين بكيفية التعامل مع جني التين وظروف الجني وطرقها، قصد الحفاظ على جودتها.
- إجراء دراسات وأبحاث تهدف إلى خفض كلفة التصنيع بوحدات تثمين التين، مع رفع الكفاءة الإدارية المسيرة لهذه الوحدات والعاملين فيها.
- وضع شروط محفزة تهدف إلى تشجيع الاستثمار في تحويل التين بشروط تضمن الجودة، وترمي إلى تطوير هذه العملية.
- تحفيز المستثمرين على إنشاء وحدات لتجفيف التين ومبردات لتخزينها.
- هيكلة وحدات التثمين التي تشتغل في قطاع التين بالمجال، عبر تأهيلها ورفع كفاءتها وزيادة طاقتها التحويلية، مع إضافة وحدات أخرى تغطي المجال بكامله.
- نقل وتطويع تكنولوجية التحويل لدى وحدات التين المطبقة في الدول التي تعتبر رائدة في هذا المجال مثل إيطاليا وإسبانيا وتركيا.
- تدريب العاملين في وحدات تثمين التين والمعاصر الحديثة، ورفع قدراتهم خاصة في مجال تشغيل وصيانة هذه الوحدات.
- تسهيل حصول المستثمرين في قطاع التين بالمجال على القروض الميسرة، لإنشاء مزارع عصرية ووحدات تثمين حديثة.
- إدخال أنظمة التأمين على الإنتاج لتشجيع الفلاحين، وتشجيع البنوك التجارية على تقديم القروض الكفيلة بإنجاح المشاريع الفلاحية في المجال.

➢ **استراتيجيات التسويق**

- توفير فرص لتسويق هذه المنتوجات بثمن جيد، وذلك عبر تمكين التعاونيات من عقد شراكات مباشرة مع مؤسسات التسويق الجهوية والوطنية، وبالخصوص "مغرب التسويق".
- إعادة هيكلة الأسواق الأسبوعية بالشكل الذي يضمن للفلاح والتعاونيات تسويق منتوجها من التين بشكل مباشر للزبناء.
- منح وزارة الفلاحة والصيد البحري علامة الجودة الفلاحية والبيان الجغرافي وتسمية المنشأ، من شأنه أن يرفع من جودة المنتوج.
- تصميم وتنفيذ برامج إرشادية تسويقية وترويجية على المستوى المحلي والوطني والعالمي.
- زيادة الوعي التسويقي بين فئات المنتجين والمشتغلين بالقطاع.
- تعريف المنتجين، تجار ومصنعين بالمواصفات المطلوبة في الأسواق الوطنية والأجنبية.
- تطوير البنى التحتية والخدمات التسويقية.
- تقليل المسالك التسويقية لمنتجات التين ، وذلك من خلال تقليل عدد الحلقات التسويقية، مما يؤدي إلى تقليل التكاليف التسويقية، وخاصة العمولات التي يحصل عليها السماسرة والوسطاء التجاريون دون قيامهم بإضافة أي منافع أو قيم إضافية على السلع المتبادلة.
- خفض تكاليف النقل، حيث إن معظم مناطق إنتاج التين تكون في المناطق الجبلية وتبعد عن أماكن الاستهلاك.
- إنشاء هيئة لتسويق وتصدير التين.
- المشاركة الفعالة في الصالات والمعارض المحلية والجهوية والوطنية والدولية.

- تصميم وتنفيذ البرامج الترويجية للمنتجات المجالية في الأسواق الوطنية والدولية.
- تشجيع عقد المهرجانات والمعارض المتخصصة في التين ، وتطوير مهرجان التين الذي يتم تنظيمه كل سنة ببلدية بتاونات ، وذلك بهدف الترويج للمنتجات المحلية داخليا وتثقيف وتوعية المستهلكين بالأهمية الغذائية للتين ، وبما يسهم في زيادة الطلب.

قائمة المراجع

المراجع بالعربية

1. الزرهوني محمد،2013، المواسم والمهرجانات بالمغرب في مسرح النقاش العمومي، المواسم والمهرجانات فضاءات لتثمين الموروث الثقافي، أشغال الدورة الرابعة والعشرين لملتقى الثقافي لمدينة صفرو، مطبعة الشركة العامة للتجهيز والطبع- فاس،ص،11.
2. الغنيوي منصف،(2022)، تثمين الموارد الترابية ورهان تحقيق التنمية المستدامة حالة اقليم تاونات :جهة فاس -مكناس، الجهة-التراب والتنمية الجهوية والمحلية : رؤى متقاطعة، وقائع المؤتمر الدولي، إصدارات المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية، الاقتصادية والسياسية ألمانيا/برلين.
3. محسن الزحيمي، منصف الغنيوي (2018): تثمين المنتوجات المحلية ركيزة أساسية للتسويق الترابي والرفع من تنافسية المجال القروي : دراسة حالة إقليم تاونات، مجلة التنمية والمجال، العدد3
4. يونس نوتفيا، تجربة المعهد الوطني للبحث الزراعي في تثمين المنتوجات المجالية، التجفيف الشمسي وجودة التين ، منشورات الغرفة الفلاحية لجهة درعة تافيلالت، تقرير حول أنشطة المعرض الجهوي للمنتوجات المجالية في نسخته الأولى، الراشيدية من 2 إلى 5 مارس 2017، أبريل 2017.

المراجع باللغة الأجنبية

1. AMRANI M(1986) - Aptitude de différentes variétés d'abricots au séchage et effet du calibre sur la cinétique du séchage et sur la modification morphologie de l'abricot Mémoire fin d'études. IAV rabat
2. BOUTKHIL S. (2011) – Caractérisation de l'organisation du séchage des figues dans les régions de Taounate et chefchaouen et étude de l'effet de quelques prétraitements sur la cinétique du séchage et la qualité de la figue séche. Projet de fin d'études pour l'obtention du diplôme d'Ingénieur d'Etat en Agronomie, Ecole Nationale D'agriculture de Meknes.
3. Direction de Développement des Filières de Production (DDFP) ,guide demandeur pour le dépôt d'une demande de reconnaissance d'un signe distinctif d'origine et de qualité (SDOQ) , Février 2010
4. EL BOUCHOUAFI H. (1990) - Ressources génétiques du figuier dans la région de Taounate : inventaire, identification, aptitude de séchage et qualité organoleptique des variétés locales. Mémoire de Troisième cycle en Agronomie, Ecole Nationale d'Agriculture de Meknès.
5. FERRADJI A, MALEK A, BEDOUD M, BAZIZ R et AOUA S A. (2001) - Séchoir Solaire à Convection Forcée pour le Séchage des Fruits en Algérie ; Rev. Energ. Ren. Vol. 4
6. JEDDI L. (2009)- JEDDI L. (2009)- Valorisation des figues de Taounate- Potentiel, mode et stratégies proposées, Présenté dans le cadre de l'examen d'aptitude professionnelle pour l'avancement de grade dans le cadre d'ingénieur d'état.
7. MEZIANT L. (2014) - Etude de l'effet du séchage sur les caractéristiques physico-chimiques et l'activité antioxydante de neuf variétés de figues (Ficus carica L.), Mémoire de l'obtention du diplôme de Magister Filière : Biologie, Université Abd Errahmane Mira de Bejaia, Faculté des Sciences de la Nature et de la Vie ; Département des Sciences Alimentaires
8. RAHOUTI M. (2017) - rapport sur la présentation du secteur de figuier et olivier dans la province de Taounate
9. Rapport de l'examen aptitude professionnelle, Secteur du figuier dans la province de Taounate , Situation et Stratégie de développement, 2016
10. TIDAOUI N, (2011), Organisation professionnelle agricole autour du figuier selon le genre : Cas des coopératives de séchage de la figue dans la province de Taounate, projet de fin d'études pour l'obtention du diplôme d'ingénieur d'état en agronomie, filière ingénierie de développement.
11. WALALI D. SKIRED A. et ELATIR H. (2003)- « Fiches techniques l'amandier, l'olivier, le figuier, le grenadier » ; Bulletin mensuel d'information et de liaison du PNTT : transfert de technologie en agriculture vol. n° 105 pp3-4

"عملية التكامل بين الانتخابات والمصالحة ودورها في تحقيق الاستقرار السياسي والوحدة في ليبيا"

The integration process between elections and reconciliation and its role in achieving political " stability and unity in Libya"

د.أبوبكر خليفة أبوبكر أبوجرادة/أستاذ العلوم السياسية بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية _جامعة وادي الشاطئ.ليبيا

ملخص:

عملية التكامل بين الانتخابات الليبية والمصالحة تلعب دورًا حاسمًا في تعزيز التحول الديمقراطي في ليبيا. فإن تحقيق المصالحة الوطنية يسهم في خلق بيئة سياسية مستقرة ومواتية لإجراء انتخابات حرة ونزيهة. ومن خلال المشاركة الشاملة في العملية الانتخابية، يمكن للشعب الليبي تحديد ممثليهم وإقامة حكومة شرعية قادرة على تحقيق الاستقرار وتعزيز حقوق الإنسان وبناء مؤسسات ديمقراطية قوية في البلاد.

Abstract:

The integration process between Libyan elections and reconciliation plays a crucial role in strengthening the democratic transition in Libya. Achieving national reconciliation contributes to creating a stable political environment conducive to holding free and fair elections. Through comprehensive participation in the electoral process, the Libyan people can identify their representatives and establish a legitimate government capable of achieving stability, promoting human rights, and building strong democratic institutions in the country..

المقدمة

ليبيا، كباقي البلدان التي شهدت صراعات داخلية عنيفة، تحتاج بشدة إلى عملية مصالحة وانتخابات لتحقيق الاستقرار والسلام وبدء عملية إعادة بناء البلاد. فمنذ الانتفاضة الليبية في عام 2011، تعرضت ليبيا لفترة طويلة من الصراعات المسلحة والتوترات السياسية والاقتصادية، مما أدى إلى تفكك هياكل الدولة وتدهور الأمن وانعدام الاستقرار.

إن المصالحة الوطنية تعني إحلال السلام والمصالحة بين الأطراف المتنازعة وتعزيز الوحدة الوطنية،وتشمل هذه العملية عادة الحوار والمفاوضات السياسية للتوصل إلى اتفاق شامل يعترف بحقوق جميع الأطراف، وينص على تقاسم السلطة والموارد.

من جهة أخرى، تلعب الانتخابات دورًا حاسمًا في إعادة بناء البلاد، حيث تمثل فرصة لتحقيق التغيير السلمي واختيار القادة والمؤسسات السياسية بطريقة شرعية وديمقراطية؛ومن خلال الانتخابات، يتمكن الشعب الليبي من التعبير عن آرائه وتطلعاته والمشاركة في صنع القرارات المستقبلية للبلاد.

بالإضافة إلى ذلك، تعزز الانتخابات الديمقراطية والشفافة الثقة بين الأطراف المتنازعة وتسهم في بناء مؤسسات قوية وموثوقة،وتعمل الانتخابات أيضًا على تعزيز مفهوم حكم القانون واحترام حقوق الإنسان، حيث يتم توفير فرصة للمواطنين للاختيار والمشاركة في العملية السياسية.

إن إعادة بناء ليبيا يتطلب تنفيذ إصلاحات سياسية واقتصادية وأمنية شاملة، ويجب على الحكومة الليبية العمل على تعزيز الوحدة الوطنية والمصالحة ،وتعزيز العدالة ومحاسبة المسؤولين عن ارتكاب جرائم خلال النزاعات السابقة. بالإضافة إلى ذلك، يجب تعزيز القدرات المؤسسية وتحسين الخدمات الأساسية مثل التعليم والرعاية الصحية والبنية التحتية.

من الواضح أن الطريق إلى إعادة بناء ليبيا ليست سهلة وستحتاج إلى جهود كبيرة من جميع الأطراف المعنية. إلا أن العزم، من خلال التوافق والتعاون والالتزام بالعملية السياسية، يمكن لليبيا تحقيق الاستقرار والسلام والبدء في إعادة بناء البلاد ،وتحقيق تطلعات شعبها في الحرية والازدهار والعدالة.

الإشكالية:

تعاني ليبيا من فترة طويلة من الصراعات السياسية والعنف، ويعد تحقيق الاستقرار والسلام في البلاد تحديًا كبيرًا. تشير الإشكالية إلى أنه من المهم جدًا تحقيق التكامل بين العملية الانتخابية والمصالحة الوطنية في ليبيا، وذلك لتعزيز الشرعية السياسية وإشراك جميع الأطراف المتنازعة وتعزيز الاستقرار والوحدة في ليبيا.

-الأسئلة المتفرعة:

- ما هي أهمية الانتخابات في عملية بناء الديمقراطية وتعزيز الشرعية السياسية في ليبيا؟
- ما هي أهمية المصالحة الوطنية في تحقيق الاستقرار والوحدة في ليبيا؟
- كيف يمكن تحقيق التكامل بين العملية الانتخابية والمصالحة الوطنية في ليبيا بطريقة فعالة؟
- ما هي التحديات التي يمكن أن تواجه تحقيق التكامل بين الانتخابات والمصالحة الوطنية في ليبيا؟
- ما هي الأمثلة العملية على التكامل بين الانتخابات والمصالحة الوطنية في الدول الأخرى؟

المنهجية:

إعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي لوصف وتحليل الأدوار والأثر الذي يمكن أن تلعبه الانتخابات والمصالحة في تحقيق الاستقرار السياسي والوحدة في ليبيا،و دراسة العوامل التي تؤثر في نجاح عمليات المصالحة وتحقيق الوحدة الوطنية في البلاد. بالتحليل المنهجي، بهدف التوصل إلى استنتاجات قوية وتوجهات للسياسات العامة لتعزيز دور الانتخابات والمصالحة في ليبيا، وكذلك إعتمد البحث تبني المنهجية الاستقرائية، من أجل الكشف عن تأثير عملية التكامل بين الانتخابات والمصالحة في تحقيق الاستقرار السياسي وتعزيز الوحدة في ليبيا، وبالتالي يمكن تقديم توصيات قابلة للتطبيق لتحسين هذه العملية وتعزيز النتائج المرجوة.

الفرضية:

- فرضية البحث هي؛ أن التكامل الفعال بين الانتخابات والمصالحة الوطنية في ليبيا يسهم في تحقيق الاستقرار والوحدة في البلاد.

• يفترض أن تعزيز الشرعية السياسية من خلال الانتخابات وتعزيز التسامح والمصالح المشتركة من خلال المصالحة الوطنية يمكن أن يؤدي إلى تخفيف التوترات وتحقيق التوافق بين الأطراف المتنازعة في ليبيا.

أهمية وأهداف البحث:

أولا/أهمية البحث:

• يساهم البحث في فهم أهمية التكامل بين الانتخابات والمصالحة الوطنية في تحقيق الاستقرار والوحدة في ليبيا.

• يوفر البحث إطارًا للعمل السياسي والمؤسساتي في ليبيا لبناء ديمقراطية قائمة على الشرعية السياسية والمشاركة الشاملة.

• يساهم البحث في توجيه الجهود الدولية والمنظمات الدولية لدعم عملية التكامل بين الانتخابات والمصالحة الوطنية في ليبيا.

ثانياً/أهداف البحث:

• تحليل أهمية الانتخابات في بناء الديمقراطية وتعزيز الشرعية السياسية في ليبيا.

• دراسة أهمية المصالحة الوطنية في تحقيق الاستقرار والسلام في ليبيا.

• تحديد العوامل التي تسهم في التكامل الفعال بين الانتخابات والمصالحة الوطنية في ليبيا.

• تحديد التحديات التي يمكن أن تواجه تحقيق التكامل بين الانتخابات والمصالحة الوطنية في ليبيا.

ويهدف البحث إلى تقديم نتائج وتوصيات تعزز عملية التكامل بين الانتخابات والمصالحة الوطنية في ليبيا، وتسهم في تحقيق الاستقرار والسلام في البلاد،كما يهدف البحث إلى توضيح الدور الذي يمكن أن تلعبه المنظمات الدولية في دعم هذه العملية وتجاوز التحديات المحتملة التي يمكن أن تواجهها.

تقسيمات البحث:

المحور الأول: الإنتخابات وأثرها على الاستقرار السياسي في ليبيا.

المحور الثاني: المصالحة وأثرها على الوحدة الوطنية في ليبيا.

المحور الثالث:التكامل بين الانتخابات والمصالحة لتحقيق الاستقرار والوحدة في ليبيا.

الخاتمة.

المحور الأول: الانتخابات وأثرها على الاستقرار السياسي في ليبيا.

أولا/ الانتخابات "الاطار النظري": المفهوم _الادوار

تعد المشاركة السياسية ضرورية لكل دولة لأنها تسهم في تحقيق الوحدة الوطنية والاندماج بين أفرادها وتعطي الشرعية للنظام الحاكم ومزيداً من الاستقرار للمجتمع والمساواة في توزيع والموارد بين سكان البلد الواحد ة، بغض النظر عن إنتماءاتهم مما يفضي إلى ترسيخ الحقوق السياسية على قدم المساواة، وتعزيز حق الشعب في صياغة السياسات العامة للدولة.(1)[172]

وتعد الانتخابات من مؤشرات وجود النظام الديمقراطي المستند إلى المشاركة السياسية ، وهي خطوة محسوبة لتعزيز المسار الديمقراطى ، وتحقق مهمتين رئيسيتين هما: (2)

_ إعطاء الشرعية للذين يمارسون السلطة.

_ تحفز الإحساس والشعور لدى المحكومين بإنتمائهم للمجموع من خلال الممارسة الجماعية.

إن الانتخابات سواء كانت رئاسية أو تشريعية أو محلية هي أداة للمشاركة السياسية الدورية ،اداة للتعبير عن الإرادة الشعبية ،ووسيلة يمارس من خلالها الشعب سيادته في إختيار ممثليه في ظل الأنظمة الديمقراطية ، فالانتخابات أداة سياسية من أدوات تجسيد الديمقراطية النيابية غير المباشرة ، إذ من خلالها يختار الشعب حكامه وممثليه في المجالس النيابية ، ومن خلاله أيضاً يستشار في القضايا الجوهرية ، كما أنها آلية مؤسسية لتداول السلطة بشكل سلس وتجديد النخبة السياسية .(3)

تعتبر الانتخابات من ضرورات التحول الديمقراطى ، كما تعتبر المدخل الأساسي والأهم في عملية الإصلاح والتغيير ، وتشكل الانتخابات الآلية السلمية والمشروعة للتداول السلمي للسلطة ،ومن أجل تمثيل مختلف التوجهات السياسية والايديولوجية في المجتمع وتمثيلها في السلطة ، وذلك عبر الإعتراف بها والسماح لها بالمشاركة في الإنتخابات ، مما يحقق الإستقرار السياسي وصحة التمثيل. أي أن الانتخابات هي أداة قانونية تحسم التناقضات والصراعات القائمة في المجتمع ، كما أنها تعد مؤشرا جيدا على مدى التطور الديمقراطي.(4)

ويتضمن النمط الديمقراطي عناصر رئيسية: تعيين الحكام بالانتخاب الشامل،ووجود برلمان يملك صلاحيات واسعة ، وتراتبية القواعد القانونية التي تضمن رقابة قضاة مستقلين للسلطات العامة.والقصد النهائي هو منع السلطة السياسية من الاستحواذ على القوة الزائدة عن الحد، وذلك بهدف الحفاظ على حريات المواطنين.(5)

ويعد الانتخاب الأداة الوحيدة للشرعية الديمقراطية، إذ. يقوم المواطنون بإختيار من يباشرون مظاهر السيادة نيابة عنهم ولمدة محددة ، إلا أن الأخذ بأسلوب الانتخاب لايعد معياراً كافياً لوصف نظام سياسي بأنه ديمقراطي ، وانما يجب توافر شروط جوهرية أخرى ترافق العملية الانتخابية، لعل أهمها أن يكون الاقتراع سريا ومباشرا وعاما ، وان يكون هناك تنافس

---

(1) ماجد محيي آل عزابي، المشاركة السياسية الآليات والعوامل المؤثرة: دراسة نظرية، ط1،عمان:دار الرياحين للنشر والتوزيع ،2019،ص4
(2) سيد احمد كبير ، "العملية الانتخابية في بلدان المغرب العربي:: تجديد سلطوي بقواعد ديمقراطية"،المجلة الجزائرية للدراسات السياسية ، المجلد 9،العدد1(2022)،ص122.
(3) أحمد الصالح أبوعافية،نور الدين حشود ،الانتخابات التشريعية في ظل التعددية السياسية في مصر ،عدد خاص 2011،مجلة دفاتر السياسة والقانون،ورقلة: جامعة قاصدي مرباح، 2011،ص254.
(4) أسماء البنا، " أزمة التحول الديمقراطي في تونس: الأسباب والمؤشرات والدروس المستخلصة" ، مجلة رواق عربي، ،تاريخ النشر: 2022/12/16،تاريخ الاطلاع:2023/10/10. https://cihrs-@rowaq.org/
(5) ثناء فؤاد عبدالله ، آليات التغيير الديمقراطي في الوطن العربي ، ط1، بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ، 1997،ص19.

سياسي بحرية ودون قيود بين المرشحين، فضلاً عن ضمان إنتخابات نزيهة لاتطالها شبهة التزوير، فإذا توافر ذلك نستطيع القول أن صوت الناخب أصبح مجديا ومؤثرا، إذ سيكون قادراً على إسقاط مرشح ومنعه من الوصول إلى مركز القرار ، والعكس صحيح في حال عدم توافر تلك الشروط.(1)[173]

ثانياً /الانتخابات الليبية: الاطار العملي

في مجتمعات الصراع ومابعد الصراع كليبيا، غالبا ما تلعب الانتخابات دورا حاسما في عملية بناء السلام والتحول الديمقراطي.و يُنظر إلى الانتخابات على أنها وسيلة لإنشاء هياكل حكم شرعية، وتشجيع المشاركة السياسية، وتعزيز المصالحة بين المجموعات المختلفة داخل المجتمع. ويمكنها أن تساعد في توفير منصة للحوار والتفاوض، مما يسمح لمختلف الفصائل بالتنافس سلميا على السلطة السياسية.

حيث تلعب الانتخابات دورًا حاسمًا في عملية الحوار وصنع السلام وتعزيز الاستقرار في ليبيا.ومن الأدوار التي يمكن أن تلعبها الانتخابات في هذه العملية في هذا الإطار:

1/تعزيز الشرعية السياسية: فمن خلال الانتخابات، يتم تمكين الشعب الليبي من اختيار ممثليهم السياسيين بطريقة ديمقراطية. وبذلك، تعزز الانتخابات الشرعية وتمنح الحكومة والمؤسسات السياسية القوة والمصداقية للتعامل مع التحديات واتخاذ القرارات.

2/تشجيع الحوار والتوافق: يمكن أن تكون العمليات الانتخابية مناسبة للتشاور والحوار بين الأطراف المختلفة كما يمكن للمرشحين والأحزاب السياسية المشاركة في الحملات الانتخابية وتبادل الأفكار والرؤى، مما يعزز التوافق ويشجع على التعاون بين الأطراف المتنافسة.

3/تعزيز المصالحة الوطنية: يمكن أن تكون الانتخابات فرصة للمصالحة الوطنية والتحول من النزاعات المسلحة إلى عملية سياسية، فمن خلال الانتخابات، يمكن للأطراف المتنازعة التعبير عن آرائها ومصالحها بشكل سلمي، والمشاركة في بناء مستقبل ليبيا المشترك.

4/إرساء ديناميكية الديمقراطية: يمكن أن تسهم الانتخابات في إرساء ديناميكية الديمقراطية في ليبيا،فمن خلال المشاركة الشعبية في عملية الانتخابات وتجربة الحكم الديمقراطي، يمكن تعزيز الثقافة الديمقراطية والمشاركة المدنية واحترام حقوق الإنسان.

5/تعزيز الاستقرار والثقة: عن طريق إجراء انتخابات نزيهة وشفافة وموثوقة، يمكن أن تسهم الانتخابات في بناء الاستقرار واستعادة الثقة بين الحكومة والشعب. فالاستقرار السياسي المتين يمكن أن يساهم في تعزيز الأمن والاستقرار العام في ليبيا.

(1) عبدالباسط عبدالرحيم عباس، "الانتخابات الديمقراطية والديمقراطية الانتخابية"،مجلة العلوم القانونية والسياسية ،المؤتمر العلمي الدولي الثالث 17/16_2017/12،ديالى: جامعة ديالى -كلية القانون والعلوم السياسية ،2017،ص247

ومن المهم أن تتم الانتخابات بشكل شفاف وعادل، وأن يتم احترام إرادة الناخبين وضمان مشاركة جميع الأطراف بمن فيهم الأقليات،كما يجب أن يتم دعم العملية الانتخابية من قبل المجتمع الدولي وفريق الأمم المتحدة لضمان النجاح والشرعية الدولية للانتخابات في ليبيا.

وبالرغم من أن الاستحقاق الانتخابي في ليبيا الجديدة قد تأخر بشكل ملحوظ ، حيث يلاحظ طول أمد المرحلة الانتقالية تمشيا مع مانص عليه الإعلان الدستوري المؤقت لعام 2011، إلا أن الأحداث والشواهد تؤكد على إجراء إنتخابات ليبية نزيهة وشفافة خلال إنتخابات المؤتمر الوطني العام ومجلس النواب الليبي عامي 2012،و2014،وخلال انتخابات لجنة الدستور أو لجنة الستين في عام 2015، أو خلال انتخابات المجالس البلدية في أرجاء ليبيا المختلفة.(1)[174]

وذلك على الرغم من الصراعات التي ترتبت عليها ، لأسباب متعددة ومن بينها تفاقم التدخل الخارجي وحدةالاستقطابات السياسية والايديولوجية ، كل هذا الانتخابات المختلفة رسخت إلى حد كبير الثقافة الانتخابية لدى الليبيين، ظهر ذلك في الإقبال الملحوظ لليبين على الانتخابات التي كانت ستجري في نهاية عام حيث بلغ عدد الناخبين المسجلين في الانتخابات الليبية التي كان مزمعا إجراؤها في عام2021 زهاء 2.737.125.. ويمكن أن يعزى هذا الإقبال لثلاثةأسباب رئيسية حسب إعتقادي وهي:

1/ رغبة في تغيير الطبقة السياسية: يشعر الليبيون بأن الطبقة السياسية الحالية تعوق تقدم إعادة بناء البلاد على المستويات السياسية والاقتصادية. ومن خلال المشاركة في الانتخابات، يأمل الناخبون في إحداث تغيير حقيقي وتحسين الحكم والإدارة

2/التوجه نحو وحدة واستقرار ليبيا: يعتقد الكثيرون أن الانتخابات الديمقراطية الناجحة يمكن أن تساهم في تحقيق الاستقرار والوحدة في ليبيا،فبوجود حكومة واحدة ومؤسسات أمنية وعسكرية موحدة، يمكن للبلاد التصدي للتحديات المستقبلية والقضاء على تأثير المليشيات المسلحة.

3/توحيد المؤسسات السيادية: يسعى الليبيون إلى توحيد المؤسسات السيادية المنقسمة في البلاد، مثل مصرف ليبيا المركزي والمؤسسة الوطنية للنفط. من خلال الانتخابات، وقد يتم تشكيل حكومة تتمتع بالشرعية والقدرة على إعادة بناء هذه المؤسسات وتحقيق التنمية الاقتصادية والاستقرار.

بشكل عام، يعكس الاهتمام المستمر بعملية الانتخابات والمشاركة الواسعة لليبيين فيها رغبتهم في تحقيق تقدم سياسي واقتصادي واجتماعي في البلاد، ومن المهم أن تتواصل الجهود الدولية والمحلية لتعزيز العملية الديمقراطية في ليبيا ودعم استقرارها على المدى الطويل.

ثالثاً/ تحديات العملية الانتخابية في ليبيا.

تواجه العملية الانتخابية في ليبيا العديد من التحديات التي تؤثر على سيرها ونجاحها. ومن بين هذه التحديات كما نرى:

(1) مصطفى عبدالله خشيم، "الانتخابات الليبية: الواقع والآفاق"، مجلة صبراتة والعلمية، العدد السادس ،2019، ص3

1/الانقسامات السياسية والعسكرية: تعاني ليبيا من تواجد عدة فصائل وجماعات مسلحة، وتتنافس هذه الفصائل على السيطرة والنفوذ،وهذا الانقسام يعكسه صعوبة تحقيق التوافق والاتفاق على إجراءات الانتخابات وتنظيمها بشكل شامل.

2/الأمن والاستقرار: تشكل الأوضاع الأمنية غير المستقرة عقبة كبيرة أمام سلامة وسير العملية الانتخابية، لذلك من المهم توفير بيئة آمنة ومستقرة لتنظيم الانتخابات ،وضمان مشاركة جميع الأطراف بحرية وبدون تهديدات.

3/ البنية التحتية الضعيفة: تعاني ليبيا من تحديات فيما يتعلق بالبنية التحتية، بما في ذلك البنية اللوجستية والاتصالات ونقل الأصوات،لذلك يجب توفير البنية التحتية اللازمة لضمان سلامة وشفافية العملية الانتخابية.

4/ الوضع الأمني في العديد من المناطق: توجد مناطق في ليبيا تخضع لسيطرة فصائل مسلحة متناحرة أو تعاني من انعدام الأمن والاستقرار. لهذا يجب إيجاد آليات لضمان مشاركة جميع المواطنين في هذه المناطق في العملية الانتخابية وتوفير الحماية الكافية لهم.

5/ التحديات القانونية والإدارية: يواجه تنظيم الانتخابات في ليبيا تحديات قانونية وإدارية، بما في ذلك وضع قوانين انتخابية مناسبة وتنظيم لجان انتخابية مستقلة ونزيهة،لذلك يجب توفير الإطار القانوني والإداري الملائم لضمان سير الانتخابات بشكل عادل وشفاف.

6/تعدد الأطراف وتنوع الأصوات: ليبيا مجتمع متنوع ذو قوانين وعادات وتقاليد متعددة. يجب أن يتم تمثيل هذا التنوع في العملية الانتخابية وضمان أن يكون لجميع الأطراف السياسية والاجتماعية صوتًا في صنع القرار.

ويمكن حصر مكامن الضعف التي تواجه العملية الانتخابية في ليبيا في النقاط التالية:(1)[175]

1/غياب القيادات والنخب السياسية الوطنية التي تقود العملية الانتخابية.

2/ضعف النظام الحزبي القائم على برامج وطنية تؤسس لقيام الدولة المدنية.

3/ غياب الإعلام الوطني الذي يوفر المعرفة اللازمة للناخبين وللنخب السياسية التي تخوض الانتخابات العامة والمحلية.

4/ تباطؤ تبني دستور يتمشى وظروف ليبيا الجديدة ، يعيق العملية الانتخابية والانتقال من المرحلة الانتقالية إلى مرحلة البناء والمؤسسات السياسية المستقرة.

5/إن إنتشار فوضى السلاح والمليشيات المسلحة يعيق العملية الانتخابية ، لاسيما في مناطق النزاعات.

6/ إن عدم الاستقرار السياسي والمؤسساتي لايساعد على إجراء الانتخابات المنشودة التي تقود إلى بناء الديمقراطية.

7/ إن عدم إنتقال السلطة بشكل سلمي يضعف من ثقة الناخبين في العملية الانتخابية والديمقراطية على حد سواء.

8/ بروز القبلية والجهوية على حساب الوطنية يعيق نجاح العملية الانتخابية..

(1) المرجع السابق ذكره، ص38.

9/ الصراع الأيديولوجي يعيق نجاح العملية الديمقراطية ويساهم في بروز قيادات ونخب سياسية متطرفة.

10/ إن بروز قنوات فضائية مؤدلجة تشوه الحقائق تساهم في عد عقلانية قرارات الناخبين ، لاسيما خلال مرحلة التصويت في الانتخابات العامة.

عموماً ،يتطلب تجاوز هذه التحديات التعاون والتوافق بين جميع الأطراف المعنية في ليبيا، بالإضافة إلى الدعم والمساعدة الحقيقية والفعالة من المجتمع الدولي.فعلى الرغم من كل هذه التحديات، فإن إجراء انتخابات شاملة وشفافة في ليبيا يمكن أن يسهم في تعزيز الشرعية السياسية وبناء مؤسسات ديمقراطية قوية، وبالتالي تحقيق الاستقرار والتقدم في البلاد.

المحور الثاني: المصالحة وأثرها على الوحدة الوطنية في ليبيا.

أولا/ المصالحة الوطنية"الإطار النظري": المفهوم _ الشروط

المصالحة الوطنية تعني (عملية للتوافق الوطني تنشأ على أساسها علاقة بين الأطراف السياسية والمجتمعية قائمة على التسامح والعدل وإزالة آثار صراعات الماضي لتحقيق التعايش السلمي بين أطياف المجتمع كافة، وبما ويضمن الإنتقال الصحيح للديمقراطية من خلال آليات محددة ووفق مجموعة من الإجراءات).(1)[176]

إن مفهوم المصالحة الوطنية يشير إلى جهود التوافق والتصالح بين الأطراف المتناحرة أو المتخاصمة في إطار وطني،و يهدف إلى تقريب وجهات النظر المختلفة، وتلافي الانقسامات والصدع بين الفئات المختلفة في المجتمع.

وبشكل أكثر تفصيل المصالحة : " هي توافق وطني يستهدف تقريب وجهات النظر المختلفة وردم الفجوات بين الأطراف المتنازعة او المتحاربة. وبالإضافة إلى ذلك إن المصالحة الوطنية هي السعي المشترك نحو إلغاء عوائق الماضي واستمراريتها السياسية والتشريعية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية ،وتصحيح ماترتب عليها من ابن ومآسي وأخطاء وانتهاكات وجرائم جسيمة ، والقطع نهائيا من قبل الجميع مع الحلول العنيفة في معالجة الملفات والقضايا المختلف حولها، والنظر بتفاؤل إلى المستقبل ، وذلك من خلال التأسيس في الحاضر.(1)[177]

وتعتبر المصالحة الوطنية آلية ضمن آليات حل النزاع ؛ فهي بديل ونقيض لآلية "القوة" التي تفضلها العقليات التي لاتؤمن بالآخر.وبين إستخدام "القوة" واستخدام "المصالحة الوطنية" هناك آليات أخرى تدخل بين هذين النقيضين: كال"مقاضاة" "الوساطة" "التفاوض" و"التحكيم". ونهج" المصالحة الوطنية " يسعى لإيجاد حلول للقضايا الأساسية في النزاع ، ويعمل أيضا على تغيير علاقات الخصوم من " الحقد والعداء والكراهية " إلى " الصداقة والوئام والشراكة " ، وان يكون الجميع على قدم المساواة في الحقوق والواجبات.، كذلك فإن من إيجابيات المصالحة هو تفعيل الحراك السياسي في المجتمع ورفع الوعي السياسي لدى المواطن العادي.(2)

ولنجاح المصالحة الوطنية في بلد ما لابد من توافر مجموعة من الشروط:(3)

(1)بدرية صالح عبدالله ،"تحديات المصالحة الوطنية في ليبيا بعد عام 2011_2021"،مجلة العلوم القانونية والسياسية ، المجلد الحادي عشر - العددالثاني-الجزء الأول -2022،بغداد: جامعة بغداد مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية ، 2022، ص16.
(1) وناس فاطمة، المصالحة الوطنية كآلية لتحقيق الاستقرار السياسي في الجزائر، رسالة ماجستير منشورة مقدمة إلى كلية الحقوق والعلوم السياسية-جامعة قاصدي مرباح ورقلة، العام الجامعي 2013/2012،ص10.
(2) عمرو خيري عبدالله واخرون،المدخل لدراسات السلام وحل النزاعات ،ط1، بغداد: جمعية الأمل العراقية ، 2021،ص314.
(3) وناس فاطمة، المصالحة الوطنية كآلية لتحقيق الاستقرار السياسي في الجزائر، مرجع سبق ذكره،ص11_12

• لابد من توافر إعتراف رسمي بشأن الوقائع التي شكلت إنتهاكا لحقوق الإنسان ، والإقرار بمبدأ محاسبة مرتكبي الجرائم والمتسببين في إهدار حقوق الأبرياء ، ويتم ذغ بشكل تصالحي يشمل كافة الجوانب السياسية والاجتماعية.

•لابد من توفر الدعم المادي والمعنوي للأشخاص والأهالي المتضررين من عمليات العنف، بحيث يكون هذا التعويض مبدأ رسمي مقرر ويعمل به.

•إبراز لحركة العدالة الانتقالية في الذاكرة الوطنية لكي تكون سدا لكل من يفكر في إقترافها أمثالها سواء عن طريق عرضها على وسائل الإعلام أو عن طريق عرض مشاهد تذكارية تعبر عن إنتهاكات حقوق الإنسان وكيف كان للعدالة الانتقالية دور في إعادة الأمن.

ثانياً/المصالحة الليبية :الإطار العملي

في ليبيا تعد مسألة المصالحة معقدة وشاملة، وتتضمن العديد من المواصفات والشروط التي يجب توفرها لتحقيق نجاح عملية المصالحة وتعزيز الاستقرار في البلاد. ومع ذلك، يمكن ذكر بعض النقاط الأساسية التي غالبًا ما يتم التركيز عليها في عمليات المصالحة:

1/الشمولية والشرعية: يجب أن تكون عملية المصالحة شاملة وتشمل جميع الأطراف المتنازعة في ليبيا، بما في ذلك الجماعات العرقية والقبلية والسياسية والعسكرية،ويجب أن يشعر جميع الأطراف بأنهم ممثلون ومشاركون في العملية.

2/الحوار والتفاوض: يجب أن يتم اللجوء إلى حوار بناء وتفاوض حقيقي بين الأطراف المتنازعة، بهدف التوصل إلى اتفاق مشترك يلبي مصالح جميع الأطراف، كما يجب أن يتم تعزيز هذا الحوار بوساطة محايدة ودعم دولي.

3/العدالة والمصالحة الوطنية: يجب أن يتم التعامل بشكل عادل مع الجرائم السابقة وانتهاكات حقوق الإنسان التي ارتكبت خلال الصراع. كما يجب أن يتم تعزيز مفهوم المصالحة الوطنية التي تهدف إلى تعزيز الانتماء الوطني والمصالحة بين الليبيين.

4/العدالة الانتقالية: يجب أن تضمن عملية المصالحة آليات للتعامل مع الانتهاكات السابقة وتحقيق العدالة الانتقالية، ويمكن ذلك من خلال إنشاء محاكم خاصة أو آليات أخرى لمحاسبة المسؤولين عن ارتكاب الجرائم.

5/ التنمية الاقتصادية والاجتماعية: يجب أن تتضمن عملية المصالحة خططًا لتعزيز التنمية الاقتصادية والاجتماعية في ليبيا ،كما يتضمن ذلك توفير فرص العمل وتحسين البنية التحتية وتعزيز الخدمات العامة للمواطنين.

6/الإصلاحات السياسية: يجب أن تشمل عملية المصالحة إصلاحات سياسية شاملة تهدف إلى بناء نظام سياسي ديمقراطي وشامل في ليبيا،كما يجب أن تتضمن هذه الإصلاحات العمل على وضع دستور جديد وتعزيز حقوق الإنسان وتعزيز الحوكمة الشفافة ومكافحة الفساد.

7/الدعم الدولي: يعد الدعم الدولي ودور الوساطة للمجتمع الدولي أمرًا حاسمًا في عملية المصالحة في ليبيا. كما يجب أن توفر الدول المعنية والمنظمات الدولية الدعم السياسي والاقتصادي والأمني للعملية، وتسهم في إيجاد بيئة ملائمة للمصالحة والاستقرار.

هذه بعض المواصفات والشروط التي يمكن أن تكون ضرورية لعملية المصالحة في ليبيا. ومع ذلك، يجب أن يتم تنفيذ هذه الشروط بطريقة ملائمة ومتوافقة مع الوضع الليبي الراهن واحتياجات الشعب الليبي. وقد تختلف الشروط والمتطلبات الدقيقة حسب الظروف والتحديات التي تواجهها ليبيا في الوقت الحالي.

والحقيقة أن المصالحة الوطنية الشاملة في ليبيا كما أسلفنا تعتبر مسألة معقدة وشاملة، وتشمل العديد من الجوانب السياسية والاجتماعية والاقتصادية، والتي تتطلب جهداً حكومياً يفترض أن يناط بحكومة موحدة تأتي بها شرعية الانتخابات المرتقبة.

وعلى النقيض من الوهن والعوائق التي تعرض لها الجانب الرسمي في مجال المصالحة الليبية، تمكن الجانب غير الرسمي/الأهلي، وعلى مستويات مجتمعية ومناطقية متنوعة، من تحقيق قدر من الإنجازات المهمة في هذا الصدد، مما أسهم في تهدئةعديد التوترات التي كادت أن تنزلق نحو التصعيد، وتأجيج الصراعات.(1)[178]

فمن الملاحظ أن هناك تحسنًا في بعض جوانب المصالحة في ليبيا. وتقدم تم إحرازه في بعض المناطق والقضايا، فقد تم التوصل إلى تسويات وحلول جزئية لبعض القضايا المعلقة بين المدن والقبائل المختلفة. على سبيل المثال، تم حل الأزمة بين مصراتة وتاورغاء، حيث عاد سكان تاورغاء إلى منازلهم وبدأت جهود إعادة الإعمار والتنمية في المدينة. كما تم تحقيق تقارب وتواصل بين مدينتي بني وليد ومصراتة، وتم حل بعض الأزمات العالقة بين الزنتان والمشاشية. كذلك حدث تقارب ملحوظ بين القبائل المتنافسة في "الجنوب الليبي"، يمكن أن يفضي إلى مصالحة أعمق.

ومع ذلك، لا تزال هناك بعض التحديات والقضايا العالقة. فمثلا، لا يزال هناك صعوبات في حل الأزمة في مرزق، حيث مازالت بعض التدخلات الخارجية والداخلية تؤثر على تحقيق التسويات النهائية، وهناك أيضًا بعض الأشخاص الذين يستفيدون من استمرار الأزمة لمصلحتهم الخاصة.

وعلى الرغم من التحسن في بعض الجوانب، يجب الاعتراف بأن المصالحة الشاملة لا تزال تحتاج إلى جهود مستمرة وتعاون داخلي وخارجي لتحقيقها بشكل كامل، فيجب أن تكون المصالحة المستدامة في ليبيا هدفًا رئيسيًا لجميع الأطراف المعنية، ويجب أن تدعمها جهود المجتمع الدولي لتعزيز الاستقرار والسلام في البلاد.

إن صياغة العدالة الانتقالية وجبر الضرر هي شرط مهم في عملية المصالحة الوطنية لكي تتجسد بشكل كبير ،حيث يجب أن يتم تحقيق العدالة ومحاسبة المسؤولين عن جرائم الحرب وانتهاكات حقوق الإنسان التي وقعت خلال النزاع،وهذا يساهم في إرساء أسس قوية للمصالحة وإعادة بناء الثقة بين الأطراف المتنازعة.

(1) أحمد على الاطرش ، " العدالة الانتقالية والمصالحة الوطنية: جدلية الأولويات"، مركز الجزيرة للدراسات ، ،تاريخ النشر: 3اكتوبر2021،تاريخ الاطلاع : 10أكتوبر2023www.studies.aljazeera.net
(2) إلياس أبوبكر علي الباروني، "إشكاليات التحول الديمقراطي بعد ثورة فبراير الليبية: دراسة بين العوامل الداخلية والخارجية "، مجلة أريد للعلوم الإنسانية والاجتماعية ، رقم المجلد1،العدد1، 2019،ص156

إن الدرب الصحيح لتحقيق المصالحة الشاملة في ليبيا يستلزم اتباع الآليات المناسبة للعدالة الانتقالية.لذلك من المهم دراسة المصالحة الوطنية جنبا إلى جنب مع آليات العدالة الانتقالية: وهي تحديداً كشف الحقيقة والمحاسبة والتطهير ، والإصلاح المؤسسي ، والعفو ، وجبر أضرار الضحايا ، وتخليك ذكراهم ، وحفظ الذاكرة الجماعية.(2)

كذلك فإن أفضل وسيلة لبلوغ المصالحة الوطنية في ليبيا أنها يجب أن تتم عن طريق تطبيق المسارات المتقدمة ممتزجة ومتكاملة أو على التوازي (مصالحة سياسية+ مصالحة مجتمعية+ مصالحة قانونية) إسترشادا بمبادئ العدالة الإصلاحية.(1)[179] المصالحة هي البديل عن النزاعات غير المجدية للشعب والدولة، والقبول بها يعني فتح أبواب المفاوضات في مجال توزيع السلطة وفي المناطق الرخوة والساخنة وتوزيع عملية إعمار البلد المهشم وتوزيع موارده المالية بصورة ناجحة وفعالة ؛والاستفادة من طاقاته البشرية. إن آلية " المصالحة الوطنية" تسعى إلى معالجة جذور ماحدث لكي تمنع حدوثه مرة أخرى .وهذا يتطلب الإعتراف بالآخر ، وان هناك أخطاء حدثت.(2)

بشكل عام، المصالحة الوطنيةالشاملة في ليبيا تحتاج إلى جهود مستدامة ومتواصلة من جميع الأطراف المعنية،كما يجب أن يتم تعزيز التفاهم والحوار والتعاون بين الجميع، وأن تكون هناك إرادة حقيقية للتوصل إلى حلول شاملة ومستدامة للنزاعات والقضايا العالقة.

ثالثاً /تحديات المصالحة الوطنية الشاملة في ليبيا.

المصالحة الوطنية في ليبيا تواجه عدة تحديات تؤثر على استقرار ووحدة البلاد. وفيما يلي بعض هذه التحديات وأثرها المحتمل:

1/ **الانقسامات السياسية والعسكرية:** تعود الانقسامات السياسية والعسكرية في ليبيا إلى فترة ما بعد الثورة عام 2011. تنتج عن هذه الانقسامات انقسامات جهوية وعرقية وقبلية وتنافس على السلطة والموارد. وتعوق هذه الانقسامات عملية المصالحة وتقوض الجهود الرامية لتحقيق الاستقرار والوحدة.

2/ **ضعف الهياكل الحكومية والمؤسسات:** تعاني ليبيا من ضعف الهياكل الحكومية والمؤسسات الوطنية، وهذا يشكل تحديًا لعملية المصالحة. فعدم وجود هياكل قوية وموثوقة يصعب عليها تنفيذ الاتفاقيات المنبثقة عن المصالحة وتطبيقها بشكل فعال.

3/ العدالة والمصالحة: يواجه الليبيون صعوبات في التعامل مع قضايا العدالة والمصالحة بعد النزاعات وانتهاء الصراعات. "إن غياب الإرادة السياسية الحقيقية للمؤسسات السياسية للدولة الليبية في المرحلة الانتقالية ،ابتداءا من المجلس الانتقالي ، ومروراً بوريثه المؤتمر الوطني العام ، وانتهاء بالبرلمان ، وحتى عندما أشرفت الأمم المتحدة على حوار الصخيرات ، وأنتجت جسما سياسياً جديدا ، تحت مسمى المجلس الرئاسي ، والذي سيطر على السلطة من 2014 إلا أنه لم يهتم بالعدالة الانتقالية ، ولم يقدم أي تصور للبدء فيه".(3)[180]

---

(1) ابتسام سالم خليفة ، "إنعكاس المصالحة الوطنية على السلم الاهلي في ليبيا "، المؤتمر العلمي الثالث لكلية الآداب جامعة الزاوية:12-13ديسمبر 2021،ص509 [179]

(2)عمرو خيري عبدالله واخرون،المدخل لدراسات السلام وحل النزاعات ،مرجع سبق ذكره،ص314.((2)

4/**القوى الخارجية والتدخل الخارجي**: " يرتبط دور العامل الخارجي بمدى تأثير الأحداث الداخلية على مصالحه،وهو مايستدعي بالضرورة قيامه بالتدخل ، سواء عن خلال مبادرات ، أو تقديم ودعم أو مساندة بأشكالها المختلفة ، والى غير ذلك من الوسائل والأنشطة ، بغية الحفاظ وحماية مصالحه، والتي ربما تقبل تعدد الفاعلين المحليين لأن الهدف الموضوعي لها هو بقاء الدولة الليبية أمام التحدي الذي يخلقه وجود العامل الخارجي".(1)[181]

5/ الإعلام والخطاب السياسي: يلعب الإعلام والخطاب السياسي دورًا هامًا في عملية المصالحة. قد يؤثر الخطاب السياسي المتشدد والمحرض والتضليلي على استقرار البلاد وتعزيز الانقسامات، لذلك يجب تعزيز دور وسائل الإعلام المستقلة وتشجيع الخطاب السياسي المسؤول والموجه نحو التهدئة والتوافق.

6\ غموض الفكرة: "يتمثل هذا التحدي لقيام فكرة المصالحة بأن فكرة المصالحة في حد ذاتها يمكن أن تكون غامضة ، مما يؤدي إلى فهمها بطرق مختلفة لدى المواطنين الليبيين. ففي ظل غياب تعريف موحد للمصالحة ، غالبا مايكون موقف الليبيين من المصالحة مستنداً على مفهومهم الخاص ، وقد يكون منحازا لطرف دون الآخر حتى من قبل المسؤولين على المصالحة".(2)إن تحقيق المصالحة الوطنية في ليبيا بصورتها المتكاملة يتطلب جهودًا شاملة ومستدامة من جميع الأطراف المعنية، بالإضافة إلى الدعم الدولي، فيجب أن تركز هذه الجهود على تعزيز الثقة المتبادلة والحوار البناء بين الأطراف المختلفة، وتعزيز الهياكل الحكومية والمؤسسات الوطنية، وتعزيز العدالة والمصالحة، والحد من التدخلات الخارجية، وتعزيز دور وسائل الإعلام المستقلة في تعزيز الوحدة الوطنية والتوافق.

المحور الثالث: التكامل بين الانتخابات والمصالحة لتحقيق الاستقرار والوحدة في ليبيا.

أولا /عملية التكامل بين الانتخابات والمصالحة الوطنية الليبية: مستويات التأثير

إن تحقيق التحول الديمقراطي في ليبيا مهمة صعبة بالنظر إلى الظروف الأمنية والتعقيدات المجتمعية في الهوية القبلية والجهوية ، وتأثير التدخلات الخارجية ، إلا أنها ليست مستحيلة ، وذلك يكون من خلال دعم الحكومات المؤقتة لخيار الحياد الإيجابي والعمل على تهيئة الأرضية المثلى لإنجاح الفعل الإنتخابي ، فضلا على توفر الإرادة السياسية النابعة وليست التابعة للفواعل الفوق وطنية، إلى تعزيز النظام التعددي الحزبي ،وإجراء إنتخابات حرة ونزيهة تشارك فيها كل القوى السياسية على قدر من المساواة ، وهو ما يقود إلى حكومة ديمقراطية واستقرار داخلي ، وكذلك عملها على دعم الحراك الشعبي والذي يطالب ببناء جيش وطني قوي ، ومؤسسات أمنية وسياسية شرعية وإزالة مظاهر التسلح ، ودعم المصالحة الوطنية التي يعيقها العامل الأمني وبناء الثقة بين مكونات الشعب الليبي.(1)[182]

(3) سلوى الدغيلي ، "العدالة الانتقالية في ليبيا بين حكم القوة وتحديات المرحلة الانتقالية"،مجلة دراسات قانونية ،العدد الثامن والعشرون ،2018،ص235

(1) حسين سالم مرجين، "دور العامل الخارجي في الحراك المجتمعي وإنعكاسه على التحول الديمقراطي (دراسة الحالة الليبية)"، المجلة الأردنية للعلوم الاجتماعية، المجلد 13،العدد3، 2020،ص366.
(2)إبتسام سالم خليفة ، "إنعكاس المصالحة الوطنية على السلم الاهلي في ليبيا "،مرجع سبق ذكره ،ص512

(1) حسين سالم مرجين، "دور العامل الخارجي في الحراك المجتمعي وإنعكاسه على التحول الديمقراطي (دراسة الحالة الليبية)"، مرجع سبق ذكره ،ص375.

إن التكامل بين الانتخابات والمصالحة الوطنية في ليبيا يمكن أن يساهم في تحقيق الاستقرار على عدة مستويات. وهذه بعض الطرق المستخلصة التي يمكن أن يؤثر بها هذا التكامل:

1/ تعزيز الشرعية السياسية: من خلال إجراء انتخابات شفافة وعادلة ومقبولة من قبل جميع الأطراف المعنية، يمكن للشعب الليبي أن يمارس حقه في اختيار ممثليهم السياسيين،وبهذا يتم تعزيز الشرعية السياسية للحكومة والمؤسسات الوطنية، مما يساهم في الاستقرار السياسي والقدرة على اتخاذ القرارات المهمة.

2/ تعزيز الوحدة الوطنية: من خلال العمل على تحقيق المصالحة الوطنية، يمكن للأطراف المتحاربة في ليبيا أن تتوصل إلى اتفاق ينهي الصراع ويعزز الوحدة الوطنية،ويمكن للمصالحة أن تشمل عدة جوانب، مثل العدالة الانتقالية والمصالحة الاجتماعية وإعادة الإعمار وتعزيز الحوار السياسي. بتحقيق هذه المصالحة، يمكن لليبيا أن تتجاوز التوترات السابقة وتعزز الثقة المتبادلة بين الأطراف المختلفة.

3/تعزيز الأمن والاستقرار: من خلال الاستقرار السياسي والوحدة الوطنية، يمكن لليبيا أن تركز جهودها على تحقيق الأمن والاستقرار الداخلي،ويمكن توحيد الجهود الأمنية والعسكرية تحت سلطة واحدة وإعادة بناء القوات الأمنية الموحدة،كما يمكن تعزيز الحدود ومكافحة الجريمة المنظمة والتطرف، مما يساهم في توفير بيئة آمنة ومستقرة للمواطنين.

4/ إعادة بناء المؤسسات: من خلال الانتخابات والمصالحة الوطنية، يمكن لليبيا أن تعمل على إعادة بناء مؤسساتها المدنية والديمقراطية،ويمكن تدريب الكوادر الوطنية وتعزيز القدرات الإدارية والقضائية. بالإضافة إلى ذلك، يمكن تعزيز الشفافية ومكافحة الفساد، مما يساهم في تعزيز الثقة بين المؤسسات والمواطنين.

من المهم أن يتم تنفيذ هذا التكامل بشكل شامل وشفاف وبمشاركة جميع الأطراف المعنية في ليبيا،ويجب أن يكون هناك إرادة سياسية قوية لتحقيق هذا التكامل واستعداد للتفاوض والتوافق. بالإضافة إلى ذلك، يجب أن يتم دعم الجهود الدولية والإقليمية لتعزيز هذا التكامل وتوفير المساعدة اللازمة لليبيا في هذه العملية.

ثانياً/ كارثة درنة وأثرها على عملية التكامل بين الانتخابات والمصالحة .

بالتركيز على إجتماع الليبيين وتوحدهم كشعب وهيئات مدنية وعسكرية في ظل حدوث كارثة فيضان درنة في الشرق الليبي. هذا الفيضان الذي تسبب في خسائر فادحة تمثلت آلاف الضحايا وآلاف المفقودين، بالإضافة

إلى دمار شامل للبنية التحتية في المنطقة المتضررة. يجب أن نعتبر هذه الخطوة التي جمعت مختلف أطياف الليبيين كنقطة انطلاق نحو تحقيق الاستقرار السياسي وتعزيز الوحدة الوطنية.

إن تحقيق الاجتماع والتوحد بين الليبيين يعتبر أمرًا حاسمًا لمستقبل البلاد. فيجب أن تتعاون جميع الأطراف المعنية، بما في ذلك الهيئات المدنية والعسكرية، للتصدي للتحديات التي تواجه البلاد،ويتطلب ذلك تجاوز الخلافات والتوجه نحو التعاون والحوار المثمر، وتحقيق التفاهم والمصالحة الشاملة.

ويجب أن يكون فيضان درنة نقطة تحول في مسار السياسة الليبية، حيث يمكن أن يشكل حافزًا للمصالحة والتضامن الوطني ،كما ينبغي استغلال هذه الفاجعة لتوحيد الليبيين وتعزيز روح العمل الجماعي لإعادة بناء البلاد وتطوير البنية التحتية المتضررة،كما يجب أن يدعم المجتمع الدولي هذه الجهود ويقدم الدعم اللازم لعملية التعافي وإعادة الإعمار.

على المستوى السياسي، ينبغي أن يشكل الاجتماع والتوافق بين الأطراف الليبية الفرصة لتحقيق استقرار سياسي دائم يتضمن ذلك إتخاذ جميع الآليات السياسية كالانتخابات وضرورة إعتماد دستورالخ.. كما يجب أن يتم تعزيز الحوار البناء والمصالحة الوطنية، وضمان مشاركة جميع الأطراف في عملية صنع القرار وبناء مستقبل مشترك للبلاد،ويتطلب ذلك تحقيق التوافق على القضايا الحاسمة مثل الحكم العادل والعدالة الاجتماعية وتوزيع الثروة بطريقة عادلة.

إن كارثة فيضان درنة التي تسببت في خسائر فادحة وفقدان الآلاف من الأرواح والمفقودين لها تأثير كبير على مسألة التكامل بين الانتخابات والمصالحة الوطنية في ليبيا، وهذه بعض الطرق التي يمكن أن تؤثر بها هذه الكارثة على العملية السياسية والإعمار في ليبيا:

1_**تعزيز الشعور بالمواطنة:** يمكن أن تساهم جهود الإغاثة وإعادة الإعمار في تعزيز الشعور بالمواطنة لدى الليبيين. عندما يرون أن الحكومة والشعب متحدان في مساعدة المتضررين وتخفيف معاناتهم، قد يشعرون بالانتماء الوطني والمسؤولية تجاه بلدهم. هذا يمكن أن يؤدي إلى تعزيز التفاعل والمشاركة في العملية السياسية والانتخابية.

2_ **تعزيز الوحدة الوطنية:** يمكن أن تكون الاستجابة المشتركة للكوارث فرصة لتعزيز الوحدة الوطنية وإلغاء الانقسامات السياسية والإقليمية. عندما يتعاون الليبيون من جميع الأطياف والمناطق لدعم المتضررين وإعادة بناء المناطق المتضررة، يتم تعزيز الروح الوطنية والانتماء المشترك للبلاد.

3_ **تعزيز الاستقرار السياسي:** يمكن أن يؤدي التوحيد بعد الكوارث إلى تعزيز الاستقرار السياسي في ليبيا. بوجود تعاون وتوافق بين الأطراف المختلفة، يمكن تحقيق التقدم في عملية المصالحة وإعادة الإعمار وتعزيز الحوكمة وتحقيق الاستقرار الشامل في البلاد.

باختصار، إن إجتماع الليبيين وتوحدهم في وجه الكارثة التي تعرضت لها درنة يمثل فرصة للنهوض بالبلاد. ويجب أن يتجاوزوا الانقسامات ويعملون بروح التعاون والتضامن لتحقيق الاستقرار السياسي وتعزيزالوحدة الوطنية. كما ينبغي أن يدعم المجتمع الدولي هذه العملية ويقدم الدعم المطلوب لإعادة الإعمار وتعافي البلاد.

ثالثاً تجارب دولية لعملية تكامل الانتخابات والمصالحة.

عرف اتحاد معلومات النزاعات ، بجامعة كولورادو المفهوم الشامل لبناء السلام بأنه" عملية تيسر إقامة سلام دائم ، تحاول منع تكرار العنف من خلال معالجة الأسباب الجذرية وآثار الصراع عن طريق المصالحة وبناء المؤسسات والتحول السياسي والاقتصادي.ويتالف ذلك من مجموعة من المبادرات المادية والاجتماعية والهيكلية التي غالباً ماتشكل جزءا لا يتجزأ من إعادة البناء وإعادة التأهيل بعد انتهاء النزاع".(1)[183]

إن عملية تكامل الانتخابات والمصالحة تعد أمرًا هامًا في دول التي شهدت نزاعات وصراعات سابقة. وتسعى هذه العملية إلى تعزيز الديمقراطية والمصالحة الوطنية وإعادة بناء الثقة بين الفصائل المتنازعة. فيما يلي بعض الأمثلة والتجارب الدولية لعملية التكامل بين الانتخابات والمصالحة:

(1)نبيل بوبيبة ،"بناء السلم في الدول الخارجة من النزاعات: مقاربة أممية"، المجلة الجزائرية للدراسات السياسية ، المجلد 8العدد: 1(2021) ،ص557.

¶. جنوب أفريقيا:

في عام 1994، بعد انتهاء نظام الفصل العنصري، شهدت جنوب أفريقيا عملية تكامل ناجحة بين الانتخابات والمصالحة. حيث تم إجراء انتخابات عامة تاريخية تم فيها انتخاب نيلسون مانديلا رئيسًا للبلاد، كما تم إنشاء لجنة الحقيقة والمصالحة، التي كانت تعنى بمعالجة الانتهاكات السابقة وتعزيز الحوار والمصالحة بين الأطراف المتنازعة.

¶. أوغندا:

في عام 2007، نظمت أوغندا انتخابات رئاسية وبرلمانية تم فيها انتخاب يوري موسيفيني رئيسًا للبلاد لولاية رابعة. وبعد الانتخابات، تم كذلك عقد مفاوضات بين الحكومة والمتمردين من حركة الجيش الشعبي الأوغندي لتحقيق المصالحة وإنهاء النزاع المسلح في البلاد.

¶ البوسنة والهرسك:

بعد انتهاء الحرب الأهلية في البوسنة والهرسك في منتصف التسعينات، تم تنظيم انتخابات عامة في البلاد. كما تم تحقيق مصالحة جزئية من خلال التسويات السياسية والقضائية، وتشكيل حكومة وحدة وطنية تضم ممثلين عن الفصائل المختلفة.

¶. نيكاراغوا:

في نيكاراغوا، خلال الحرب الأهلية في الثمانينات، تم تنظيم انتخابات عامة في عام 1990. حيث تم انتخاب فيوماريو أورتيغا رئيسًا للبلاد، وفيما بعد تم تحقيق مصالحة سياسية بين الأطراف المتنازعة من خلال الحوار وتشكيل حكومة وحدة وطنية.

تلك هي بعض الأمثلة والتجارب الدولية لعملية التكامل بين الانتخابات والمصالحة في الدول التي شهدت نزاعات. يجب ملاحظة أن تجارب هذه الدول قد تختلف حسب السياق والظروف الخاصة بها، ومايمكن أن يعمل في دولة قد تتطلب نهجًا مختلفًا ومتكاملًا للتكامل بين الانتخابات والمصالحة.

" ولتحقيق الاستقرار السياسي والمجتمعي في ليبيا، ينبغي الوصول إلى إنجاز ناجح ومتكامل للعدالة الإنتقالية ، ولضمان تحقيق المصالحة الوطنية في ليبيا يجب الحرص على قيام نظام ديمقراطي يضمن توفير الحقوق والحريات الديمقراطية للشعب الليبي ،وتوفير حرية الرأي والتعبير، كذلك التعددية السياسية والحق في المشاركة السياسية وحرية الإقتراع لكل المواطنين البالغين ، وإحاطة العملية الانتخابية بالنزاهة والشفافية والتأكيد على النظام الدستوري للدولة." (1)[184]

الخاتمة

بناءً على التحليل والدراسة المنهجية لأهمية التكامل بين الانتخابات والمصالحة الوطنية في تحقيق الاستقرار والسلام في ليبيا، توصل البحث إلى عدة نتائج وتوصيات تهدف إلى تعزيز هذا التكامل وتحقيق الوحدة والاستقرار في البلاد. وفيما يلي نلخص هذه النتائج والتوصيات:

(1)بدرية صالح عبدالله،"**تحديات المصالحة الوطنية في ليبيا بعد عام 2011_2021**"،مرجع سبق ذكره ،ص19.

النتائج:

1/ أظهر البحث أن الانتخابات تعد أداة أساسية في بناء الديمقراطية وتعزيز الشرعية السياسية في ليبيا. فمن خلال الانتخابات الحرة والنزيهة، يتمكن الشعب الليبي من اختيار ممثلين لهم وتشكيل حكومة تمثل إرادتهم وتعمل على تلبية احتياجاتهم.

2/ أكد البحث أن المصالحة الوطنية تلعب دورًا حاسمًا في تحقيق الاستقرار والسلام في ليبيا، فمن خلال إرساء ثقافة المصالحة والتسامح والمصالح المشتركة، يمكن تحقيق التوافق بين الأطراف المتنازعة وتجاوز الخلافات والصراعات السابقة.

3/أشار البحث إلى أن التكامل بين الانتخابات والمصالحة الوطنية يعزز الشرعية السياسية ويعطي الشعب الليبي الثقة في العملية السياسية، فعندما يشعر الشعب بالمشاركة الشاملة والمنصفة في العملية الانتخابية، وعندما يرى أن هناك جهود جادة لتحقيق المصالحة والوحدة، فإن ذلك يعزز الاستقرار ويقوي السلام في البلاد.

التوصيات:

بناءً على النتائج المذكورة أعلاه، يوجد عدة توصيات يجب أخذها في الاعتبار لتعزيز التكامل بين الانتخابات والمصالحة الوطنية في ليبيا:

1/تعزيز الشرعية السياسية: يجب ضمان إجراء انتخابات حرة ونزيهة وشفافة، تكون فيها جميع الأطراف المعنية مشاركة وممثلة،ويجب تحقيق ثقة الشعب الليبي في العملية الانتخابية من خلال توفير بيئة آمنة وتشريعات تنظيمية قوية.

2/تعزيز الحوار والتسامح: ينبغي تشجيع الحوار والتفاهم بين الأطراف المتنازعة في ليبيا،كما يتعين تعلى كافة الأطراف السياسية والمجتمعية أن تتبنى ثقافة المصالحة والتسامح وتعمل على بناء جسور الثقة وتجاوز الخلافات التاريخية.

3/تعزيز الشمولية والتمثيلية: يجب ضمان تمثيل جميع الفئات والمجتمعات في العملية الانتخابية وفي الحكومة،كما يجب أن يتم تشجيع المشاركة النسائية وتمثيل الشباب والأقليات في الحكم، لضمان حكومة شاملة ومتوازنة.

4/تعزيز البنية التحتية السياسية والقانونية: يجب تقوية البنية التحتية السياسية والقانونية في ليبيا، بما في ذلك تحسين النظام الانتخابي والمؤسسات الانتخابية وتوفير التدريب والدعم اللازمين،كما يجب أن يتم توفير القوانين واللوائح اللازمة لضمان سير العملية الانتخابية بشكل عادل وشفاف.

5/تعزيز التعاون الدولي: ينبغي أن يدعم المجتمع الدولي جهود التكامل بين الانتخابات والمصالحة الوطنية في ليبيا، من خلال تقديم الدعم الفني والمالي والسياسي،كما يجب تعزيز التعاون مع الأمم المتحدة والمنظمات الإقليمية والدول الداعمة للعملية السياسية في ليبيا.

باختصار، يعتبر التكامل بين الانتخابات والمصالحة الوطنية أمرًا حاسمًا في تحقيق الاستقرار والوحدة في ليبيا،كما يجب أن تعمل الأطراف المعنية لتعزيز الشرعية السياسية وتشجيع الحوار والتسامح وتعزيز الشمولية والتمثيلية،كذلك يجب

تعزيز البنية التحتية السياسية والقانونية وتعزيز التعاون الدولي لتحقيق هذه الأهداف. ومن خلال التنفيذ الجيد لهذه التوصيات، يمكن أن تحقق ليبيا الاستقرار والوحدة التي تسعى إليها.

قائمة المراجع

•عبدالله ،ثناء فؤاد ، آليات التغيير الديمقراطي في الوطن العربي ، ط1، بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ، 1997.

•آل عزابي ،ماجد محيي آ، المشاركة السياسية الآليات والعوامل المؤثرة: دراسة نظرية، ط1،عمان:دار الرياحين للنشر والتوزيع ،2019.

•عبدالله ،عمرو خيري ، واخرون،المدخل لدراسات السلام وحل النزاعات ،ط1، بغداد: جمعية الأمل العراقية ، 2021.

•خشيم،مصطفى عبدالله ، "الانتخابات الليبية: الواقع والآفاق"، مجلة صبراتة والعلمية، العدد السادس ،2019.

•وناس فاطمة، المصالحة الوطنية كآلية لتحقيق الاستقرار السياسي في الجزائر، رسالة ماجستير منشورة مقدمة إلى كلية الحقوق والعلوم السياسية-جامعة قاصدي مرباح ورقلة، العام الجامعي 2013/2012.

•الدغيلي ،سلوى ، "العدالة الانتقالية في ليبيا بين حكم القوة وتحديات المرحلة الانتقالية"،مجلة دراسات قانونية ،العدد الثامن والعشرون ،2018.

•بويبية نبيل ،"بناء السلم في الدول الخارجة من النزاعات: مقاربة أممية"، المجلة الجزائرية للدراسات السياسية ، المجلد 8العدد: 1(2021) .

•كبير،سيد احمد ، "العملية الانتخابية في بلدان المغرب العربي:: تجديد سلطوي بقواعد ديمقراطية"،المجلة الجزائرية للدراسات السياسية ، المجلد 9،العدد1(2022).

•الباروني ،إلياس أبوبكر علي ، "إشكاليات التحول الديمقراطي بعد ثورة فبراير الليبية: دراسة بين العوامل الداخلية والخارجية "، مجلة أريد للعلوم الإنسانية والاجتماعية ، رقم المجلد1،العدد1، 2019.

•خليفة ،إبتسام سالم ، "إنعكاس المصالحة الوطنية على السلم الاهلي في ليبيا "، المؤتمر العلمي الثالث لكلية الآداب جامعة الزاوية:12-13ديسمبر2021.

•مرجين ،حسين سالم، "دور العامل الخارجي في الحراك المجتمعي وإنعكاسه على التحول الديمقراطي (دراسة الحالة الليبية)"، المجلة الأردنية للعلوم الاجتماعية، المجلد 13،العدد3، 2020،ص366.

•عبدالباسط عبدالرحيم عباس، "الانتخابات الديمقراطية والديمقراطية الانتخابية"،مجلة العلوم القانونية والسياسية ،المؤتمر العلمي الدولي الثالث 2017/12_17/16،ديالى: جامعة ديالى -كلية القانون والعلوم السياسية ،2017.

•ابوعافية،محمد الصالح ،نور الدين حشود ،الانتخابات التشريعية في ظل التعددية السياسية في مصر ،عدد خاص 2011،مجلة دفاتر السياسة والقانون،ورقلة: جامعة قاصدي مرباح، 2011.

•عبدالله ،بدرية صالح ،"تحديات المصالحة الوطنية في ليبيا بعد عام 2011_2021"،مجلة العلوم القانونية والسياسية ، المجلد الحادي عشر -العددالثاني-الجزء الأول -2022،بغداد: جامعة بغداد مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية ، 2022.

•البنا،أسماء " أزمة التحول الديمقراطي في تونس: الأسباب والمؤشرات والدروس المستخلصة ، مجلة رواق عربي، https://cihrs-rowaq.org/ ،تاريخ النشر: 2022/12/16،تاريخ الاطلاع:2023/10/10.

•الاطرش ، أحمد على ، " العدالة الانتقالية والمصالحة الوطنية: جدلية الأولويات"، مركز الجزيرة للدراسات ،www.studies.aljazeera.net،تاريخ النشر: 3اكتوبر2021،تاريخ الاطلاع : 10أكتوبر2023.

الحماية القانونية للمآثر التاريخية -المدينة العتيقة مراكش نموذجا-

Legal protection of historical monuments The old city of Marrakesh - an example

حليمة مفتاح باحثة بسلك الدكتوراه بمختبر البحث في قانون العقار والتعمير ومتطلبات الحكامة الترابية -بجامعة محمد الأول وجدة- المغرب

ملخص:

الحماية القانونية للمآثر التاريخية هي مكنة قانونية خولها المشرع المغربي للحفاظ على المواقع والمعالم التاريخية والثقافية لضمان استمراريتها للأجيال القادمة، وكذا الحفاظ على الهوية الوطنية. يتضمن ذلك الحفاظ على المباني التاريخية والمناطق الأثرية، والمحافظة على القطع الأثرية والتحف الفنية؛ وتعتمد هذه العملية على تطبيق سياسات وإجراءات تحمي هذه المواقع من التدهور والتلف، والتهميش والاقصاء، سواء كان ذلك نتيجة للزلازل أو التلوث أو السياحة غير المسؤولة، تشمل حماية المآثر التاريخية أيضًا التوعية العامة لزيادة الوعي حول أهمية الحفاظ على التراث الثقافي للمجتمعات.

ومدينة مراكش هي مدينة غنية بالمآثر التاريخية والثقافية؛ تعتبر مدينة العتيقة، المعروفة بالمدينة الحمراء، وتعتبر جزءًا من التراث العالمي للإنسانية وتحتوي على معالم تاريخية هامة مثل القصور والمدارس والحدائق التاريخية. يُعد ساحة جامع الفناء وأسواقها واحدة من المعالم البارزة في المدينة التي تجذب السياح من جميع أنحاء العالم، تشتهر مراكش أيضًا بالمعمار التقليدي المميز الذي يمزج بين العناصر البنائية التقليدية المغربية والأندلسية، وتحافظ المدينة على جاذبيتها التاريخية من خلال الحفاظ على هذه المعالم والترويج للتراث الثقافي الفريد الذي تقدمه، ونجد من أهم هذه المآثر أكدال البراني التي تشبه المعلمة التاريخية المنارة إلى حد كبير.

الكلمات المفتاحية: الحماية القانونية، المآثر التاريخية، المحافظة على المباني المعمارية، أكدال البراني.

Summary :

Legal protection of historical monuments is a legal mechanism authorized by the Moroccan legislator to preserve historical and cultural sites and monuments to ensure their continuity for future generations, as well as to preserve national identity. This includes preserving historical buildings and archaeological areas, and preserving artifacts and artistic artifacts; This process depends on implementing policies and procedures that protect these sites from deterioration, damage, marginalization and exclusion, whether as a result of earthquakes, pollution or irresponsible tourism. Protecting historical monuments also includes public awareness to raise awareness about the importance of preserving the cultural heritage of communities.

The city of Marrakesh is a city rich in historical and cultural monuments. The ancient city, known as the Red City, is considered part of the World Heritage of Humanity and contains important historical monuments such as palaces, schools and historical parks. Jemaa El Fna Square and its souks are one of the city's prominent landmarks that attract tourists from all

over the world. Marrakesh is also famous for its distinctive traditional architecture that blends traditional Moroccan and Andalusian structural elements. The city maintains its historical appeal by preserving these landmarks and promoting the unique cultural heritage that... It is presented, and we find among the most important of these feats Agdal al-Barani, which closely resembles the historical monument Lighthouse.

Keywords: legal protection, historical monuments, preservation of architectural buildings, Agdal El Barani.

مقدمة:

عرف المغرب منذ حصوله على الاستقلال، اشكالات عديدة على مستوى ترتيب وحماية المآثر التاريخية، ضمن منظومته العقارية المتنوعة، ولتوفير الحماية القانونية لهذا النوع من المآثر، سن المشرع القانون رقم 22.80[185] المتعلق بالمحافظة على المباني التاريخية والمناظر والكتابات المنقوشة والتحف الفنية والعاديات، المعدل بالقانون رقم 19.05[186]، كخطوة أساسية، وذلك في إطار جعل هذا التراث المادي الغني محميا من كل أشكال الاعتداء المادي واللامادي، من خلال تسخير العديد من المؤسسات المتداخلة والمعاهدات الدولية، التي تفرض حماية المآثر التاريخية لما لها من دور مهم في حفظ الهوية الوطنية، وتاريخ نشر الثقافة الإسلامية في البلاد.

وتتوفر بلادنا على رصيد عقاري غني، تنظمه ترسانة قانونية كبيرة ومتنوعة تعرف عدة تعديلات وتحيينات، في إطار سن مستجدات قانونية تتماشى وتطور العصر، وتعتبر المآثر التاريخية ذات أهمية تستمدها من خصوصيتها المعمارية.

ومدينة مراكش شأنها شأن باقي المدن المغربية، "تتوفر على تراث حضاري عريق ومتنوع، جعلها متحفا تراثيا مفتوحا على الصعيد العالمي، هذا التراث يتشكل من مجموعة من المآثر العمرانية، مثل مسجد الكتبيين وقبور السعديين وقصر البديع وقصر الباهية والقبة المرابطية والسقايات التاريخية داخل المدينة، والحدائق التاريخية مثل حدائق "أكدال" وحدائق "المنارة". لكن للأسف الشديد، بعض هذا التراث ما يزال عرضة للتهميش والإهمال، كما هو الحال بالنسبة ل " أكدال البراني"،الذي يعتبر في فترات تاريخية سابقة جزءا لا يتجزأ من حدائق "أكدال التاريخية" [187].

إشكالية البحث:

[185] - الجريدة الرسمية عدد 3564 بتاريخ 12 ربيع الآخر 1401(18 فبراير 1981)، ص 162.
[186] - تم تعديله بالقانون رقم 19.05 الصادر بتنفيذه الظهير الشريف رقم 1.06.102 صادر في 18 جمادى الأولى 1427 (15 يونيو 2006)، الجريدة الرسمية عدد 5435 بتاريخ جمادى الآخرة 1427(3 يوليو 2006) ص 1343.
[187] -سعيد أيت بوكديز، "مراكش وتراثها المنسي أكدال البراني نموذجا"، مؤسسة آفاق 2018-المغرب-، الطبعة الأولى 2018،ص11.

تندرج هذه الدراسة ضمن المساهمات البحثية المساهمة في التعريف بأهمية التراث المادي واللامادي، ودوره في الحفاظ على الهوية الوطنية، بالإضافة إلى التعريف بتاريخ الحضارات وعلومها، ومآثر التاريخية تحظى بمكانة هامة ضمن التشريع المغربي، بالرغم من وجود قصور على مستوى تحيين القوانين المنظمة.

وهذا ما يجعلنا نطر الإشكالية التالية: المآثر التاريخية بين محدودية النص القانوني وإكراهات الواقع.

منهجية البحث:

للإجابة عن هذه الإشكالية، سنقسم الموضوع إلى فقرتين.

الفقرة الأولى: مسطرتا التقييد والترتيب كآليتين لحماية المآثر التاريخية

الفقرة الثانية: التراث المنسي بمراكش أكدال البراني نموذجا

الفقرة الأولى: مسطرتا التقييد والترتيب كآليتين لحماية المآثر التاريخية

نظرا للأهمية التي تحظى بها المباني التاريخية والمناظر والكتابات المنقوشة والتحف الفنية و العاديات، عمل المشرع المغربي على منح آليتين للحفاظ عليها؛ آلية التقييد(أولا)، وآلية الترتيب(ثانيا).

أولا: مسطرة التقييد كآلية لإدراج العقار في عداد المآثر التاريخية

يمكن أن تقيد في عداد الآثار العقارات بالأصل أو التخصيص، فهذه الأخيرة يقصد بها(المنقول الذي يضعه صاحبه في خدمة أو استغلال عقار يملكه)، بحيث يمكن لمالك العقار أو رئيس المجلس الجماعي أو المجلس الجهوي[188] تقديم طلبه إلى وزارة الثقافة باعتبارها الجهة الوصية على المحافظة على المآثر التاريخية، إذ يتضمن هذا الطلب شهادة تملك وهذا العقار وطبيعة هذا التملك مع إدراج القيمة التي يحظى بها، أي الحقبة الزمنية التي يعود إليها والقيمة الأثرية التي يحظى بها، فبعدما يتم تقديم هذا الطلب فإنه يترتب عن ذلك عدم إمكانية تغيير طبيعة العقار المقيد ولا اتلافه ولا تغييره إلا بعد الحصول على إذن من الإدارة وذلك قبل أجل ستة أشهر من الشروع بهذا العمل[189]، لكن السؤال المطروح في هذا الصدد في حالة ما كان العقار المقيد آيل للسقوط؟ فإن الأمر هنا بالطبيعة الحال يستدعي التدخل لترميمه، لكن هل تتم هذه العملية على نفقات المالك أم الدولة في ممثلتها الإدارة؟ ففي هذا الإطار يمكن القول أن الإدارة تمنح المالك إعانات للقيام بذلك أو أنها تقوم بهاتة العملية بنفسها من أجل الحفاظ على هذا النوع من المباني[190].

[188] ـ المادة 82 من القانون التنظيمي 111.14 المتعلق بالجهات.
[189] - الفصل 6 من القانون 22.80
[190] - الفصل 7 من القانون 22.80

وبعد قيام مالك العقار بإدراج عقاره في عداد المآثر التاريخية بشكل نهائي فهل يحق له التصرف في هذا العقار بكافة الطرق أم أن هذا التصرف يكون مقيد بالرغم من كون العقار يؤول إليه في الأصل؟، إجابة عن هذه النقطة فإن المشرع كان صريحا بأن المالك لا يمكن له التصرف بشتى الطرق لأنه إن صح القول قد تنازل عن هذا العقار وذلك من خلال القيام بعملية تقييده في المآثر، لكن هذا لا يعني أنه يمنع عليه استغلاله بالطرق تعود عليه بالربح (مثلا نجد بعض المآثر التي تم تقيدها يتم من خلالها إقرار مبلغ محدد من أجل السماح بزيارتها فهذا الأمر فيه نوع من الربح لدى المالك الأصلي)[191].

إذا كان هذا فيما يخص مسطرة التقييد فكيف تمر مسطرة الترتيب؟

ثانيا: مسطرة الترتيب

تبتدأ مسطرة الترتيب، بتقديم مالك طلب للإدارة قصد ترتيب عقاره في عداد المآثر، فتقوم هذه الأخيرة بإجراء بحث بشأنه قصد ترتيبه وذلك داخل أجل سنة تبتدئ من تاريخ نشر المقرر الإداري بالجريدة الرسمية، فإذا لم تقوم الإدارة بالبحث داخل هذا الأجل ولم تعمل على نشر المقرر الإداري الصادر بترتيب العقار، فإن عملية الترتيب لن تتم وبالتالي سقوط عملية الترتيب، فقبل القيام بعملية الترتيب فإنه يتم تبليغ رئيس المجلس الجماعي الكائن بدائرة نفوذه العقار المراد ترتيبه قصد إبداء رأيه حوله خلال المدة التي يجرى فيها البحث، فإذا لم يقوم بإبداء رأيه فإن سكوته يعتبر بمثابة موافقة [192].

يتضح مما سبق، أن المشرع المغربي ترك الخيار لمالك العقار قصد تقييد أو ترتيب عقاره في عداد المآثر التاريخية دون إلزامه باتباع إحدى المساطر، فهذا الأمر يدل على الأهمية التي يسعى المشرع اعطائها لهذا النوع من العقارات، كما يتضح أيضا أن الفرق الجوهري بين المسطرتين، يتمثل في كون مسطرة الترتيب يتم فيها القيام بعملية البحث من طرف الإدارة داخل أجل سنة من تاريخ نشر المقرر الإداري بالجريدة الرسمية، على عكس مسطرة التقييد التي لم يحدد فيها أي أجل، بل أكثر من هذا أنه لم ينص على مدى إمكانية الطعن في القرار الصادر عن الإدارة بعدم قبول طلب التقيد أو الترتيب للعقار في عداد المآثر التاريخية، لكن يمكن القول في هذا الصدد أنه يصعب تصور عملية الرفض من طرف الإدارة لأن المشرع وكما قلنا سابقا يسعى إلى وضع مجموعة من الآليات للحفاظ على هاته المآثر، لكن السؤال المطروح في هذا المجال سواء في مسطرة التقييد أو الترتيب في حالة ما كان العقار المراد تقيده أو ترتيبه مشاع مثلا يمتلكه أربعة أفراد وتم إدراج هذا العقار المشاع في عداد المآثر التاريخية وأراد أحد الأطراف بيع عقاره، أي الجزء المشاع، فإن الأطراف الأخرى المالكة له يمكن لها أن تمارس حق الشفعة في هذا العقار، ونعلم أن المشرع المغربي خول للجماعة ممثلة الدولة ممارسة هذا الحق على العقار المرتب أو المقيد في عداد المآثر في حالة التفويت، فالسؤال هنا لمن تكون الأولوية في هذا الإطار هل لي الشريك على الشياع أم الدولة؟

[191]- الفصل 8 من 22.80.
[192] - الفصل 11 و 12 من نفس القانون أعلاه.

الفقرة الثانية: التراث المنسي بمراكش أكدال البراني نموذجا

نوضح بداية إشكالية الاسم (مراكش)، "يشير دوفيردان[193] إلى أن الشكل القديد والأصلي للاسم منذ تأسيسها هو "مَرّاكُش ")بفتح الميم وتشديد الراء وكاف مضمومة)، وتنطق حاليا" مُرَّاكُش)"براء مشددة مفتوحة ومد، وبتسكين الميم وضمة الكاف). ويضيف أنه في مخطوطة فريدة من القرن الخامس الهجري، محفوظة بخزانة جامعة القرويين بفاس، تم إيجاد الاسم على شكل" مَرّوكُش."

ومنها سمي المغرب باللغات الأجنبية، حيث نجد "**Marruecos**" باللغتين الإسبانية والبرتغالية، و"**Morroco**" باللغة الإنجليزية، و"**Maroc**" باللغة الفرنسية.

وتوجد أسماء مدن تاريخية رنانة وشاعرية تحمل الفاظا موسيقية باطنية تجعل المتلفظ بها يسبح خلال النطق في الجمال ولعل مراكش أكثرها نكهة لا في نظر أبناءها فحسب ولكن بشهادة كل من عرفها من الشرقيين وغربيين الذين أوردوا لفظ مراكش في بعض أشعارهم وأغانيهم-مدينة ماروك أو مرويكوس- في الوثائق التاريخية الغربية، المدينة التي دخلت القواميس اللغوية الأوروبية من الباب الواسع بفضل شهرتها[194].

وبرجوعنا للحديث عن التراث الثقافي الذي تزخر به مدينة مراكش، فإننا سنجد أنفسنا نقف أمام عدد كبير من الآثار التاريخية المعمارية التي تحفظ تاريخ الهوية الوطنية بالمغرب، وما قدمته هذه المباني من أجل حماية الوطن منذ عهد الحماية إلى يومنا هذا، ولعل من أهمها "أكدال البراني" التي تنتمي لحدائق أكدال التاريخية، وقد تم إدراجها في قائمة التراث العالمي "يونسكو" عام 1985، وهي توجد في جماعة تاسلطانت بمراكش، ولكن مع الأسف الشديد قد طال هذه المعلمة أثرية الإهمال ونسيان.

ولعل هذا راجع إلى محدودية النص القانوني الذي ينص على حماية هذه المآثر التاريخية، وكذا الوزارة الوصية التي تبقى هي المسؤول الأول عن تردي أوضاع هذا المجال، حيث كشف تقرير للمجلس الأعلى للحسابات برسم 2015، أن عدد المعالم التاريخية المدرجة في قائمة المآثر خلال عهد الحماية الفرنسية يفوق بكثير ما أنجزته الدولة المغربية إلى هذا الحين.

"وإذا رجعنا إلى مكونات "أكدال" ككل، فإنه يتشكل، في اتجاه الجنوب، من قسم "السوسية" و "الدخلاني" و"الزاهرة والزاهرية"، و"بالحاج" و"الصالحة" و"الغرسية" و"بلفقيه" ثم أخيرا"أكدال البراني".

---

[193] -غستون دفردان، تاريخ مراكش من التأسيس إلى الحماية، الجزء 1، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الطلعة الأولى الرباط 2012، ترجمة محمد الزكراوي وخالد المعزوزي، الصفحة 92

[194] - لكديم الصوصي، مراكش بين التأسيس والتمديد في العصرين المرابطي والموحدي، مداخلة تقدم بها في أشغال الملتقى الأول عام 1988، " تحت عنوان: "مراكش من التأسيس إلى آخر العصر الموحدي"، مطبعة فضالة –المحمدية المغرب- الطبعة الأولى 1989.

إن عبارتي "الدخلاني" و"البراني" تشير إلى شئين متقابلين ومتلازمين في الوقت نفسه، فلا يمكن الحديث عن شيء "براني" (خارجي) دون وجود شيء داخلي، أي أنه ما دام هناك "أكدال دخلاني" داخلي فلابد من وجود "أكدال براني"، والعكس صحيح.

ولم يكن هناك فرق تاريخي كبير بين تواجدهما معا، مع العلم أن "أكدال الدخلاني" أسبق من "أكدال البراني" لكونه قد تم غرسه من قبل السلطان "عبد الرحمان بن هشام" منذ سنة 1830م 1246هـ وهو ظاهر في تصميم واشنطن،

وأن وجود "أكدال البراني" فعليا كان في عهد السلطان "الحسن الأول" بعد غرسه وتسويره، أي في الفترة ما بين سنة 1873م/1290هـ، ويثبت هذا صدور ظهير سلطاني بتكليف محتسب مراكش مولاي عبد الله البوكيلي على الإشراف على بناء "مكينة القرطوس" بأكدال السعيد مؤرخة بتاريخ: 12 شعبان 1304هـ الموافق لسنة 1887م. أي أن "أكدال البراني" كان موجودا قبل 1889م/1304هـ، حيث ازداد اهتمام السلطان بغرس بعض الأغراس في أكدال، وكذلك لكونه قد بنى دار لصناعة القرطاس فيه، فلابد من وجود سور يحمي هذا كله.

وتبلغ أبعاد "أكدال البراني" ما يلي:

-طول السور الشمالي المحيط ب "أكدال البراني" والذي يفصل بينه وبين "أكدال الأخضر" حوالي 1418m.

- طول السور الجنوبي المحيط ب "أكدال البراني" حوالي: 1417m.

- طول السور الشرقي حوالي: 950m.

- طول السور الغربي حوالي: 960.أي أنه في شكله العام يشكل مستطيلا متقايس الأضلاع تقريبا، محيطه تقريبا هو 4745m. يحيط به سور يختلف تماما عن السور الذي يوجد بأكدال حاليا من حيث مواد البناء (الطابية من تراب) ومن حيث العلو (ما بين 4 إلى 5 أمتار).

يحده شمالا السور الجنوبي ل "أكدال الأخضر" وجنوبا كل من دوار "كوكو" ودوار "الكرطيط" ومعمل السكر.

أما غربا، الطريق الرئيسية رقم 2017 المِدية إلى "أوريكا"[195].

خاتمة:

[195] - سعيد أيت بوكديز المرجع السابق، ص 63-64.

برغم من وجود القانون 22.80 كما تم تعديله بالقانون رقم 19.05 المتعلق بحماية المآثر التاريخية، إلا أن هناك محدودية في النص القانوني المنظم، وهذه المحدودية أثرت بشكل سلبي على توفير الحماية الازمة لهذا التراث التاريخي الذي يحظى بالأولوية عند جميع دول العالم، على اعتباره الموروث الثقافي لكل بلد، و المحافظ على الهوية التاريخية لوجوده، وتاريخ نشر الثقافة فيه، ومراكش على غرار باقي المدن المغربي لازالت تعاني من عدة اختلالات في توفير الحماية والمحافظة على التراث المعماري الجميل، ولعل خير مثال على هذا "أكدال البراني"، فكما أشرنا سابقا، تأسيسها و دورها في عهدها كان له دوار فعال في الدفاع عن الوطن، فكيف لنا اليوم أن ننسى هذا التراث التاريخي، ولا نوليه أي اهتمام من اجل الحفاظ عليه، ومن هذا المنطلق فإننا نعطي بعض المُقترحات التي من شأنها اعطاء انطلاقة جديدة في هذا المجال الذي لا يمكننا الاستغناء عنه، وهي كالتالي:

1- تعزيز المنظومة القانونية المتعلقة بهذا المجال، وسن مدونة قانونية قوية من شأنها توفير الحماية القانونية لهذه المآثر التاريخية؛

2- تشجيع الطلبة الباحثين من أجل خوض غمار البحث في هذا المجال؛ من خلال توفير ظروف البحث العلمي، كتحفيزات للباحثين.

3-الحرص على العناية بهذه التراث المادي وتصنيفه ضمن لائحة التراث العالمي المشترك لدى منظمة اليونسكو؛

4- ربط التشريع الدولي بالتشريع الوطني لحماية التراث المادي وغير المادي.

لائحة المصادروالمراجع

1- لكديم الصوصي، مراكش بين التأسيس والتمديد في العصرين المرابطي والموحدي، مداخلة تقدم بها في أشغال الملتقى الأول عام 1988، " تحت عنوان: "مراكش من التأسيس إلى آخر العصر الموحدي"، مطبعة فضالة – المحمدية المغرب- الطبعة الأولى 1989.
2- غستون دفردان، تاريخ مراكش من التأسيس إلى الحماية، الجزء 1، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الطلعة الأولى الرباط 2012، ترجمة محمد الزكراوي وخالد المعزوزي.
3- سعيد أيت بوكديز، "مراكش وتراثها المنسي أكدال البراني نموذجا"، مؤسسة آفاق -المغرب-، الطبعة الأولى 2018

تقدير خطر انجراف التربة في حوض ملولو باستخدام مقاربة جيوماتية (شمال شرق المغرب)

Assessment of soil loss risk in the Mouloulou Basin using geomatic approach (Northeastern Morocco)

الموساوي احميدة[1]، عزي هرو[2]

EL MOUSSAOUI Hmida[1], AZZI Hrou [2]

[1] طالب بسلك الدكتوراه، مختبر دينامية الأوساط القاحلة، الاعداد والتنمية الجهوية. كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الأول-وجدة. elmoussaoui87@gmail.com

[2] أستاذ باحث، مختبر دينامية الأوساط القاحلة، الاعداد والتنمية الجهوية. كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الأول-وجدة. azzihrou@yahoo.fr

ملخص:

يعتبر انجراف التربة من الأخطار الطبيعية التي تهدد الأنشطة الاقتصادية بالمجال المغربي. وفي حوض ملولو الذي يعد من أهم روافد واد ملوية، تستفحل ظاهرة انجراف التربة مما يفقد ساكنة الأرياف أهم مورد اقتصادي، ذلك المتمثل في التربة.

وتهدف هذه الدراسة إلى تقدير انجراف التربة وكذا تصنيف التوزيع المكاني لخطر التعرية في الحوض باستخدام النموذج العالمي لفقدان التربة RUSLE ونظم المعلومات الجغرافية والاستشعار عن بعد. وتشمل العناصر الأساسية المؤثرة في انجراف التربة: معامل عنف التساقطات، معامل قابلية التربة للانجراف، معامل الانحدار الطبوغرافي، معامل الغطاء النباتي ومعامل الإجراءات المتخذة لحماية التربة من الانجراف. وقد بينت النتائج المحصل عليها مدى حساسية الحوض ملولو لخطر انجراف التربة؛ إذ بلغت أعلى معدلات فقدان التربة (4700 ط/هـ/س) في الانحدارات الشديدة والمناطق ذات التساقطات العنيفة أما أدنى معدلات فقدان التربة (1/ط/هـ/س) فقد سجلت في الانحدارات الضعيفة.

الكلمات المفاتيح: خطر انجراف التربة – المعادلة العالمية لتقدير انجراف التربة RUSLE– حوض ملولو – نظم المعلومات الجغرافية.

Abstract:

Soil erosion risk by water has become an issue In Morocco. In Mouloulou basin, particularly in recent decades, soil erosion knows a spectacular extension and effects.

The objective of this study is to estimate soil loss in the groundwater basin using the Universal Soil Loss Equation (USLE), geographic information system (GIS), remote sensing (RS). The main factors affecting soil loss including, rainfall erosivity (R), soil erodibility (K), slope length and steepness (LS), vegetation cover (C) and anti-erosive practices (P). The result shows sensibility of bassin to erosion risk. The High ratio of soil loss is observed at higher LS and P factor area (5t / ha / year), but the low ratio is enregistred in downstream of the Mouloulou watershed (4700t / ha / year).

Keywords: Soil loss – Revised Universal Soil Loss Equation (RUSLE) – Mouloulou Bassin – SIG.

مقدمة:

يترتب عن خطر انجراف التربة آثار وخيمة تشمل كافة الميادين (بيئيا، اقتصاديا واجتماعيا)؛ إذ يختل النظام الايكولوجي وتتدهور إنتاجية الأراضي كما تتراجع عائدات النشاط الفلاحي، مما يؤدي في الأخير إلى معاناة ساكنة الأرياف.

وتحظى دراسة ظاهرة التعرية بأهمية بالغة، نظرا لكون 12 مليون هكتارا من الاراضي الصالحة للزراعة في المغرب مهددة بالانجراف وثلثي الاراضي الزراعية تتطلب تدخلا استعجاليا لحمايتها[196]. أما على مستوى الأطلس المتوسط الشمالي وخاصة حوض ملولو، فإن العديد من الدراسات، تحدثت عن أثر التعرية وانجراف التربة ودورهما في تدهور مستوى عيش الساكنة والهجرة القروية[197]. إن التربة مورد اقتصادي مهم يتعرض للانجراف بشكل مستمر بفعل تظافر عوامل طبيعية وأخرى بشرية، فقد يتدخل الانسان عبر الاجتثاث والرعي الجائر وقد يعزف عن اتخاذ إجراءات وقائية لمواجهة خطر التعرية مما يفقد التربة الكساء النباتي الضامن لاستقرارها. كما تعمل الطبيعة من جانبها على توفير البيئة المناسبة لنحت ونقل التربة وفقدانها في المناطق التي تتسم بقوة انحداراتها، وهشاشة تكويناتها وانفراج غاباتها وغزارة تساقطاتها.

تتمحور إشكالية هذه الدراسة حول التقييم الكمي لانجراف التربة بحوض ملولو، اعتمادا على المعادلة العالمية لتقدير انجراف التربة REVISED UNIVERSAL SOIL LOSS EQUATION (USLE). ولمقاربة هذه الاشكالية وجب طرح مجموعة من التساؤلات التي تصب في الموضوع من قبيل: ما الخصائص الكمية لانجراف التربة بحوض ملولو؟ وكيف تتوزع مستويات خطر انجراف التربة داخل الحوض؟ وما أهم العوامل المؤثرة في ذلك؟ وما الاجراءات المقترحة لحماية التربة من الانجراف؟

1. مجال الدراسة، الأهداف ومنهجية العمل

1.1. مجال الدراسة

يشكل واد ملولو أحد الروافد الرئيسية لواد ملوية، وينبع من الاطلس المتوسط الشمالي الملتوي ويغذي جزءا مهما من سهل جرسيف، يتخذ حوض ملولو شكلا مثلثيا يمتد على مساحة تقدر بـ 2761 كلم^2، ويتجه جريانه من الجنوب الغربي نحو الشمال الشرقي كما يقع بين خطي عرض 33° 31′ و34° 13′ شمالا وخطي طول 3° و5° غربا[198]. وبهذا الموقع العرضي ينفتح الحوض على المغرب الشرقي أو ما يعرف بممر وجدة جرسيف. (خريطة 1)
يتكون حوض ملولو من وحدتين جيولوجيتين تبعا لطبيعة البنية والصخارة؛ حيث يمكن التمييز بين الأطلس المتوسط الشمالي الملتوي، وحوض جرسيف الرسوبي.

يهيمن الأطلس الشمالي الملتوي على أكثر من 40% من مساحة حوض ملولو، ويتشكل من توضعات صخارية تتراوح ما بين البيرمو-ترياس والجوراسي الأعلى. ورغم تعقد البنية الجيولوجية للحوض، بفعل التكتونية، إلا أن الباحث[199] تمكن من تصنيف الالتواء إلى أربع محدبات متوازية ومتعاقبة من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي، تفصلها منخفضات. فالمحدب الأول، يمتد في الشمال الشرقي من الحوض، ويتشكل من جبل حلوف وجبل أزرو. ويهيمن على هذه الكتلة الجبلية الليلاس الأسفل المميز بالكلس الدولوميتي. أما المحدب الثاني، فيتشكل من جبال أوريرت، أحمر، صهريج وبوملال. إلا أن المجموعة

[196] Nafaa, R. (1987). Bassins Versants au Maroc et problématique de l'aménagement, 7ème rencontre des géomorphologues marocain (série colloque n°15), Mohammadia : Publications de la Faculté des Lettres et des Sciences Humanes Mohammadia, p7.

[197] ناصري، محمد (2003): الجبال المغربية: مركزيتها، هامشيتها، تنميتها، منشورات دار المناهل، الرباط. ص91.

[198] Mouhdi, A (1993). Contribution à l'étude pluvio-hydrologique du bassin-versant de l'oued Melloulou (Maroc Oriental) Thèse de doctorat en analyse géographique du milieu physique, ressources et risques naturels. Université des sciences et technologie de Lille, p4.

[199] Colo, O (1961) : Contribution à l'étude du Jurassique du Moyen-Atlas septentrional. Notes et Mém. Serv. Géol. du Maroc, no 139, Rabat, p37.

الثالثة تتكون من جبال تانوت، واعزيز ووادة. في حين تتشكل المجموعة الرابعة من جبل تاونزا وادرار نسيوان. ويتخلل هذه المحدبات مجموعة من المنخفضات لعل أهمها منخفض مغراوة، بركين تامطروشت وتامجوت. وعموما يطغى على هذه البنية المعقدة صخور هشة غير مقاومة للتعرية (الطين، الطفل الرملي، الطفل الكلسي، الشست والطين الأحمر)

خريطة 1: توطين حوض ملولو ضمن السياق الجغرافي للأحواض المغربية

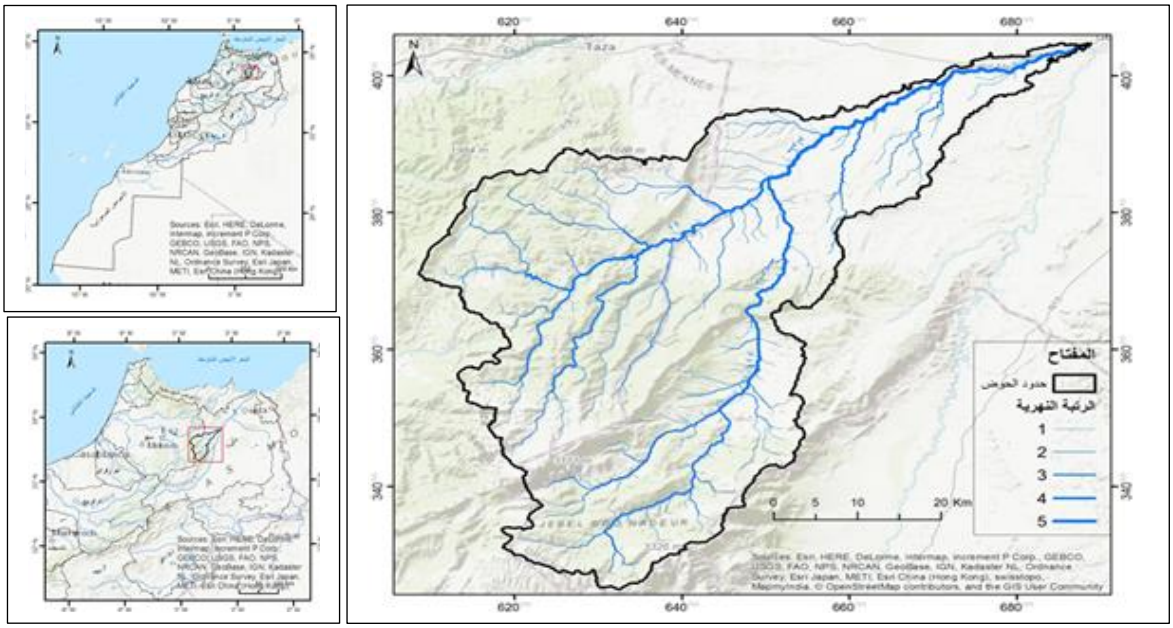

المصدر: النموذج العالمي للأراضي (درجة الوضوح المكاني 30م)

يتكون حوض جرسيف الرسوبي من توضعات الميوسين، البليوسين والرباعي. لكن القاعدة تتشكل من طبقات صخرية تعود إلى الجوراسي المنتمي للأطلس الملتوي. ويمثل الحوض الرسوبي بجرسيف ما يقدر بـ 40% من المساحة الإجمالية بحوض ملولو. وإذا كان الحوض الرسوبي يتميز بانحداره الخفيف فإن هشاشة التكوينات وضعف الغطاء النباتي يزيد من خطر انجراف التربة.

يختلف المجال البيومناخي بحوض ملولو من غابات البحر الأبيض المتوسط الرطبة وشبه الرطبة في المناطق المرتفعة في الغرب والجنوب، إلى سهوب البحر الأبيض المتوسط القاحلة وشبه القاحلة في الشمال الشرقي بسهل كرسيف، حيث نادرًا ما يتجاوز هطول الأمطار 185 ملم وغالبًا ما تصل درجات الحرارة 47°c، عند التقاء نهر ملوية[200]. بالإضافة إلى ذلك، فإن حوض ملولو له رافدان رئيسيان: واد زابزيت ووادي البارد حيث تم إدراج الأخير ضمن "المخطط المديري للمناطق المحمية في المغرب" باعتباره "موقعًا ذو أهمية بيولوجية وإيكولوجية"[201]

لقد بلغت ساكنة حوض ملولو 34213 نسمة حسب إحصاء 2014، وهي موزعة على 137 دوارا. وتتميز الكثافة السكانية بالاختلاف؛ حيث يمكن التمييز بين محور ملولو، وحوض زبزيط وحوض البارد. في محور ملولو، عند سافلة الحوض، يتخذ

[200] Mabrouki Y, Taybi AF, Berrahou A. 2017a. L'évolution spatiotemporelle de la qualité des eaux courantes de l'Oued Melloulou (Maroc). Rev Sci Eau 30, p 214.
[201] AEFCS,1996. Administration des Eaux et Forêts et de la Conservation des Sols, 1996. Plan Directeur des Aires Protégées du Maroc, Volume 2 : les sites d'intérêt biologique et écologique du domaine continental. Rapport, AEFCS/BCEOM/SECA/ISR/EPHE. p51.

التركز السكاني شكلا طوليا، كما يستقطب 31 % من إجمالي ساكنة الحوض، أي ما يقدر بـ 18 دوارا و10671 نسمة. وفي حوض زبزيط، بالجنوب تستقر الساكنة القروية على شكل بقع متفرقة في 27 دوارا وبما مجموعه 10133 نسمة. وفي حوض البارد، بالشمال الغربي، تتركز كثافة نقطية هامة تمثل 40% من إجمالي ساكنة حوض ملولو، وهو ما يقدر بـ 13621 نسمة. وإلى جانب التجمعات المستقرة، تظهر تجمعات الرحل غير المستقرين في أقدام الجبال خلال فصل الشتاء[202] .

تعد مدينة كرسيف -عند التقاء واد ملولو بواد ملوية- موطنًا لأكثر من 90880 نسمة حسب إحصاء 2014. ويرتكز القطاع الاقتصادي في المدينة على التجارة والصناعة أما في المناطق الريفية، فيرتكز على الأنشطة الزراعية الرعوية. وتشكل غراسة الزيتون المورد الأساسي للفلاحين، فضلا عن الاهتمام بتربية المواشي وزراعة الشعير والقمح والخضروات[203].

ويعتبر تحويل الزيتون النشاط الصناعي الأكثر انتشارًا، حيث يشغل 95٪ من مجموع العاملين في الصناعة. كما توجد أيضًا خمسة عشر منشأة صناعية خاصة بالنسيج والتعليب في مدينة كرسيف، ويعمل بها 19.2٪ من السكان النشطين. وعموما، يظل النشاط الصناعي ضعيفا في المدينة ولا يتطور مقارنة بالقطاعات الأخرى[204]؛ مما يفرض على الفاعلين تدخلا بهدف وقف نزيف الهجرة القروية عبر حماية الموارد الطبيعية.

1.2. أهداف الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى تكميم فقدان التربة بحوض ملولو بتطبيق المعادلة العالمية لتقدير انجراف التربة (USLE) ومن خلال استخدام نظم المعلومات الجغرافية (GIS) والاستشعار عن بعد (RS). ويتلخص هذا التقييم الكمي للتعرية في إنجاز نموذج كارطوغرافي، يتضمن تصنيفا لمجال الدراسة حسب درجة الخطر الذي يجسده وزن التربة المفقودة بالطن في الهكتار الواحد سنويا (ط/هـ/س). وتهدف الدراسة كذلك إلى الوقوف على ثقل الخطر الذي يهدد ساكنة ملولو من حيث فقدانها أهم مورد طبيعي وهو التربة.

1.3. المنهجية ومصادر البيانات:

1.3.1. مصادر البيانات:

تم الاعتماد على مجموعة من البيانات ذات مصادر مختلف، بهدف فهم الآليات المتحكمة في انجراف التربة بحوض ملولو وتصنيف درجة الخطر التي تهدد مختلف أجزاء الحوض. ولفهم دور معامل التساقطات في التأثير على مورد التربة، اعتمدنا على النموذج العالمي للتساقطات[205] بدقة 900 م (WorldClim). وبالنسبة لمعامل قابلية التربة للانجراف، فنظرا لغياب خريطة دقيقة حول المجال المدروس، استعنا بالنموذج العالمي للتربة بدقة 900 م (HWSD) المنجزة من طرف منظمة

[202] López lara E., R. Baena, I. Guerrero, C. Posada, K. Obda, A. Taous et A. Sabaoui ,2007. Aspectos hidrológicos de la depresión de Marhraoua y sus márgenes (medio Atlas septentrional de Marruecos). Nimbus. Rev. Climat., Meteorol. Paisaje, 19-20, p128.
[203] Mabrouki Y, Taybi AF, Berrahou A. 2017a.Op, cit. p214.
[204] Mabrouki Y, Taybi AF, Berrahou A. 2017a.Ibid.
[205] HIJMANS R. and STEVE F,2005. WorldClim version1 1950-2000, developed by University of California Davis and the Stockholm Institute of the Environment, [En ligne] http://www.worldclim.org

التغذية والزراعة (FAO)[206]، ورغم عموميتها حيث لم نحصل إلا على أربع فئات متباينة في حوض ملولو، إلا أن امتيازات هذه الخريطة، تتمثل في كونها مرفقة بقاعدة بيانات دقيقة حول نسبة الطين، نسبة الرمل الدقيق، نسبة المادة العضوية وكذا نسبة الرمل الخشن، وكل هذه المعطيات ضرورية في حساب مؤشر قابلية التربة للانجراف. وفيما يخص معامل الطبوغرافيا، فقد تم الاعتماد على النموذج الرقمي للأراضي بدقة 30م، وهو متاح بالمجان على موقع الوكالة الأمريكية للملاحة الفضائية ومراقبة الفضاء (NASA). وبالنسبة لمعامل الغطاء النباتي، تم الاعتماد على الخلاصات التي توصل إليها بعض الباحثين[207] الذين حددوا معاملات أنواع الغطاء النباتي بناء على الجدول العالمي لتصنيف قيم معامل الغطاء النباتي، فما قمنا به هو تنطيق الأصناف النباتية من خلال مرئية لاندسات LC8 بدقة 15م ومرئية Sentinel بدقة 10 م، وكذا البحث الميداني بهدف معرفة معامل كل صنف. وأما معامل الإجراءات المتخذة للحد من التعرية، فقد اعتمدنا بشكل كامل على البحث الميداني حيث تم تقدير المؤشر بناء على المنطق السليم، فالمصاطب المهيئة من طرف الفلاحين، تقل فيها مستويات انجراف التربة لذا تم منحها معامل 0,5 بينما قدر الانجراف في القيمة 1 بالمناطق التي لم تشهد أي تدخل بشري سواء من طرف الدولة أو الساكنة المحلية.

شكل1: المنهجية المعتمدة في تقدير انجراف التربة بحوض ملولو

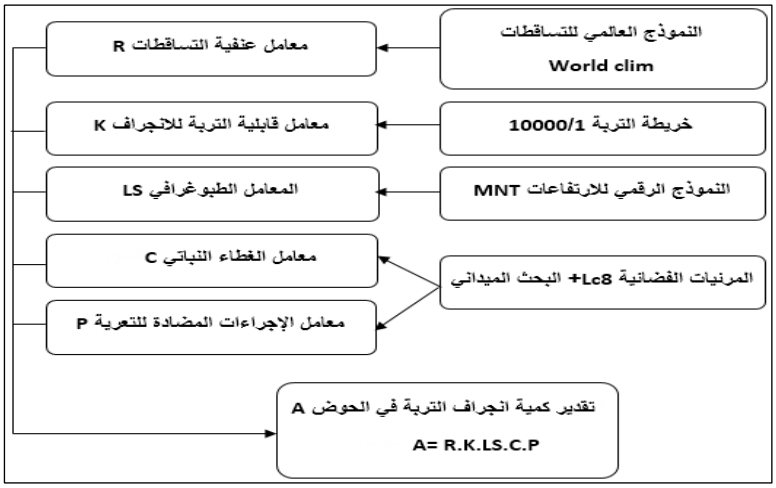

1.3.2. منهجية حساب معاملات انجراف التربة:

تعتبر المعادلة العالمية لتقدير انجراف التربة USLE من أهم النماذج الرياضية الأكثر استخداما في مجال حساب كمية التربة المفقودة في منطقة معينة. وتأخذ المعادلة بعين الاعتبار خمسة عوامل أساسية: معامل عنف التساقطات(**R**)،

[206] FAO 1995, 2003. The Digitized Soil Map of the World and Derived Soil Properties. (version 3.5) FAO Land and Water Digital Media Series 1. FAO, Rome. Consulté sur: https://www.fao.org/soils-portal/data-hub/soil-maps-and-databases/harmonized-world-soil-database-v12/en/

Freddy Nachtergaele, Harrij van Velthuizen, Luc Verelst, 1996. Harmonized World Soil Database. Version 1.1, March 2009. 38p.

[207] Sadiki, A, J. Faleh, A. et al, 2004. Utilisation d'un SIG pour l'évaluation et la cartographie des risques d'érosion par l'équation universelle des pertes en sol dans le Rif Oriental (Maroc) : cas du bassin versant de l'oued Boussouab. Bulletin de l'Institut Scientifique, Rabat, section Sciences de la Terre, 2004, n°26, p75.

معامل قابلية التربة للانجراف(K)، معامل الانحدار الطبوغرافي (LS)، معامل الغطاء النباتي(C) ومعامل الإجراءات المتخذة لحماية التربة من الانجراف[208](P). وتدمج هذه العناصر المؤثرة في انجراف التربة ضمن القاعدة المصاغة على الشكل التالي:

$$A=R\times K\times LS\times C\times P$$

A : مقدار كمية التربة المنجرفة بالطن في الهكتار الواحد سنويا.

R : معامل عنف التساقطات، ويدل على قدرة التساقطات على تهشيم نسيج التربة وجرفها نحو المنحدرات.

K : معامل قابلية التربة للانجراف ويعتمد على بنية، نسيج ونسبة المواد العضوية في التربة.

LS: معامل الطبوغرافيا، ويدمج بين طول المنحدر بالمتر وانحدار السفوح بالدرجات لاستخلاص مؤشر ودور الطبوغرافيا في التعرية.

C: معامل الغطاء النباتي ويحدد نسبة مساهمة الكتلة الاحيائية الخضراء والمناطق العارية في انجراف التربة.

P: معامل الاجراءات المتخذة لحماية التربة من الانجراف.

- **معامل عنف التساقطات** (R) (MJ.mm/ha.h)

يقصد بمعامل عنف التساقطات قدرة القطرات المائية النازلة الى سطح الأرض على تفتيت حبيبات التربة وتهشيمها، وقد تمكن الباحثان WEISCHMEIRوSMITH من نمذجة عامل التساقطات المؤثر في انجراف التربة من خلال تطبيق المعادلة**R=KEcI30**، حيث أن: **K** تمثل وحدة القياس، **Ec** تعني قوة الطاقة الحركية بينما تدل **I30** على شدة الأمطار في ظرف 30 دقيقة.

وفي ظل غياب المعطيات الدقيقة حول منطقة الدراسة، تم الاعتماد على المعادلة التي طورها أحد الباحثين سنة 1996،[209] فهي تعطي نتائج جيدة إذا كان معدل التساقطات السنوية لا يتجاوز 850 ملم كما هو في حوض ملولو. والمعادلة هي كالتالي: $R = 0{,}548257P - 59{,}9$ ؛حيث تدل(R) على معامل عنف التساقطات أما (p) فتدل على مجموع التساقطات السنوي.

- **معامل قابلية التربة للانجراف (K):**

يرتبط عامل قابلية التربة للانجراف بحجم الحبيبات المكونة للمسكة الخارجية (السطحية) فكلما كانت التربة ذات نسيج دقيق يغلب عليه الطين والمادة العضوية إلا وكانت قابلية انجرافها أكبر. ولتقدير أهمية هذا العامل اعتمدنا على نموذج WILLIAMS سنة 1995:[210]

$$Kusle= \int csand \times \int cl-si \times \int orgc \times \int hisand$$

$$f_{csand}=\left(0.2+0.3\cdot\exp\left[-0.256\cdot m_s\cdot\left(1-\frac{m_{silt}}{100}\right)\right]\right) \qquad \int csand$$

$$f_{cl-si}=\left(\frac{m_{silt}}{m_c+m_{silt}}\right)^{0.3} \qquad \int cl-si$$

$$f_{orgc}=\left(1-\frac{0.0256\cdot orgC}{orgC+\exp\left[3.72-2.95\cdot orgC\right]}\right) \qquad \int orgc$$

$$f_{hisand}=\left(1-\frac{0.7\cdot\left(1-\frac{m_s}{100}\right)}{\left(1-\frac{m_s}{100}\right)+\exp\left[-5.51+22.9\cdot\left(1-\frac{m_s}{100}\right)\right]}\right) \qquad \int hisand$$

• معامل نسبة الرمل الدقيق

sion Losses. A Guide to Conservation

and GIS tool to predict soil erosion potential
. Vietnam Journal of Earth Sciences, 35(4),

Models of Watershed Hydrology. Water

- معامل نسبة الطين ←
- معامل نسبة المادة العضوية ←
- معامل نسبة الرمل الخشن ←

- **معامل الطبوغرافيا (LS):**

اعتمدنا على المعادلة التي استخدمها DAVID[211] منذ 1987، وهي نموذج يدمج بين شدة الانحدار وطوله لإبراز دور الطبوغرافيا في انجراف التربة.

LS= 0,10+0,12×S4/3 بحيث **S**: تشير الانحدار بالنسبة المئوية (%) و **L**: طول الانحدار بالمتر (**m**)

- **معامل الغطاء النباتي (C):**

بالنسبة لمعامل **C** تم استخلاصه بشكل مباشر من خلال الدراسات التي تناولت موضوع الغطاء النباتي بالمغرب ومنها أبحاث فالح علي وصديقي عبد الحميد[212]

- **معامل الاجراءات المتخذة لحماية التربة من الانجراف P:**

يقصد بمعامل **P** مجموع الاجراءات التي تتخذها السلطات المعنية للحد من انجراف التربة وكذا الإجراءات التي يقبل عليها الفلاح من أجل حماية أراضيه من التعرية. ويتراوح هذا المعامل من 0 الى 1، وفي هذه الدراسة تم تقدير معامل **P** في 0,5 بالنسبة للأراضي الزراعية المستغلة في الأراضي المنبسطة والمدرجات بينما أعطيت القيمة 1 لباقي المجالات التي لم تشهد أي تدخل مقاوم للتعرية.

2. مناقشة النتائج:

2.1. دراسة العوامل المساهمة في خطر انجراف التربة بحوض ملولو

ترتكز عملية تكميم انجراف التربة على دراسة العوامل المسببة في ذلك ومنها عامل عنف التساقطات، قابلية التربة للانجراف، عامل الانحدار الطبوغرافي، عامل الغطاء النباتي وعامل الإجراءات المقاومة للتعرية.

تتراوح قيم عنف التساقطات ما بين 50 و290 MJ/mm/ha/an في حوض ملولو، وتزداد أهمية هذا العامل بالمرتفعات الجبلية بينما تنخفض إلى مستويات دنيا (أقل من 150) في المنخفضات التي تغطي حوالي ثلثي الحوض. (خر 1).

[211] David W.P, 1987. Soil and water conservation planning. Policies, Issues and recommendations. DENR Quezon City. Journal of Philippine Development, N26, Volume 15, p51.
[212] Sadiki, A, J. Faleh, A. et al, 2004. Op, cit, p 75.

ويرجع هذا التباين الى دور الطبوغرافيا المحددة لمعدل التساقطات، حيث ان الجبل يستقبل كميات مهمة من التساقطات مما يزيد من احتمال عنفها على التربة، وفي المقابل يتلقى السهل تساقطات ضعيف مما يجعل احتمال العنف اقل.

وفيما يخص قابلية التربة للإنجراف، يمكن التمييز بين قسمين من حيث مقاومة التعرية؛ إذ تتراوح القيم بين 0,01 ط/هـ/س و0,02 ط/هـ/س. فالتربة الهشة القابلة للانجراف بسهولة هي تلك التي تتركز في سافلة الحوض وكذا في الجنوب، وتتشكل بالأساس من مختلف التكوينات الرباعية قليلة المقاومة (الطين الأحمر، الكلس، الكلس الدولوميتي، الشست، الطفل، الطفل الكلسي). أما التربة ضعيفة الهشاشة والمقاومة نسبيا لظاهرة الانجراف، تنتشر على 60% من المساحة الاجمالية للحوض، وتتوطن في الجزء الشمالي الغربي والجنوب الغربي، وقد نشأت فوق تشكيلات جيولوجية، أغلبها تنتمي للزمنين الثاني والثالث (الطفل الرملي، الحصى والكونكلوميرا).

يغلب على حوض ملولو طابع الانبساط؛ إذ لا يتجاوز معامل الانحدار 4% في حوالي 70% من المساحة الاجمالية، ويغطي الباقي انحدار يتراوح بين 4 و34% بالمرتفعات التي تتجاوز 1000م. (خريطة 4) ومن خلال تحليل فئات معامل الطبوغرافيا، تبين أن حوض ملولو يتميز بالتدرج من السافلة الى العالية. وتمثل فئات المعامل الطبوغرافي اقل من 2 وما بين 2 و4، وما بين 4 و7، وما بين 7و 10 والفئة أكثر من 10 ما نسبته 39%، 28,5، 19، 12 و1,5 على التوالي. إن عامل الانحدار الذي يزيد كلما اتجهنا نحو الجنوب والغرب يعكس حجم التربة المفقودة في المرتفعات المتوسطة والكبرى.

أظهرت خلاصات البحث الميداني والتصنيف الموجه لمرئيات لاندسات8 وسانتنل2، أن الحوض يعرف تغطية نباتية ضعيفة ومتدهورة بسبب الاجتثاث والرعي الجائر. فباستثناء الغابة الكثيفة (30 كلم^2) الضيقة في الشمال الغربي والزراعات في ضفاف واد ملولو وزبزيط تنتشر سهوب الحلفاء المنفرجة والنباتات الشوكية والتربة العارية والماطورال. توضح الخريطة 5 أن القيم الدنيا لمعامل الغطاء النباتي (أقل من 0,2) تنطبق مع الغابات الكثيفة والأقل كثافة الواقعة في شمال غرب حوض ملولو، ولا تزيد مساحتها الاجمالية عن 110 كلم2، وهي في الواقع تندرج ضمن الهوامش الشرقية لغابة الاطلس المتوسط. وسجلت القيم المتوسطة (0,3) ضمن النطاق المنخفض (اقل من 800م) والمتضمن للسهوب المتدهورة والحلفاء والنباتات الشوكية والتربة العارية قليلة التطور، ويشمل هذا النطاق 82% من المساحة الاجمالية للحوض. أما القيم القصوى (1) فتنطبق مع التربة العارية، حيث يساهم غياب الغطاء النباتي واجتثاثه على انجراف التربة المتطورة ذات العمق المهم والنسيج الدقيق في المرتفعات الجبلية الواقعة غرب الحوض.

إن عملية تحديد معامل الإجراءات المقاومة للتعرية، انطلقت من خلاصات البحث الميداني، حيث تبين -بعد المعاينة- أن الدولة اتخذت مجموعة من التدابير لمواجهة خطر انجراف التربة، لكن دون جدوى وهذا ما أكدته التقارير والأبحاث التي أنجزت حول حوض ملولو. ومن هذا المنطلق فقد أعطيت القيمة 1 لمختلف المناطق غير الزراعية سواء تلك التي تدخلت فيها الدولة أم لم تتدخل بعد، وفي المقابل أعطيت القيمة 0,5 للمجالات الزراعية المسقية والتي تمكن الفلاح من تهيئتها على شكل مدرجات في مصاطب واد ملولو وواد زبزيط. (خريطة 6)

خريطة2: معامل عنف التساقطات (R)

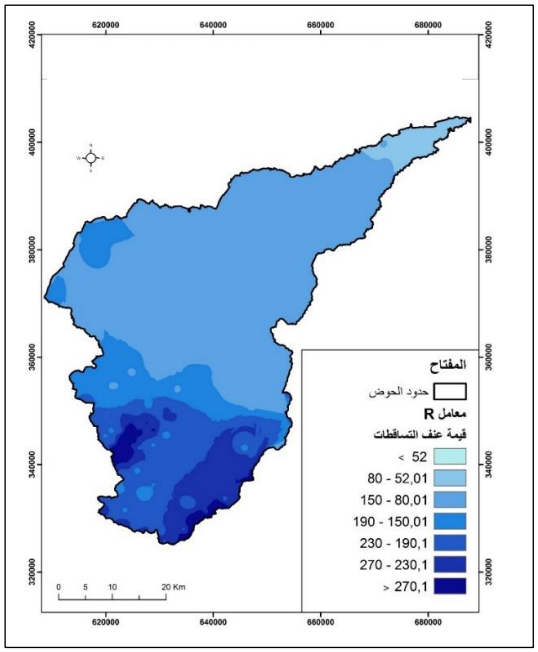

المصدر: النموذج العالمي للتساقطات 900m (MNT)

خريطة3: معامل قابلية التربة للإنجراف (K)

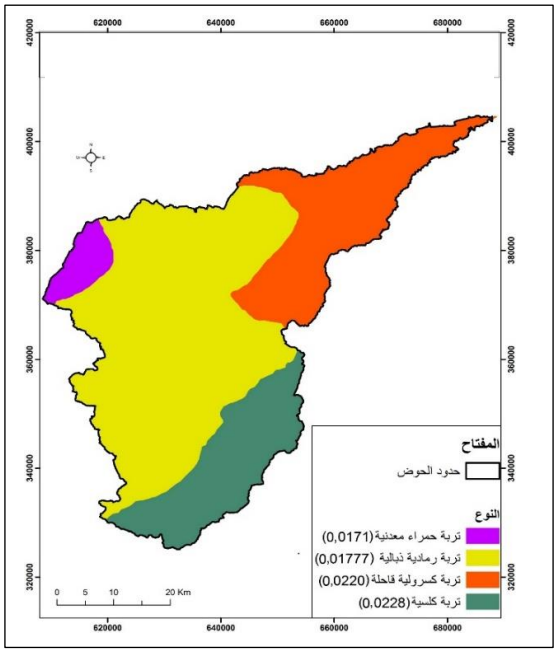

المصدر: النموذج العالمي للتربة، 900 m (HSWP)

خريطة4: معامل الطبوغرافيا (LS)

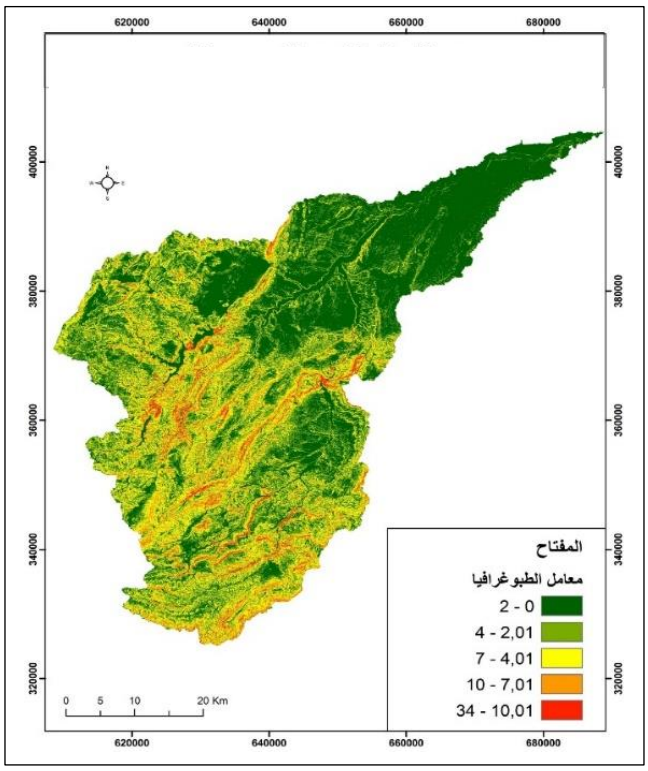

المصدر: النموذج العالمي للأراضي 30m (MNT)

خريطة5: معامل الغطاء النباتي (c)

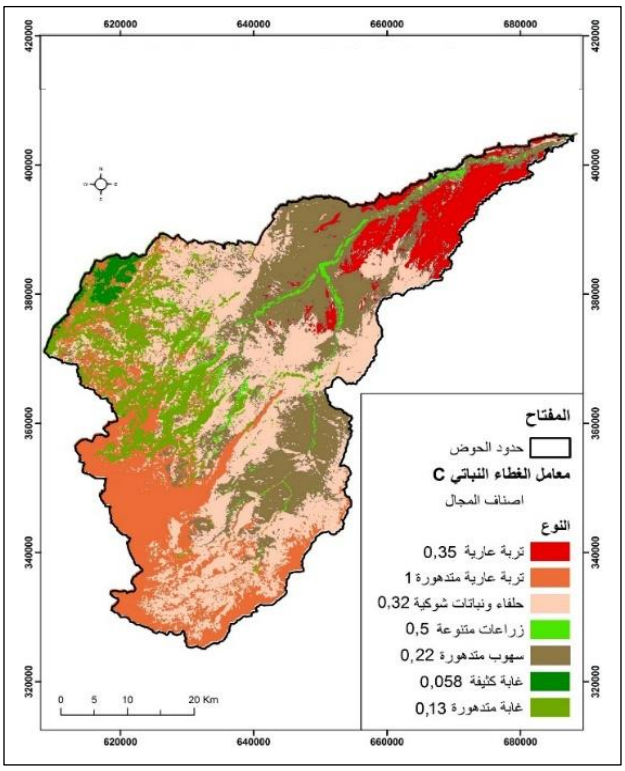

المصدر: المرئية الفضائية، يونيو 2018 (LC8)

خريطة6: معامل الإجراءات المتخذة لحماية التربة من الاجراف (P)

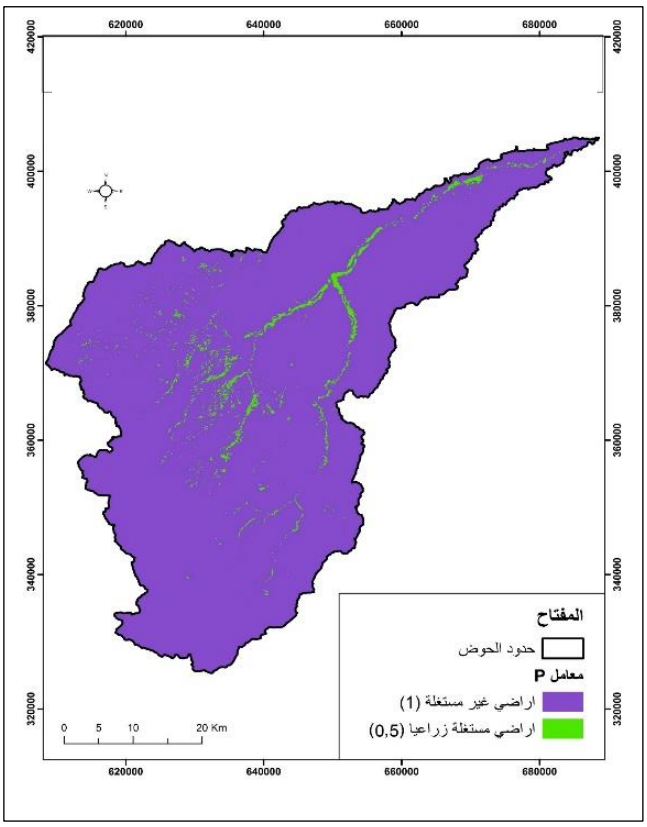

المصدر: المرئية الفضائية، يونيو 2018 (LC8) والبحث الميداني 2021.

2.2. تقدير انجراف التربة بحوض ملولو

تبين من خلال النتائج المحصل عليها مدى حساسية التربة لخطر الانجراف في حوض ملولو؛ إذ تنشط التعرية بشكل كبير في المرتفعات الجبلية بسبب تضافر عوامل التساقطات وشدة الانحدارات وكذا ضعف الغطاء النباتي في الأطلس المتوسط الشمالي الشرقي بجنوب الحوض. وتزيد التعرية في هذا الجزء المرتفع عن 20 ط/هـ/س بينما مساحته لا تتجاوز 5 % من إجمالي مساحة الحوض المقدرة بـ 2536 كلم^2. وتتراوح كمية الانجراف ما بين 5 و20 ط/هـ/س بالمرتفعات المتوسطة. وفي المقابل تشهد المنخفضات التي تمثل 90% انجرافا أقل مما هو عليه في المرتفعات، بفعل ضعف التساقطات وضعف الانحدار رغم وجود تربة عارية وتدهور السهوب. (خريطة 7)

خريطة 7: تقدير انجراف التربة بحوض ملولو

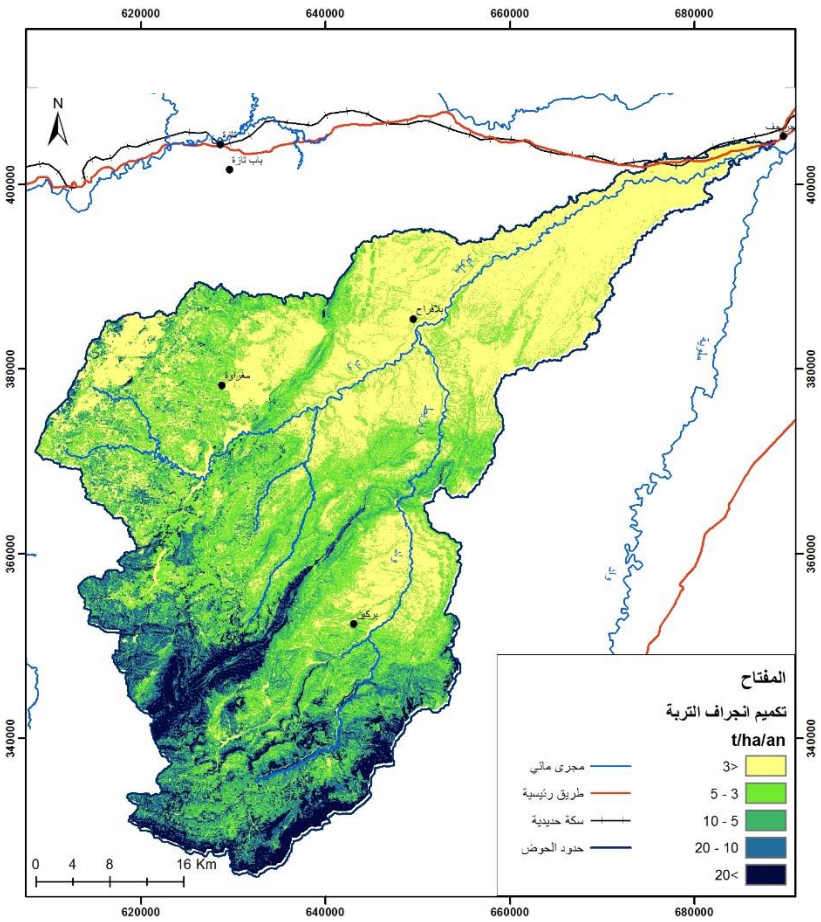

المصدر: دمج المعاملات المساهمة في انجراف التربة بواسطة برنامج ArcGIS

إن حوض ملولو تعرف تدهورا في مورد التربة؛ حيث قدر متوسط انجراف التربة بـ 5.1 ط/هـ/س مما ينذر بآثار وخيمة على الساكنة. فعلى المستوى الاقتصادي، يفقد سكان الأرياف اهم المورد الطبيعية، مما يؤثر على النشاط الفلاحي بطريقة مباشرة. ويؤدي انجراف التربة الى تقلص مساحة الزراعات البورية وكذا المراعي التي تعد أساس فعالية الاقتصاد القروي. وعلى المستوى البيئي، تزيد حدة الاختلال الايكولوجي، وتتحول الأراضي المنتجة تدريجيا الى أراض متصحرة غير قادرة على انتاج المادة الحيوية للكائنات الحية بما في ذلك الانسان. وعلى المستوى الاجتماعي، لن يجد السكان الريفيون من حل -في ظل أزمة الفلاحة- سوى الهجرة نحو الحواضر خاصة مدينة جرسيف.

الخاتمة:

من خلال هذه الدراسة يتبين مدى حجم الانجراف الذي تتعرض له التربة في حوض ملولو باعتبارها موردا أساسيا في حياة الساكنة التي تعتمد على الزراعة وتربية المواشي. لذا يستدعي الأمر القيام بمختلف الجهود من أجل حماية التربة من الانجراف. إن استدامة مورد التربة لا يتأتى إلا بتوعية الفلاحين بأهمية الزراعة الموازية لخطوط التسوية والمحافظة على فعالية المدرجات الزراعية في واد ملولو وزبزيط وإصلاح المتدهور منها والقيام بالتشجير في مرتفعات الأطلس المتوسط الشمالي الذي تنشط فيه التعرية بشكل كبير، وكذا حماية الغابات الكثيفة في شمال غرب الحوض من التدهور بالإضافة إلى محاربة الاجتثاث والرعي الجائر وإيجاد حلول ناجعة لتغذية قطعان الماشية في سنوات الجفاف.

قائمة المراجع:

- تقرير المجلس الاقتصادي والاجتماعي (2017): التنمية القروية، المناطق الجبلية، إحالة ذاتية رقم 21-2017. 128ص.
- ناصري، محمد (2003): الجبال المغربية: مركزيتها، هامشيتها، تنميتها، منشورات دار المناهل، الرباط. 272 ص .
- AEFCS,1996. Administration des Eaux et Forêts et de la Conservation des Sols, 1996. Plan Directeur des Aires Protégées du Maroc, Volume 2 : les sites d'intérêt biologique et écologique du domaine continental. Rapport, AEFCS/BCEOM/SECA/ISR/EPHE. 56pp.
- Colo, O, 1961. Contribution à l'étude du Jurassique du Moyen-Atlas septentrional. Notes et Mém. Serv. Géol. du Maroc, no 139, Rabat, 226 p., 29 fig., 1 carte b.t.
- David W.P, 1987. Soil and water conservation planning. Policies, Issues and recommendations. DENR Quezon City. Journal of Philippine Development, N26, Volume 15, 47-84.
- FAO 1995, 2003. The Digitized Soil Map of the World and Derived Soil Properties. (version 3.5) FAO Land and Water Digital Media Series 1. FAO, Rome.
- Fick, S.E. and R.J. Hijmans,2017. Worldclim 2: New 1-km spatial resolution climate surfaces for global land areas. International Journal of Climatology.
- Fischer, G., F. Nachtergaele, S. Prieler, H.T. van Velthuizen, L. Verelst, D. Wiberg, 2008. Global Agro-ecological Zones Assessment for Agriculture (GAEZ 2008). IIASA, Luxemburg, Austria and FAO, Rome, Italy.
- Freddy Nachtergaele, Harrij van Velthuizen, Luc Verelst, 1996. Harmonized World Soil Database. Version 1.1, March 2009. 38p.
- López lara E., R. Baena, I. Guerrero, C. Posada, K. Obda, A. Taous et A. Sabaoui, 2007. Aspectos hidrológicos de la depresión de Marhraoua y sus márgenes (medio Atlas septentrional de Marruecos). Nimbus. Rev. Climat., Meteorol. Paisaje, 19-20, 127-141
- Mabrouki Y, Taybi AF, Berrahou A. 2017a. L'évolution spatiotemporelle de la qualité des eaux courantes de l'Oued Melloulou (Maroc). Rev Sci Eau 30 213–225.
- Markhi, A. Laftouhi, N et al, 2015. Quantification et Evaluation de l'Erosion hydrique en utilisant le modèle RUSLE et Déposition intégré d'un SIG. Application dans le bassin versant N'fis dans le haut atlas de Marrakech. European Scientific Journal October 2015 edition vol.11, No.29. pp 340-356.
- Mouhdi, A, 1993. Contribution à l'étude pluvio-hydrologique du bassin-versant de l'oued Melloulou (Maroc Oriental) Thèse de doctorat en analyse géographique du milieu physique, ressources et risques naturels. Université des sciences et technologie de Lille. 223p.
- Nafaa, R.,1987. Bassins Versants au Maroc et problématique de l'aménagement, 7ème rencontre des géomorphologues marocain (série colloque n°15), Mohammadia : Publications de la Faculté des Lettres et des Sciences Humanes Mohammadia, 214p.
- Nguyen Manh Ha, 2011. Application USLE and GIS Tool to Predict Soil Erosion Potential and Proposal Land Cover Solutions to Reduce Soil Loss in Tay Nguyen, FIG Conferance 2011, Marrakech, Morocco.

- Renard, K. G., & Freimund, J. R, 1994. Using monthly precipitation data to estimate the R-factor in the revised USLE. Journal of Hydrology, 157(1-4), 287–306.

- Sadiki, A, J. Faleh, A. et al, 2004. Utilisation d'un SIG pour l'évaluation et la cartographie des risques d'érosion par l'équation universelle des pertes en sol dans le Rif Oriental (Maroc) : cas du bassin versant de l'oued Boussouab. Bulletin de l'Institut Scientifique, Rabat, section Sciences de la Terre, 2004, n°26, p. 69-79

- Sadiki, A. Faleh, A et al, 2015. Quantification de l'érosion en nappes dans le bassin versant de l'oued Sahla Rif Central Maroc. Cahiers Géographiques – N 6/2009. p. 59-70.

- Williams, J.R. 1995. Chapter 25. The EPIC Model. In Computer Models of Watershed Hydrology. Water Resources Publicatios. Highlands Ranch, CO, p 909-1000.

- Wischmeier, W.H. and Smith, D.D, 1978. Predicting Rainfall Erosion Losses. A Guide to Conservation Planning. The USDA Agricultural Handbook No. 537, Maryland. 60p.

الانقلابات في الغرب الإفريقي بين الماضي والحاضر
Coups in West Africa between the past and the present

الديري محمد : طالب باحث سلك الدكتوراه السنة الثانية كلية الشريعة
جامعة سيدي محمد بن عبدالله فاس (Mediri2000@gmail.com)

ملخص الدراسة بالعربية:

الانقلابات هي ظاهرة تاريخية "قديمة/حديثة" شهدتها العديد من البلدان في مختلف أنحاء العالم على مر العصور، لكن تبقى القارة الإفريقية لها تاريخ حافل بالانقلابات العسكرية منذ حصولها على الاستقلال في ستينيات من القرن الماضي. والانقلابات هي تحول في نظام حكم الدولة، حيث يتم استبدال السلطة الحاكمة بواسطة القوة والعسكرة تحت ذريعة تحقيق إصلاحات اجتماعية وسياسية واقتصادية، فالانقلابات تتأثر بالعوامل المحلية والدولية، لذلك يتعين على المجتمع الدولي مواجهة هذه الظاهرة بكل الوسائل من أجل المساهمة في تعزيز الاستقرار والديمقراطية في العالم وخصوصا في القارة الإفريقية.

الكلمات المفاتيح : الانقلابات- قديمة- حديثة – إفريقيا- العسكرة.

Abstract

Coups are an "old/modern" historical phenomenon that many countries around the world have witnessed throughout the ages, but the African continent has a history full of military coups since it gained independence in the 1960s. Coups are a transformation in the state's system of governance, where the ruling authority is replaced by force and military under the pretext of achieving social, political and economic reforms. Coups are affected by local and international factors, so the international community must confront this phenomenon by all means in order to contribute to strengthening stability and democracy in the world, especially in the African continent.

Keywords : Coups - old - modern - Africa - militarization

مقدمة:

تعتبر إفريقيا من الدول التي عانت الانقلابات في عصور المماليك السودانية ولا زالت تعاني بعد حصولها على الاستقلال، فمن المماليك التي عرفت موجة من الانقلابات العسكرية نجد مملكة سنغاي (1493-1591 م)، وقد ظلت عدوى الانقلابات سارية ومستمرة حتى بعد حصول أغلب الدول بالقارة الإفريقية على استقلالها سنة 1960، فإفريقيا لها تاريخ حافل بالانقلابات، فالتداول على السلطة لا يتم في إلا عبر الانقلابات العسكرية وهو الأسلوب الأكثر انتشارا .

وبالرجوع إلى إحصـائيات الانقلابات في القارة الإفريقية، إذ وصـل عدد المحاولات الانقلابية إلى أكثر من 200 محاولة، وأكثر من 50% منها كانت ناجحة، وأدت في أغلبها إلى تشـريد الحكام، وتعطيل العمل بالدسـتور، وتشـير الإحصـاءات إلى أن هناك 27 دولة في افريقيا لغاية 2019 عرفت انقلابات عسـكرية[213]. لكن ما يهمنا في هذه الدراسـة هو جغرافيا الانقلابات في الغرب الإفريقي بين الماضـي والحاضـر إذ تشـكل هذه المنطقة بيئة حاضـنة للانقلابات لكونها بؤرة لجميع أنواع التهديدات المرتبطة بتجارة السلاح والمخدرات والجريمة المنظمة والهجرة السرية.

1-1 أهمية الموضوع :

تكمن أهمية الموضوع في الآتي :

- إن مشـكلة الانقلابات في الغرب الإفريقي هي من المشـكلات التي تعيق تقدم المواطن الإفريقي، فانعدام الاسـتقرار السـياسي يكون حاجز أمام تقدم البلدان الإفريقية وخصـوصـا الغرب الافريقي الذي يعرف أكبر عدد من الانقلابات على صعيد القارة الإفريقية.
- الاهتمام الدولي بالقارة الإفريقية وخصوصا القوى العظمى التي تتصارع على الاستحواذ على مقدرات القارة الإفريقية بالإضـافة الى المغرب الذي وضـع أولى أولوياته التوجه إلى القارة الإفريقية لأنها بالنسـبة له عمقه الاستراتيجي منذ قديم الزمن .
- تسـارع الانقلابات في سـنة 2023 وتسـليط الضـوء على الغرب الإفريقي الذي أصـبح ينتفض ضـد تواجد المسـتعمر التقليدي الفرنسـي، من خلال مسـاندة الشـعب للانقلابيين في الضـغط على المسـتعمر الفرنسـي بالخروج من الغرب الإفريقي " النيجر نموذجا"

2-1:أسباب اختيار الموضوع :

1- ما سبق ذكره من أهمية

2- الإسهام العلمي في دراسة وبيان معالم ظاهرة الانقلاب في الماضر والحاضر

213 - Nombre de coups d'État en Afrique, Radio Canada du 19 Janvier 2019 (Vu le 15 septembre 2022): https://bit.ly/3qVQXmI

3- رغبة الباحث لدراســة هذا الموضــوع نظرا لارتباطه بموضــوع أطروحة الدكتوراه حول العلاقات المغربية الإفريقية .

1-3 : مشكلة البحث وتساؤلاته

تتلخص مشــكلة الدراســة في البحث عن دواعي الانقلابات في الغرب الإفريقي بين الماضــي والحاضــر، ومقارنة نتائجها على الغرب الإفريقي قديما وحديثا، ويترتب على هذه الإشكالية الرئيسية مجموعة من التساؤلات الفرعية أهمها :

1- ما هي أسباب الانقلابات قديما وحديثا ؟.
2- ما هي طرق انتقال السلطة في الغرب الإفريقي قديما ؟
3- ما هي نتائج الانقلابات على مملكة سنغاي(1493-1591م)؟
4- ما هي الدول التي عرفت أكبر عدد من الانقلابات في الغرب الإفريقي (1960-2023م)؟
5- ما هي أهم مبررات الانقلابات العسكرية في الغرب الإفريقي ؟
6- كيف تتعامل الدول الكبرى إزاء الانقلابات في الغرب الإفريقي ؟
7- من المستفيد والخاسر من الانقلابات الأخيرة في الغرب الإفريقي؟
8- ما هي خصوصيات الانقلابات الجديدة في الغرب الإفريقي؟

1-4 : أهداف البحث

تهدف الدراسة إلى تحقيق الأهداف التالية :

1- التعريف بالظاهرة الانقلابية في الغرب الإفريقي قديما وحديثا.
2- معرف أسباب الظاهرة ونتائجها على الغرب الإفريقي.
3- تحديد نتائج الانقلابات على المواطن الإفريقي، وتفاعله معها.
4- إبراز الآثار الاقتصادية والاجتماعية للظاهرة الانقلابية في الغرب الإفريقي.

1-5 حدود البحث :

أسأتناول هذا البحث وفق فترتين زمنيتين مختلفتين:

الفترة الأولى : الانقلابات في مملكة سنغاي (1493-1591م) وتأثيرها على سقوط مملكة سنغاي.

الفترة الثانية: الانقلابات في الغرب الإفريقي[214] (1960-2023م)

1-6 : منهج البحث:

من خلال طبيعة الدراسة والتساؤلات المطروحة والأهداف والفرضيات التي تسعى الدراسة إلى تحقيقها، اعتمد الباحث على المنهج الوصفي التاريخي في تحليل ظاهرة الانقلابات في الغرب الإفريقي بالإضافة إلى المنهج التحليلي في تحديد وضع الظاهرة الانقلابية الراهنة في الغرب الإفريقي ومن تم وصفها وتوضيح أثارها وأسبابها ليتم التوصل إلى نتائج وخلاصات.

1-7 خطة البحث

يتكون البحث من مقدمة ومحورين وخاتمة .

المقدمة : تقديم للظاهرة الانقلابية في الغرب الإفريقي بين الماضي والحاضر

المحور الأول : الانقلابات في مملكة سنغاي (1493م – 1591 م)

المحور الثاني : الانقلابات في الغرب الإفريقي (1960-2023م)

خاتمة : وتضم خلاصات واستنتاجات حول الظاهرة الانقلابية في الغرب الإفريقي

[214] - **الغرب الإفريقي**: افريقيا الغربية الواقعة وراء الصحراء الكبرى وشمال المنطقة شبه الاستوائية، أي المناطق التي كان للمغرب علاقات بها على مر التاريخ وتشمل حاليا كل من : السنغال، وغينيا ، وغينيا بيساو، وسيراليون، ليبيريا، ساحل العاج، غانة، وتوجو، ومالي والنيجر وفولتا العليا.

المحور الأول: الانقلابات في مملكة سنغاي[215] (1493-1591م)

يعتبر علي كولن المؤسس الفعلي لإمبراطورية السنغاي، فقد عمل على تحويل السنغاي من دولة صغيرة إلى إمبراطورية كبيرة[216]، حيث وسع هذا الملك حدود دولته على حساب القبائل المجاورة، فكون إمبراطورية عظيمة، توفي سني علي في ظروف غامضة في عام 1493 أثناء عودته من حملة عسكرية، حيث ضل في الحكم سبعة وعشرين سنة وأربعة أشهر وعشرين يوما[217]، ولم تكن الظروف التي توفي فيها السن علي ظروفا طبيعية، وإنما كانت نتيجة مؤامرة" انقلاب" التي أحيكت بين محمد الأسكيا وبالتعاون مع أخيه[218]، بعد وفاة سن علي خلفه ابنه سني بار والذي كان ضعيف الشخصية فستغل الأسكيا محمد الكبير الذي كان قائد كبير من قواد سني علي بانقلاب على سني بار وأزاحه عن سدة الحكم، واستحوذ على العرش ولقب نفسه أسكيا محمد توري، وأعلن عن تأسيس مملكة جديدة بزعامة أسرة الأسكيا التي تولت الحكم في مملكة سنغاي.

إن ما يمكن ملاحظته حول انقلاب الأسكيا محمد الكبير هو أنه كان انقلابا عسكريا لكونه جاء من قائد عسكري كان اليد اليمنى لسني علي، ومن جملة الأسباب التي جعلت هذا القائد يقوم بهذا الانقلاب ويحصل على تأييد العلماء وباقي فئات الشعب السنغاي، هو أن سني علي كان حاكما مستبدا تغلب عليه البداوة والقسوة، فقد كان مكروها من طرف شعوب المملكة لقسوته وشراسته، وخصوصا مع علماء تنبكت، وهذا ما يؤكده المؤرخ عبدالرحمان السعدي حينما وصف استيلاءه على تنبكت بأنه " عمل فيها فسادا عظيما فحرقها وقتل فيها خلقا كثيرا..."[219]. لقد حارب سني علي العلماء

---

215 - **مملكة سنغاي**: تأسست هذه المملكة في القرن السابع الميلادي من قبل قبائل سنغاي المقيمة على وادي النيجر بين برويم وساي، دخلها الإسلام في القرن الحادي عشر الميلادي على يد المرابطين على المرجح، ولقب أمراؤها ب "زا" حتى سنة 1335 م تم ب " سني" . وكانت عاصمتهم كوكيا على نهر النيجر الأدنى ثم انتقلت إلى كاغ وقد حكمت مملكة سنغاي عائلة ضياء التي يظن أنها من منطقة طرابلس حتى سنة 1335 م حيث أعقبتها أسرة سني، وعرفت هذه المملكة ذروة مجدها وتوسعها في عهد أسرة الأسكيا التي امتدت حدودها إلى المغرب الأقصى تقريبا، وشملت مناجم الملح في تغازة وكانت أراضيها شرقا تشمل بلاد الحوسا وتتصل بأراضي سلطنة برنو. سقطت هذه المملكة نتيجة الحملة التي قام بها أحمد المنصور السعدي أواخر القرن السادس عشر الميلادي، وذلك في إطار الرغبة في الاستيلاء على مصادر ثروة المنطقة والذي كان منذ القديم مصدر تزاحم بين قبائل ودول المنطقة.

216 - Trimingham, A History of Islam in west Africa, oxford University, press, (London, 1962), p 94

217 - عيسى عبدالله، " مكانة الإسلام في مملكة سنغاي خلال القرن 16م، مجلة قراءات إفريقية، العدد 32، يناير مارس، 2010م، ص 43.

218 - لتوسع في موضوع المؤامرة والانقلاب التي قام بها محمد الأسكيا، وأخيه ودعم العالم عبدالكريم المغيلي، .
أنظر: عبدالقادر زبادية، أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي، سلسلة ذخائر المغرب العربي، الشركة الجزائرية للنشر والتوزيع ، الجزائر، 1974م، ص 39.

219 - عبدالرحمان السعدي، تاريخ السودان، تر أوكتاف، هوداس باريس، 1981، ص 4.

والفقهاء والوعاظ فكانت سمعته سيئة، فبعد وفاته في مؤامرة مدبرة انتهت بموته تم تعيين ابنه الذي لم يعمر أقل من سنة الواحدة في الحكم ، فتمت إزاحته عن الحكم.

وما يميز القائد العسكري الجديد هو تواصله مع العلماء فقد استقدم العلماء والأطباء وبنى المراكز العلمية على منوال المراكز الموجودة في كل من القرويين والقيروان والأزهر الشريف، كما ساعد الدعاة على نشر الدين الإسلامي، وحتى يوطد أركان حكمه كان لابد له من نسج علاقات مع مؤسسة الخلافة بمصر والمدينة المنورة، فبعد سنتين من انقلابه قام برحلة حج باحثا عن الشرعية والمشروعية لحكمه في بلاد الغرب الإفريقي واضعا هدفا من هذه الحجة هو البحث عن تفويض شرعي للحكم من مؤسسة الخلافة في مصر والمدينة المنورة وهذا ما تأتى له بعد منحه تفويض من مولاي العباس شريف مكة الذي استعمل كل ثقله المادي والرأسمالي الرمزي لإعطاء حكم الأسقيا محمد توري على بلاد التكرور[220]. لقد أنفق الأسكيا محمد مالا وذهبا كثيرا في هذه الرحلة حيت استطاع أن يصل إلى مبتغاه وهو التزكية الدينية من المدينة المنورة .

لقد وصل هذا القائد إلى الحكم عن طريق انقلاب في سن الخمسين سنة وبعد مضي 35 سنة من حكمه كانت نهايته كذلك بانقلاب عسكري قام به إبنه الأسكيا موسى عام 1529 م ، بسبب شيخوخته، فقد دخل بالقوة ابنه الأسكيا موسى مع جماعة من انصاره وأجبر أباه على التنازل عن الحكم لصالحه، فما كان من الحاج محمد الأسكيا إلا تنفيذ رغبة ابنه[221].

220 - دخل مولاي العباس شريف مكة في خلوة ثلاثة أيام ثم خرج يوم الجمعة ونادى أسكى الحاج محمد، وأجلسه بمسجد البلدة الشريفة مكة، وجعل على رأسه قلنسوة خضراء وعمامة بيضاء، واعطاه سيفا، وأشهد الجماعة الحاضرين أنه خليفة بأرض التكرور، وان كل من خالفه في تلك الارض فقد خالف الله تعالى ورسوله.
مولاي العباس: هو شريف مكة، كان ينوب بهذه المدينة الإسلامية ذات الخصوصية الاستثنائية عن الخليفة العباسي. حيث أن القاهرة قد صارت دار الخلافة العباسية منذ سقوط بغداد في يد التتار عام 656 هـ /1258 م
أنظر : محمد حجي ، **الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين**، منشورات دار المغرب للتأليف والترجمة، والنشر سلسلة التاريخ (2) ج 1 ، 1976 ، هامش ص 69.
221 - يقال إن موسى بعد أن دخل القصر بالقوة أحل لنفسه مع حاشيته وأنصاره حريم أبيه وسرياته ولم يعطه من ثيابه الخاصة على كثرتها (20 كيسا) إلا لباس واحدا، فدعا عليه أبوه بالويل والثبور، وقد كان ذلك سبب وفاته مقتولا برمح رماه به أحد إخوته الناقمين عليه فيما بعد.
أنظر : محمود كعت ، تاريخ الفتاش ، تحقيق هوداس، (ميزو ناف- باريس) 1964، ص 148.

بعد تولي الأسكيا موسى الحكم (1528-1531م) بدأ عهد النزاع على كرسي المملكة وبدأت الفوضى والمؤامرات، فقد شتت شمل إخوته وحاربهم وانتصر عليهم في الأخير، لكن هذا الانتصار لم يدم طويلا إذ تمكن أحد إخوته (الأسكيا علي) من قتله، فتم تعيين أخوه الأسقيا محمد الثاني من طرف الجيش ودام حكمه مدة ست سنوات (1531-1537).

إن ما يميز هذه الأسرة الحاكمة هو كثرة الاغتيالات والاستلاء على السلطة بالقوة والعنف فقد توفي محمد الثاني أيضا مقتولا من طرف أخيه وخلفه " الأسكيا إسماعيل" وذلك حينما كان في مدينة المنصور التي كان قد توج بها في الأول[222].

دامت مدة حكم الأسقيا إسماعيل سنتين (1537-1539) حيث عمل هذا السلطان على محاربة الوثنيين في الجنوب الغربي من المملكة، فكانت نهايته في أحد الحملات العسكرية بعد إصابته بمرض الطاعون. بعد هلاكه عاد الجيش إلى العاصمة غاو واختار الأسقيا إسحاق الأول الذي حكم عشر سنوات (1539-1549) ويعتبر هذا الملك من أهم الملوك الذين حكموا مملكة سنغاي حيث تميز حكمه بنوع من الاستقرار.

بعد موت الأسكيا إسحاق تم تعيين الأسقيا داود (1549-1582)[223]، حيث يعتبر ملكه ثاني أطول مدة ملك بعد المؤسس الأسكيا محمد فقد دام حكمه 33 سنة. وما يميز هذا الملك وفترة حكمه أنه كان حكيما وذا خبرة وحنكة في السياسية وإدارة الحكم فكان لا يحارب إلا إذا كان متيقنا من النصر، فقد ارتأى داود منذ بداية عهده بالحكم مسالمة المغرب مهما كلفه ذلك من ثمن فغض الطرف عن المضايقات المقصودة التي عمد إليها محمد السعدي[224].

بعد وفاة الأسقيا داود تم تعيين الأسقيا محمد الثالث (1582-1586) وهو لي عهد الأسقيا داود[225]، وهذه أول مرة ينتقل فيها الملك عبر ولاية العهد، بعد توليه السلطة كانت سنغاي دخلت مرحلة الضعف، وما يميز عهده هو توصله ببعثة مغربية تحمل له هدية ضخمة من السلطان أحمد المنصور الذهبي، حيث كانت عينه على سنغاي ويراقب الأوضاع

222 - إن الوصول إلى السلطة في مملكة سنغاي كان القتل والانقلاب فكان السمة البارزة في الانقلابات بدل الإرث الشرعي في تولي منصب الملك.
أنظر : ديوب، إفريقيا قبل الاستعمار، باريس 1956، ص 81.
223 - عبدالرحمان السعدي، مرجع سابق، ص 142.
224 - دولافوس، أهل السنغال والنيجر، ج2 ، ص 107.
225 - الأسكيا محمد الثالث وهو ابن الأسكيا داود وكل الملوك الذين جاءوا قبله كانوا من أبناء الأسكيا محمد توري.

السياسية للمملكة من خلال جواسيس له. أرسل أحمد المنصور حملة عسكرية مؤلفة من مائتي فارس فقط واحتل ممالح تغزة، وهرب سكانها، لكن السلطان محمد الثالث لم يحرك ساكنا سنة 1985 .[226]

بعدما عجز الأسكيا محمد الثالث عن مواجهة المنصور الذهبي في تغازة وتخاذله وعدم الدفاع عن الممالح دفع بعدد من إخوة الحاج الثاني إلى الثورة عليه والانقلاب عليه وتنصيب أخوه محمد باني سنة 1586 بدلا منه لكن حكمه ضل سنتان فقط (1586-1588)، حيث قتل وهو يحارب للقضاء على ثورة الفارين، وما يميز عهده هو تزايد الفوضى والاضطرابات في البلاد. امام هذه الاضطرابات وضعف الدولة تم تعيين الجيش للأساكي إسحاق الثاني (1588-1591) ، تولى هذا الملك الحكم والمملكة في أسوء أحوالها حيث ثارت عليه بعض المدن من بينها مدينة تنبكتو. قضى إسحاق سنة كاملة في محاربة الثائرين وأتباعهم وما إن انتهى من ذلك حتى فوجئ بوصول الجيش المغربي بقيادة جودر باشا وهي حملة المنصور الذهبي على سنغاي.

بعد هزيمته وفرار إسحاق الثاني، قام محمد كاغ آخر ملوك مملكة سنغاي بانقلاب على إسحاق الثاني وعين نفسه لمواجهة حملة المنصور الذهبي لكنه قتل كذلك على يد الحملة وبذلك يكون آخر ملوك مملكة سنغاي التي دام حكمها للغرب الإفريقي مدة قرن من الزمن .

إنما يمكن استنتاجه حول انتقال السلطة السياسية في هذه المملكة، أنها جاءت إلى الحكم عن طريق انقلاب وتتابعت الانقلابات في هذه المملكة نتيجة الأنانية والمؤامرات فأغلب هؤلاء الملوك صعدوا إلى الحكم بالمؤامرة أو الثورات فيقومون بقمع المعارضة وقتل كل من يعارضهم تنتهي دائما بقتلهم، أما من جهة تدبير خزينة الدولة فقد خضعوا لضروب من التعسف والقهر، فلم يبدعوا شيئا ولم يشاركوا الأمراء في تسيير الدولة وهذا من أسباب فشلهم وسهولة القضاء عليهم من طرف حملة المنصور الذهبي.

جدول يوضح انتقال السلطة السياسية في مملكة سنغاي.

(1493-1591م)

ر.ت	إسم السلطان الأساكي	مدة حكمه	كيفية وصوله إلى الحكم	طريقة نهاية حكمه
01	**الأسقيا محمد الكبير**	**(1493-1528)**	انقلاب على سني بار ابن سني علي	عزل من طرف ابنه الأسكيا موسى

[226] - دولافوس، اعلى السنغال، ج2، ص 81

02	الأسقيا موسى	(1531-1528)	انقلاب على أبيه الأسكيا محمد الكبير	مات مقتولا من طرف أخيه
03	الأسقيا محمد الثاني (بنكان)	(1537-1531)	مبايعة الجيش له بعد وفاة أخيه موسى	مات مقتولا من طرف الجيش
04	الأسقيا إسماعيل	(1539-1537)	انقلاب على أخيه محمد الثاني	مات بالطاعون في حملة على الوثنيين
05	الأسقيا إسحاق الأول	(1549-1539)	مبايعة الجيش له	موت عادي
06	الأسقيا داود	(1582-1549)	مبايعة الجيش له	مات نتيجة وباء
07	الأسقيا محمد الثالث (الحاج الثاني)	(1586-1582)	ولي العهد للأسقيا داود	عزل من طرف إخوته
08	الأسقيا محمد باني (الطيب)	(1588-1586)	انقلاب على محمد الثالث	مات مقتولا في معركة ثورة الفارين
09	الأسقيا إسحاق الثاني	(1591-1588)	مبايعة الجيش له	هزيمة أمام أحمد المنصور عزل[227]
10	الأسقيا محمد كاغ	(1592-1591)	انقلاب على إسحاق الثاني	مات مقتولا[228]

227 - قلي صفية، **مملكة سنغاي الإسلامية (1492 – 1591 م) ، رسالة ماستر في التاريخ 2013/2012** ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة 08 ماي 1945 ، الجزائر ، ص 33- 38

228 - ، سعيد سامي، **العلماء ومجتمع السودان الغربي خلال العصر الإسكي (1493 هـ -1591 م)**،أطروحة لنيل دكتوراه الدولة في التاريخ ، جامعة الحسن الثاني، ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية عين الشق البيضاء ، موسم 2000-2001م، ص: 160

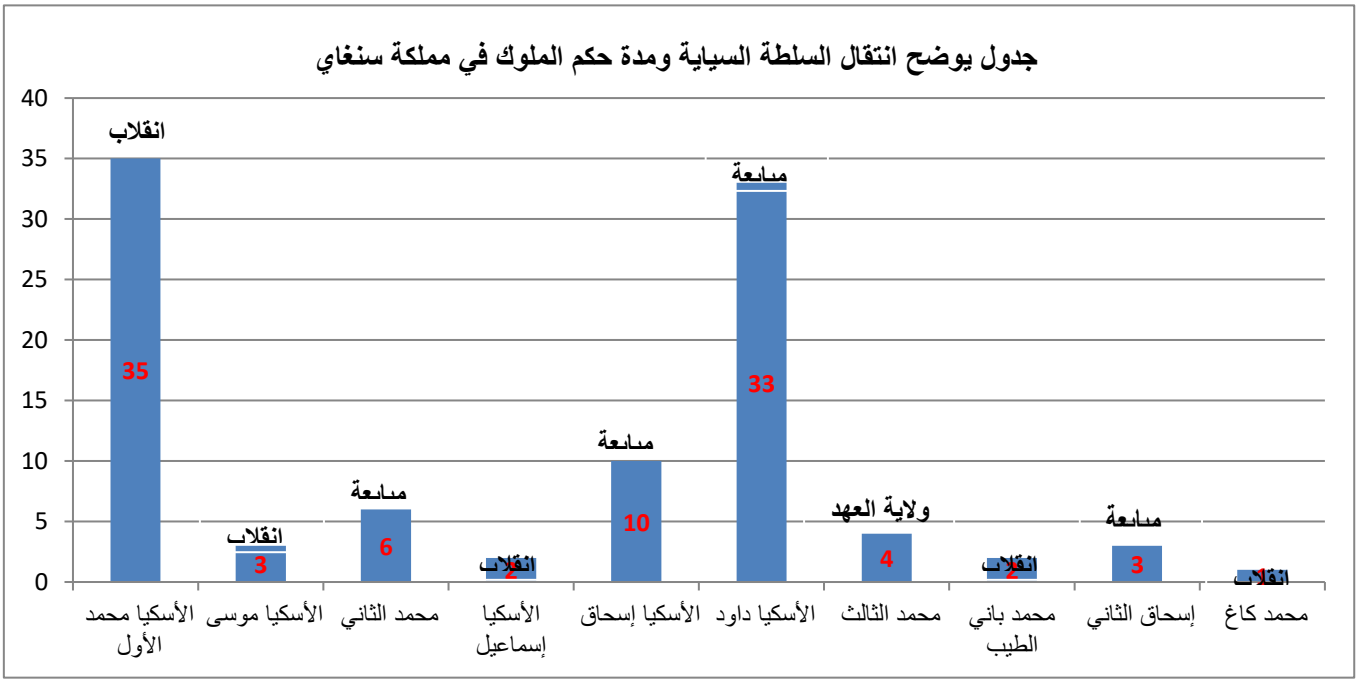

سنغاي في عصر الأساكي، في ظرف 100 سنة تقريبا من حكم هذه الأسرة كانت أربع انقلابات وهذا يدل على عدم استقرار هذه المملكة في هاته الفترة، فكانت المؤامرات والدسائس والقتل بين الإخوة الأمراء هي السمة الغالبة في تداول السلطة، بالإضافة إلى تدخل الجيش في الحياة السياسية للأمراء فنجد أن الجيش كان هو الذي يبايع الأمراء من أجل تولي السلطة "أربع مرات "، وهذا يجعل قدرة الملك في بسط نفوده على جيش ضعيفة بحيث أن الجيش هو الذي جاء بالملك إلى السلطة يجعل من العسكريين اليد الطولة في المملكة مما يعم الفساد الإداري في تسيير الدولة. أما بالنسبة لتولي السلطة عن طريق ولاية العهد فلم تتحقق إلا في حالة واحدة لمحمد الثالث الذي تولى السلطة عن الأسكيا داود .

بالإضافة إلى المدة الزمنية للحكم فنجد الأسكيا محمد والأسكيا داود حكما ثلاثا عمر الدولة الأسكية. أما سبعة ملوك فلم يحكموا إلا إحدى وعشرين سنة وكان آخر ملوك هذه المملكة هو محمد كاع الذي انهزم أمام حملة المنصور الذهبي.

المحور الثاني : الانقلابات في الغرب الإفريقي (1960-2023م)

عرف الغرب الإفريقي خلال 60 سنة من الاستقلال عددا كبيرا من الانقلابات، وبالرجوع إلى بعض المصادر لأحداث الانقلابات في أفريقيا أنه ما يزيد على 200 انقلاب في ستة عقود، نصفها يمكن وصفه بأنه "انقلابات ناجحة".

ومن خلال تتبعنا للانقلابات الحديثة التي وقعت في القارة الإفريقية وخصوصا انقلاب غينيا، وبوركينا فاصو، ومالي، والنيجر، وآخرها في الغابون يتضح أنها تختلف عن الانقلابات السابقة التي كانت تعتمد على طموح عسكري في الحكم والبحث عن الجاه والثروة والتآمر على السلطة الحاكمة مع الخارج، فالانقلابي يكون رهين الدول التي ساعدته للوصول إلى السلطة من أجل رد الجميل والتنازل على بعض الامتيازات إلى البلدان المساهمة في الانقلاب. لكن الانقلابات الأخيرة فهي مغايرة عن الانقلابات السابقة فالانقلابيون يقدمون أنفسهم على أنهم جاءوا للإصلاح وحريصون على سيادة الدولة بالإضافة إلى انخراط الشعب في تأييد الجيش ودعمه في مواجهة القوى التي كانت في السابق تقطف ثمار الانقلابات وخصوصا فرنسا في الغرب الإفريقي.

أولا : الدول التي عرفت أكبر عدد من الانقلابات في الغرب الإفريقي؟

عند الحديث عن الظاهرة الانقلابية في الغرب الإفريقي، يتبادر إلى الباحث أنه أمام إشكالية معرفية وأبستمولوجيا متعددة الأوجه يتداخل فيها التاريخي بالأمني والعسكري بالاقتصادي والثقافي بالاجتماعي، إنها إشكالية عويصة التشخيص والمعالجة. وحتى نحاول تسليط الضوء على الظاهرة لابد من تحديد عينة من الدول التي احتلت الصدارة في الانقلابات في الغرب الإفريقي.

- **النيجر 8 - مالي 8 – نيجيريا 8 – غانا 10- بوركينافاسو 8 – سيراليون 10**[229]

[229]- المصدر : عبدالجليل سليمان: الانقلابات في افريقيا .. من الذي ينسف الاستقرار .

https://shorturl.at/fqvEM/accessed 10/10/2022

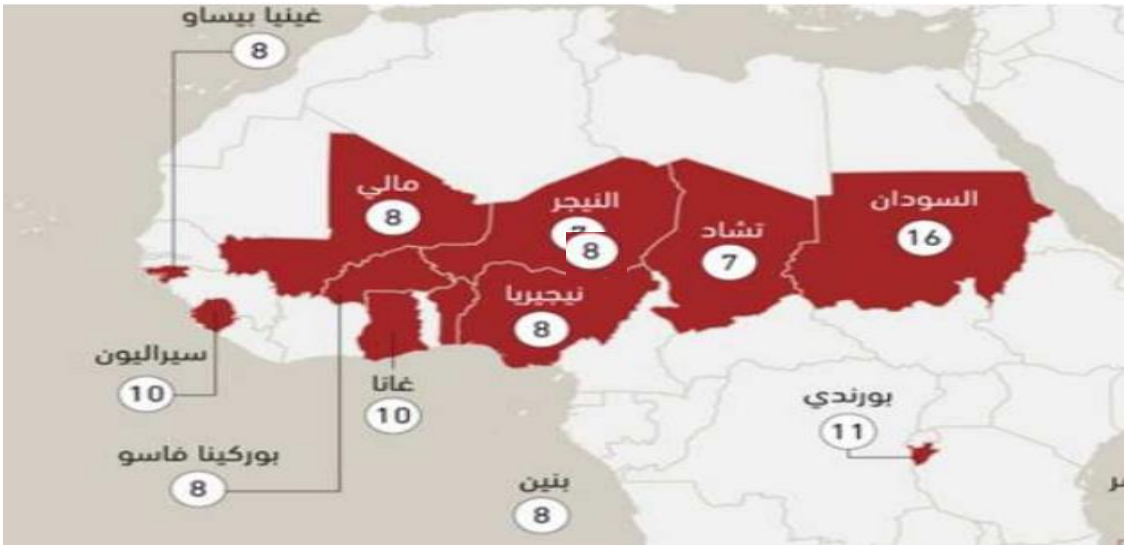

إن من جملة العوامل التي تجعل هذه البلدان الأكثر تعرضا للانقلابات العسكرية، هناك عوامل سياسية أمنية وأخرى اقتصادية .

أ- الهاجس الأمني :

إن أغلب هذه البلدان تعيش حالة من الاضـطرابات الأمنية، من خلال وجود جماعات إرهابية في حدودها أو في صـفوف الجيش الذي يحاول السـيطرة على هذه الجماعات وينتج ذلك على خلفية تصـاعد الهجمات الإرهابية المرتبطة بكل من تنظيم القـاعـدة وتنظيم داعش[230]. إن السـمـة البـارزة التي تطبع هـذه البلـدان هي طـابع الاقتتـال الـدموي والتصفيات العرقية، وتشير جغرافيا الانقلابات في إفريقيا أن الغرب الإفريقي تشكل بيئة حاضنة للانقلابات لكونها بؤرة لجميع أنواع التهديدات المرتبطة بتجارة السـلاح والمخدرات والجريمة المنظمة والهجرة السـرية[231]. ومن بين الأزمات التي تنتج نتيجة الصراعات القبلية وتدخل السلطات بالعنف في مواجهات هذه الجماعات إلى نزوح واسع النطاق، حيث يكثر اللاجئين خارج حدود الدولة أو داخلها، ووفقا لبيانات الأمم المتحدة وصـل عدد النازحين في هذه المناطق إلى نحو 2 مليون

230 - International Crisis Group: **An Initial Assessment of Burkina Faso's Transitional Leadership**, (Brussels: International Crisis Group, 14 September 2022) https://www.crisisgroup.org/africa/sahel/burkina-faso/initial-assessmentburkina-fasos-transitional-leadership/

231 - بوحنية قوي، **الظاهرة الانقلابية في افريقيا، السياقات والتفسيرات**، مركز الجزيرة للدراسات، سبتمر 2022، ص 3.

نازح من بينهم 285000 في مقاطعة جيبو[232]. كما أن من الأمور التي تعاني منها هذه البلدان هو غياب التنسيق الأمني بين هذه البلدان في المواجهة والتصدي لعنف الجماعات الإرهابية مما يجعل هذه البلدان تستنجد بقوى عظمى خارجية، وهذا ما يجعل تدخل الدولة العظمة في هذه الدول احتلالا عسكريا من خلال وضع قواعد عسكرية في البلاد وهذا ما حصل مع كل من مالي والنيجر... .

ب- تراجع الأوضاع الاقتصادية في هذه البلدان.

من الناحية الاقتصادية فان هذه الدول رغم الثروات الطبيعية والمعدنية الهائلة التي تتوفر عليها، تعاني من معدلات عالية من الفقر، وما يميزها كونها تعتبر من المستعمرات السابقة لفرنسا، وهي الافقر في القارة، فمثلا النيجر التي شهدت انقلاب مؤخرا هي ثاني افقر دولة في العالم حسب كل مقاييس التنمية البشرية، اذ هناك نهب مبرمج للثروة المعدنية في هذه البلدان، وتتراوح نسبة البطالة في هذه الدول بين 50-70%. وتعاني من غياب ابسط الخدمات، فمثلا 80% من سكان النيجر هم بدون كهرباء رغم ان 70% من الطاقة الكهربائية في فرنسا تأتي من اليورانيوم وثلث اليورانيوم الفرنسي يأتي من النيجر[233].

إن أغلب هذه البلدان تعيش تحت خط الفقر حسب تقديرات البنك الدولي لعام 2022، رغم أن هذه البلدان تتوفر على الكثير من الثروات الطبيعية والمناجم وخصوصا الذهب وفي مقدمة هذه البلدان مالي والنيجر ، ومن بين الدول التي تعيش انخفاض في النمو نجد بوركينا فاسو التي بلغ معدل النمو من 5.7 % في عام 2019 إلى 2.5 % في عام 2022 كما أنها تحتل الرتبة 184 من أجمالي 191 دولة التي شملها التقرير[234]. وما يميز هذه البلدان كذلك هو تفشي الهشاشة وذلك وفق تقارير الفورين بوليسي، وهو ما نتج عنها فشل سياسي وتوتر في العلاقات بين المدني والعسكري.

إن فرنسا كقوة اقتصادية تتحكم بعملة أغلب دول غرب افريقيا، حيث أنها تتحكم في صرف العملة نظرا لارتباطها بالفرنك الفرنسي، فهذه العملة مرتبطة بالفرنك الفرنسي والان مرتبطة باليورو. ان ارتباط هذه العملة باليورو

---

232 - - Relief web: Coup d'état in Burkina Faso: **What future for the already fragile population**? https://reliefweb.int/report/burkina-faso/coup-detat-burkina-faso-what-futurealready-fragile-population/

233 - توما حميد، الحوار المتمدن، العدد 7732- بتاريخ 2023/9/12 ، https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=804822

234 - The World Bank: Burkina Faso Overview: Development News, Research, data https://www.worldbank.org/en/country/burkinafaso

يجعل الاستثمارات الفرنسية في هذه الدول امنة. وهذا ما جعل المواطن في هذه البلدان يفقد الثقة في فرنسا الراعية لكل الانقلابات العسكرية السابقة، فظهرت انقلابات جديدة برعاية الشعب من أولى أولوياته طرد المستعمر الفرنسي.

ثانيا : أهم مبررات الانقلابات العسكرية في الغرب الإفريقي ؟

إن المتتبع للانقلابات في الغرب الإفريقي يلاحظ أن هذه الانقلابات تختلف عن الانقلابات التقليدية القديمة، حيث أصبحت الجيوش الإفريقية تقدم نفسها على أنها رائدة الإصلاح والحريصة على السيادة والوطنية والأمنية على الشعوب ومقدراتها، والحامية لحدودها، مما يجعل قطاعات واسعة من الشعوب الإفريقية تبحث عن الأمن والاستقرار في ظل الحكم العسكري بدل الديمقراطية المستوردة من الغرب الاستعماري التي لا تخدم إلا مصالحه. ومن جملة المبررات التي يتبناها الانقلابيون في قيامهم بالانقلابات العسكرية خصوصا في الغرب الإفريقي نجد :

- فساد الحكام الذين يسيطرون على الحكم في الغرب الإفريقي وتآمرهم مع الخارج ضد مصالح الدول التي يحكمونها، وهذا ما يجعل العسكريون المنقلبون في بعض الأحيان يعتبرون أنفسهم حراسا للنزاهة والاستقرار وحماية المواطنين من جشع الحكام .
- تدهور الأوضاع الاقتصادية مع ارتفاع معدلات البطالة وتفاقم الأوضاع المعيشية للمواطنين، فيتدخل الجيش لحل هذه المشكلة الاقتصادية بالانقلاب على السلطة المدنية الحاكمة.
- تحدث أحيانا صراعات عرقية أو دينية ويعجز الحاكم عن التصدي لهذه الصراعات فيتدخل الجيش لحماية طائفة أو تشرد ناجحون داخل البلاد او خارجه نتيجة اقتتال لا ينتهي إلا بالانقلاب على السلطة وفرض الأمن بالقوة .
- عندما يعمر الحاكم لفترة طويلة في الحكم ويعجز عن حل المشاكل الداخلية يتدخل الجيش كما حدث في الكونكو مؤخرا لعزل الرئيس واستبداله بعسكري آخر من نفس الطينة والتكوين.
- الانقلابات المضادة، قد يحدث انقلاب ويعد الشعب بالتغيير ونتيجة عدم وصول الجيش إلى أهداف التي وعد بها الشعب، ينقلب عليه مجموعة عسكرية أخرى تدعي أنها القادرة على حل المشاكل الاقتصادية والاجتماعية وتتوالى الانقلابات في غياب الردع من المنتظم الدولي والاتحاد الافريقي .

كل هذه العوامل وغيرها من أسباب الانقلابات في الغرب الإفريقي الذي يظل دائما على فوهة بركان فقد انعدمت الثقة بين الرئيس والعسكري في الغرب الإفريقي فأصبح الرئيس يخاف من الانقلابات ويقوم بتعيين جنود مخلصين له لكن شهوة السلطة والقيادة والريادة غالبا ما تستهوي هؤلاء القادة فيقوم بالانقلاب رئيس الحرس الرئاسي دو مرتبة متدنية في سلم الترتيب العسكري ويتقلد الحكم مع مجموعة صغيرة تستولي على السلطة وتدعي أنها تريد الإصلاح وفي خدمة الشعب وحريصة على مصالحه.

ثالثا :كيف تتعامل الدول الكبرى إزاء الانقلابات في الغرب الإفريقي ؟

إن الانقلابات في الغرب الإفريقي يقوم بها عسكريون من أجل أهداف اقتصادية سياسية أو اجتماعية، لكن تفاعل الدول الكبرى مع هذه الانقلابات تكون تبعا لمصالح السياسية لهذه الدول وتشير الدراسات الأمنية إلى أنه من النادر أن تتم الانقلابات دون إخطار أجهزة الاستخبارات الأجنبية، حيث يقوم الانقلابيون أنفسهم بالاتصال بالقوى الأجنبية لطمأنتهم على مصالح دولهم والحصول على الدعم اللوجستي والعسكري والدولي، ويبقى تدخل الدول الكبرى في الانقلابات وفق حالتين:

الحالة الأولى : ففي حالة ما إذا كان هذا الانقلاب من تدبيرها أو مساهمة فيه أو يحقق لها أجنداتها السياسية، غالبا ما يكون قرار هذه الدول هو الاعتراف بهذا الانقلاب وتبرر هذا الاعتراف بدواعي إنسانية وحماية للمواطنين من تسلط الحاكم الذي غادر السلطة مكرها وتتابع الاعترافات وينجح الانقلاب مما يشجع انقلابيون في بلد أخر من الغرب الإفريقي على القيام بانقلابات أخرى تحقيقا لطموح هذه الدول في الحصول على حكام يخدمون مصالحهم.

الحالة الثانية: عندما يكون الانقلاب يخالف تطلعات الدول الكبرى، يتم مباشرة التدخل في شؤون الدولة التي عرفت الانقلاب من خلال الرفض وعدم الاعتراف بالنظام العسكري وتطلب استعادة الحكومة المدنية كما أنها تضطر إلى فرض عقوبات اقتصادية من أجل حصار المنقلبين على السلطة. بالإضافة إلى إرسال بعثاتها الدبلوماسية لتنشيط التفاوض حول المدة التي سيتم فيها تسليم السلطة لحكومة منتخبة. فهذه الدول لا يهمها الشعب أو الحكومة او المنقلبين كل ما يهمها هو المصالح فعندما ترى أن مصالحها لن تتعرض للخطر، تقف في زاوية المتفرج وتنظر إلى أي جهة ستنقلب كفة السلطة في البلد المنقلب تم تدعمه بكل ما أوتيت من قوة من أجل بقاء نفودها ومصالحها.

في بعض الأحيان قد تلجأ إلى دعم المعارضة في البلد الذي وقع فيه الانقلاب من خلال تقديم مساعدات وتمويل توجه سياسي معارض للمنقلبين من أجل جعلهم يقبلون بالشروط التي تفرضها عليهم الدول التي تسهر على الحفاظ على مصالحها . كما يمكن لهذه الدول في بعض الأحيان عندما تكون اتفاقيات تعاون في مجال الدفاع بأن تتدخل عسكريا لإعادة الأمور إلى نصابها من خلال تدخل عسكري وإطلاق تهديدات تحت غطاء مكافحة والإرهاب والجريمة المنظمة التي يقوم بها هؤلاء الانقلابين. ويبقى الوتر الحساس الذي تلعب عليه الدول العظمى هو المساعدات الإنسانية وهي عبارة عن

أدوية وأغذية وخيام خاصة باللاجئين في حالة فرار المواطنين من الاقتتال على السلطة، وغالبا ما تكون هذه المنظمات غير حكومية عبارة عن جواسيس واجهزة مخابرات واستخبارات هدفهم دراسة الوضعية ونقل صورة من عين المكان، ودراسة الانقلاب عن كتب وتسريب معلومات عن الانقلابيين ووضعية البلد إلى الدولة التي وقع فيها انقلاب، لكن هدفهم الأساس هو التغلغل في البلد الذي وقع فيه الانقلاب واضعين خطط لحماية مصالحهم.

رابعا: من المستفيد والخاسر من الانقلابات الأخيرة في الغرب الإفريقي؟

إن الانقلابات في إفريقيا دائما يكون فيها خاسر ورابح، إذا نجح الانقلاب غالبا يكون الخاسر هو الرئيس المنقلب عليه والانتقال من حكومة مدنية إلى حكم شمولي عسكري، بالإضافة إلى انتهاكات حقوق الإنسان وقمع المجتمع المدني مما يتسبب في تقليل الحريات الفردية والديمقراطية. أما الرابح هم العسكريين والجهات الداعمة للانقلاب حيث يكون العسكريون والجهات الداعمة قد حققوا أهدافهم باستلائهم على السلطة ومقدرات الدولة. في حالة ما إذا لم ينجح الانقلاب يكون مصير المنقلبين الاعدام أو السجن ويخرج الرئيس بقوة أقوى مما كان عليه، حيث أن هذه المحنة تعطيه صلابة وقوة أكثر في الإمساك بزمام الأمور لكن يكون تحت رحمة من ساعده في العودة إلى السلطة.

أما الانقلابات في غرب إفريقيا الأخيرة فإن الأمور اختلفت فالخاسر الأكبر من هذه الانقلابات هي فرنسا التي لها علاقات تاريخية وثقافية قوية مع العديد من الدول الإفريقية وتعتبرها جزءا من نفوذها التقليدي، وفرنسا حاليا تشعر بالقلق إذ تسببت الانقلابات في تغيير حكومات كانت تحت وصايتها وأصبحت فرنسا غير مرغوب فيها في إفريقيا. أما الرابح فهي روسيا والصين الذين وضعوا موطأ قدم في القارة الإفريقية بالإضافة إلى الشعوب الإفريقية التي انتفضت عن بكرة أبيها من أجل طرد المستعمر الذي لا يعرف إلا استنزاف خيرات البلاد.

خامسا : خصوصيات الانقلابات الجديدة في الغرب الإفريقي[235]

ما يميز الانقلابات الأخيرة في الغرب الإفريقي هي كونها تتميز بخصوصيات لم تكن في الانقلابات الاعتيادية التي كانت تعرفها إفريقيا بوجه عام والغرب الإفريقي بوجه خاص، فالانقلاب الأخير الذي وقع في النيجر وأطاح بالرئيس الحالي محمد بازوم هو امتداد لسلسلة متواصلة من الانقلابات التي شهدها الغرب الإفريقي فقد سبقته ثلاثة انقلابات في كل من غينيا،مالي وبوركينافاصو، وما يميز هذه الانقلابات الأخيرة هو :

أولا: على عكس الانقلابات السابقة التي كانت تعرفها إفريقيا عموما من اغتيال الشخصيات التي يتم الانقلاب عليها بالإضافة إلى إطلاق النار بين العسكريين المنقلبين والذين يؤيدون الرئيس المنقلب عليه فتحدث مجازر من القتلى تنتهي باستلاء المنقلبين على السلطة . وهذا ما لم يحدث في هذا الانقلاب حيث أن الانقلاب كان بدون إطلاق رصاص أو

[235] - خليل العناني، عقد الانقلابات العسكرية في أفريقيا، مقالات الجزيرة ، تاريخ 2023/8/21 .
https://www.aljazeera.net/opinions/2023/8/21/عقد-الانقلابات-العسكرية-في-أفريقيا

قتل الرئيس، وإنما بوضع تحت الإقامة الجبرية في انتظار محاكمته على التهم التي توجه إليه قضائيا وغالبا ما تكون التهم جاهزة قبل الانقلاب وهي الخيانة العظمى والتآمر على مصالح الدولة مع قوى خارجية.

ثانيا: إن عمر الانقلابين لا يتجاوز 40 سنة أي أن هذه الانقلابات تتم عن طريق عسكريين من رتب عسكرية منخفضة وأغلبهم ينتمون إلى وحدات القوات الخاصة أو الحرس الجمهوري كما وقع مؤخرا في النيجر.

ثالثا: الانقلابين وجدوا تأييد منقطع النظير من الشعب الذي تماها مع الخطابات المعادية للمستعمر الفرنسي والغرب بصفة عامة حيث كان التلاحم بين الانقلابين في مهرجانات خطابية ومحاصرة القواعد العسكرية غير المرغوب فيها في البلاد وحصار السفارة الفرنسية كل هذه التحركات الشعبية هي دفعة وتأييد للانقلابيين، فتلاحم الشعب مع الانقلابيين وقف سد مانع ضد كل التهديدات العسكرية سواء من منظمة "الإكواس"[236] أو التهديدات الفرنسية .

رابعا: ظهور التأييد الروسي في الانقلابات الجديدة من خلال الدعم الدبلوماسي وتدخل مرتزقة "الفاغنر"[237] الروسية المتواجدة في كل من مالي وبوركينافاصو وأخيرا في النيجر ، بالإضافة إلى وقوف الادارة الأمريكية على مسافة واحدة بين المنقلبين والرئيس حيث أنها لم تدعم فرنسا في تحركاتها نحو التدخل العسكري في هذه الدول وهذا ما جعل المستعمر الفرنسي يفقد قلاعه في الغرب الإفريقي .

خاتمة :

إن ظاهرة الانقلابات العسكرية ليست بالظاهرة الجديدة على الدول الأفريقية بشكل عام، فبدراستنا لمملكة سنغاي نلاحظ أن الانقلابات هي السمة الغالبة في هذه المملكة التي عانت من ويلات الانقلابات في تداول السلطة السياسية، بالإضافة إلى تدخل الجيش في عزل أو تنصيب الملوك مما يجعل المؤسسة العسكرية ورقة صعبة في مواجهة قرارات الحاكم، فتضعف الدولة وتسقط من المشهد السياسي كما حدث مع مملكة سنغاي خلال حملة المنصور الذهبي على الغرب الإفريقي.

---

[236] - **المجموعة الاقتصادية لدول غرب أفريقيا)** بالإنجليزية Economic Community of West African States) وتُعرف اختصارا بسيدياو) بالفرنسية(CEDEAO : أو إيكواس) بالإنجليزية(ECOWAS)، هي مُنظمة سياسية واتحاد اقتصادي إقليمي يتكون من خمسة عشر دولة تقع في منطقة غرب أفريقيا .تُغطي هذه البُلدان مُجتمعة مساحة 5,114,162 كيلومتر مربع (1,974,589 ميل(2، فيما تضُم ساكنة تُقدر بأكثر من 349 مليون نسمة حسب إحصائيات سنة 2015. أُسست المنظمة في 25 مايو 1975 بموجب اتفاقية لاغوس [الإنجليزية]، ويقع مقرها في أبوجا عاصمة نيجيريا .تضُم المجموعة 15 دولة عُضو هي الرأس الأخضر وغامبيا وغينيا وغينيا بيساو وليبيريا ومالي والسنغال وسيراليون وبنين وبوركينا فاسو وغانا وساحل العاج والنيجر ونيجيريا وتوغو.

[237] - تأسست مجموعة فاغنر في عام 2014 بعد أن استولت روسيا على شبه جزيرة القرم الأوكرانية ومنذ سنوات تُتهم مجموعة فاغنر بالإسهام في تحقيق طموحات الكرملين الخارجية، فعناصرها يقاتلون في الخطوط الأمامية في الحرب التي تشنها موسكو. وهي مجموعة شبه مستقلة من القوات الروسية أدت فعاليتها في ساحة المعركة، فقد استطاعت مجموعة "فاغنر" تحقيق "مكاسب نسبية غير جوهرية أو استراتيجية" لكنها محسوسة على الأرض. تسعى فاغنر، التي نمت لتصبح قوة قوامها حوالي 50 ألف رجل بعد تجنيد السجناء في جميع أنحاء نظام السجون الروسي، لتصوير نفسها على أنها الوحدة الروسية الوحيدة القادرة على شن عمليات هجومية

أما بالنسبة للانقلابات في العصر الحالي فالمتتبع لمجريات الأحداث المحيطة بانقلابات الأخيرة يرى أن عدوى الانقلابات تنتشر في أفريقيا كانتشار النار في الهشيم، وهذا راجع لتحولات الجيوسياسية التي تعرفها منطقة الغرب الإفريقي التي بدأت تخرج من قبعة النفوذ الغربي نحو النفوذ الروسي الصيني، فهذا الاتجاه يأتي في ظل التحولات الجارية على مستوى النظام الدولي والصراع المستمر بين القوى الكبرى مثل أميركا، وروسيا، والصين، التي تسعى لتوطيد نفوذها في القارة الأفريقية.

والظاهرة الانقلابية في الغرب الإفريقي هي ظاهرة سياسية تتعلق بالتغيرات المتكررة في الحكومات والنظم السياسية في دول غرب افريقيا، فمن خلال التعمق في الظاهرة يمكن أن نستنتج أبعاد وخلاصات هذه الظاهرة، ومن جملة الاستنتاج التي توصلت إليها هي :

- إن الظاهرة الانقلابية في الغرب الإفريقي ناتجة عن عدم الاستقرار السياسي في المنطقة، حيث أن الانقلاب يؤثر بشكل سلبي على الاقتصاد والتنمية ويجعل من الصعب تحقيق التقدم .
- الانقلابات في الغرب الإفريقي ناتجة عن الفساد وعدم توزيع الثروة بشكل عادل وتسلط الحكام الذين يخدمون أجندات أجنبية ومصالحهم الخاصة في غياب تطوير البنية التحتية للبلاد وغياب تنمية ذاتية للفرد في الغرب الإفريقي .
- استغلال الثروات من طرف المستعمر الأجنبي دون استفادة المواطن الإفريقي من هذه المواد حيث يتم تصديرها خاما إلى البلاد المستعمرة دون إشراك المواطن الإفريقي في الانتاج واستغلال خيرات البلاد.
- انعدام تداول السلطة في الغرب الإفريقي، حيث أن الرئيس يعمر طويلا في الحكم ويتم تجديد له مرة واثنان وثلاثة، لكن الغريب في الأمر أن بعض الدول يتم توريث الحكم للأبناء في غياب معارضة تحاسب الحاكم على تصرفاته .
- التدخل الإقليمي والدولي في سياسات البلدان الإفريقية التي تصبح منزوعة السيادة حيث أن المستثمر الأجنبي يصول ويجول في استنزاف الثروات بدون حسيب ولا رقيب في غياب سلطة قوية تحاسب هذه الشركات على استنزاف خيرات البلاد.
- التحديات الاقتصادية الناتجة عن غياب الاستثمارات في البلدان الإفريقية وهذا راجع لتخوف المستثمرين من الانقلابات التي تعصف ببلدان الغرب الإفريقي حيث تقلل الثقة في اقتصاد هذه الدول، لهذا على الدول أن تحافظ على النهج الديمقراطي في تداول السلطة في هذه البلدان الافريقية.
- يجب على هذه الدول تعزيز الاستقرار من خلال مكافحة الفساد الإداري والسياسي وتعزيز الشفافية في الانتخابات وحث المواطنين على المشاركة في العملية الانتخابية بكثافة من أجل إنجاح المشاركة السياسية ووصول النخبة المثقفة إلى مراكز اتخاذ القرار.
- عدم وجود رادع قوي من دول على مستوى الدولي والإقليمي في السيطرة على الانقلابات في الغرب الإفريقي، فنجد هذه الدول تكيل بمكيالين مختلفين في معالجة ظاهرة الانقلابات في الغرب الإفريقي حسب مصالح هذه الدول.

هذه جملة من الاسباب التي قد تكون سببا في تمرد العسكريين عن السلطة السياسية في الغرب الإفريقي، لهذا على الدول والمجتمع الدولي العمل بجد على تعزيز الديمقراطية والتعاون بين حكومات الغرب الإفريقي مع المنتظم الدولي إقليميا ودوليا.

المراجع المعتمدة:

الكتب :

دولافوس، أهل السنغال والنيجر، ج2 ،

ديوب، إفريقيا قبل الاستعمار، باريس 1956،

عبدالرحمان السعدي، تاريخ السودان، تر أوكتاف، هوداس باريس، 1981،

عبدالقادر زبادية، أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي، سلسلة ذخائر المغرب العربي، الشركة الجزائرية للنشر والتوزيع ، الجزائر، 1974م،

عيسى عبدالله، " مكانة الإسلام في مملكة سنغاي خلال القرن 16م، مجلة قراءات إفريقية، العدد 32، يناير مارس، 2010م،

محمد حجي ، الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين، منشورات دار المغرب للتأليف والترجمة، والنشر سلسلة التاريخ (2) ج 1 ، 1976 ،

محمود كعت ، تاريخ الفتاش ، تحقيق هوداس، (ميزو ناف- باريس) 1964،

الرسائل والأطروحات:

- قلي صفية، مملكة سنغاي الإسلامية (1492 – 1591 م) ، رسالة ماستر في التاريخ 2013/2012 ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة 08 ماي 1945 ، الجزائر ، ص 33- 38

- سعيد سامي، العلماء ومجتمع السودان الغربي خلال العصر الإسكي (1493 هـ-1591 م)،أطروحة لنيل دكتوراه الدولة في التاريخ ، جامعة الحسن الثاني، ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية عين الشق البيضاء ، موسم 2000-2001م، ، ص 160

المواقع الإلكترونية :

- خليل العناني، عقد الانقلابات العسكرية في أفريقيا، مقالات الجزيرة ، تاريخ 2023/8/21 .

https://www.aljazeera.net/opinions/2023/8/21/عقد-الانقلابات-العسكرية-في-أفريقيا

توما حميد، الحوار المتمدن، العدد 7732- بتاريخ 2023/9/12 ،

https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=804822

عبدالجليل سليمان: الانقلابات في افريقيا .. من الذي ينسف الاستقرار .

https://shorturl.at/fqvEM

بوحنية قوي، الظاهرة الانقلابية في افريقيا، السياقات والتفسيرات، مركز الجزيرة للدراسات، 2022،

- - Relief web: Coup d'état in Burkina Faso: What future for the already fragile population?

https://reliefweb.int/report/burkina-faso/coup-detat-burkina-faso-what-futurealready-fragile-population/

- Nombre de coups d'État en Afrique, Radio Canada du 19 Janvier 2019 (Vu le 15 septembre 2022): https://bit.ly/3qVQXmI

- International Crisis Group: An Initial Assessment of Burkina Faso's Transitional Leadership, (Brussels: International Crisis Group, 14 September 2022) https://www.crisisgroup.org/africa/sahel/burkina-faso/initial-assessmentburkina-fasos-transitional-leadership/

- The World Bank: Burkina Faso Overview: Development News, Research, data https://www.worldbank.org/en/country/burkinafaso

- Trimingham, A History of Islam in west Africa, oxford University, press, (London, 1962),

مقومات النشاط الزراعي بظهير سيدي علال البحراوي، حالة جماعتي أيت مالك وأيت علي أو لحسن

The characteristics of the agricultural activity in the suburban area of Sidi Allal Al-Bahraoui, a case study of Ait Malik and Ait Ali Oulhassane rural communes.

يـوسف معـروفـي، طالب باحث بجامعة ابن طفيل القنيطرة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية (المغرب).
Youssef Maaroufi,Ph.D. student, Ibn Tofail University, faculty of human and social sciences, Morocco

عيسى البوزيدي، أستاذ التعليم العالي بجامعة ابن طفيل القنيطرة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية المغرب.
EL bouzidi aissa, Professor at Ibn Tofail University, faculty of human and social sciences Morocco

ملخص

يتميز ظهير سيدي علال البحراوي بتوفر معطيات طبيعية مهمة متمثلة في وجود إطار طبوغرافي يغلب عليه طابع الانبساط. يقع ضمن الهضاب والسهول الساحلية، ويتميز بمرتفعات تصل إلى 200 متر، ويتجه انحداره في اتجاه البحر، وأودية موسمية الجريان. كما يتوفر على موارد مائية مهمة ولكنها تتعرض للتراجع في ظل الظروف المناخية المتقلبة حاليا والمتميزة بسيادة السنوات الجافة. تتميز الأتربة بهذا المجال بكونها خصبة وتعرف أشكالا من التدهور في بعض المجالات. أما الغطاء النباتي المتمثل في غابة المعمورة، فهو مهم ويتعرض للتراجع المستمر.

يبقى واقع التنمية بظهير سيدي علال البحراوي ضعيفا، ودون مستوى تطلعات الساكنة. رغم أهمية المعطيات الطبيعية، فإنها لا تؤثر في التنمية بشكل ايجابي، لأن الأمر قد يتعلق بصعوبة في تثمينها أو بوجود إكراهات ومشاكل يتعين إظهارها والكشف عنها. نسعى من خلال هذا المقال إلى إبراز مقومات النشاط الزراعي بظهير سيدي علال البحراوي، وتأثيراتها على الإنتاج الزراعي، الذي يتميز بالتذبذب حسب السنوات المطيرة والجافة.

الكلمات المفتاحية: ظهير سيدي علال البحراوي، جماعتي أيت مالك وأيت علي أولحسن، موارد مائية، واقع التنمية، مقومات النشاط الزراعي، الإنتاج الزراعي.

Abstract :

The suburban area of Sidi Allal El Bahraoui is distinguished by the availability of important natural resources, represented by the presence of a topographical framework that is predominantly flat, which is located within coastal plateaus and plains, and is characterized by heights of up to 200 metres, tending to slope towards the sea and valleys with seasonal flow. It also has sufficient water resources, which are, unfortunately, declining in light of the current changeable climate conditions characterized by the prevalence of years of drought. In addition, the soil in this area is characterized by being fertile and experiencing forms of deterioration in some fields. As to the vegetation of Maamoura Forest, it is important and subject to continuous decline.

However, the development of the suburban area of Sidi Allal El Bahraoui remains weak and below the aspirations of the population. Natural resources, despite their importance, do not affect the current state development in a positive way, because the matter may be related to the difficulty in valuing them or the presence of certain constraints and problems that must be explored. Through this article, we seek to highlight the characteristics of the agricultural activity in Sidi Allal El Bahraoui, and their impact on the agricultural production.

Keywords: The suburban area of Sidi Allal El Bahraoui, Ait Malik and Ait Ali Oul Hassan rural communes, water resources, development, the characteristics of agricultural activity, agricultural production.

تقديم

تنتمي جماعتا أيت مالك وأيت علي أو لحسن إلى دائرة تيفلت، وباشوية سيدي علال البحراوي، إقليم الخميسات التابع لجهة الرباط- سلا- القنيطرة. تحدان شمالا بجماعة الحدادة، وشرقا بجماعتي عين الجوهرة وسيدي بوخلخال، وغربا بجماعة عامر، أما جنوبا، فتحد بجماعة السهول التابعة لعمالة سلا. يمتد ظهير سيدي علال البحراوي على مساحة إجمالية تقدر ب421 كلم2، منها 181 كلم2لجماعة أيت مالك، و 240 كلم2 لجماعة أيت علي أو لحسن (شكل رقم 1). يشكل هذا الموقع أهمية خاصة بالنسبة للمواصلات، ذلك أن أقرب المدن لهذا الظهير هي سلا والقنيطرة التي تبعدان عنه بحوالي 28 كلم، والرباط ب 30 كلم، وبعضها يشكل قطب اقتصادي واداري(القنيطرة، الرباط).

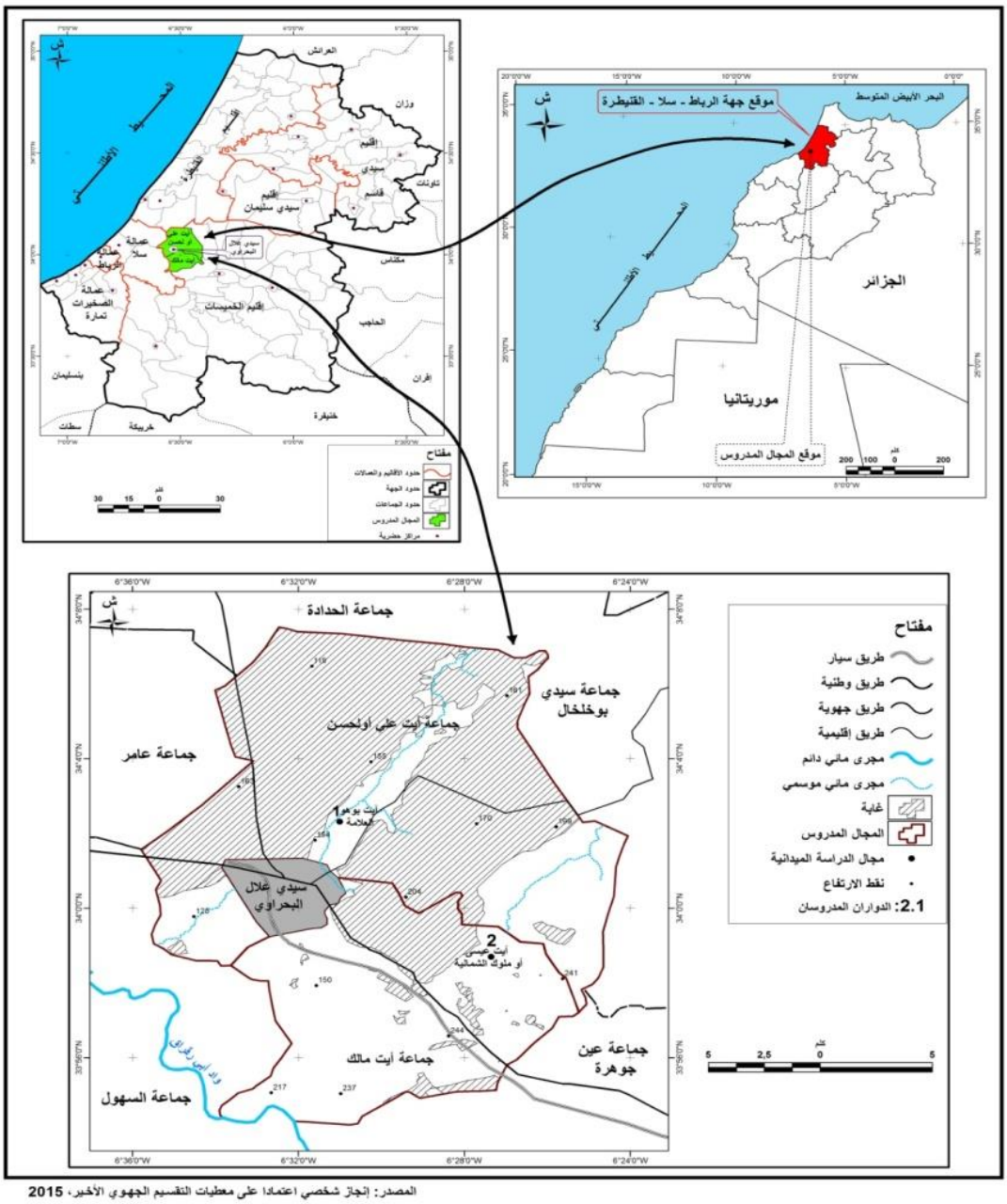

المصدر: إنجاز شخصي اعتمادا على معطيات التقسيم الجهوي الأخير، 2015

شكل رقم 1: توطين ظهير سيدي علال البحراوي ضمن جهة الرباط سلا القنيطرة

يقوم اقتصاد جماعتي أيت مالك وأيت علي أو لحسن على ممارسة الزراعة كنشاط اقتصادي أساسي. عرف هذا النشاط تحولات مهمة مست مختلف الجوانب، بدء من نظام الإنتاج ووسائله وعوامله، وكذا العمل على توسيع المدارات المسقية، والاعتماد على مزروعات عصرية ذات قيمة إضافية من الناحية التجارية، مما ينعكس إيجابا على حركة تسويق المواد المختلفة وعلى مداخيل الساكنة المحلية.

يتوفر ظهير سيدي علال البحراوي على مؤهلات طبيعية وبشرية بالنسبة للنشاط الزراعي، إلا أن إنتاجه لا يصل إلى المستوى المرغوب فيه، لهذا يتحتم البحث عن الأسباب الحقيقية التي تعيق هذا النشاط، وهي إشكالية مرتبطة بمحدودية هذه المؤهلات وبالتطور الذي يشهده هذا النشاط. للوقوف على مختلف جوانب مقومات النشاط الزراعي، تم الاعتماد على منهجية اعتمدت معالجة المعطيات والاحصاءات الرسمية للمجال، وكذا تلك التي تم الحصول عليها من تفريغ الاستمارات المنجزة من خلال عينة مكونة من 160 أسرة. مكنت كل هذه المعطيات وغيرها من الاحاطة بمقومات النشاط الزراعي، الطبيعية والبشرية، بظهير سيدي علال البحراوي بشكل عام وبجماعتي أيت مالك وأيت علي أولحسن بشكل خاص.

1- أهمية المقومات الطبيعية

ينتمي ظهير سيدي علال البحراوي إل هضبة المعمورة التي تنتمي إلى الهوامش الجنوبية الغربية للهضبة الوسطى، مشكلة مجالا انتقاليا بين الجزأين المرتفعين من هذه الهضبة جنوبا، وسهل الغرب التهدلي شمالا، حيث يمتد مجال هضبة هذا الظهير على شكل طولي، من وادي أبي رقراق جنوبا بارتفاعات مهمة تصل بتيفلت إلى400 م، بينما لا تتعدى بسيدي علال البحراوي 200 م، وانحداره بحوالي 1% في اتجاها لشمال والشمال الغربي نحو القنيطرة[238] والهوامش الساحلية والسهلية للغرب. تتخلل السطح الهضبي هنا، وفي كثير من أجزائه، منخفضات صغرى تشكل ضايات خلال السنوات الرطبة.

1.1- إطار طبوغرافي منبسط ومتقطع

يتميز تراب جماعتي أيت مالك وأيت علي أو لحسن بطابع الانبساط، مقارنة مع باقي الجماعات المكونة لدائرة تيفلت. يساهم هذا الوضع الطبوغرافي في تسهيل عمليات الاستغلال الزراعي بالمنطقة، إن تم استغلاله بشكل جيد.

يتكون ظهير سيدي علال البحراوي من وحدتين تضاريسيتين وهما، المناطق السهلية المنبسطة بمساحة إجمالية تقدر ب7407 هكتار، أي بنسبة 17.2%، والتي توجد أساسا بقعور الأودية، والمناطق الهضبية التي تشغل مساحة إجمالية تقدر ب 35712 هكتارا، أي بنسبة 82.8%، بنوعيها الهضاب المتقطعة بالجنوب والجنوب الشرقي، والمتماسكة بالشمال والشمال الغربي، وهي مجالات متنوعة وذات مؤهلات ملائمة للنشاط الزراعي.

يرجع هذا التنوع إلى طبيعة البنية الجيولوجية المميزة للمنطقة، حيث تتكون جيولوجيا من مواد صلصالية، وخلال البليوسين الأوسط تعرضت لغمر بحري أعطى إرسابات بحرية فواراتية في واد الفوارات في فترة البليوسين الأعلى، وهي

[238]- وطفة عبد الرحيم، 1996، هضبة المعمورة وساحل سلا، التكوينات السطحية والتطور الجيومورفولوجي، منشورات اللجنة الوطنية الجغرافية بالمغرب، سلسلة رسائل وأطروحات، ط 1، ص 209.

تتكون من سحنات شاطئية خشنة في القاعدة تعلوها كثبان رملية متصلبة[239]. أكسبت هذه الكثبان نوعا من التموج على سطوح الهضبة المتماسكة، وخصوصا بين واد الفوارات وواد اسمانطو.

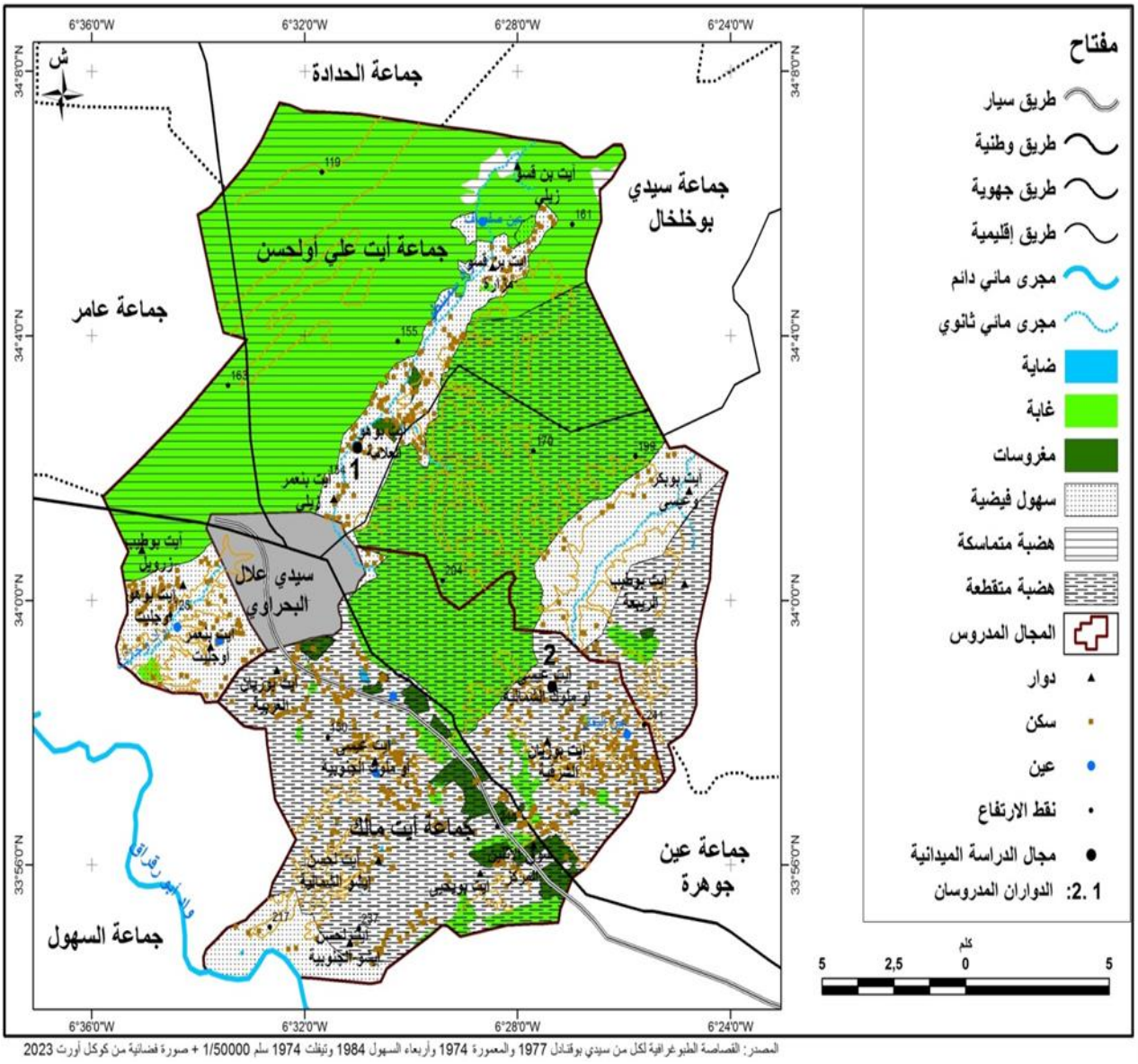

المصدر: التصاصة الطبوغرافية لكل من سيدي بوقنادل 1977 والمعمورة 1974 وأربعاء السهول 1984 وتيفلت 1974 سلم 1/50000 + صورة فضائية من كوكل أورث 2023

شكل رقم 2: طبوغرافية ظهير سيدي علال البحراوي

2.1- أشكال وتكوينات سطحية مساعدة

تتكون هضبة المعمورة من رمال سيليسية ذات اللون البيج، بسمك متفاوت وغير متجانس، وهي توجد فوق تكوينات طينية حمراء، وكلها تشكل ما يسمى بالتكوينات السطحية للمعمورة كما في الشكل أدناه.

[239]- وطفة عبد الرحيم، 1996، مرجع سابق، ص-ص- 368-372

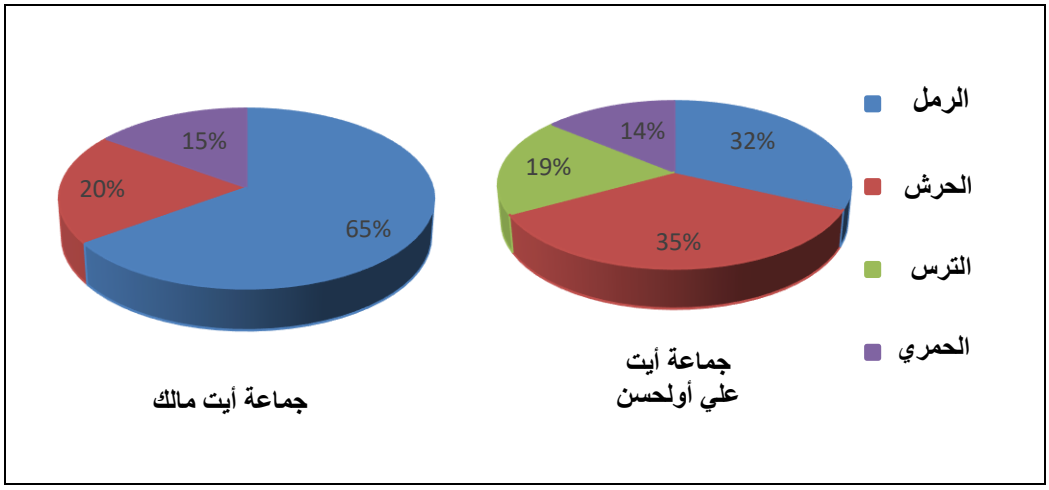

المصدر: المديرية الإقليمية للفلاحة بالخميسات 2022.

شكل رقم 3: توزيع الأتربة بجماعتي أيت مالك وأيت علي أولحسن

تشكلت الرمال البيج السطحية بفعل عملية الغسل، لكن الاتصال العنيف بين هذه الرمال والمستويات الطينية الحمراء في الأسفل، دليل واضح على أن هذا الغطاء الرملي نتاج توضع ريحي، وليس بفعل تفسخ وغسل للمسكات السطحية[240].

يتضح من خلال الشكل، أن الاتربة الرملية تحتل مساحة تصل الى 9402 هكتارا، مشكلة نسبة 51.7 %من المساحة الإجمالية للجماعتين، وهي من النوع المعدني المغسول، مرتبطة بطبيعة المناخ الرطب السائد خلال فترة تكوينها، حيث أن الفصل الرطب يحدث فيه تركز الحديد وغسل أو تحويل الأطيان، والفصل الجاف يحدث فيه تثبيت وتأكسد الحديد. هي تربة قليلة الخصوبة، مقارنة مع أتربة الترس. تأتي في المرتبة الثانية تربة الحرش بمساحة 4735 هكتارا، أي بنسبة 26 %، وتربة الحمري بمساحة 2638 هكتارا، بنسبة 14.5%، وهي أتربة خصبة، في حين تبقى تربة الترس أقل أهمية حيث لا تتجاوز مساحتها 1400 هكتارا، بنسبة 7.8%، وهي أتربة سوداء أو رمادية، سميكة ومتطورة وغنية بالذبال والمواد العضوية.

يوجد بظهير سيدي علال البحراوي أتربة صالحة للزراعة، وذات خصائص متنوعة، وتلعب دورا مهما في الرفع من أهمية النشاط الزراعي وتنوع المزروعات. كما تحتل هذه الاتربة مساحات متفاوتة فيما بينها، الشيء الذي يتطلب الحفاظ عليها من التدهور، رغم أنها أصبحت تتعرض للتدهور في العقود الأخيرة نتيجة تكثيف الإنتاج الزراعي واستعمال مختلف المواد الكيماوية.

3.1- خصائص مناخية ملائمة

يتميز ظهير سيدي علال البحراوي بسيادة المناخ المتوسطي، الذي يتميز بالاعتدال، نظرا لمكوناته التضاريسية، حيث تتشكل على الخصوص من السهول والهضاب، وطبيعة الاتربة الرملية الصالحة للزراعة، كما أن متوسطات التساقطات المطرية تتراوح سنويا بين 252 ملم و598 ملم، وهي معدلات تساعد على تنويع المنتجات الزراعية، أما متوسط الحرارات فتتراوح بين 12 و25 درجة.

[240]- وطفة عبد الرحيم، مرجع سابق، ص.ص 176-181.

أما بالنسبة للغطاء النباتي للمعمورة بهذا الجزء، والذي له علاقة مباشرة بالمناخ وبالتكوينات السطحية، فإن مساحته تصل إلى15535 هكتارا. يؤثر بدوره بشكل كبير على المناخ السائد، الى جانب التأثير البحري الذي لا يمكن استبعاده في تحليل الخصائص المناخية لهذا الظهير. للوقوف على الخصوصيات المناخية، تم الاعتماد على معطيات محطة الرصد بتيفلت وعلى سلسلة إحصائيات تمتد من 1980 إلى2021 بالنسبة للتساقطات المطرية ومن 2010 إلى 2021 بالنسبة للحرارات.

1.3.1- تساقطات مطرية غير منتظمة

تسمح معطيات التساقطات المطرية بفهم خصوصيات مناخ ظهير سيدي علال البحراوي ، ليس فقط بكمية التهاطل المطري، بل أيضا بعدد الأيام المطرية وتوزيعها السنوي[241] (النظام المطري).

1.1.3.1- على المستوى السنوي

تعد دراسة الخصائص المطرية السنوية مرحلة مهمة جدا في معرفة ما وقع بمجال ظهير سيدي علال البحراوي من تحولات، خاصة على مستوى الأنشطة الزراعية وما يرتبط بها من تأثيرات سوسيواقتصادية على الساكنة المحلية.

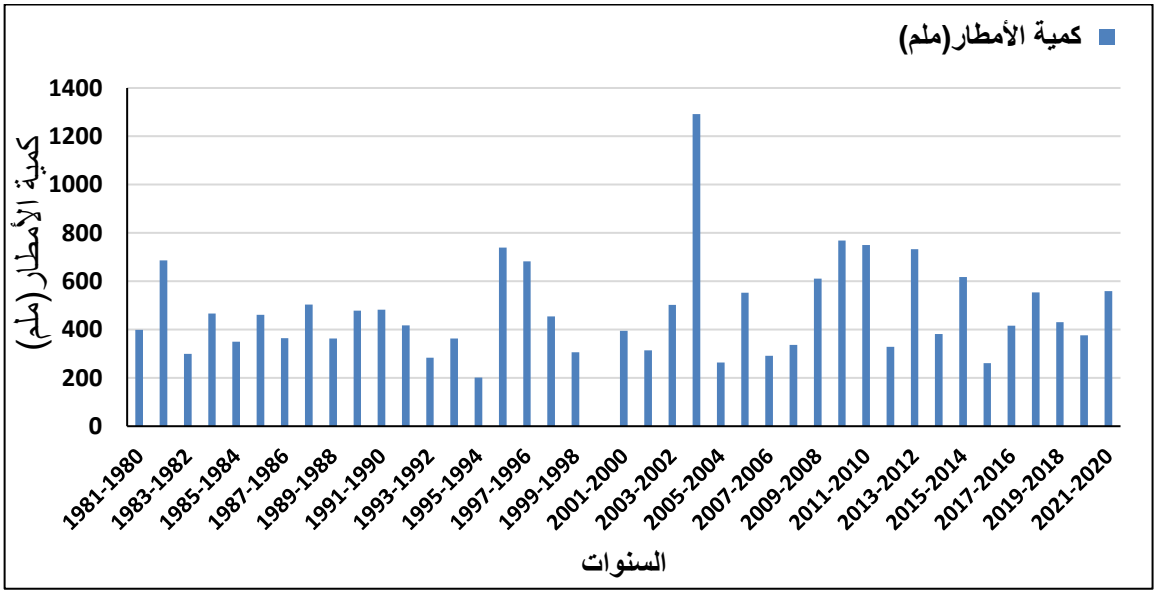

المصدر: المديرية الجهوية للمياه والغابات 2022.

شكل رقم 4: المعدلات السنوية للتساقطات المطرية 1980 - 2021

يتضح من خلال الشكل أعلاه، أن هناك تباينات مسجلة على مستوى المتوسطات السنوية للتساقطات المطرية خلال هذه الفترة الزمنية. بلغت خلال الموسم الفلاحي لسنة 2003– 2004 أعلى كمية مطرية قدرت بحوالي 1992 ملم، مع تراجع هذه الكميات خلال السنوات الجافة إلى حوالي 200 ملم، كما هو الشأن خلال الموسم الفلاحي 1994-1995، وهي نفس الوضعية لعدة سنوات، مما يؤثر على دينامية النشاط الزراعي بظهير سيدي علال البحراوي، لاسيما وأن المنطقة تعرف انتشارا للزراعات البورية.

[241]-DIOURI A, 2000, Les changements climatiques et lagestion de la secheresse au Maroc. Travaux de l'académie du royaume du Maroc. Session d'automne 2000, 1ere partie, P. 168.

2.1.3.1- على المستوى الفصلي

تتميز الأمطار بغزارتها خلال فصلين رئيسيين، هما فصلا الشتاء والربيع، حيث يصل معدل كمية الأمطار خلال فصل الشتاء إلى 71 ملم، والربيع 45 ملم، والخريف 35 ملم، أما خلال فصل الصيف فالمتوسطات ضعيفة اذ لا تتعدى 3 ملمترات.

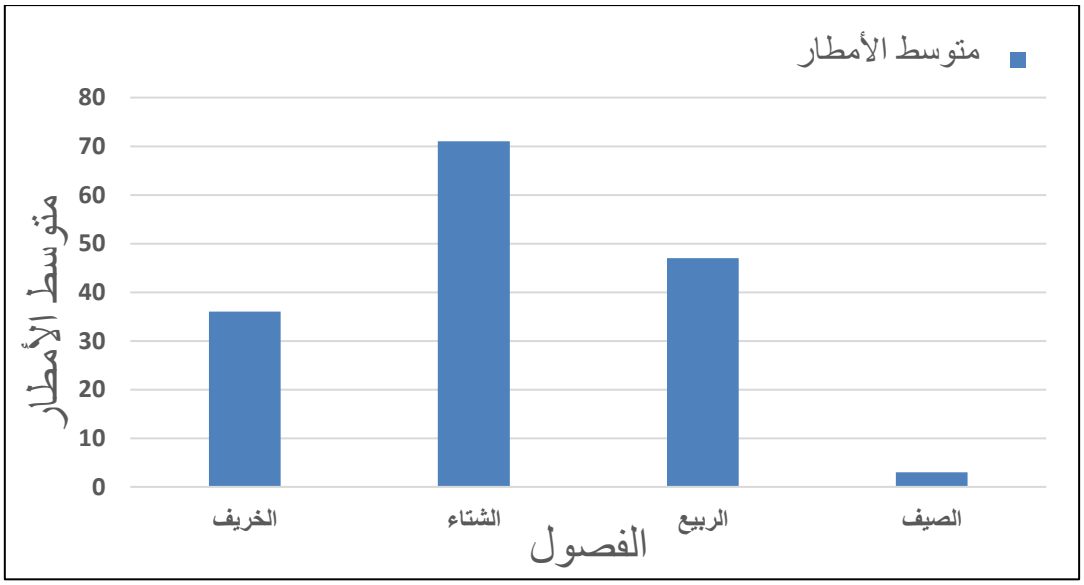

المصدر: المديرية الإقليمية للفلاحة للخميسات 2022.

شكل رقم 5: متوسطات التساقطات الفصلية ما بين 1980 - 2021

3.1.3.1- على المستوى الشهري

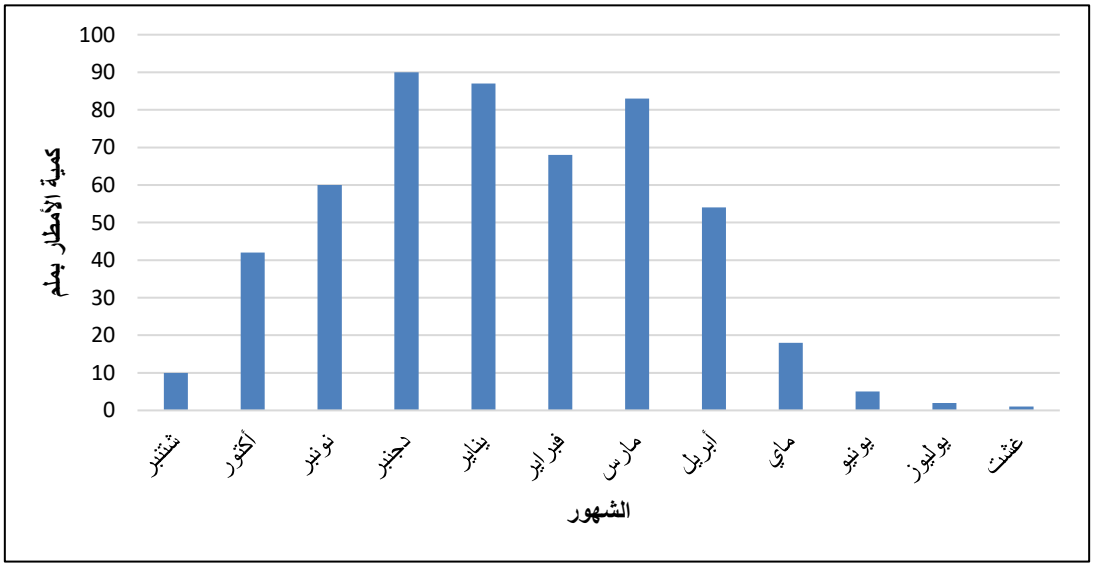

المصدر: معطيات محطة القياس بتيفلت سنة 2022

شكل رقم 6: معدل التساقطات المطرية الشهرية بملم 1980- 2021

يسمح النظام المطري الشهري من التمييز بين الأشهر المطيرة والرطبة الملائمة، والأشهر التي يشكل فيها الماء العامل المعيق للنشاط الزراعي. يلاحظ من خلال الشكل أعلاه، عدم تماثل توزيع التساقطات المطرية خلال السنة، وهذا ما يميز المناخ المتوسطي. تختلف التساقطات من شهر إلى آخر، ويعتبر شهر دجنبر الأكثر رطوبة بتساقطات مطرية تصل إلى حوالي 90 ملم، متبوعا بشهر يناير بحوالي 86 ملم، أما فيما يتعلق بالأشهر الجافة، فإنها تطابق يوليوز بحوالي 3 ملم، وغشت ب 1 ملم، متبوعين بشهر شتنبر بحوالي 10 ملم.

2.3.1- الحرارات

تعتبر الحرارة عنصرا مهما من عناصر المناخ، إذ تلعب دورا محوريا إلى جانب عناصر أخرى في التأثير على المزروعات بتواز مع تأثير التساقطات.

1.2.3.1- الاختلافات على المستوى السنوي

تم جرد ودراسة سلسلة إحصائية لمحطة تيفلت تمتد من 2010 الى 2021، لمعرفة مميزات المتوسطات الحرارية.

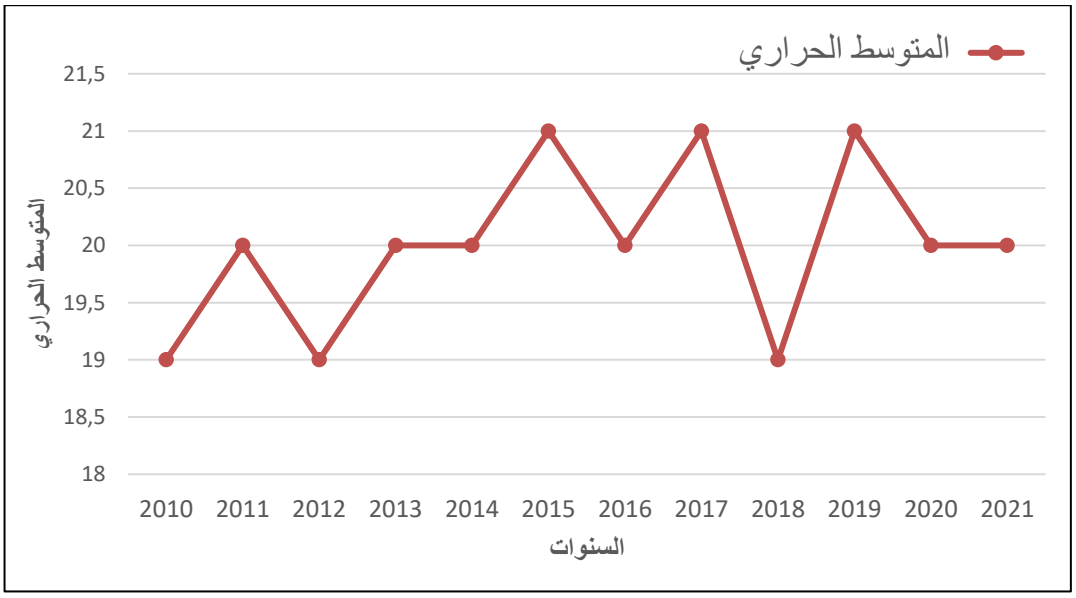

المصدر: المديرية الإقليمية للفلاحة للخميسات 2022.

شكل رقم 7: المتوسطات السنوية للحرارة بين 2010- 2021

يتضح من خلال معطيات الشكل 6، وجود تذبذب على مستوى المتوسطات الحرارية السنوية، فتارة يرتفع إلى أكثر من 21 درجة كما هو الحال لسنوات 2015 و2017، ثم انخفضت في سنوات أخرى إلى أقل من 19 درجة مثل سنتي 2010 و2018.

2.2.3.1- الاختلافات على المستوى الفصلي

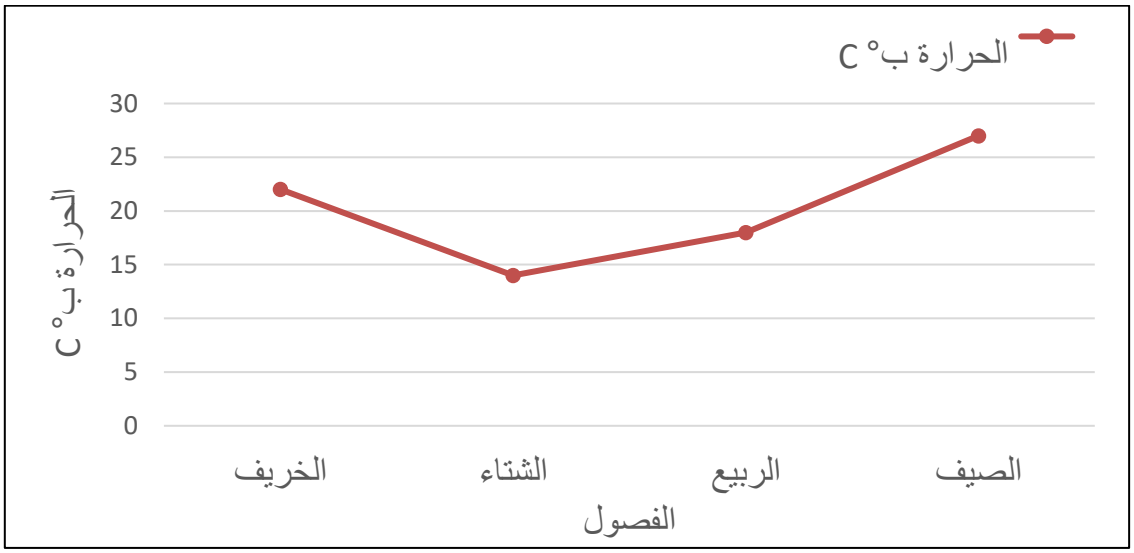

المصدر: المديرية الاقليمية للفلاحة للخميسات 2022.

شكل رقم 8: المتوسطات الفصلية للحرارات مابين 2010 - 2021

يتميز التوزيع الفصلي للحرارة بالتباين. إذ أنها ترتفع خلال فصل الصيف بمتوسط يصل إلى 27 درجة، وتصل في فصل الخريف إلى حوالي 22 درجة، أما في فصل الربيع فتصل إلى 18 درجة، مع انخفاض درجات الحرارة إلى حوالي 14 خلال فصل الشتاء .

3.2.3.1- الاختلافات على المستوى الشهري :

يتميز المتوسط الشهري للحرارة بطابع الاعتدال، لكونه لا يسجل درجات حرارة مفرطة، وبالتالي فالمتوسط الشهري للحرارة يبرهن على وجود إمكانيات مناخية ملائمة ومساعدة على الاستقرار والاستغلال في أغلب شهور السنة.

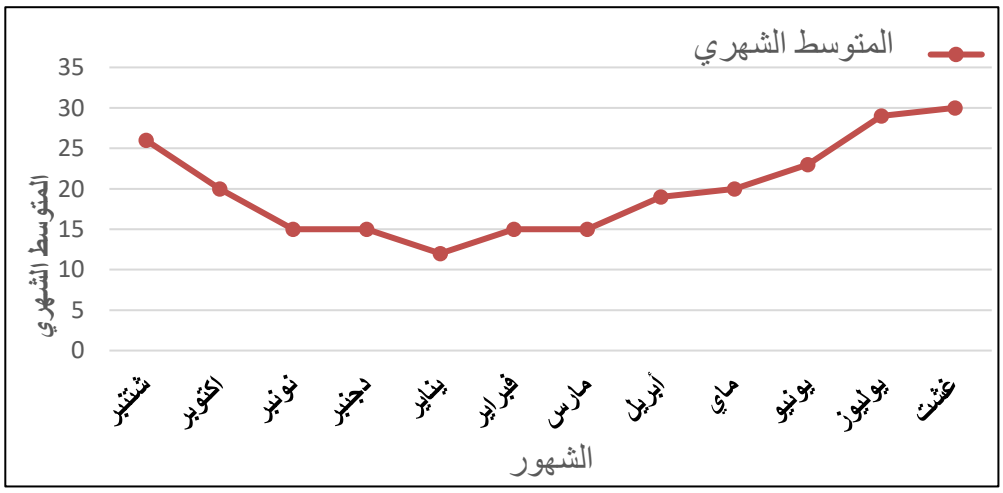

المصدر: معطيات محطة القياس بتيفلت 2022

شكل رقم 9: المتوسطات الحرارية الشهرية 2010- 2021

يلاحظ من خلال الشكل أعلاه، أن متوسط درجات الحرارة القصوى، سجل على التوالي خلال شهري يوليوز، وغشت حيث وصلت إلى 29، 30 درجة. في حين انخفضت خلال شهر يناير إلى حوالي 12 درجة حرارية.

تلعب التساقطات والحرارات دورا مهما في التأثير على معالم الموارد الطبيعية وأنشطة الساكنة، حيث يتميز مناخ ظهير سيدي علال البحراوي بسيادة المناخ المتوسطي المعتدل، ووجود موارد مائية مهمة. تلعب المناخ الذي يميزه طابع الاعتدال دورا مهما في ازدهار النشاط الزراعي بهذا المجال.

4.1- الثروة المائية

يرتبط الجريان المائي بهذه المنطقة بصفة خاصة، بالتساقطات المطرية، وارتباطه كذلك بعوامل أخرى كالطبوغرافية والبنية الجيولوجية. تعتبر الموارد المائية من أهم عناصر المنظومة البيئية بظهير سيدي علال البحراوي. رغم محدودية المياه السطحية منها وضعف تصريفها، إلا أن الفرشات المائية الجوفية مهمة[242] بفضل وجود تكوينات بليورباعية نافذة فوق أساس مكون من تكوينات غير نافذة. أدى تعمق الأودية بهذا الظهير الى تشكيل قعور منبسطة، وهي عبارة عن سهول فيضية لها أهميتها في النشاط الزراعي لتوفر المياه السطحية والباطنية، وخصوصا منخفضات واد سمنطو، واد زيلي، وواد الربيعة.

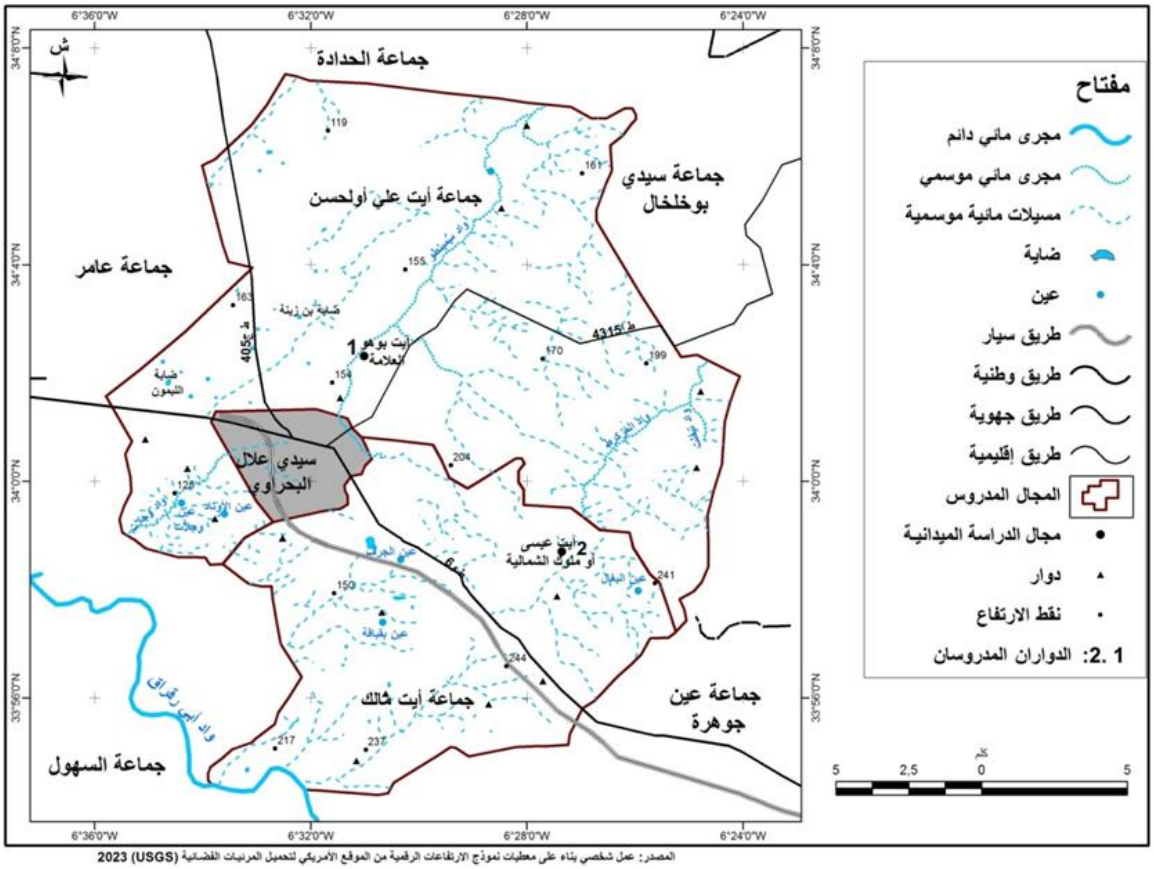

المصدر: عمل شخصي بناء على معطيات نموذج الارتفاعات الرقمية من الموقع الأمريكي لتحميل المرئيات الفضائية (USGS) 2023

شكل رقم 10: الموارد المائية السطحية بظهير سيدي علال البحراوي

[242]- وزارة إعداد التراب الوطني، 2000، المجال المغربي واقع الحال، ص37.

1.4.1- موارد مائية سطحية موسمية

توجد بهضبة المعمورة عدة مجاري مائية قليلة التصريف لاسيما خلال السنوات الجافة الاخيرة، يبقى أهمها واد تيفلت الدائم الجريان. بالإضافة إلى أودية موسمية، كما هو الشأن بالنسبة لواد سمانطو وواد أوجلت.

غشت 2022، بدوارأيت بوهو العلامة

فبراير 2023، بدوار أيت بوهو العلامة

صورة رقم 1: أهمية مياه واد اسمنطو خلال الفترات المطيرة صورة رقم 2: تراجع حجم مياه واد اسمنطو خلال الفترات الجافة

يساهم واد اسمنطو بشكل كبير في حجم المياه التي تستفيد منها الساكنة، رغم ضعف صبيبه في فصل الصيف وارتفاعه في فصل الشتاء، حيث تستغل مياهه في عملية سقي المزروعات وروي الماشية.

2.4.1- مياه جوفية مهمة

يستفيد ظهير سيدي علال البحراوي من وجود ثروة مائية باطنية مهمة، حيث يوجد فوق السديمة المائية للمعمورة التي تعتبر من أهم الفرشات الجوفية بالمغرب، فرشات مائية معلقة. تلعب هذه المياه دورا مهما في تنويع الزراعات والرفع من كميات إنتاجها وتحسين جودتها. تصل كمية الفرشة المائية الجوفية للمعمورة الى حوالي 134 مليون متر3 /السنة، وهي موارد متجددة[243].

تلعب الموارد الطبيعية دورا كبيرا في تحقيق التنمية، حيث أن طابع الانبساط الذي يميز تضاريسها يوفر مساحات شاسعة للزراعة، كما تستفيد هذه الأخيرة من سيادة المناخ المتوسطي، وانتشار تربة الرمل الصالحة للزراعة، وأهمية الموارد المائية، إلا أن العنصر الطبيعي بهذا المجال يعاني من عدة إكراهات، من بينها تدهور الغطاء الغابوي، وتوالي مواسم الجفاف، وعدم انتظام التساقطات المطرية على مدار السنة، وهبوب رياح الشرقي، هذه كلها عوامل تحد من تطوير القطاع الزراعي، وتؤثر على مستوى عيش السكان.

243 - La Région de Rabat-Salé-Kénitra, 2015, Monographie generale, p 8.

2- المؤهلات البشرية

تتوفر جماعتا أيت مالك وأيت علي أولحسن على يد عاملة كبيرة يمكن أن تلعب دورا مهما في تنمية المنطقة، إن تم استغلالها بشكل جيد[244].

1.2- أصل السكان وتدخلات المستعمر

استوطنت المنطقة قبائل زمور الأمازيغية الزيانية، ذات الأصل الصحراوي في أواخر القرن التاسع عشر، والنازحة من الأطلس المتوسط، وهي قبائل رعوية استقرت على أودية المعمورة، ومنها قبيلة أيت علي أولحسن التي استقرت على سفوح واد سمانطو، حيث تنقسم إلى فخذتين هما: المهطميين بالضفة اليسرى، وأيت مالك بالضفة اليمنى[245].

عند مجيء المستعمر قاومته القبائل بعنف، لكنه حسم المعركة لصالحه، وحول المنطقة إلى نقطة مراقبة وتهدئة، ثم سيطر على ضيعاتها الخصبة وجعل من مركز الجماعة منطقة تجمع، تحتوي على منشآت ومرافق مهمة. وبعد الاستقلال، لعب مركز الجماعة دورا إشعاعيا مهما على مستوى المنطقة.

2.2- تطور سكاني متوازن

عرف سكان ظهير سيدي علال البحراوي تطورا ملحوظا بين سنوات الإحصاءات العامة للسكان والسكنى، كان هذا التطور ضعيفا في ستينات القرن الماضي، لكنه سرعان ما تزايد بالضعف تقريبا في نهاية السبعينات، بزيادة سنوية ناهزت 1,98%، في حين ارتفعت إلى 6.37% بين 1972و 1984، ثم تراجعت إلى حوالي 0.94% بين 1994و2004.

تعكس هذه المعطيات التزايد الديموغرافي السريع لظهير سيدي علال البحراوي، بيد أنه انطلاقا من سنة 1994، عرف هذا النمو نوعا من التباطؤ بسبب تأخر سن الزواج المرتبط بتمدرس الفتات القروية، وبسبب استعمال موانع الحمل وتنظيم الأسرة. سجل هذا النمو تزايدا ديموغرافيا سنويا قدر ب 2,6%، وهو أقل من نسبة التزايد على المستوى الوطني. تشكل عملية الهجرة في اتجاه المدن عاملا مهما في انخفاض نسبة النمو السكاني ببعض الدواوير، وخاصة دواري أيت بوهو العلامة، وأيت بوبكر وعيسى، لكن معظم الدواوير عرفت ارتفاعا ملحوظا في عدد السكان. ترتبط هذه الهجرة أساسا بوضعية الموسم الفلاحي، حيث أنه كلما كان الموسم الفلاحي ضعيفا كلما كانت وثيرة الهجرة قوية. يشكل هذا التطور السكاني عاملا أساسيا لفهم الدينامية الديموغرافية، وكذا ما وفرته هذه الزيادة من يد عاملة للنشاط الزراعي.

جدول رقم 1: تطور عدد السكان حسب الإحصاءات السكانية بجماعتي أيت مالك وأيت علي أولحسن 1971-2014

الجماعة	1971	1982	1994	2004	2014	معدل النمو السنوي	
						04/94	14/04
أيت مالك			4359	4396	4856	.01	1.04

[244] - غسان بدر الدين، 1993، جدلية التخلف والتنمية، الطبعة الأولى المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ص35.

[245] - مونوغرافية جماعتي أيت مالك وأيت علي أولحسن 2022.

أيت علي أو لحس					5128	_	_
سيدي علال البحراوي	12400	12297	12659	15299	15866	2.08	0.37
المجموع	12400	12297	17018	19695	25847	1.57	3.12
الجهة قرويا	1060799	1234570	1421436	1525741	1381728	0.73	-0.94
المغرب قرويا	9977288	11689156	12652691	13428074	13411231	0.61	-0.01

المصدر: المندوبية السامية للتخطيط، 1971-82-94-04- 2014، الاحصاء العام للسكان والسكنى.

عرف ظهير سيدي علال البحراوي تطورا ملحوظا في زيادة عدد السكان بين 1971 و2014، وقد سجل عدد السكان تراجعا بين 1971 و1982. حيث انتقل العدد من 12400 إلى 12297 نسمة، وارتفع بين 1982 و1994 إلى 12659، أي بنسبة 0.29% وهي نسبة جد ضعيفة مقارنة مع المستوى القروي المغربي الذي سجل 1.5%، وكذا المستوى الوطني 2.5%، أما بين 1994 و2004، فارتفع العدد من 17018 إلى 19695 بنسبة 1.57%، وبين 2004 و2014، ارتفع العدد من19695 إلى25847، أي بنسبة 3.12%.

بلغ عدد سكان جماعة أيت علي أولحسن خلال سنة 2014 حوالي 5128 نسمة بعد انفصالها عن مركز سيدي علال البحراوي سنة 2008، الذي تحول إلى مركز حضري سنة 2009. كما أن معظم الدواوير عرفت ارتفاعا ملحوظا في عدد السكان.

يتوفر ظهير سيدي علال البحراوي على بنية سكانية شابة قادرة على العمل بنسبة 60.3%، وهي الفئة العمرية من 15 إلى 60 سنة، حيث تشكل بجماعة أيت مالك 60.4 %، وبأيت علي أو لحسن 60.2%، وتبقى الفئة التي تساهم في إعالة الأسر والتكفل بمتطلبات باقي الفئات الاجتماعية الأخرى.

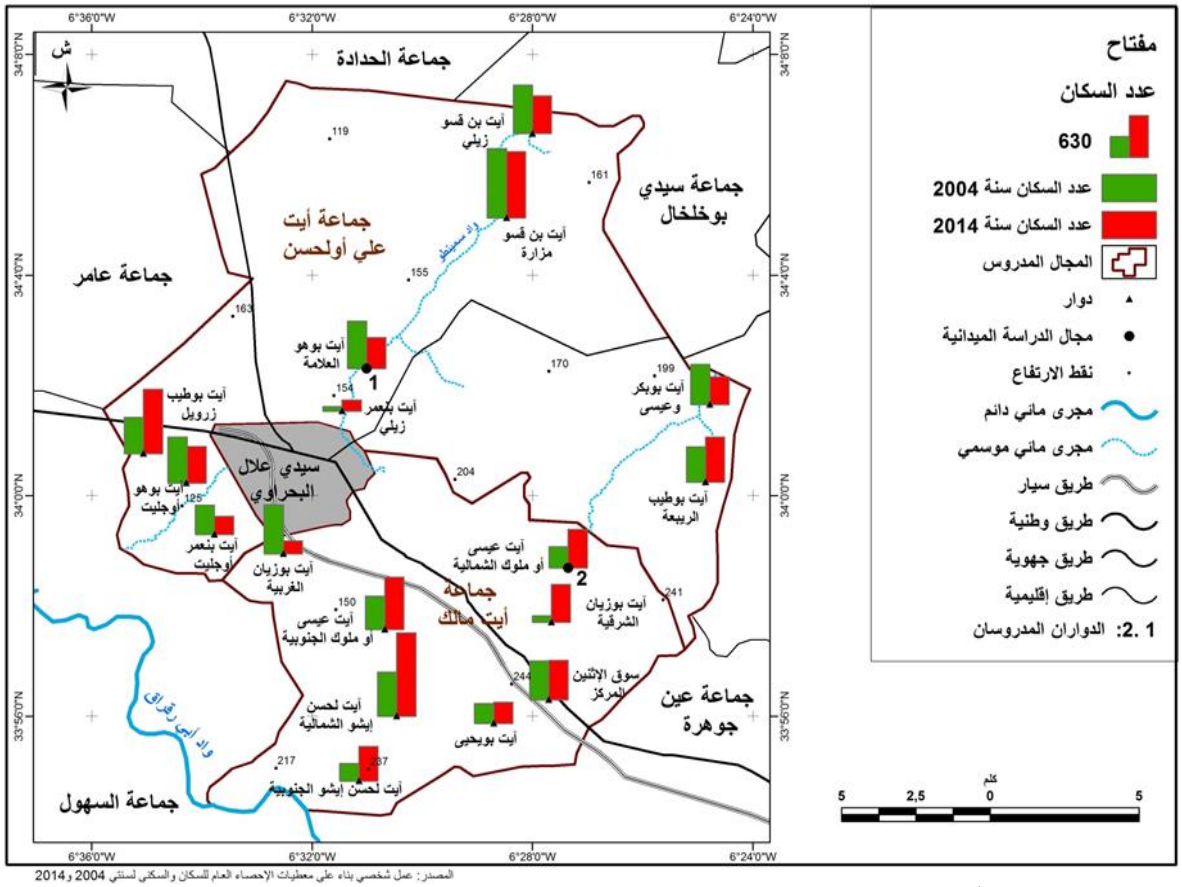

المصدر: عمل شخصي بناء على معطيات الإحصاء العام للسكان والسكنى لسنتي 2004 و2014

شكل رقم 11: تطور عدد سكان الدواوير بين إحصاء: 2014 2004

إن انخفاض نسبة تزايد السكان القرويين راجع بالأساس للتحول الذي يعرفه المجتمع المغربي والمتسم بتزايد سكان المدن على حساب تراجع سكان القرى.

وصل المؤشر التركيبي للخصوبة بجماعتي أيت مالك، وأيت علي أولحسن حسب إحصاء 2014 على التوالي إلى معدل 1.5 و2 طفل لكل امرأة، وهو منخفض مقارنة مع المعدل الوطني الذي وصل إلى 2.2 طفل[246]. تتدخل في هذا المعدل، مجموعة من الأسباب كالوضعية الاقتصادية للأسرة، والسياسة العائلية، واختيارات الأزواج. لذلك، فإن هذه الأسباب تؤثر بشكل كبير في نمو السكان وديناميتهم وتطور حجم الأسر.

3.2- تطور حجم الأسر

تبين من خلال دراستنا للتطور الذي عرفته الأسر بظهير سيدي علال البحراوي، أن حجم الأسر وصل سنة 2004 إلى 6 أفراد، وتراجع إلى 4.5 فرد سنة 2014. وعلى مستوى الجهة بلغ 6.5 سنة 2004، وانخفض إلى 5 أفراد سنة 2014. أما على مستوى المغرب القروي فقد تطور العدد من 6 إلى 5.5 فردا سنة 2014.

أما على مستوى تطور عدد الأسر بجماعتي أيت مالك وأيت علي أو لحسن، فقد تم بشكل متفاوت، وانتقل بجماعة أيت مالك من 687 أسرة سنة 1994 إلى 824 أسرة سنة 2004 بمعدل سنوي يقارب 2%، ثم ارتفع هذا المعدل سنة 2014

246 المندوبية السامية للتخطيط، 2014، الإحصاء العام للسكان والسكنى.

إلى 1122 أسرة، وتطور هذا العدد بجماعة أيت علي أو لحسن بشكل بطيء، حيث انتقل من 1000 أسرة سنة 2010 إلى 1071 أسرة سنة 2014.

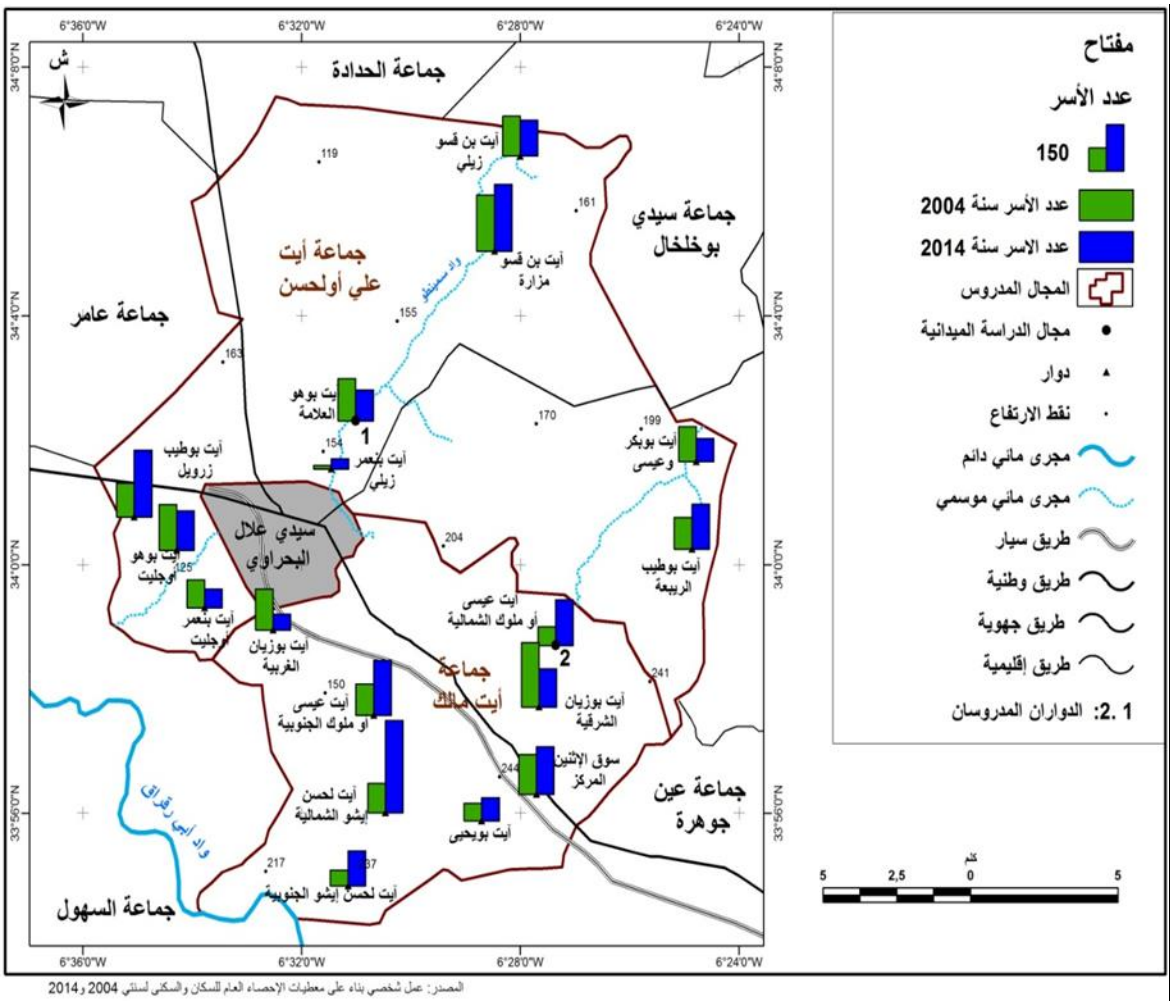

المصدر: عمل شخصي بناء على معطيات الإحصاء العام للسكان والسكنى لسنتي 2004 و2014

شكل رقم 12: تطور عدد الأسر بجماعتي أيت مالك، وأيت علي أو لحسن بين سنتي 2004 2014

عرف حجم الأسر تأخر ببعض الدواوير تراجعا ملحوظا بين سنتي 2004 و2014، نتيجة ارتفاع الهجرات وتأخر سن الزواج وارتفاع نسبة العزوبة. يرجع ارتفاع عدد للأسر إلى النمو الديمغرافي السريع بالدواوير، وظهور أسر نووية، وخاصة بالمركز الحضري سيدي علال البحراوي الذي اصبح مركز جذب الى جانب المدن المجاورة.

4.2- كثافة سكانية منخفضة

تعرف جماعتا أيت مالك وأيت علي أو لحسن، تزايد قوة الضغط السكاني على الأراضي الفلاحية والغابوية. انتقلت الكثافة السكانية بجماعة أيت مالك من 24.08 سنة 2004، إلى 26.82 نسمة في كلم2 سنة 2014. تشغل مساحة إجمالية تقدر بـ181كلم2، ويقطن بها 4856 نسمة حسب إحصاء 2014. تحتل جماعة أيت علي أومساحة 240 كلم2، يستقر بها 5128 نسمة، بكثافة سكانية تصل إلى 21.36 نسمة في كلم2 سنة 2014. تعتبر الكثافات هنا منخفضة مقارنة بالمستوى الجهوي، حيث قدرت بحوالي261 ن/كلم2، ثم المستوى الوطني القروي، والتي تصل الى 47.61 ن/كلم2 سنة 2014.

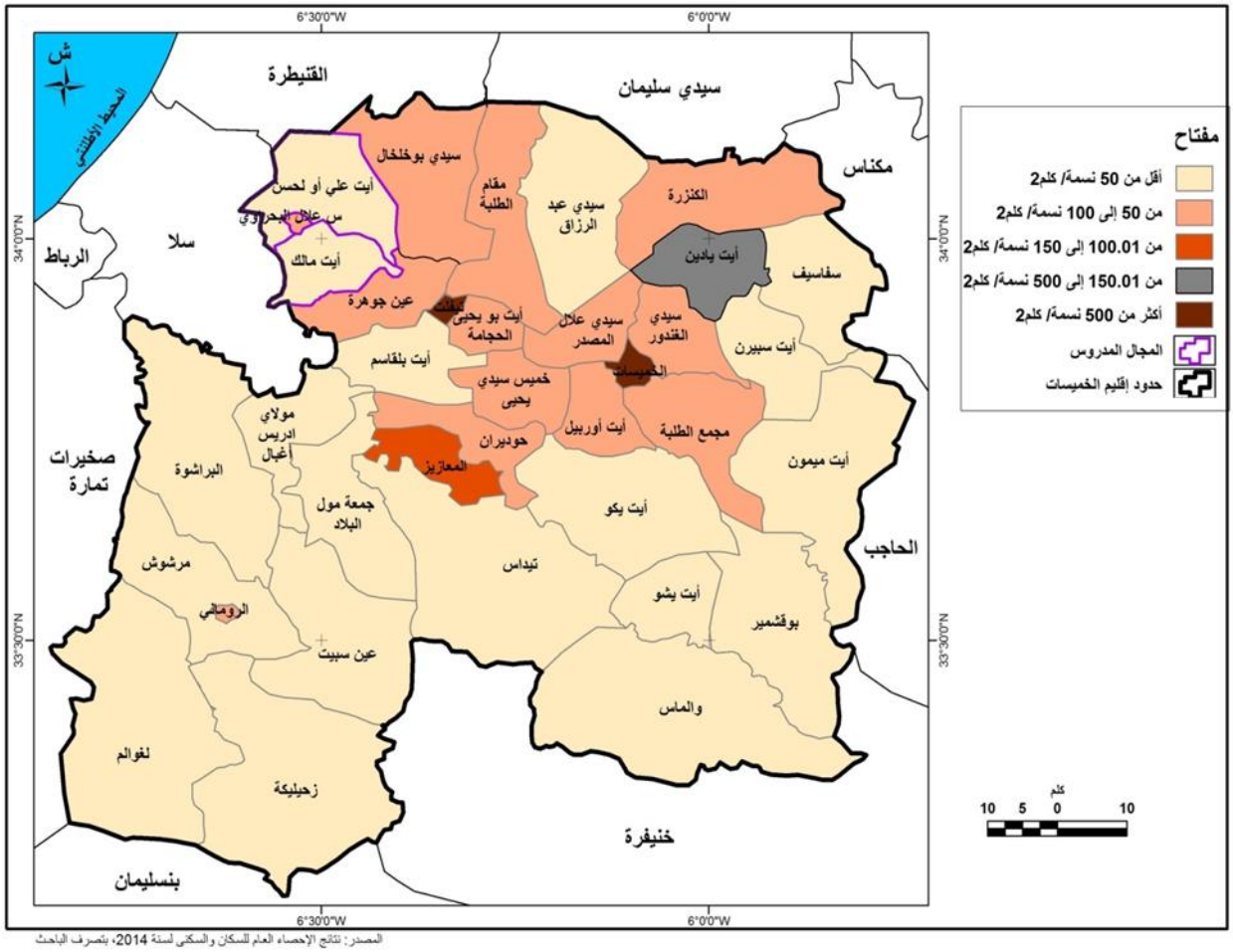

المصدر: نتائج الإحصاء العام للسكان والسكنى لسنة 2014، بتصرف الباحث

شكل رقم 13: الكثافات السكانية بإقليم الخميسات وظهير سيدي علال البحراوي

جدول رقم 2: تطور الكثافات السكانية بجماعتي أيت مالك وأيت علي أولحسن بين 1994- 2014

المنطقة المدروسة	1994	2004	2014
أيت مالك	24.08	24.28	26.82
أيت علي أولحسن	-	-	21.36
المغرب القروي	37	42	47.61

المصدر: الإحصاءات العامة للسكان و السكنى لسنوات 1994،2004،2014

5.2 النظام العقاري للاستغلاليات الزراعية

يعرف النظام العقاري في الأرياف المغربية تعقيدا كبيرا، لكون جزء كبير منه مرتبط بإشكالية التحفيظ العقاري الموروثة عن الفترة الاستعمارية، والتي خلفت مشاكل متعددة مرتبطة بالبنية العقارية[247].

1 - الأسعد محمد، 1994، قياس درجة الفعل الثقافي على السلوكات الرعي زراعية للفلاحين بالمغرب حالة ظهير الدار البيضاء، التحولات الاجتماعية المجالية في الأرياف المغربية، جامعة محمد الخامس منشورات كلية الاداب والعلوم الانسانية الرباط، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 28، ص 38.

يطغى نظام الملكية العقارية الخاصة على تراب جماعتي أيت مالك، وأيت علي أو لحسن، حيث يشكل أكثر من ثلثي مجموع المساحة بالجماعتين، بنسبة تصل الى 84 %، في حين تتوزع حوالي 16 % الباقية بين أراضي الجموع وأراضي الدولة.

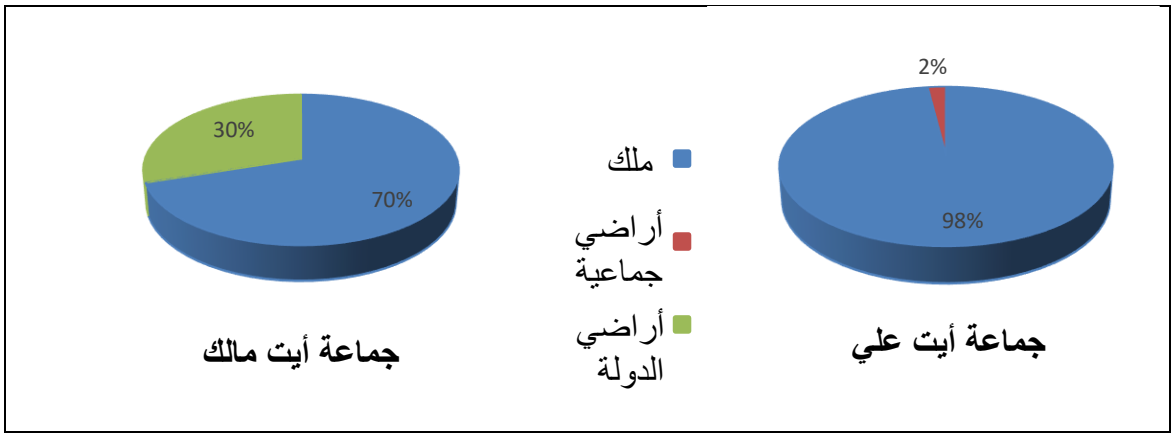

المصدر: المديرية الإقليمية للفلاحة للخميسات، 2022.

شكل رقم 14: الوضعية القانونية للأرض بجماعتي أيت مالك و أيت علي أولحسن

تبين نتائج الدراسة الميدانية، هيمنة أراضي الملك بدواري أيت عيسى أو ملوك الشمالية وأيت بوهو العلامة بنسبة 100%، بما في ذلك مجال السكن، مع غياب الوضعيات العقارية الأخرى، إضافة إلى وجود فلاحين بدون أرض، مما يساهم في بروز عدة اختلالات سوسيو-اقتصادية.

6.2- مجهرية الاستغلاليات و هيمنة زراعة البور على المشهد الزراعي

ساهم استقرار السكان وتزايدهم في تفتيت الأراضي الجماعية إلى مشارات زراعية صغيرة، لايتعدى عرضها في بعض الحالات بضعة أمتار، حيث قسمت بشكل طولي يراعي التفاوتات بين الخصائص الترابية وطبيعة التضاريس، بالإضافة إلى عامل الارث الذي يلعب دورا مهما في تفتيت الملكية العقارية.

جدول رقم 3: توزيع المساحة الصالحة للزراعة بجماعتي أيت مالك وأيت علي أولحسن

الجماعة	المساحة الصالحة للزراعة (هكتار)				المساحة الرعوية (هكتار)		الغابة (هكتار)		المجموع (هكتار)	
	المسقية	%	البورية	%	المساحة	%	المساحة	%	المساحة	%
أيت مالك	750	6.9	6500	59.7	1443	13.2	2200	20.2	10893	31.7
أيت علي أولحسن	2000	8.5	8925	38	1800	7.7	10765	45.8	23490	68.3
المجموع	2750	8	15425	44.9	3243	9.4	12965	37.7	34383	100

المصدر: مركز الأشغال الفلاحية بسيدي علال البحراوي 2022.

تقدر مساحة الأراضي السقوية بجماعتي أيت مالك وأيت علي أو لحسن بـ 2750 هكتارا، أي بنسبة 8% من مجموع الأراضي الزراعية. لهذا، فإن القطاع المسقي ضعيف الامتداد، ولكنه في تطور مستمر بسبب تخصيص بعض المساحات لغراسة الأشجار كالحوامض والأفوك والموز والزيتون...

غشت 2022، بأيت عيسى أوملوك الشمالية

صورة رقم 3: تقنية السقي بالتنقيط بدوار أيت عيسى أو ملوك الشمالية

أما الحيازات الصغرى، فيقتصر السقي فيها على مساحات مجهرية مخصصة للخضروات والكروم والذرة، والزراعات العلفية، وخاصة منها الفصة. تسود بها غالبا تقنية السقي الإنجذابي أو الغمر بالمجالات ذات الطبوغرافية المواتية.

بالنسبة للزراعات البورية، فإن الإنتاج موجه أساسا للاستهلاك الذاتي بما في ذلك الأعلاف، مما يعني أن الأمر يتعلق بزراعة مقلالة. تعرف المنطقة انتشارا كبيرا للمزروعات البورية بنسبة تتجاوز 84 % من المساحة الصالحة للزراعة بظهير سيدي علال البحراوي، وهذا ما ينعكس سلبا على المردودية وعلى مداخيل الفلاحين.

جدول رقم 4: الاستغلاليات حسب المساحة الصالحة للزراعة بدواري أيت عيسى أو ملوك الشمالية وأيت بوهو العلامة

الدوار	حجم الاستغلالية بالهكتار	عدد الفلاحين	%	المساحة الصالحة للزراعة بالهكتار	%	متوسط المساحة لكل فرد بالهكتار
أيت عيسى أوملوك الشمالية	غير المالكين	16	17.8	0	0	0
	0-5	51	56.7	52	19.3	1.0
	5-10	11	12.2	46	17.0	4.2
	10-20	9	10	85	31.5	8.5
	فاكثر20	3	3.3	87	32.2	29
	المجموع	90	100	270	100	3
أيتبوهو العلامة	غير المالكين	12	13.3	0	0	0
	0-5	54	60	37	20.6	0.7
	5-10	13	14.4	31	17.2	2.4
	10-20	7	7.8	51	28.3	7.3
	فاكثر20	4	4.5	61	33.9	15.3
	المجموع	90	100	180	100	2

المصدر: نتائج الاستمارة 2022.

يتضح من خلال توزيع الاستغلاليات حسب المالكين، أن الحيازات ذات المساحة الكبيرة تتركز في أقلية من المستجوبين، بالمقابل نجد فئة عريضة من المستغلين يملكون مساحة صغيرة ومجهرية.

تضم فئة الاستغلاليات بين 0 و5 هكتارات، 56.7% من مجموع المستغلين بما يعادل 19.3% من مجموع الأراضي بدوار أيت عيسى أوملوك الشمالية، و60% بدوار أيتبوهو العلامة من المستجوبين يستغلون 41.1% من مجموع الأراضي، معظم هذه الفئة لا تتعدى استغلاليتهم 1 هكتار كمتوسط للفلاح الواحد، هذا النوع من الاستغلاليات بالدوارين ناتج عن تقسيم الملكيات الكبرى، بسبب الإرث. أما فئة الاستغلاليات التي تتعدى 20 هكتار، فحوالي 3.3% من الفلاحين يسيطرون على أكثر من 32.2% من المساحة الإجمالية بمتوسط يصل إلى 29 هكتار لكل فلاح بدوار أيت عيسى أوملوك الشمالية، وبأيت بوهو العلامة 4.4% يستغلون 33.9%، من الأراضي الزراعية، هذا النوع من الاستغلاليات الكبيرة بالجماعة تكونت بسبب شرائها من طرف الأشخاص الخارجين عن المجال للاستثمار فيها والوافدين من مدن القنيطرة، الرباط، سلا والدار البيضاء.

7.2 تطور استعمال المكننة

لتحديد التحولات التي عرفها النشاط الزراعي، لابد من دراسة التغيرات التي مست طرق الاستغلال، وخاصة التراجع عن استعمال الوسائل التقليدية، والاعتماد على التقنيات العصرية[248]، كالآلات والمعدات التي تعد عنصرا أساسيا لتطوير وعصرنة الزراعة[249]، حيث تساعد على الرفع من الإنتاج وتكثيف النشاط الزراعي.

جدول رقم 5: تطور استعمال الآلات الفلاحية بدواري أيت عيسى أوملوك الشمالية وأيت بوهو العلامة

التجهيزات	التطور بالنسبة المائوية (%)	
	وضعية 2012	وضعية 2022
استعمال الجرار	35	65
اعتماد آلة الحصاد	18	55
الحرث بالدواب	50	20
محرك الضخ الكهربائي	1	3

المصدر: نتائج الاستمارة 2022.

يظهر من خلال معطيات الجدول، أن نسبة اعتماد الحرث بالجرار، انتقلت من 35% قبل عشر سنوات إلى حوالي 65%، بينما انتقلت نسبة الحصاد بالآلة من 18% قبل عشر سنوات إلى 55%، في حين بقيت وسائل الإنتاج التقليدي، والمتمثلة في الحرث باعتماد الدواب والأبقار مستمرا بالمجال، رغم تقلص نسبة السكان المعتمدين عليه، إذ انتقل من 48% قبل عشر سنوات إلى 15%، بمعنى استمرار الأساليب التقليدية، رغم التحولات الجذرية التي يعرفها المجال حاليا.

[248] وزارة الفلاحة والتنمية القروي والصيد البحري2000، المناظرة الوطنية للفلاحة والتنمية القروية، عوامل الإنتاج الحالة الراهنة والآفاق المستقبلية، مطبعة بني ازناسن سلا، ص5.

[249] -Belal A (1984), impératifs du développement national, bulletin économique et social du Maroc, Imprimerie Najah El Jadida, p110.

تعتبر المدخلات الفلاحية من بين العوامل الفعالة المساعدة لإنعاش النشاط الزراعي، عبر الرفع من المردودية وتحسين الجودة، وتعد الأسمدة الكيماوية والبذور المختارة ومبيدات الأعشاب من أهم العناصر المعتمدة في هذا الإطار، باعتبار أن الزراعة تشكل أساس الاقتصاد المحلي بالمنطقة. لذلك، فإن معظم الفلاحين يستعملون الأسمدة بجميع أصنافها، مع استعمال البذور المختارة من طرف البعض، حسب رأسمال الفلاح وقدرته على اقتنائها، نظرا لارتفاع أثمنتها.

أكد جميع المستجوبين بدواري أيت عيسى أو ملوك الشمالية وأيت بوهو العلامة استعمالهم للأسمدة والمبيدات، في حين تشكل نسبة استخدام البذور المختارة 60%، مع استعمال بذورهم العادية. ترتفع نسبة استعمال المدخلات الفلاحية في المناطق المسقية، مقارنة مع المناطق البورية، للرفع من المردودية.

يبدو من خلال نتائج الاستمارة، أن هناك تطور كبير في استعمال الأسمدة بمجال الدراسة، إذ تصل نسبة الفلاحين المستعملين للأسمدة الاصطناعية والمبيدات إلى حوالي 97%، بينما لم تتجاوز قبل عشر سنوات 50%. يعزى هذا التطور الكبير، إلى تناقص حجم السماد الطبيعي، وكذا غزو الزراعات المسقية، وخاصة المغطاة والمغروسات، والتي تحتاج إلى استعمال دائم للأسمدة الكيماوية.

3- واقع الإنتاج الزراعي

يقوم اقتصاد ظهير سيدي علال البحراوي على ممارسة الزراعة التي تشكل العمود الفقري للاقتصاد القروي[250]، وقد عرف هذا النشاط تحولات مهمة مست مختلف الجوانب، بدءا من نظام الإنتاج ووسائله وعوامله، وكذا العمل على توسيع المدارات المسقية. ثم الاعتماد على مزروعات عصرية ذات قيمة ربحية عالية، مما كان له تأثير واضح على سكان المنطقة، من خلال كيفية استغلاله وتثمين موارده.

1.3- أنواع المزروعات

تتنوع المزروعات في الحيازات الزراعية، وتتباين المردودية من منتوج لآخر ومن حيازة لأخرى، رغم تساوي كمية الأمطار عموما، تهيمن زراعة الحبوب بالمجال على حوالي 66.5% من المساحة الزراعية، ويعتبر القمح أكثرها انتشارا، حيث يشغل 33.4% من المساحة الزراعية، إذ يصل متوسط مردود الهكتار الواحد منه إلى حوالي 11 قنطارا، وغالبا ما يمارس بالتناوب مع الشعير نظرا للأهمية الاقتصادية للمنتوجين[251].

---

[250]- كرزازي موسى، 2005، حدود وآفاق التنمية الفلاحية بالجهة الشرقية بالمغرب، ورد ضمن كتاب دينامية المجالات الفلاحية بالمغرب، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط، سلسلة ندوات ومحاضرات، العدد رقم 121،ص.ص25 – 46.

[251]- بلفقيه محمد (1978)، أوليات في الجغرافية الزراعية، منشورات اللجنة الوطنية للجغرافيا، مطبعة فضالة المحمدية، ص 82.

الجدول رقم 6: توزيع أنواع المزروعات حسب المساحة والمردودية والإنتاج بجماعتي أيت مالك وأيت علي أولحسن

الجماعة / النوع	أيت مالك			أيت علي أولحسن		
	المساحة بالهكتار	المردودية: القنطار/ الهكتار	حجم الإنتاج	المساحة بالهكتار	المردود: القنطار/ الهكتار	الإنتاج
الحبوب	4350	10	45200	5900	11.7	69200
البقليات	200	17.5	3500	380	31	11850
المزروعات العلفية	1400	10	14000	570	35.6	13400
الخضروات	108	2310	26960	1057	209	355810
المغروسات	605	39	12825	840	37	49745

المصدر: المديرية الإقليمية للفلاحة بالخميسات 2022.

تشكل الحبوب أهم المزروعات، إذ تزيد مساحتها عن 10250 هكتارا، ويصل متوسط مردود الهكتار منها 9 قنطارا، إلى جانب البطيخ الأصفر والأحمر. يلجأ الفلاحون إلى السقي الإنجذابي، ويقدر متوسط مردود الهكتار الواحد منه 20 طنا، ويفسر اهتمام الفلاحين بهذه الزراعة إلى وجود التربة الرملية التي تتلاءم معها، والطلب المتزايد على البطيخ الأحمر من المدن المجاورة، وخصوصا من سيدي علال البحراوي وتيفلت والخميسات. تبقى الزراعة العلفية الموجه إلى القطيع ذات أهمية، حيث تصل مساحتها إلى 1970 هكتارا، وهي زراعة حتمية، إضافة إلى الخضروات وبعض المغروسات بالدفيئات التي بدأت تعرف تطورا ملحوظا.

2.3- الإنتاج الزراعي

انطلاقا من نتائج البحث الميداني، تبين أن تطور مردودية المنتوجات الزراعية في الهكتار تتميز بالتذبذب، إلا أن هناك منتوجات عرفت تطورا إيجابيا، كما هو الحال بالنسبة للزراعات العلفية.

يتضح من خلال الخريطة أسفله أن التحول الذي طرأ على استعمال المجال، عبر إدخال مزروعات جديدة من شأنها المساهمة في تغيير المشهد الزراعي، لاسيما أن هذه المزروعات تتميز بالتنوع. لهذا، أصبحت بعض الحيازات متخصصة في الغراسة الشجرية ذات القيمة التسويقية كالحوامض والأفوكا والموز والزيتون...، إضافة إلى وجود مساحات مجهرية مخصصة لإنتاج الخضروات والكروم والذرة، والزراعة العلفية المسقية، ومن بين نتائج السقي العصري والتكثيف الزراعي، تقلص نسبة الأراضي البائرة، وتلك المخصصة للمراعي، وارتفاع المحاصيل.

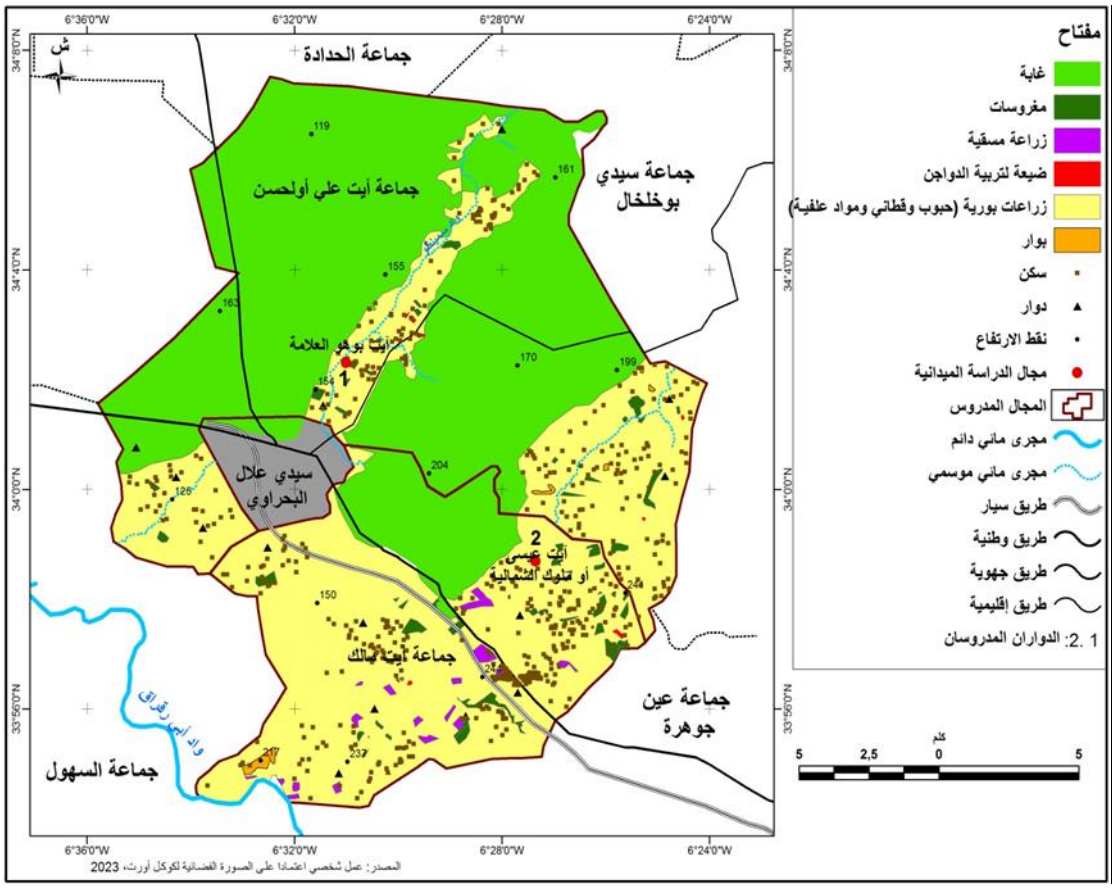

شكل رقم 15: استعمال المجال بظهير سيدي علال البحراوي سنة 2023

جدول رقم 7: توزيع المزروعات حسب المردودية في الهكتاربدواري أيت عيسى أو ملوك الشمالية وأيت بوهو العلامة

المنتوج	المردود بالقنطار/الهكتاروضعية 2002	المردود بالقنطار/الهكتاروضعية 2022
الشعير	14	15
القمح	12	20
الذرة	7.5	8
الخرطال	8	9
البطيخ الأصفر	15	20

المصدر: نتائج الاستمارة 2022.

يتضح من خلال الجدول انتقال متوسط إنتاج الهكتار بالنسبة لكل من الخرطال والذرة على التوالي، من 8 قنطار/الهكتار قبل عشرين سنة، إلى حوالي 9 قنطارا حاليا. في هذا السياق كذلك، عرفت مردودية الشعير ارتفاعا طفيفا، من 14 قنطارا/الهكتار إلى 15 قنطارا. أما القمح، فارتفاع بشكل كبير من 12 قنطارا إلى حوالي 20 قنطارا في الهكتار سنة 2022.

غشت 2022، أيت عيسى أوملوك الشمالية

غشت 2022،أيت بوهوالعلامة

صورة رقم 4: زراعة البطيخ الأصفر بجماعة أيت مالك صورة رقم 5: زراعة المانك بجماعة أيت علي أولحسن

يتميز الإنتاج الزراعي بدواري أيت بوهو العلامة، وأيت عيسى أوملوك الشمالية بسيادة زراعة الحبوب، وتنامي الزراعات الصناعية والتسويقية كالبطيخ والمانك والكروم...

يتوفر ظهير سيدي علال البحراوي على سوقين، سوق الأحد وسوق الاثنين، يتم فيهما بيع وتسويق المنتوج الزراعي المحلي، كما يتم تسويق المنتوج بأسواق المدن الكبرى، كمدن الخميسات، القنيطرة، الرباط، سلا، الدارالبيضاء. تتميز هذه العملية بوجود الوسطاء التجاريين لتسويق المنتوج الزراعي، والتي غالبا ما تؤدي إلى غلاء الأسعار وتضرر المستهلك.

يعتبر القطاع الزراعي من أهم القطاعات التنموية الاقتصادية، فهو المصدر الرئيسي للغذاء، والأمن الاجتماعي والاقتصادي، ومصدر دخل لعدد كبير من اليد العاملة، كما يساهم في حل مشكلة البطالة والفقر. يواجه القطاع الزراعي بظهير سيدي علال البحراوي عدة تحديات ومشاكل مختلفة، ومن أهمها:

- المشكل العقاري يحد من تطوير النشاط الزراعي، وبالتالي وجب وضع استراتيجيات لحل هذا المشكل.
- غلاء أثمنة المواد الكيماوية والمخصبات الضرورية للإنتاج الزراعي.
- تأثير سنوات الجفاف على حجم الانتاج الزراعي خاصة بالأراضي البورية.
- تدهور التربة بفعل الضغط المكثف، وبالتالي تراجع خصوبتها وضعف مردوديتها.
- غياب تأطير، وارشاد ودعم الفلاحين.

تهدف التنمية الزراعية إلى النهوض بالقطاع الزراعي وتطويره والزيادة في الإنتاج، فالتنمية الزراعية المستدامة، هي تنمية تعمل على توفير مختلف المنتوجات الزراعية، والتي تعمل على سد حاجيات أفراد المجتمع وإشباعها في الحاضر، مع المحافظة على مختلف الموارد الطبيعية، ضمانا لحقوق الأجيال القادمة.

خاتمة

يوفر الوسط الطبيعي بجماعتي أيت مالك وأيت علي أو لحسن موارد هامة للتنمية، حيث أن طابع الانبساط الذي يميز التضاريس، يوفر مساحات شاسعة لممارسة الزراعة، كما تستفيد هذه الأخيرة من مناخ ملائم رغم ما تعرفه جل المناطق من انعكاسات سلبية لتقلباته وسيادة السنوات الجافة، وانتشار الأتربة الرملية، والخصاص المائي. لهذا، فهي إكراهات تنعكس آثارها على النشاط الزراعي وتدهور الغطاء الغابوي، وذلك من خلال توالي مواسم الجفاف، وعدم انتظام التساقطات المطرية على مدار السنة، وهبوب رياح الشرقي، مما يحد من تطوير القطاع الزراعي، وتحسين مستوى عيش الساكنة.

ساهم وجود بنية سكانية شابة، بجماعتي أيت مالك وأيت علي أولحسن في توفير يد عاملة قادرة على العمل. وتطوير المستوى الاقتصادي للأسر. لاسيما النشاط الزراعي الذي يعتبر المحرك الأساس للتنمية المحلية بالجماعتين، خصوصا وأن هذا النشاط عرف تطورا نحو الاعتماد على الزراعات العصرية وغراسة الأشجار المثمرة. باعتبارها ذات أولوية ربحية لدى الساكنة، رغم ما تخلفه بعض المغروسات التي تتطلب السقي بشكل كبير من آثار على الموارد المائية.

يمكن تصور وبلورة إستراتيجية للتنمية الزراعية، بظهير سيدي علال البحراوي من خلال:

- حل المشكل العقاري لتعميم استعمال المكننة،
- استعمال الأسمدة الكيماوية والبذور المنتقاة والمبيدات،
- تحسين التأطير الفلاحي وتسهيل مساطر التمويل وعمليات التسويق،
- تشجيع غراسة الأشجار المثمرة وتنويعها وتوفير المخازن ووحدات التلفيف،
- تقنين استعمال الثروات المائية عبر تشجيع اعتماد تقنيات اقتصادية للسقي،

البيبليوغرافيا

- الأسعد محمد، قياس درجة الفعل الثقافي على السلوكات الرعي زراعية للفلاحين بالمغرب حالة ظهير الدارالبيضاء، التحولات الاجتماعية المجالية في الأرياف المغربية، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 28، 1994.
- المندوبية السامية للتخطيط، 2014، الإحصاء العام للسكان والسكنى.
- بلفقيه محمد، أوليات في الجغرافية الزراعية، منشورات اللجنة الوطنية للجغرافيا، مطبعة فضالة المحمدية، 1978.
.- غسان بدرالدين، جدلية التخلف والتنمية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ط1، بيروت، 1993.
- كرزازي موسى، حدود وآفاق التنمية الفلاحية بالجهة الشرقية بالمغرب، ورد ضمن كتاب دينامية المجالات الفلاحية بالمغرب، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط، سلسلة ندوات ومحاضرات، العدد رقم 121، 2005,
- منوغرافية جماعتي أي تمالك وأيت علي أولحسن، 2022.
- مونوغرافية جهة الرباط سلا القنيطرة 2020.
- وزارة إعداد التراب الوطني، 2000،المجال المغربي واقع الحال.
- وزارة الفلاحة والتنمية القروية والصيد البحري، المناظرة الوطنية للفلاحة والتنمية القروية، عوامل الإنتاج الحالة الراهنة والآفاق المستقبلية، مطبعة بني ازناسن سلا، 2000.
- وطفة عبدالرحيم، هضبة المعمورة وساحل سلا، التكوينات السطحية والتطور الجيومورفولوجي، منشورات اللجنة الوطنية الجغرافية، المغرب، سلسلة رسائل وأطروحات، ط 1، 1996.
- Belal abdelaziz, impératifs du développement national, belletin économique et social du Maroc, Imprimerie Najah El jadida.
- La Région de Rabat-Salé-Kénitra, Monographie generale, 2015.
-DIOURI A, Les changements climatiques et lagestion de la secheresse au Maroc. Traveaux de l'académie du royaume du Maroc. Session d'automne 2000, 1ere partie, 2000.

صلحاء دكالة وأدوارهم الاجتماعية والسياسية من خلال كتاب التشوف لابن الزيات التادلي

Doukkala's Pious Worshippers and their social and political roles through the book of The longing by Ibn Al-Zayyat Al-Tadli

د. نورالدين امعيط[252] -محمد فدواش[253]

الملخص:

عرفت منطقة دكالة نشاطا صوفيا لافتا خلال العصر الوسيط، فقد استقر بهذه المنطقة العديد من الصلحاء الذين قاموا بأدوار فاعلة داخل المجتمع المغربي عامة، والوسط الدكالي عل وجه التحديد. و تسعى هذه الدراسة إلى رسم صورة عن النشاط الصوفي بدكالة خلال القرن السادس الهجري و إبراز الأدوار الاجتماعية والسياسية لصلحاء هذه المنطقة، وذلك من خلال كتاب التشوف لابن الزيات التادلي.

الكلمات المفتاح: الصلحاء- الأدوار السياسية والاجتماعية- التصوف- ابن الزيات التادلي - دكالة - الكرامات -العصر الوسيط.

Summary

The Doukkala region witnessed remarkable Sufi activity during the Middle Ages, as many saints settled in this region who played active roles within Moroccan society in general, and the Doukkala community in particular. This study seeks to draw a picture of Sufi activity in Doukkala during the sixth century AH and to highlight the social and political roles of the saints of this region, through the book Al-Tashuf by Ibn al-Zayat al-Tadli.

Keywords : Pious worshippers – the Saints - political and social roles - Sufism - Ibn al-Zayyat Al-tadli - Doukkala - Mirackes and gifts - the middle Age.

[252] - أستاذ باحث، جامعة شعيب الدكالي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الجديدة، المغرب.
[253] - باحث دكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الجديدة، المغرب.

مقدمة

يحفل تاريخ دكالة خلال العصر الوسيط بعدد كبير من الصلحاء والمتصوفة، حتى قيل أن أرضها تنبت الصالحين كما تنبت الكلأ، حيث جسدت ظاهرة الولاية والصلاح بهذه المنطقة، حضورا لافتا، بشكل يزكي النزعة الروحية والطقوس الصوفية التي تطبع المنطقة منذ العصر الوسيط، خاصة وأن دكالة تحتضن عددا كبيرا من رجالات العلم والصلاح ممن أسهموا في الاشعاع الصوفي بإسهاماتهم في التربية الروحية وتأسيسهم للعديد من الزوايا داخل دكالة وخارجها.

ولعل من المصادر المناقبية التي أولت عناية مهمة لصلحاء دكالة خلال الحقبة الوسيطية، نذكر كتاب التشوف لابن الزيات التادلي، الذي يتضمن ما ينيف عن ستين ترجمة لصلحاء دكاليين أسهموا بأدوار فاعلة في خدمة مجتمعهم، لذلك تسعى هذه الدراسة إلى رسم صورة عن النشاط الصوفي بدكالة خلال القرن السادس الهجري، وتسليط الضوء على الأدوار الاجتماعية والسياسية التي قام بها هؤلاء المتصوفة. وقبل ذلك نرى من المفيد تقديم تعريف موجز لابن الزيات وتشوفه.

- **أولا: ابن الزيات التادلي ومؤلفه التشوف**

صاحب المؤلَف مصدر الدراسة هو أبو يعقوب يوسف بن يحيى بن عيسى بن عبد الرحمن التادلي، المعروف بابن الزيات[254]. فقيه ولغوي أديب، وقاض مالكي المذهب من أهل تادلة بالمغرب[255]. لم تقف المصادر التاريخية عن مولده ونشأته على نحو واضح، إذ لم يحظ الرجل بنصيب في موسوعات الأندلسيين وغيرهم، ولعل مرد هذا إلى كونه لم يدخل الأندلس، كما أنه وعلى خلاف عادة زمانه، التي كان الأدباء ورجالات العلم وطلبته، يشدون الرحال فيها إلى المشرق رغبة في التحصيل والتعمق المعرفي، فابن الزيات لم يغادر أرض المغرب، وفي هذا ما يبرر ندرة المعلومات حول شخصه في كتب التراجم والمناقب والسير.

ومهما يكن الأمر، فقد أخذ العلم على يد العديد من الرجال، كانوا من قمم العلم في عصره، أمثال: أبي موسى عيسى بن عبد العزيز الفزولي الذي كان قطبا في علوم اللغة العربية، وأبي القاسم أحمد بن بقي الأموي وغيره،[256] مما مكنه من امتلاك ملكات برزت على مستوى مثانة لغته العربية، وأسلوبه البديع الذي وظفه في تأليف مؤلفاته، فضلا عن توليه لمهمة القضاء بقبيلة رجراجة المصمودية زمن الموحدين.

254 ــ الزركلي خير الدين، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ط 15، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ماي 2002، ج 8، ص 257؛ مخلوف محمد بن محمد، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، المطبعة السلفية، القاهرة، 1349ه، ص 185؛ التنبكتي أحمد بابا، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تقديم: عبد الحميد عبد الله الهرامة، ط 1، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ليبيا، 1989، ص 626.

255 ــ الزركلي، م س، ج 8، ص 257.

256 ــ ابن الزيات أبو يعقوب يوسف بن يحيى التادلي، التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تحقيق: أحمد التوفيق، ط1، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة بحوث ودراسات رقم 22، 1984، ص 11.

حظي ابن الزيات بمكانة علمية كبيرة، كما خالط أهل التصوف وعرف باعتداله، فقد صحب أبا العباس السبتي[257] (ت601 هـ)، و خصه بترجمة مطولة ألحقها بتشوفه، كما عرف بعلو كعبه في اللغة والنحو والأدب[258]، وتقف مؤلفاته لتشهد دليلا على سمو شأنه، كما هو شأن مؤلفه مصدر هذه الدراسة والذي وسمه ب "التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي"، ولعله سبب شهرة الرجل التي بلغت الآفاق.

توفي التادلي برجراجة سنة 627 أو 628 هـ / 1230 م[259]، مخلفا تراثا أدبيا هاما، حيث وقفت المصادر على العديد من مؤلفاته، التي أضحى معظمها في حكم المفقود، ومنها تأليف خص به بعض صلحاء المغرب[260]، أشار إليه وبشكل عرضي الغبريني في عنوان الدراية[261]، فضلا عن مؤلفه "نهاية المقامات في دراية المقامات" وهو شرح لمقامات الحريري، أورده الفيروزآبادي، الذي لم يتردد في الثناء عليه، فعد ابن الزيات من أئمة اللغة.

أما كتابه "التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي"، فهو من أقدم كتب التراجم والمناقب خلال الحقبة الوسيطة التي تناولت سير المتصوفة، وتراجم الأولياء والصالحين، مع الوقوف على كراماتهم ومناقبهم، وقد ألفه ابن زيات في العقد الثاني من القرن السابع الهجري، زمن الخليفة الموحدي أبي يعقوب يوسف الملقب بالمستنصر بالله[262]، وبالضبط سنة 617 هـ، بعد أن تمكن من جمع مادته.

تعددت دوافع تأليف ابن الزيات لكتابه التشوف، غير أنه أهمها ما أفصح عنه التادلي نفسه، وهو رغبته في التعريف بالصلحاء واكابر فضلاء مراكش، فيقول: "ولما خفي عن كثير علم من كان بحضرة مراكش من الصالحين ومن قدمها من أكابر الفضلاء، رأيت أن أفرغ لذلك وقتًا أجمع فيه طائفة أدون أخبارهم، وأضيف إلى ذلك من كان من أعمالها، وما اتصل بها من أهل العدوة الدنيا".

وبالجملة، فإن كتاب التشوف لابن الزيات، يعد من أهم كتب السير والمناقب، فضلا عن كونه أحد أهم المصادر التي لا غنى عنها في الدراسات التاريخية لمغرب العصر الوسيط، إذ تضمن عددا مهما من تراجم الصلحاء وأهل التصوف

257 ــ مخلوف محمد بن محمد، م س، ص 185؛ التنبكتي أحمد بابا، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تقديم: عبد الحميد عبد الله الهرامة، م س، ص 626؛ التنبكتي أحمد بابا، كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، دراسة وتحقيق: محمد مطيع، منشورات وزارة الوقاف والشؤون الاسلامية، المملكة المغربية، 2000، ج 2، ص 265.

258 ــ الفيروزآبادي مجد الدين محمد بن يعقوب، البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، تحقيق: محمد المصري، ط 1، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 2000، ص 323؛ السيوطي جلال الدين عبد الرحمن، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط 1، مطبوعات مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، 1965، ج 2، ص 363.

259 ــ الزركلي، م س، ج 8، 257؛ التنبكتي أحمد بابا، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، ص 626؛ مخلوف محمد بن محمد، م س، ص 185.

260 ــ التنبكتي أحمد بابا، كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، م س، ج 2، ص 265؛ مخلوف محمد بن محمد، م س، ص 185.

261 ــ الغبريني أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق: عادل نويهض، ط 2، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1979، ص 50.

262 ــ حكم هذا الخليفة خلال الفترة ما بين 1213 و1224م.

المنتمين لمختلف ربوع بلاد المغرب. لذلك نجده قد لقي اهتماما خاصا من قبل الباحثين باعتباره مصدرا مغربيا تراثيا ثمينا لا محيد عنه.

ثانيا: النشاط الصوفي بدكالة خلال القرن السادس الهجري

عرفت أرض دكالة حضورا مبكرا لظاهرة الولاية والصلاح[263]، كما اشتهرت بكثرة الأولياء والصلحاء، وتقف كثرة الأضرحة والمزارات المنتشرة بالنطاق الجغرافي لدكالة اليوم شاهدا على صحة ما نذهب اليه.

ومن دون شك أن منطقة دكالة، كانت مركز إشعاع علمي وروحي منذ الفتح الإسلامي الأول، لذلك تعددت رباطاتها[264] وزواياها، ولا غرو، فرباط شاكر الذي أسس على ترابها، يعد أول رباط بالمغرب، كان من تأسيس شاكر بن عبد الله الأزدي، أحد أصحاب الفاتح العربي الكبير عقبة بن نافع الفهري[265]، فضلا عن رباط تيط، ورباط أبي محمد صالح دفين آسفي، وغيره. لذلك اعتبرت دكالة مهد التصوف في المغرب[266]، بالنظر لكثرة صلحائها وأوليائها، وهو ما يؤكده ابن قنفد في سياق حديثه عن جملة الطوائف الصوفية بالمغرب الذي " تنبت، أرضه، الصالحين كما تنبت الكلأ"[267]، وهو ما أكده التمنارتي في فوائده حين ذكر أن "أرض جزولة وأرض دكالة تنبتان الأولياء كما تنبت الأرض البقول"[268].

واذا كان المغرب قد عرف ظهورا مبكرا للربط والزوايا، فإن أرض دكالة كانت سباقة إلى هذا الأمر[269]، حتى إن هذه الربط، على كثرتها، قد توزعت بها على شكل هلال مفتوح في اتجاه تامسنا، وشكلت بلاد رجراجة قاعدة الهلال.[270]

ولئن كان هذا حال دكالة خلال العصر الوسيط باعتبارها مركز الحياة الصوفية بالمغرب، ومجمع الأولياء، فإن الظاهرة قد عمت مختلف ربوع بلاد المغرب الذي عرف على امتداد تاريخه بأنه دار جهاد وموطن رباط، وبلد صلحاء وفقهاء وعلماء[271]، لذلك وجدنا ابن زيات التادلي، يولي عناية خاصة لأهل التصوف بالمغرب عامة، ومنهم رجال الولاية والصلاح ببلاد دكالة، فمن أصل مائتين وسبع وسبعين ترجمة واردة بمؤلفه، نجده قد خصص ستين ترجمة لأعلام من صلحاء دكالة، منهم الرجال والنساء، أي ما يعادل ربع تراجم مؤلفه.

---

263 ــ الوارث أحمد، التيار الصوفي في دكالة زمن الرباطات، ط 1، منشورات المجلس العلمي المحلي للجديدة، 2011، ص 29.

264 ــ للوقوف على الرباطات الأولى التي ظهرت بدكالة، راجع: الوارث أحمد، التيار الصوفي في دكالة زمن الرباطات، ط 1، م س، ص ص 29 - 51.

265 ــ الحسيني عبد الله، "التصوف وأهل التصوف في دكالة"، ضمن أعمال اليوم الدراسي: *رباطات* وزوايا في المغرب، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالجديدة، 2004، ص 240. (ص 236 - 254).

266 ــ بوشرب أحمد، م س، ص 124.

267 ــ ابن قنفد أبو العباس أحمد الخطيب القسطنطيني، أنس الفقير وعز الحقير، اعتنى بنشره وتصحيحه: محمد الفاسي وأدولف فور، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، 1965، ص 63.

268 ــ التمنارتي أبو زيد عبد الرحمن، الفوائد الجمة في إسناد علوم الأمة، تحقيق: اليزيد الراضي، ط 2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2007، ص 182.

269 ــ الوارث أحمد، التيار الصوفي في دكالة زمن الرباطات، م س، ص 51.

270 ــ نفسه، ص 51.

271 ــ البادسي عبد الحق بن إسماعيل، المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف، تحقيق: سعيد أعراب، ط 2، المطبعة الملكية، الرباط، 1993، ص 73.

وجدير بالذكر أن ابن الزيات، قد استقى أخباره عن صلحاء المجال الدكالي، عن مجموعة من الرواة، منهم داود بن عبد الخالق،[272] وعبد الرحمن بن يوسف بن أبي حفص،[273] وغيره، و فيما يلي نورد أسماء أولياء دكالة، مع إثبات رقم تراجمهم ضمن كتاب التشوف متن هذه الدراسة.

رت	اسم الصالح أو الولي	رقم الترجمة	الصفحة
1	أبو زكرياء يحيى بن لا الأذى الرجراجي	2	85
2	أبو عبد الله الرجراجي	3	86
3	أبو محمد خميس بن أبي زرج الرجراجي الأسود	14	113
4	أبو عثمان سعد بن ميموناسن الرجراجي	16	115
5	أبو زكرياء يحيى بن موسى المليجي	20	125
6	أبو ينور عبد الله بن وكريس الدكالي	22	130
7	أبو يعقوب تصولي بن وابوسكط المحاسبي	23	131
8	أبو ولجوط وغانيم بن وابوط الدكالي	24	132
9	أبو حفص عمر بن ميكسوط الدغوغي	30	141
10	أبو علي منصور بن إبراهيم المسطاسي	32	144
11	أبو محمد عبد الله الهليجي	33	145
12	أبو محمد عبد الجليل بن ويحلان	34	146
13	تنفيت اليرصجي	35	150
14	أبو وزجيج يفراكس بن يسولال الدكالي	36	151
15	أبو حدو القاسم الأيلاني	57	181
16	أبو حفص عمر بن معاد الصنهاجي	59	183
17	أبو عيسى وزجيج بن ولوون الصنهاجي	61	185
18	أبو شعيب أيوب بن سعيد الصنهاجي	62	187
19	أبو موسى الدكالي	73	205
20	أبو عبد الله محمد بن أبي جعفر إسحاق بن إسماعيل بن سعيد الصنهاجي المعروف بابن أمغار	75	209
21	أبو محمد عبد الخالق بن ياسين الدغوغي	78	222
22	أبو محمد زمور بن يعلى الهزرجي	79	225
23	أبو محمد جلداسن بن إسحاق الركوني	80	227
24	أبو محمد عبد السلام بن أبي عبد الله محمد بن أمغار الصنهاجي	87	233
25	أبو وكيل ميمون بن تاميمونت الأسود	88	234

[272] ــ ابن الزيات، م س، ص 13.
[273] ــ المصدر نفسه، ص 183، الهامش 371.

26	أبو إبراهيم إسحاق بن ويعزان	90	235
27	أبو عمران موسى بن الحاج الرجراجي الأسود	92	237
28	أبو عبد العزيز الركوني	110	260
29	أبو مهدي وين السلامة بن جلداسن من أهل أسكطاي	111	261
30	أبو محمد يرزجان بن محمد الجزولي	114	266
31	أبو زكرياء يحيى الدكالي	121	275
32	أبو علي ويسينن بن عبد الله البردعي الأسود	127	282
33	أبو علي يغمور بن خالد اليرصجي	129	286
34	أبو ولجوط تونارت المشترائي	136	292
35	أبو يحيى أبو بكر بن عبد الله	137	293
36	أبو محمد وين يوفن	138	293
37	أبو حفص عمر بن أبي يعقوب تصولي بن وابوسكط المشترائي	153	308
38	أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الصمد الصنهاجي	155	311
39	أبو العباس أحمد بن عبد السلام الدكالي	158	314
40	أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن الصنهاجي الجباب	159	314
41	منية بنت ميمون الدكالي	160	316
42	أبو سعيد عثمان اليرصجي	161	319
43	أبو إبراهيم إسماعيل بن وجماتن الرجراجي	180	350
44	أبو عبد الله يلاسيف بن يغديون الرجراجي	181	356
45	أبو علي عمر بن عمران السمائلي	194	374
46	أبو إسحاق إبراهيم بن هلال المشترائي	195	375
47	أم محمد السلامة	209	387
48	أبو محمد يلارزج بن القاسم الركوني	215	392
50	أبو وزاغار تيفاوت بن علي المشترائي	217	394
51	أبو محمد بن عبد الحق بن واليل المغيطي	219	396
52	أبو محمد تيلجي بن موسى الدغوغي	224	402
53	أبو عمر ياحميان بن عبد الله الصنهاجي	230	408
54	أبو زكرياء يحيى بن ميمون الصنهاجي الأسود	238	414
55	أبو عثمان سعيد الصنهاجي	239	414
56	أبو علي وتبير بن يرزيجن الرجراجي	243	418
57	أبو علي منصور بن صفية الصنهاجي	244	419
58	أبو حفص عمر بن أكرام الصنهاجي	245	420
69	أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن أبي عبد الله المعروف بأصاصاي	246	420
60	أبو يعقوب يوسف بن محمد بن أمغار الصنهاجي	254	426

61	أبو علي واديف بن تونارت الصنهاجي	255	427
62	أبو ويعزان يبريدن بن ويبدن الأيلاني القدار الأسود	258	431
63	أبو محمد عبد الحق بن أبي طاهر المغيطي المعروف بأمسطوط	260	432
64	أبو عمران موسى بن وجادير الدكالي	265	437
65	أبو الحسن علي بن يسكين	266	438
66	أبو عبد الله محمد بن نافع الصنهاجي	272	443
67	أبو طالب تالم بن يلبخت المغيطي	273	444

ثالثا: الادوار الاجتماعية والسياسية لصلحاء دكالة

1- الادوار الاجتماعية

إذا كان لكل زمان ولي من أولياء الله، يحفظ به البلاد ويرحم به العباد،[274] فإن منطقة دكالة خلال العصر الوسيط اشتهرت بكثرة أوليائها وصلحائها، منهم ذوي النسب الشريف، الزاهدين، الساعين إلى فعل الخيرات، الذين لم يتوانوا في تقديم خدمات للبلاد والعباد على حد سواء، أينما حلوا وارتحلوا. إذ لم تقتصر أدوارهم سواء داخل المجتمع الدكالي أو خارجه على جانب دون آخر، بل لامست جوانب متعددة.

ومعلوم أن الصلحاء والأولياء حظوا ببركات وكرامات، خص بها الله أهل اليقين من عباده، فعلى أيديهم ظهرت خوارق العادات، وتيسرت أسباب الخير، وتعسرت أسباب الشر.[275] مسلكهم التقشفي، وزهدهم في الحياة جلب إليهم محبة الناس وتقديرهم،[276] لذلك كانت لهم مكانة ومنزلة سامقة في نفوس الخاصة قبل العامة، وهي مكانة أهلتهم للقيام بأدوار لم تقتصر على جانب دون آخر كما أسلفت الذكر.

ولعل من الجوانب التي كان لصلحاء دكالة إسهام كبير فيها، نجد الجانب الاجتماعي المرتبط أساسا بالمعيش اليومي لعامة الناس وانشغالاتهم، وضمان استمرارية حياتهم، خاصة زمن الحاجة والخصاصة، وهو ما عزز الصلة بين الولي وعامة الناس، حتى أن الذهنية المغربية ترسخت لديها قناعات ومنذ أمد بعيد تفيد بدور الولي حيا أو ميتا، ويشهد على ذلك تلك الممارسات التي مازالت سائدة بالمجتمع إلى اليوم الحاضر.

ولئن كان من غير اليسير الحديث عن أدوار صلحاء دكالة بشكل مفصل استنادا إلى كتاب التشوف دون غيره من المصادر، على اعتبار أن ما تضمنه من أدوار خاصة بأصحاب الكرامات جاءت في غالبها الأعم مجرد تلميحات هامشية وإشارات عارضة. ومهما يكن الأمر، فقد كان للأدوار التعليمية والتربوية نصيب وازن في اهتمامات أهل الزهد والصلاح، امتثالا لتعاليم الدين الإسلامي التي حثت على طلب العلم، واعتبرته فريضة على كل مسلم ومسلمة. ولا تعوزنا الأمثلة الدالة

274 ــ نفسه، ص 31.
275 ــ نفسه، ص ص 54 - 55.
276 ــ بوتشيش إبراهيم القادري، المغرب والأندلس في عصر المرابطين: المجتمع ـ الذهنيات ـ الأولياء، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت،1993، ص137.

على من تولى القيام بهذه المهمة، خاصة وأن دكالة عرفت مجموعة من الأسرة توارثت التصوف والعلم والصلاح، كما هو حال بيت آل أمغار، والبيت المجري، فضلا عن الأسرة المشترائية والبيت الرجراجي وغيره،[277] كما أن معظم الأولياء امتلكوا ثقافة دينية متينة، وتعاطوا مختلف العلوم.[278] فهذا الولي أبو محمد عبد الجليل بن ويحلان (ت 541 ه) درس الناس الفقه ثلاثين سنة محتسبا، على الرغم من شدة فقره وفاقته، وحرصا منه على آداء مهمته على الوجه الأكمل، كان إذا انصرف عنه حملة الفقه تفرغ للاستزادة من نور علوم الآخرة، وأسرار التصوف رفقة خاصته.[279]

وشبيه بما سبق، كان أبو شعيب أيوب بن سعيد الصنهاجي (ت 561 ه) دفين أزمور، يشتغل في ابتداء أمره "معلما للقرآن بقرية يليسكاون من بلد دكالة، فكان يتوكأ على عصاه واقفا لا يقعد، إلى وقت انصراف الصبيان من المكتب"[280]، ولورع الرجل، وخوفا من جسامة المسؤولية الملقاة على عاتقه، " تصدق بجميع ما اكتسب من التعليم خوفا أن لا يكون وفى بما عليه من الحقوق."[281] وأما أبو عمران موسى بن وجادير الدكالي (ت 613 ه) فقد كان حريصا على إقامة مجالس للعلم، حضرها كثيرون.[282] وبالمثل كان أبو علي يغمور بن خالد اليرصجي (ت قبل 590 ه)، "مدرسا للفقه"[283]، وذات القول ينطبق على دفين آسفي أبي محمد صالح بن ينصارن بن غفيان الدكالي ثم الماجري (ت 601 ه)، صاحب عجائب الكرامات،[284] الذي كان يتولى التدريس برباطه بآسفي، حتى تعدد تلامذته.[285]

لم تكن الأدوار التربوية والتعلمية لمتصوفة وأولياء دكالة، تحول دون دورهم الديني، لتكامل الدورين من جهة، وخدمة كل منهما الآخر من جهة ثانية، خاصة وأن الدور الديني عد من أهم الأدوار التي لعبوها داخل مجتمعاتهم، إذ كان حاضرا في سائر أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم،[286] حيث حرصوا على تعليم الناس شعائر دينهم، ودعوتهم إلى إقامتها عن طريق الوعظ والتوجيه، وتصحيح ممارساتهم التعبدية، كما تفرغوا للعبادة ومجاهدة النفس، وزهدوا في الدنيا، ونشروا التصوف، والتزموا السنة، واستحضروا يوم لقاء ربهم، فخافوه، فهذا أبو الحسن علي بن يسكين (ت 614 ه) "كان عبدا صالحا شديد الخوف من الله تعالى، وكان بخديه خطان للدموع من كثرة البكاء"[287]، فكانوا بذلك مثالا يقتدى به.

ومن الشواهد الدالة على ما سبق ذكره، أمثلة يصعب حصرها لكثرتها، نذكر منها ذلك الحديث الذي دار بين عبد العظيم بن أبي عبد الله بن أمغار وإخوته، إذ قال ما نصه: "أتدرون بم زاد والدكم على صالحي المغرب؟ فقالوا: لا ندري. فقال: ما فاقهم بكثرة صلاة ولا صيام، وإنما فاقهم بإتباع السنة"[288]. وأما أبو علي وتبير بن يرزيجن الرجراجي (ت 612 ه)

277 ـ للمزيد حول بعض الأسر الدكالية التي توارثت العلم، راجع: الحسيني عبد الله، م س، ص ص 243 - 251.
278 ـ بوتشيش إبراهيم القادري، م س، ص 128.
279 ـ ابن الزيات، م س، ص 147.
280 ـ المصدر نفسه، ص 187.
281 ـ نفسه، ص 187.
282 ـ نفسه، ص 438.
283 ـ نفسه، ص 286.
284 ـ نفسه، ص 41.
285 ـ نفسه، ص 439.
286 ـ الوارث أحمد، التيار الصوفي في دكالة زمن الرباطات، م س، ص 294.
287 ـ ابن الزيات، م س، ص 438.
288 ـ المصدر نفسه، ص 210.

فكان يدعو الناس إلى الصبر على الطاعات بقوله: "يا إخوتاه، اصبروا، فإنها أيام قلائل، وحافظوا على الصلوات الخمس، وما خف من النوافل."[289] وكان الولي أبو زكرياء يحي بن موسى المليجي، حريص على تأدية الصلاة في وقتها، فيذكر أنه انصرف ذات يوم من المسجد بعد أن أدى صلاته، "فلقي جماعة من المريدين مقبلين على المسجد، فأنكر عليهم تأخرهم عن الصلاة، فقالو له: كنا قد تأهبنا للصلاة (...) ولم نسمع بعده أذانا من غلبة أصوات الصرصار، وكان الصرصار كثيرا بذلك المكان لا يكاد يسمع منه كلام. فقال: اللهم، إن هذا الصرصار قد حال بين عبادك وبين طاعتك، فاقطعه عنا. فانقطع الصرصار عن ذلك المكان."[290]

وإلى جانب ما سبق ذكره، حرص صالحو دكالة على دعوة الناس وهدايتهم إلى الطريق المستقيم كلما وجدوا الى ذلك سبيلا، ومحاربة بعض مظاهر اللهو من غناء ورقص وغيره، فهذا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الصمد الصنهاجي (ت 596 ه) كان في حداثة سنه "محبا في اللهو، يغني في الأعراس ويضرب الدف، فخرج يوما مع جماعة من الشباب يغني لهم ويضرب دفه لهم، فأبصروا أبا شعيب أيوب السارية، وهو مقبل إلى جهتهم، ففروا حياء منه، وبقي وحده. فوصل إليه أبو شعيب ودعا له، فنفعه الله بدعوته، فأقبل على العبادة ثم انقطع عن الناس واعتزلهم."[291]

لم يحد متصوفة دكالة عما اشتهر به متصوفة المغرب عامة من إطعامهم للطعام، والتصدق عل المحتاجين والأيتام، بالرغم من حاجتهم وعوزهم، إذ كانوا يوثرون على أنفسهم ولو كانت بهم خصاصة، وإن برزت هذه الأدوار بشكل لافت زمن المحن المرتبطة بالكوارث الطبيعية من قبيل الجفاف وما صاحبه من مجاعات وأوبئة، فضلا عن القلائل السياسية. فهذا الولي أبو ينور عبد الله بن وكريس الدكالي، قدمت له زوجه ذات يوم "طعاما ليأكله فوجد في نفسه أن فيه نصيب الأيتام أبناء أخيه، فأمسك وبات طاويا"[292]، وأما أبو يعقوب تصولي بن وابوسكط المحاسبي، فقد جاءه رجل فقير محتاج الى أضحية، يشكو له فاقته وفقره، فأعطاه ما يلزمه لشراء أضحيته.[293] وبالمثل لم تقتصر منفعة الولي أبو حفص عمر بن ميكسوط الدغوغي (ت 546 ه) للناس على حياته، بل كانوا يلجؤون إلى قبره، فيدعون عنده حاجتهم، فتلبى دعواتهم،[294] بينما نجد أبا حفص عمر بن معاد الصنهاجي (ت 561 ه) لما حلت على الناس مجاعة 535 ه، "جمع خلقا كثيرا، فكان يقوم بمؤونتهم وينفق عليهم ما يصطاده من الحوت وغيره، إلى أن أخصب الناس."[295] وكان هذا ديدن أبا موسى الدكالي في خدمة الناس، فقد اعتاد حمل "قفة كبيرة يجمع فيها بقل البرية، وما يلفظه البحر من مباح الأكل، فيبيعه ويشتري بثمنه خبزا، فيمسك خبزتين، ويتصدق بالباقي على المساكين"[296]، أما العبد الصالح أبو يِنيكف فقد تصدق بفحل من غنمه على أبي

289 ــ نفسه، ص 418.
290 ــ نفسه، ص ص 125 - 126.
291 ــ نفسه، ص 311.
292 ــ نفسه، ص130.
293 ــ نفسه، ص131.
294 ــ نفسه، ص 141.
295 ــ نفسه، ص 183.
296 ـ نفسه، ص 206.

وكيل ميمون ليضحي به.[297] كما أن أبا زكرياء يحي بن موسى المليجي قد شكا إليه رجل الجوع في عام مجاعة، وكان ذلك في أول الحرث، فأمره أن يدخل في صومعة مسجد، فلما دخلها نام، ولم يستيقظ إلا في زمان الحصاد وطيب الزرع.[298]

وعلى غرار ما سلف ذكره، لجأ الناس إلى الصلحاء وأصحاب الكرامات بدكالة من أجل استسقاء الماء، خاصة خلال سنوات القحط والجفاف التي اكتست طابعا كارثيا كلما نفذت مدخرات الناس من المياه أو تأخر نزوله،[299] وهو ما كان يدفع بعامة الناس إلى هجرة بلادهم بحثا عن الماء، علما أن المنطقة عرفت بقلة هذه المادة الحيوية[300]، خاصة وأن الماء شكل وعلى امتداد تاريخ البشرية عنصرا حيويا وأساسيا لاستمرار حياة الإنسان والحيوان والنبات على السواء.

ويحفل تشوف ابن الزيات بأمثلة شتى تعكس الدور الذي لعبه صلحاء دكالة في التخفيف من حدة قلة المياه تارة، وانعدامها تارة أخرى، فهذا الولي أبو وكيل ميمون بن تاميمونت الأسود لما انحبس المطر في وقت نزوله، وقلت المياه، مما دفع بالناس إلى الرحيل، أمر قومه بأن يسقوا من الحفرة التي أعدها لماء المطر، فعاتبته زوجته على ذلك بداعي أن نفاذ مائهم سيدفعهم بدورهم إلى الرحيل، فأعرض عن قولها. فلما نفذ ماؤه، جاء إلى خيمته لينفضها ويرحل، فأمسك حبلا منها ورمق بطرفه السماء، وقال: أغثني يا رب يا مغيث. فنشأت سحابة، وهطل المطر، وامتلأت الصهاريج، ورجع الناس الى بلادهم.[301]

ويستشف من قول ابن الزيات المثبت أعلاه، أن دعوات الصالحين كانت من سبل استدرار المطر،[302] لما خصهم به الله من استجابة الدعوة، وأن أهل دكالة اعتمدوا في تزودهم بالماء إلى جانب الآبار على النطافي التي خصصت لتجميع مياه الأمطار، كما أن انعدام هذه الأخيرة شكل مأساة دفعتهم إلى الرحيل عن ديارهم، وأن أمر الرحيل ما كان ليرتبط أساسا بالقلائل والاضرابات السياسية أو الصراعات والتطاحنات القبلية، بقدر ما كان لندرة الماء أثر فيما عرفته المنطقة من أحداث سياسية وهجرات.[303]

وفي ذات السياق، روى ابن الزيات عن جار للولي أبي مهدي وين السلامة بن جلداسن من أهل أسكطاي (ت 560 هـ) ما نصه: " أصابنا جذب شديد، فاحتجنا الى استخراج أصول النبات التي نأكلها في أعوام المجاعة، فقلت لأبي مهدي: اذهب بنا الى موضع كذا (...) فأخذ أبو مهدي ركوته وتبعته، فجاء الى الحجارة التي تجمع في الفدادين حتى صارت كالكدية، وجعل ينفضها حجرا حجرا إلى أن وصلنا صخرة كالصفحة، وفيها ماء بارد عذب طيب، فملأ ركوته وناولني، فشربنا وتوضأنا، ورد عليها الحجارة كما كانت. ثم إني ذهبت يوما آخر الى ذلك المكان وحدي (...) فلم أجد فيها ماء قليلا ولا كثيرا."[304]

---

297 ــ نفسه، ص 234.
298 ــ نفسه، ص 126.
299 ــ بوشرب أحمد، م س، ص 58.
300 ــ المرجع نفسه، ص 59.
301 ــ ابن الزيات، م س، ص 235
302 ـ الوارث أحمد، التيار الصوفي في دكالة زمن الرباطات، م س، ص 337.
303 ــ بوشرب أحمد، م س، ص ص 58 - 59.
304 ــ ابن الزيات، م س، ص 263.

تعكس الشهادة الواردة أعلاه، ما أسلفنا ذكره بكون المنطقة عرفت بقلة المياه، حتى عز طلبها خاصة في أوقات الشدة، كما أن الحصول عليها، ارتهن في كثير من الأحيان بتدخل الأولياء، وعد من كراماتهم؛ ومن تم كان اللجوء إليهم أحياء كانوا أو أمواتا سبيلا كلما انقطعت السماء عن المطر، أو استشعروا خطر ندرة الماء الذي كان يتهددهم خلال سنوات الجدب.

مما لا مشاحة فيه أن صلحاء دكالة كان لهم دور بارز في علاج المرضى، واستجلاب أسباب الشفاء لهم، مادامت دكالة وباقي ربوع المغرب، قد انتشرت بها علل شتى، استلزمت الحاجة إلى العلاج والدواء، ويطالعنا التادلي بأمثلة كثيرة دالة على دورهم في هذا الجانب، فهذا كبير الأولياء أبو حفص عمر الدغوغي استشفى "الناس بتراب قبره"[305]، ولا يخالجنا شك على ما أسداه للناس من خدمات قيد حياته، وبالمثل كان لأبي إبراهيم إسماعيل بن وجماتن الرجراجي (ت 595 ه) نصيب في علاج المرضى، فقد جاءه رجل أصيب بعلل، فمسح بيده على رأسه، وعينيه، وصدره، وسائر الأعضاء التي أصابتها العلل،"[306] كما كان له بداره بسباس كبير ينفع لكل داء، كلما شكا إليه أحد من علة، أعطاه منه، فيبرأ بإذن الله.[307] وكان أبو زكرياء يحي بن ميمون الصنهاجي الأسود (ت 601 ه) يبرئ العلل بالتفل عليها.[308]

وعلى شاكلة هؤلاء، لم يدخر أبو ولجوط تونارت المشترائي جهدا في علاج أهل بلده، لما اشتكوا من كثرة الأمراض التي أصابتهم جراء تغير هواء بلدهم،[309] وأما الولي أبو حفص عمر بن أبي يعقوب تصولي بن وابوسكط المشترائي (ت 595ه)، فقد دخل أعرابي جنته، و"أخذ منها عنبا. فلما جعله في فيه، أصابه وجع كاد يقضي عليه. فجاء إلى أبي حفص فأخبره. فمسح أبو حفص على حلقه فزال عنه ما كان أصابه."[310]

وتقف الشهادات الواردة أعلاه كشاهد على أن طلب الصحة والعلاج شكل هاجسا لدى عامة الناس، دفعت بهم إلى الاستنجاد ببركات وكرامات الأولياء طلبا للعلاج، وقد تباينت طرق هذا العلاج بين اللمس والتفل والدعاء تارة، وعن طريق تقديم نبات أو طعام، أو بالضرب بطرف الثوب، فضلا عن استعمال تراب قبر الولي تارة أخرى، كما كان التطبيب يتم بالحروز.[311]

ولم يدخر الأولياء وسعا في غرس قيم الرحمة والمودة والاحسان والصدق داخل المجتمع، وفي محاربة الانحرافات والظواهر الشاذة كاللصوصية وتعاطي الخمر، وغيرها، ولا نعدم من الدلائل ما يقف شاهدا على ما نقول، فهذا أبو حفص عمر بن أبي يعقوب تصولي حاول مجموعة اللصوص اغتصاب كساءه، كعادتهم في تجريد الناس من ثيابهم، بيد أنه نجح

305 ــ المصدر نفسه، ص 141.
306 ــ نفسه، ص 351 - 352.
307 ــ نفسه، ص 353.
308 ــ نفسه، ص 414.
309 ــ نفسه، ص 293.
310 ــ نفسه، ص 309.
311 ــ الوارث أحمد، التيار الصوفي في دكالة زمن الرباطات، م س، ص 357.

في وعظهم وهدايتهم، فأعلنوا توبتهم بين يديه.[312] وبالمثل كانت لأبي يعقوب يوسف بن محمد بن أمغار الصنهاجي (ت 614 ه) دعوة صريحة بالابتعاد عن الخمر وأهله.[313]

ولم يقتصر السلوك الإنساني لأولياء وصلحاء دكالة على الإنسان دون باقي الكائنات الحية، وخير مثال نسوقه في هذا الشأن أبو زكرياء يحيى بن لا الأذى الرجراجي، ولعل في اسمه ما يحيل على أن الأذى كان بعيدا عن أفعاله وأقواله. أقدم ذات يوم على أخذ "منجله لقطع شجر السدر، فبينما هو يقطعه إذ صادف رجل قنفذ فكسرها، فآلمه ذلك (...) فأخذ القنفذ، فربط رجله بجبائر (...) فكان يسقيه الماء، ويطعمه التين والزبيب إلى أن انجبر."[314]

وواضح أن الاهتمام بالجانب الإنساني لعامة الناس، شكل قاسما مشتركا لكل صلحاء بلاد دكالة خلال العصر الوسيط، شاهدنا في هذا، ما أوردناه من أدوار سعت في جوهرها إلى تيسير أمور العباد، ودفع الضرر عنهم. وإن اختار بعضهم الاعتزال والتفرغ للعبادة أحيانا، فإنهم بذلوا جهدا كبيرا في خدمة الناس والتفاعل معهم.

من أجل ذلك، فقد احتلوا مكانة مهمة في قلوب الناس الذين خصوهم بالتقدير والاحترام، حتى إن بعض الاباء، كانوا يحثون أبناءهم على تقبيل أيدي المتصوفة كلما صادفوهم، ولو مائة مرة في اليوم.[315]، كما تقاطروا عليهم لحل مشاكلهم، بل شدوا الرحال إليهم للتبرك بهم،[316] ولا نعدم من القرائن ما يثبت صحة ما أشرنا إليه، فهذا الولي أبو محمد زمور بن يعلى الهزرجي (ت 555 ه)، لما فاضت روحه، تنازعت القبائل على جثمانه من أجل دفنه بأرضها، لينالوا بركته[317]، وبالمثل كان أبو محمد عبد الجليل بن ويحلان "إذا صلى الجمعة وانصرف إلى منزله، فلم يكن يصله إلا في وقت العصر من كثرة ما يحبسه الناس للدعاء والتمسح به"[318] من شدة القبول الذي حظي به، على الرغم من كون داره كانت قريبة من الجامع. بينما نجد أبا عبد الله الرجراجي قصده الناس من الآفاق للتبرك به، حتى أنكر ذلك،[319] ولم يكن أبو يعقوب يوسف بن محمد بن أمغار الصنهاجي أقل شأوا من سابقيه، وحسبنا أن نذكر أنه بعد موته جاءه " الناس من الجهات لحضور جنازته، وأخذوا من الأرض مد البصر، ويقال إنهم كانوا نحوا من خمسة عشر ألفا."[320] .

2- الادوار السياسية

إلى جانب الأدوار الاجتماعية التي قام بها صلحاء دكالة، لعب الأولياء الدكاليون أدوارا سياسية مهمة، تشهد بها ما تنطوي عليه متون كتب المناقب والتراجم والسير، فضلا عن كتب التاريخ العام وغيرها، غير أن صاحب التشوف، لم يول

312 ــ ابن الزيات، م س، ص ص 309 - 310
313 ــ المصدر نفسه، ص ص 426 - 427.
314 ــ نفسه، ص 85.
315 ــ ابن مريم أبو عبد الله محمد بمن محمد بن أحمد، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1908، ص 303.
316 ــ بوتشيش إبراهيم القادري، م س، ص 137.
317 ــ ابن الزيات، ص 225.
318 ــ المصدر نفسه، ص 147.
319 ــ نفسه، ص 86.
320 ــ نفسه، ص 426.

اهتماما كبيرا للأدوار السياسية لمتصوفة وصلحاء دكالة، ونسجل في هذا الصدد محدودية ما ينطوي عليه مؤلفه من تلميحات وإشارات سياسية، على الرغم من انفتاحهم على هذا الجانب، ومشاركتهم الفعالة فيه.[321]

ولئن كان هذا حال إشارات ابن الزيات في تشوفه حول الأدوار السياسية لصلحاء دكالة خلال العصر الوسيط، فلا مناص من وقفة متأنية عند ما تضمنه منها، تكفينا للاستدلال على أدوارهم الطلائعية في تعاطيهم وتعاملهم مع السلطة السياسية تأييدا ومعارضة، وعلى دورهم في الوساطة بين الحكام والرعية، فضلا عن كونهم أصحاب رأي ومشورة ودعم لأهل الحكم، يقومون اختلالاتهم تارة، ويكبحون شطط سلطتهم تارة أخرى، بينما يزكون قراراتهم في بعض الاحيان.

وغير خاف أن صلحاء دكالة، قد حظوا بمكانة لدى أهل السلطة، فقدروهم وأولوهم اهتماما وعناية خاصة، وخصصوا لهم العطايا، فلما "جاء السلطان من مراكش إلى أغمات وريكة، زار عبد الجليل بن ويحلان وأبا محمد عبد الله الهليجي، وبعث إلى كل واحد منهما بألف دينار" [322] ، ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل خصوهم بظهائر التوقير والاحترام، كالذي بعثه الأمير علي بن يوسف بن تاشفين إلى المتصوفة الشيخ أبي عبد الله محمد أمغار سنة 527 هـ[323] يلتمس منه فيها الدعاء والبركة، كما أن الأمغاريين سبق لهم أن توصلوا بظهير خصهم به الأمير الزناتي تميم بن زيري اليفرني سنة 429 هـ[324]، كما دأب الأمير المرابطي السالف الذكر على استشارة شيخ الأمغاريين أبي عبد الله أمغار في أمهات أمور الدولة، كما حصل أثناء بناء سور مراكش.[325]

ولم تتسم علاقة السلطة السياسية بمتصوفة دكالة بالتوافق الدائم، وتطابق وجهات النظر، بل تراوحت بين المواجهة والاحتواء،[326] فقد نجدهم يتخذون مواقفا معارضا لسياسة حكامهم أحيانا، بينما يتبنون موقفا مساندا أحيانا أخرى، وهو ما اتضح أثناء افتاء فقهاء مراكش بإحراق كتاب احياء علوم الدين للامام الغزالي، فحين أفتى هؤلاء بالإحراق،أبدى أبو محمد عبد الله الهليجي (ت قبل 540 هـ) أحد متصوفة دكالة عدم رضاه، ودعا على من أفتى بذلك، فما "انقضى شهر حتى توفي جميع أولئك الفقهاء"[327]، كما تخلف الشيخ أبو عبد الله أمغار الكبير عن الاجتماع الذي دعا إليه الأمير المرابطي علي بن يوسف كافة الأولياء بمراكش، احتجاجا على الشطط الذي وقعت فيه السلطة المرابطية في تعاملها مع إحياء الغزالي[328].

ومما سلف، يبدو موقف التعاطي السياسي للمتصوفة مع العامة للحد من الشطط الذي يمارسه أهل السلطة، ومقاومة ظلمهم السياسي، فضلا عن دعوتهم إلى الوحدة السياسية، ونبذ كل أشكال الفتنة والتفرقة، كأحد أهم الأدوار

---

321 ــ الوارث أحمد، التيار الصوفي في دكالة زمن الرباطات، ص 365
322 ــ ابن الزيات، م س، ص 145.
323 ـ بوتشيش إبراهيم القادري، م س، ص 178.
324 ــ الجيراري عبد الله، "ظهير فريد .. في دولة مغراوة"، مجلة دعوة الحق، ع 2، السنة 9، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، دجنبر 1965، ص ص 90 - 91.
325 ــ بوتشيش إبراهيم القادري، م س، ص 154.
326 ـ بوتشيش إبراهيم القادري، م س، ص ص 151 - 155.
327 ــ ابن الزيات، م س، ص 145.
328 ــ الوارث أحمد، التيار الصوفي في دكالة زمن الرباطات، ص 389.

السياسية لصلحاء دكالة التي ضمنها ابن الزيات في تشوفه. فهذا أبو وزجيج يفراكس بن يسولال الدكالي (ت 540 ه)، لما اشتكى له الناس من أحد قادة الجيوش الذي يثير الفتن بين القبائل، ويهيج بينهم الحروب، دعا عليه، فما لبث حتى سجنه علي بن يوسف المرابطي، وظل سجينا الى أن قضى نحبه[329]، أما أبو شعيب السارية، فقد حال دون قتل والي أزمور لجماعة من أهل بلده، بعد أن جاءه شفيعا فيهم، وكان الوالي المذكور، إذا عزم على قتل قوم أعرض عن فعله بمجرد رؤيته[330]، وبالمثل شكا الناس لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى المعروف بأصاصاي (ت 615 ه) جور العامل، فجمع خلقا كثيرا ودعا عليه، فنكب العامل في ذلك اليوم[331]، أما أبو ينور عبد الله بن وكريس الدكالي فقد جاءه أحد أشياخ قبيلة مشتراية يستجيره من أحد عمال علي بن يوسف، الذي هدده بالقتل والصلب، وقد خرج من مراكش متوجها إلى دكالة، فدعا عليه، ولما أشرف على وصوله، أصيب بوجع أنهى حياته[332].

ويستشف من الشهادات المثبتة أعلاه، أن صلحاء دكالة، كان لهم دورا في تقويم بعض تجاوزات أهل السلطة، بما يخدم العامة التي كانت ترزح تحت وطء الضرائب والمغارم في كثير من الأحيان، وهو ما عزاه أحد الباحثين إلى نضوب موارد اقتصاد المغازي، وما ترتب عن ذلك من أزمة عميقة، طالت جميع المجالات، مما عزز من أدوار المتصوفة[333] بدكالة وعموم المغرب.

خاتمة

حظي أولياء دكالة بحضور وازن في تشوف ابن الزيات التادلي، وهو ما يفسر أهمية النشاط الصوفي بهذه المنطقة خلال العصر الوسيط.حيث قام المتصوفة بأدوار مهمة اجتماعيا وسياسيا، حيث ارتبطوا بمشاغل الناس فسعوا إلى جلب النفع ودفع السوء عنهم، وذلك من خلال توظيف مجموعة من الكرامات جعلتهم يحظون بمنزلة خاصة في صفوف العامة والخاصة من الناس.

ولئن كانت أدوارهم الاجتماعية تتمثل في حرصهم على علاج المرضى، وإطعام الطعام، والتصدق على الفقراء والأيتام، وغرس قيم المودة والرحمة، فضلا عن دورهم التعليمي والديني، فإن أدوارهم السياسية تمثلت في تعاطيهم السياسي مع أهل السلطة والحكام، تأييدا أو معارضة بما يخدم عامة الناس، فقد كان لهم دور في الحد من الشطط الضريبي للسلطة، ومقاومة الظلم السياسي، فضلا عن دعوتهم إلى الوحدة السياسية، ونبذ كل أشكال الفتنة والتفرقة.

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المصادر

329 ــ ابن الزيات، م س، ص 151.
330 ــ المصدر نفسه، ص 188
331 ــ نفسه، ص 421.
332 ــ نفسه، ص 131.
333 ــ ببوتشيش إبراهيم القادري، م س، ص 126.

- البادسي عبد الحق بن إسماعيل (ت 722هـ)، المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف، تحقيق: سعيد أعراب، ط 2، المطبعة الملكية، الرباط، 1993.
- التمنارتي أبو زيد عبد الرحمن (ت 1060هـ)، الفوائد الجمة في إسناد علوم الأمة، تحقيق: اليزيد الراضي، ط 2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2007.
- التنبكتي أحمد بابا (ت 1036هـ/1637م)، كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، دراسة وتحقيق: محمد مطيع، منشورات وزارة الوقاف والشؤون الاسلامية، المملكة المغربية، 2000، ج 2.
- التنبكتي أحمد بابا، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تقديم: عبد الحميد عبد الله الهرامة، ط 1، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ليبيا، 1989.
- الزركلي خير الدين، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ط 15، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ماي 2002، ج 8.
- ابن الزيات أبو يعقوب يوسف بن يحي التادلي (627 أو 628 هـ)، التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تحقيق: أحمد التوفيق، ط1، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسة بحوث ودراسات رقم 22، 1984.
- السيوطي جلال الدين عبد الرحمن (ت 911 هـ)، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط 1، مطبوعات مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، 1965، ج 2.
- الغبريني أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله (ت 714 هـ)، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق: عادل نويهض، ط 2، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1979.
- الفيروزآبادي مجد الدين محمد بن يعقوب (ت 817 هـ)، البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، تحقيق: محمد المصري، ط 1، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 2000.
- القادري محمد بن الطيب (ت 1187هـ/1773م)، نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، تحقيق: محمد حجي وأحمد التوفيق، ط 1، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مكتبة الطالب، الرباط، 1981، ج 2.
- ابن قنفد أبو العباس أحمد الخطيب القسطنطيني (ت 810 هـ)، أنس الفقير وعز الحقير، اعتنى بنشره وتصحيحه: محمد الفاسي وأدولف فور، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، 1965.

. الكتاني عبد الله محمد بن جعفر بن إدريس (ت 1345هـ)، سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، تحقيق: عبد الله الكامل الكتاني وآخرون، ط 1، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، 2004، ج 1.

. مخلوف محمد بن محمد (ت 1360هـ/1942م)، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، المطبعة السلفية، القاهرة، 1349هـ.

. ابن مريم أبو عبد الله محمد بمن محمد بن أحمد (ت 1014 هـ)، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1908.

. ابن المؤقت محمد بن محمد بن عبد الله المراكشي (ت 1369 هـ)، السعادة الأبدية في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية، مراجعة وتعليق: أحمد متفكر، ط 3، منشورات مؤسسة آفاق للدراسات والنشر والاتصال، مراكش، 2011.

ثانيا: المراجع والدراسات بالعربية

. أفزاز محمد، "الطرقية بالمغرب: انحرافات فكرية سياسية واقتصادية"، دورية كان التاريخية، ع 8، 2010. (ص 79. 85).

. بوتشيش إبراهيم القادري، المغرب والأندلس في عصر المرابطين: المجتمع. الذهنيات. الأولياء، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت،1993.

. بوشرب أحمد، دكالة والاستعمار البرتغالي إلى سنة إخلاء آسفي وأزمور (. قبل 28 غشت 1481 ـ أكتوبر 1541)، ط1، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1984.

. الجيراري عبد الله، "ظهير فريد .. في دولة مغراوة"، مجلة دعوة الحق، ع 2، السنة 9، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، دجنبر 1965. (ص 90. 91).

. الحسيني عبد الله، "التصوف وأهل التصوف في دكالة"، ضمن أعمال اليوم الدراسي: رباطات وزوايا في المغرب، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالجديدة، 2004. (ص 236. 254).

. زمامة عبد القادر، "دكالة في تاريخ المغرب، مجلة دعوة الحق، ع 2، السنة 23، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، أبريل 1982. (ص 25. 31).

. الشادلي بهيجة وأمين لبدادي، "تفاعل المتصوفة مع المجال البحري بالمغرب الوسيط: ملاحظات ومظاهر وأسباب"، مجلة ليكسوس، ع 38، أبريل 2021. (ص 28. 44).

. المازوني محمد، " قضية الأمغاريين كمتصوفة وأشراف من خلال كتاب بهجة الناظرين للأزموري"، ضمن: محطات في تاريخ المغرب الفكري والديني، منشورات كلية الآداب عين الشق، الدار البيضاء، 2000. (ص 131. 150).

. الوارث أحمد، التيار الصوفي في دكالة زمن الرباطات، ط 1، منشورات المجلس العلمي المحلي للجديدة، 2011.

. الوارث أحمد، "رباط تيط في دكالة: تاريخ وعمارة"، ضمن أعمال اليوم الدراسي: رباطات وزوايا في المغرب، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالجديدة، 2004. (ص 33. 63).

هشاشة التغطية المجالية من التجهيزات والخدمات التعليمية ونتائجها السوسيو-مجالية: دراسة لبعض الجماعات الترابية في الأطلس المتوسط الشمالي الشرقي، جنوب تازة، المغرب

The vulnerability of the spatial coverage of educational equipment and services and its socio-spatial consequences: study of some local authorities in the Northeast of the Middle Atlas, South of Taza, Morocco.

محمد المرصعي: طالب باحث، مختبر دينامية الأوساط الجافة، الإعداد والتنمية الجهوية ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية وجدة، المغرب.
عبد القادر اسباعي: أستاذ التعليم العالي، مختبر دينامية الأوساط الجافة، الإعداد والتنمية الجهوية ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية وجدة، المغرب.
البريد الإلكتروني : mohammed.elmrisi@ump.ac.ma

ملخص:

يكتسي موضوع التغطية المجالية من البنية التحتية الأساسية وفي مقدمتها البنية التعليمية، من مؤسسات وتجهيزات، أهمية بالغة في المجالات القروية المغربية، في الوقت الذي أصبح من اللازم الحديث عن جودة خدماتها وأدوارها في الرقي بالرأسمال البشري، حيث يصب في مسلسل تنميتها وتجاوز مظاهر تأخرها السوسيو-مجالي.

خلصت الدراسة إلى ضعف التغطية المجالية من البنيات والتجهيزات التعليمية قي مجال الدراسة، خاصة منها المرتبطة بالسلك الثانوي التأهيلي، مما أضعف العرض المدرسي وغيّب التشجيع على التمدرس، كما تأكدت العلاقة بين ضعف التجهيزات والبنيات التعليمية وانعكاساتها السوسيو-مجالية.

الكلمات المفاتيح: الهشاشة، التغطية المجالية، البنية التحتية التعليمية، الانعكاسات السوسيو-مجالية، الرأسمال البشري.

Abstract

The issue of spatial coverage of basic infrastructure, especially the educational infrastructure, including institutions and equipment, is still of great importance in Moroccan rural areas, at a time when it has become necessary to talk about the quality of its services and its roles in advancing human capital, as it contributes to the process of its development and overcoming its sociological aspects.

The study concluded that there was a weak spatial coverage of educational structures and equipment in the field of study, especially those related to the secondary rehabilitative field; which weakened the school offer and results in the lack of encouragement to study. The relationship between the weakness of educational facilities and structures and their socio-spatial implications were confirmed.

Key words: vulnerability – Spatial Coverage – Educational Infrastructure –socio-spatial Implications – Human capital.

مقدمة

يشكل التعليم أساس نهضة الأمم وتقدم مجتمعاتها، ولبنة من لبنات التنمية البشرية ومؤشرا على العدالة المجالية والاجتماعية. وعلى هذا الأساس، خُصّص له في المغرب "موارد بشرية ومالية مهمة، وعرفت ميزانية هذا القطاع زيادة بنسبة

10 % بين سنتي 2016 و2020، حيث انتقلت من 56 مليار درهم إلى أكثر من 72 مليار درهم، وبذل مجهودا كبيرا في بناء المؤسسات التعليمية"[334]، كما رافق ذلك الاهتمام بالجوانب الاجتماعية للمتمدرس من منح ومطاعم مدرسية وداخليات ونقل مدرسي، بالإضافة إلى حملات الدعم بالأدوات المدرسية، كلها إجراءات تصب في التقليل من الهشاشة المُسببة للهدر المدرسي وعدم الالتحاق بالمؤسسات التعليمية، وتحسين جودة الخدمات التعليمية.

نسعى في هذه الورقة إلى تسليط الضوء على العرض التربوي بأسلاكه الثلاث بالجماعات الترابية المدروسة، مع التركيز على أهمية التغطية المجالية وظروف التمدرس وجودة الخدمات التعليمية المقدمة، والاهتمام بمختلف الانعكاسات السوسيو-مجالية التي تتسبب فيها هشاشة التغطية المجالية، مع الوقوف على أهم العوامل التي تحول دون الاستفادة منها وتصب في تعميق الفوارق السوسيو-مجالية، على اعتبار أن البنية الأساسية التعليمية وسهولة الولوج إليها ومدى جودة الخدمات المقدمة فيها، مُنطلق أي رهان يروم إلى إصلاح التعليم، ومؤشر أساسي لقياس مدى تطوره، وصولا إلى انعكاسات التغطية المجالية وضعف الخدمات التعليمية التي تم رصدها ومدى تأثيرها على التنمية البشرية. فالخسارة الناتجة عن الفوارق الاجتماعية المجالية المرتبطة بالتعليم لا يمكن حصرها، وقد قدرها تقرير برنامج الأمم المتحدة الإنمائي حول التنمية البشرية في المغرب ب 46 %، بما يقدر ب 300 مليار درهم، وهي نسبة كبيرة إذا ما قورنت بحجم الاستثمارات التي يمكن توظيفها لرفع العديد من الإكراهات التي يعاني منها هذا القطاع، والتي تتمثل أساسا في حكامة التدبير وتجويد الخدمات بالإضافة إلى تحسين التغطية المجالية من المؤسسات في العالم القروي.

I. منهجية وأدوات الدراسة

I.1. البنية التحتية التعليمية وتوزيعها بمجال الدراسة

عرف مجال الدراسة اهتماما بقطاع التعليم في السنوات الأخيرة، ضمن البرامج والتوجهات التي عرفها إصلاح القطاع بشكل عام على المستوى الوطني والأولية التي أعطيت فيه لتعميم التعليم بالمجال القروي. وقد ساهم ذلك في تحسّن العرض المدرسي مع ازدياد الإقبال على المدرسة، فيما عرقلت الهشاشة السوسيو-مجالية التي يتميز بها المجال المدروس منحى التطور.

I.1.1. مجال جبلي شاسع تطبعه الهشاشة السوسيو-مجالية

يتكون التقسيم الإداري لمجال الأطلس المتوسط الشمالي الشرقي من عدة جماعات ترابية، منها جماعات دائرة تاهلة (بويبلان –تازرين-مغراوة- الصميعة-الزرارة)، وجزء من دائرة تازة المتمثلة في (جماعة باب بودير وكلدمان)، وجزء آخر تابع لدائرة واد أمليل (بوشفاعة)، تمثل "مساحته ما يفوق 2089 كلم^2، وتستقر به حوالي 56335 نسمة"[335].

اقتصرت الدراسة على خمس جماعات ترابية من أصل عشرة، مكونة للمجال الطبيعي للأطلس المتوسط الشمالي الشرقي، وهي جماعة باب بودير ومغراوة وبويبلان وتازرين وكلدمان (خريطة رقم1). وقد تم التركيز عليها لكونها عرفت نفس الدينامية المجالية والبشرية التي عاشها الأطلس المتوسط الشمالي الشرقي، ويمكن اعتبارها المختبر الذي سننظر من خلاله على كل مجال الأطلس المتوسط الشمالي الشرقي، انطلاقا من نماذج الدواوير المعنية بالاستمارة الميدانية.

[334] - عبد الكريم اوكيناز ولحسن نبيل، الولوج إلى التجهيزات والخدمات التعليمية الأساسية بحوض واد أوريكا، الأطلس الكبير الغربي، مجلة جغرافية شمال المغرب، العدد 29- 30، دجنبر 2021، ص 6.

[335] - حساب المساحة بواسطة الأرك جيس، ومعطيات الإحصاء العام للسكن والسكنى 2014.

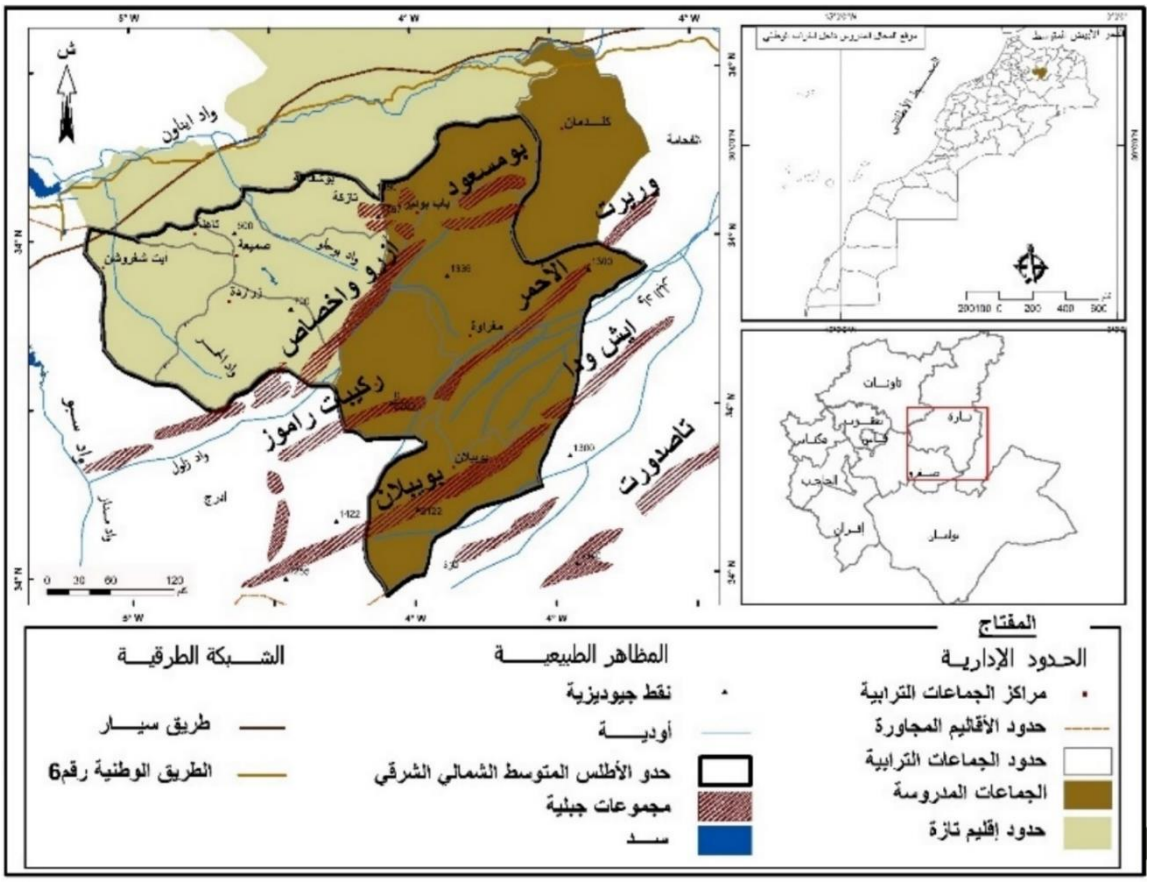

المصدر: الخرائط الطبوغرافية للمجال50000 /1 و100000 /1، وخريطة التقسيم الترابي الإقليمي والجهوي.

خريطة رقم 1 : مجال الدراسة داخل حدوده الطبيعية والإدارية

تمتد الحدود الطبيعية للأطلس المتوسط الأوسط الشمالي الشرقي، بشكل لا يتناسب مع الحدود الإقليمية كما يظهر في الخريطة، وقد تم التركيز على مجال الأطلس المتوسط الأوسط الشمالي الشرقي الذي يدخل ضمن حدود إقليم تازة. وكانت خلفية هذا التحديد هو المؤشرات الإحصائية التي تم الاعتماد عليها، كونها متوفرة حسب التقطيع الإداري، فما كان منا إلا الحفاظ ما أمكن على التقسيم الإداري دون إهمال التقسيم المجالي الطبيعي كمنطلق لاختيار مجال الدراسة في البحث الجغرافي، مع استحضار خصوصية كل منطقة داخل هذا المجال الذي اصطفيناه أرضية للبحث.

I.2.1. تطور الطلب على التجهيزات والخدمات التعليمية بمجال الدراسة

نلمس في المجال المدروس، بموازاة الجهود المبذولة للتشجيع على التمدرس، من خلال توسيع العرض من الخدمات المدرسية، عن طريق الاهتمام بالبنية التحتية التعليمية وتوسيع خدماتها، تطورا في عدد المتمدرسين خاصة في المستوى الابتدائي، مع تبيان مجالي في التطور بين الأسلاك التعليمية الثلاثة (جدول رقم 1).

جدول رقم 1 : تطور عدد المتمدرسين من 2015 إلى 2022 بالأطلس المتوسط الشمالي الشرقي

الجماعات الترابية	عدد المتمدرسين في الأسلاك الثلاثة 2015/2014	عدد المتمدرسين في الأسلاك الثلاثة 2019/2018	عدد المتمدرسين في الأسلاك الثلاثة 2021/2022

	الابتدائي	الإعدادي	الثانوي	الابتدائي	الإعداد ي	الثانو ي	الابتدائي	الإعدادي	الثانو ي
باب بودير	450			443			461		
كلدمان	2401	565		2350	613		2339	623	
مغراوة	853	357		750	443		793	368	
تازرين	260			270			250		
بويبلان	221			212			196		
المجموع	4185	922	0	4025	1056	0	4039	991	0

المصدر: معطيات مديرية التربية الوطنية بتازة+ البحث الميداني.

تَطَوَّرَ العدد الإجمالي للمتمدرسين بشكل متباين بين الجماعات المدروسة، في الفترة الممتدة ما بين 2015 و2022، حيث يمكن تصنيف التباينات العددية إلى مجموعتين:

المجموعة الأولى: عرفت ارتفاعا نسبيا ولو ضعيفا في عدد المتمدرسين، وتمثلها كلدمان وباب بودير، القريبتين من المراكز الحضرية لتازة وتاهلة، حيث انتقل عدد تلاميذ السلك الابتدائي بباب بودير من 450 تلميذ إلى 461 سنة 2022، وكلدمان من 2401 إلى 2339 في نفس الفترة. وبخصوص المستوى الإعدادي ارتفعت الأعداد بنفس الوتيرة في كلدمان، أما بباب بودير فلا وجود للسلك الثانوي الإعدادي.

المجموعة الثانية: تمثلها كل من بويبلان وتازرين ومغراوة. فقد عرفت انخفاضا في عدد المتمدرسين سواء بالنسبة للابتدائي أو حتى الثانوي الإعدادي بالنسبة لمغراوة. وتمثل بويبلان الجماعة التي عرفت أكبر تناقص لعدد المتمدرسين من 2014 إلى 2022، حيث انخفض عدد المتمدرسين من221 إلى 196 متمدرس فقط.

وعلى العموم، يبقي عدد المتمدرسين بمجال الدراسة مستقرا عدديا، إذ انتقل من 4185 متمدرس في السلك الابتدائي و922 متمدرس بالسلك الإعدادي سنة 2015، إلى 4025 بالسلك الابتدائي و1056 بالإعدادي سنة 2018، ثم إلى 4039 في السلك الابتدائي و991 بالسلك الإعدادي، بزيادة طفيفة جدا تقدر ب 9 تلاميذ في السلك الابتدائي، ونقص أكثر من 66 تلميذ في السلك الإعدادي في مدة لا تزيد عن خمس سنوات.

ا.2. التغطية المجالية وحدود إشعاع الخدمات التعليمية الأساسية في مجال الدراسة

عرف مجال الدراسة إحداث العديد من الوحدات المدرسية التي همت بالخصوص التعليم الابتدائي، لكنها لم تستطع التخفيف من هشاشة منظومة التعليم بالمنطقة، بل أفرزت العديد من الصعوبات، أبرزها ضمان الولوجية والتحكم في مجال إشعاع المرافق التعليمية.

هذا وتتفق معظم الدول على استعمال قاعدة معيارية تتحدد بها معايير توطين المؤسسات الاجتماعية، وهي الولوجية ومساحة القطعة وعتبة الساكنة المستفيدة. والمغرب من بين الدول التي تشتغل وفق هذا النظام، وإن كان على أرض الواقع، يكتفي بتطبيق معياري مساحة القطعة وعتبة الساكنة المستفيدة، في حين أن المعيارين الآخرين: التوطين والولوجية، يبقيان حبيسين في الوثائق، أو أنه يطبق من طرف بعض المؤسسات دون أخرى[336].

ا.1.2. التغطية المجالية لمؤسسات التعليم الأولي

[336] - عبد الكريم اوكيناز ولحسن نبيل، الولوج إلى التجهيزات والخدمات التعليمية الأساسية بحوض واد أوريكا، الأطلس الكبير الغربي، مجلة جغرافية شمال المغرب، العدد 29- 30، دجنبر 2021، ص8.

يعد التعليم الأولي سلكا مهما، نظرا لحساسية سن الفئة المقبلة على التعليم الأولي. فهو المستوى الذي يفرض تغطية مجالية عالية بالإضافة إلى أهمية الخدمات المقدمة، لكونه منطلقا أساسيا في استمرارية المشوار الدراسي، لهذا وضعته إستراتيجية إصلاح منظومة التعليم في المغرب، على رأس قائمة الأولويات، فما نصيب مجال الدراسة من مؤسسات التعليم الأولي (جدول رقم 2)؟

جدول رقم2 : بنية التعليم الأولي المهيكل بمجال الدراسة

الجماعات الترابية	عدد الوحدات	عدد التلاميذ		الأقسام
		المجموع	الإناث	
كلدمان	1	21	8	2
مغراوة	1	20	7	2
المجموع	2	41	15	4

المصدر: معطيات مديرية التربية الوطنية بتازة + البحث الميداني.

يتوفر مجال الدراسة على وحدتين للتعليم الأولي المهيكل في كل من مغراوة وكلدمان المركز، تضم كل واحدة منهما حجرتين دراسيتين، تستقبل وحدة كلدمان21 طفلا من بينهم ثمان إناث، بينما استقبلت وحدة مغراوة 20 طفلا من بينهم سبع إناث خلال الموسم الدراسي 2022-2023، حيث يبقى عدد الإناث قليلا مقارنة مع عدد الذكور. وتؤدي قلة وحدات التعليم الأولي وضعف تغطيتها مجاليا، إلى عدم استفادة جل أطفال مجال الدراسة من خدماتها، فيما يلجأ أغلب الأطفال إلى المساجد كاستمرارية للتشبث بالكتاتيب كمرافق تقليدية للتعلم، أو يستفيدون في إطار مبادرات شبابية فردية من خلال جمعيات ذات أهداف تعليمية، كجمعية النماء للتنمية ومحاربة الأمية.

I.2.2. التغطية المجالية من الأسلاك التعليمية الثلاث الأساسية

عرفت بنيات مؤسسات التعليم الابتدائي تطورا مهما، ساهم في تغطية مجالية لكامل التراب المدروس، بالرغم من توزيعها غير المتكافئ، ليضم مجال الدراسة 14 مؤسسة للتعليم الابتدائي، تتركز غالبيتها في مراكز الجماعات، إذ يضم مركز مغراوة مدرستين من أصل 4 متواجدة بالجماعة، كما يتفرع عن المؤسسات المركزية عدد من الفرعيات تتواجد بدواوير معزولة ومشتتة (خريطة رقم 2)، لتقريب الخدمات من المتعلمين.

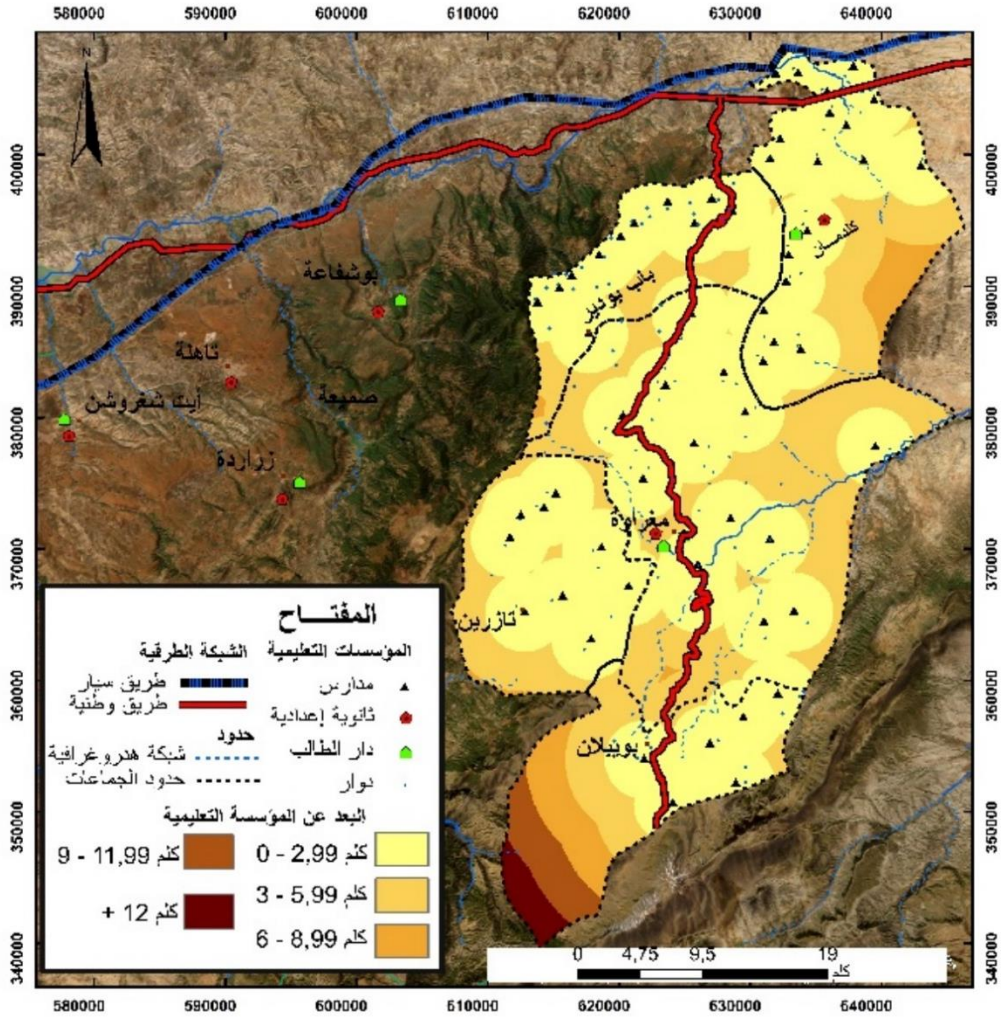

المصدر: معطيات مديرية التربية الوطنية بتازة+ البحث الميداني.

خريطة رقم 2 : خريطة المؤسسات التعليمة للأسلاك الثلاث وتغطيتها للمجال المدروس

تطرح مسألة توطين المدارس إكراهات كبيرة، نظرا لشساعة المجال الجغرافي للجماعات وتشتت الساكنة بالدواوير، لهذا نجد عدد الفرعيات يفوق عدد المركزيات، فمدرسة بويبلان بمركز الجماعة تتفرع عنها 6 فرعيات، ويضم مركز كلدمان 5 مدارس مركزية مقابل 19 فرعية. ويصل مجموع الفرعيات في المجال المدروس 46 فرعية مقابل 14مركزية. ويبلغ عدد أطر التدريس على مستوى الجماعات الخمس المدروسة من الأطلس المتوسط الشمالي الشرقي في السلك الابتدائي 190 مدرس، بمعدل أستاذ لكل 22 تلميذ، وهو معدل محترم إذا ما قورن بعدد التلاميذ لكل مدرس، الذي يصل إلى 36 تلميذ، بالنسبة لأقرب تجمع حضري (تازة).

تتوفر جماعتي كلدمان ومغراوة على إعدادية مع داخلية تستقبل التلاميذ الذين يأتون من الدواوير البعيدة، بطاقة استيعابية تصل إلى 40 تلميذ وتلميذة، يشرف على عملية التدريس 23 مدرس بإعدادية ابن المقفع بكلدمان و14 مدرس بإعدادية مغراوة. وإذا عززت هذه البنية العرض المدرسي في الثانوي الإعدادي بالمجال المدروس، وقلصت من الهدر المدرسي وخففت من تنقل التلاميذ لإكمال الدراسة بعيدا عن الأسر، فإن هذه المجهودات لا تعدو سوى تأخيرا للمعاناة التي تواجه المتمدرسين في السلك الثانوي التأهيلي، مادام أن هناك غيابا تاما للثانويات بمجال الدراسة، حيث متوسط البعد عن الثانويات يقدر ب20 كلم.

جدول رقم 3 : نسب الدواوير المستفيدة من التغطية المجالية من المؤسسات التعليمية بالأسلاك الثلاثة حسب معيار المسافة وعدد السكان

الجماعات الترابية	نسب الدواوير المستفيدة من التغطية المجالية من المؤسسات التعليمية بالأسلاك الثلاث					
	معيار عدد السكان			معيار المسافة		
	الابتدائي	الإعدادي	الثانوي	الابتدائي	الإعدادي	الثانوي
باب بودير	62	0	0	46	0	0
كلدمان	76	82	0	70	17	0
مغراوة	56	90	0	31	12	0
تازرين	55	0	0	52	0	0
بويبلان	30	0	0	16	0	0
المجموع	279	172	0	215	29	0

المصدر: نتائج التحليل المجالي ببرمجية الأرك ماب.

خلصنا، انطلاقا من المعيار الأكثر اعتمادا في توطين المؤسسات التعليمية والمتمثلة في المسافة وعدد السكان، وبالاستعانة بالتحليل المجالي الذي تتيحه برمجيات نظم المعلومات الجغرافية والبحث الميداني، إلى النتائج التالية:

بالنسبة للتعليم الابتدائي: يستفيد 70% من الدواوير، بتواجد مؤسسة تعليمية ابتدائية على بعد أقل من 2 كلم حسب معيار كثافة السكان، وتقل هذه النسبة حسب معيار المسافة إلى 52% من الدواوير. ولكن على العموم يمكن اعتبار نسب الدواوير المستفيدة داخل كل جماعة مُرضِية، حيث تعتبر التغطية المجالية للمؤسسات الابتدائية في مجال الدراسة جيدة وتسمح بولوجية أعداد مهمة من أطفال ساكنة المنطقة للتعليم الابتدائي. ولكن المشكل الذي يعاني منه هذا السلك، يتمثل في هشاشة التموضع المجالي للمؤسسات التعليمية، إذ غالبا ما تتواجد الفرعيات في مواقع طبوغرافية صعبة، في المنخفضات بالقرب من الأودية أو معلقة في قمم الجبال، وقد يتواجد بعضها في سفوح شديدة الانحدار.

بالنسبة للسلك التأهيلي بمستوييه الإعدادي والتأهيلي، فالدواوير المستفيدة من التغطية المجالية حسب معيار السكان من المؤسستين الإعداديتين المتواجدتين تصل إلى 50%، بينما تصل إلى 19% حسب معيار المسافة. وفي مستوى الثانوي التأهيلي، فالجماعات الخمس المدروسة لا تتوفر على ثانوية تأهيلية، مما يجعل نسبة الدواوير المستفيدة تصل إلى 0%، ويجعل التلاميذ ممن حالفتهم ظروف أسرهم يتنقلون إلى المراكز الحضرية المجاورة، حيث يتجه أغلب تلامذة كلدمان ومغراوة وباب بودير إلى مدينة تازة، في حين يتجه تلاميذ تازرين وبويبلان إما إلى رباط الخير أو تاهلة، ومنذ 2021 إلى الجماعة الترابية الصميعة، أين تعزز العرض المدرسي ببناء ثانوية تأهيلية.

I.3.2. التغطية من التجهيزات الاجتماعية التربوية: مطاعم مدرسية، دار الطالبة، الداخليات

تساهم التغطية المجالية من التجهيزات الاجتماعية التربوية الملحقة بالبنية التحتية التعليمية، إما في تشجيع الإقبال على المدرسة أو النفور منها في المناطق الهشة والفقيرة لدواع ثقافية واجتماعية، بحيث يؤدي "عدم ربط المؤسسات

التعليمية بالماء والكهرباء والمطاعم ودور الإقامة، إلى إفراغ المدرسة من زبائنها خاصة الإناث. وما يساهم في تأزم واقع المؤسسات التعليمية القروية، هو عدم انخراط الفرقاء والأطراف الفاعلة"[337].

يتم الإطعام المدرسي بمجال الدراسة في مستويين: الأول يتمثل في إنجاز وتقديم الإطعام المدرسي في فضاءات متعددة لانعدام بنيات خاصة بالإطعام، وهو ما ينطبق على خدمات الإطعام في جل مؤسسات التعليم الابتدائي. والمستوى الثاني يرتبط ببنيات الإطعام، من قبيل المطعم ودار الطالبة، في المستوى الإعدادي، بكل من مغراوة وكلدمان (جدول رقم 4).

جدول رقم 4 : بنية الإطعام المدرسي بمجال الدراسة

مجموع المستفيدين		مكان الإطعام		الجماعات الترابية
إعدادي	ابتدائي	إعدادي	ابتدائي	
	384		حجرة	باب بودير
	257		حجرة	تازرين
243 منهم 12+ إناث	685	مطعم داخلية +مطعم دار الطالب	حجرة	مغراوة
278 منهم 150 إناث	214	مطعم دار الطالب+ مطعم مدرسي	آخر	بويبلان
	1814		حجرة	كلدمان

المصدر: معطيات مديرية الترابية الوطنية بتازة+ البحث الميداني.

يتبين من المعطيات المتعلقة بالإطعام المدرسي بالسلكين الابتدائي والإعدادي، أن الاستفادة منه تتم بشكل غير متكافئ لا على مستوى الأطلس المتوسط الشمالي الشرقي بشكل عام، ولا بين الجماعات المدروسة وبين المدارس (المركزيات والفرعيات)، "لذلك تعتبر جماعة مغراوة وباب بودير وتازرين وبويبلان المجالات التي تُكْرَهُ على تقبل ما تبقى عن المركز، إنها المجالات التي تأتي من الدرجة الثانية"[338].

أما بالنسبة لدار الطالب في مجال الدراسة، فهي تتواجد في كل من كلدمان ومغراوة، وتقدم خدمات الإيواء والمأكل، وتستقبل التلاميذ من الدواوير البعيدة إناثا وذكورا، وتعطي الأولوية في الاستقبال إلى التلاميذ الأكثر هشاشة، كما يمتد مجال إشعاعها إلى الجماعات الترابية الأخرى، بحيث تستقبل دار الطالب بكلدمان التلاميذ من باب بودير ومغراوة، بينما تستقبل دار الطالب في مغراوة تلاميذ تازرين وبويبلان.

I.3. منهجية وأدوات الدراسة

عمدنا إلى مقاربة إشكالية هشاشة التغطية المجالية من التجهيزات والخدمات التعليمية ونتائجها السوسيو-مجالية، بأدوات منهجية متكاملة فيما بينها ساعدت على إنجاز الدراسة، تتمثل في الملاحظة والمقابلة والاستمارة ونتائج التحليل المجالي لبرمجيات نظم المعلومات الجغرافية، بعد تناول مختلف الإنتاجات والكتابات التي اهتمت بالموضوع بالدراسة والمقارنة:

ثم الاعتماد على المنهج الاستقرائي عند الانطلاق من عناصر قابلة للملاحظة لاعتماد جزيئاتها في الاستدلال عن جوهر المسألة التعليمية، ثم المنهج الاستنباطي للانتقال من الوعي بأهمية التمدرس في المجالات الهشة، لتفسير امتدادها في

[337] - مقبوب، مرجع سابق ص 45.
[338] - نفسه، ص 49.

المجال، وإلى جانب هاذين المنهجين تم الاعتماد على المنهج التاريخي، لتفسير بعض القضايا السوسيومجالية، من منطلق أن مجال الدراسة عرف العديد من التحولات عبر مراحل ومحطات تاريخية مختلفة.

بالإضافة إلى المناهج السالفة الذكر، تم الاعتماد على المنهجين الوصفي الكمي في مختلف محطات الدراسة، انطلاقا من نتائج الاستمارة الميدانية والمعطيات الرسمية. أما المنهج التحليلي، فاعتمد عليه في جمع البيانات مع عرضها على شكل مبيانات، وقد انضبطت كل المناهج السابقة لخطوات المنهج العلمي الذي ينطلق من الملاحظ التجريبية ثم الاستنتاج.

وقد تم التركيز على نتائج الاستمارة الميدانية التي وزعت في إطار الإعداد لأطروحة الدكتوراه بنفس المجال، والتي شملت في قسم مهم منها، أسئلة حول مسألة التعليم باعتباره مظهرا من مظاهر الهشاشة، أستهدفت بها ساكنة متواجدة ب 10 دواوير بما يناهز دوارين في كل جماعة، مكنت من استجواب ما يقارب 780 أسرة أي بنسبة 12.66 % من مجموع أسر الجماعات المدروسة، فكانت نسبة الثقة في العينة المختارة حوالي" 95% بالمائة في إطار هامش خطأ محدد في 3 بالمائة "[339]

.

بالنسبة لبرمجية نظم المعلومات الجغرافية، فتم الاعتماد عليها، في المرحلة الأولى، لتوطين المدارس والبنيات الاجتماعية، وفي المرحلة الثانية، لتحديد التغطية المجالية للمؤسسات التعليمية، حسب خاصية **euclidien distance** من محفظة الأدوات **Arc toolbox**، وتصنيف الدواوير حسب مؤشر المسافة ومؤشر السكان ومؤشر كثافة الدواوير، انطلاقا من خاصية **Raster calculateur** في برنامج **Arc Map**.

II. نتائج ومناقشة

II.1. هشاشة الولوجية ونتائجها

يتبين من خلال ما سبق، أن التغطية المجالية من البنيات التحتية التعليمية والاجتماعية المرافقة لها، تطرح عائقا أمام الولوجية والاستفادة من الخدمات التعليمية، وتنتج عنها انعكاسات، تتمثل بالأساس في ارتفاع معدلات الهدر المدرسي واستمرار ضعف تعليم الفتيات، كما تؤثر على إنفاق الأسر مما يسبب في الهجرة والإفراغ المجالي.

II.1.1. استمرارية الهدر المدرسي بسبب صعوبة البعد المجالي للمؤسسات التعليمية

يشكل الهدر المدرسي مشكلا حقيقيا يعرقل الجهود المبذولة لتعميم التعليم بالعالم القروي، وهو نتاج للعوامل المركبة التي تعيق الاستمرار في التمدرس. ويرتبط في مجال الدراسة بالظروف الاجتماعية للأسر التي تصبح معها غير قادرة على مواكبة تكاليف التمدرس المتزايدة خاصة منها مصاريف التنقل، بسبب ضعف التغطية المجالية من البنية التحتية، حيث يفرض إتمام الدراسة في السلك الثانوي نفقات التنقل والإقامة. ويسجل بذلك مجال الدراسة أعدادا مهمة من المتخلين عن الدراسة خلال الأسلاك الثلاثة. فقد سجلت بويبلان انسحاب 13 تلميذا ومغراوة 21، فيما ينخفض المعدل في كل من جماعة باب بودير وكلدمان اللتان تجاوران المركز الحضري لتازة.

يرتفع الهدر المدرسي في السلك الثانوي مع غياب المؤسسات الدراسية للتعليم التأهيلي، هذا ما جعل بعض الجماعات تلتجئ إلى النقل المدرسي (الجدول رقم 5)، لكن بوضعيته الراهنة لا يشكل حلا لبعد المدرسة عن التلميذ، بل يفاقم في بعض الأحيان التفاوتات الاجتماعية والمجالية، ويشكل في أحيان أخرى مجالا للاستغلال الانتخابي والصراع الفئوي.

جدول رقم 4 : عدد المستفيدين من النقل المدرسي برسم السنة الدراسية 2021.

[339]- تم الاعتماد في حساب هذه القيم على برنامج إحصائي على شبكة الأنترنت، موقعه https://fr.checkmarket.com/calculateur-taille، تاريخ الاطلاع، 3 يناير 2019.

الجماعات	عدد المتمدرسين	عدد المستفيدين من النقل المدرسي		
		ذكور	إناث	المجموع
باب بودير	461	58	32	90
تازرين	250	14	2	16
مغراوة	1161	108	95	203
بويبلان	196	0	0	0
كلدمان	2962	183	172	355
المجموع	5030	363	301	664

المصدر: معطيات مديرية التراببة الوطنية بتازة+ البحث الميداني.

يعتبر عدد المستفيدين من النقل ضعيف جدا بالمقارنة مع الطلب على التنقل من طرف المتمدرسين، الذي يبلغ عدهم داخل المجال 5030 تلميذ وتلميذة في الأسلاك الثلاثة. وتلامذة كلدمان هم الأكثر استفادة من النقل المدرسي بنسبة 53.46% من مجموع المستفيدين، فيما تبلغ نسبة الاستفادة في تازرين 2.4 % و 0 % ببويبلان. وتعيق عملية الاستفادة من النقل المدرسي هشاشة المسالك وقلة وسائل النقل. ومن جهة أخرى، نجده منعدما في بعض الجماعات كالجماعة التراببة لبويبلان التي يتنقل فيها جل التلاميذ لمسافات طويلة تقدر في بعض الدواوير إلى ساعتين مشيا ذهابا وإيابا، بينما يعود ارتفاع عدد المستفيدين من الجماعة التراببة كلدمان، لتواجد العديد من جمعيات النقل المدرسي التي تشرف على نقل التلاميذ من الدواوير إلى الإعدادية، أو من الدواوير إلى الإعداديات والثانويات بتازة، بتكلفة لا تروق لأغلب الأسر الهشة.

II.1.2. ضعف تعليم الفتات

تحول مجموعة من العوائق دون تمدرس فتيات هذه المنطقة (الجدول رقم 6)، وتختلف الدوافع من أسرة إلى أخرى، حسب تعليم الأب وإمكانياته الاقتصادية، وكذلك التغطية المجالية من مؤسسات التعليم والبنية الاجتماعية المرتبطة بها.

الجدول 6: نسبة الفتيات المرسلة لخوض تجربة التمدرس ببعض دواوير مجال الدراسة

الجماعة	الدوار	عدد الأسر	عدد الأبناء من الإناث	عدد الإناث التي سبق إرسالهن إلى المدرسة	نسبة إرسال الفتيات إلى التمدرس
مغراوة	تلاجدوت	200	592	295	50
	تمورغوت	62	184	91	50
كلدمان	ايديسان	45	109	54	50
	كراشحة	230	557	278	50
باب بودير	أدمام	76	189	93	50
بويبلان	تانكرارمت	50	157	78	50

المصدر: معطيات المندوبية السامية للتخطيط الخاصة بالدواوير حسب إحصاء 2014+معطيات مديرية التربية الوطنية بتازة+ البحث الميداني.

أفرز البحث الميداني أن الفئة التي تكمل الدراسة من مجموع المتمدرسين، غالبا ما تكون من الذكور، ونصف عدد فتيات الدواوير المدروسة عكس ذلك، مما يبين استمرارية ظاهرة الأمية في صفوف نساء المنطقة، إذ رغم المجهودات التي بذلت في مجال تعليم المرأة ومحو الأمية في صفوفها، مازالت النسب لا تتطور بشكل إيجابي كما هو الشأن بالنسبة للرجل، كما أن ظروف إرسال فتيات المنطقة للدراسة، تحكمها رواسب "اجتماعية تقليدية" تمنع المرأة من التعلم خوفا من حدوث مس لشرفها وإلحاق "العار" بالأسرة، بالإضافة إلى فقر الأسر وتركيزها على الاستثمار في الذكر أكثر من الأنثى.

II.3.1. ارتفاع تكاليف نفقات الأسر الهشة بسبب ضعف التغطية المجالية والمساعدة الاجتماعية

يثقل الإنفاق على التعليم كاهل الأسر (الجدول رقم 6)، لاسيما إذا تضافرت كثرة الإنفاق مع قلة مداخيل الأسر، إذ تشكل الحالة الاجتماعية للأسر عاملا حاسما في تعليم الأبناء. ونظرا لهشاشة الأسر وظروفها الصعبة، يقع المتمدرس نفسه تحت ضغط اعتراض الأب على نفقات التمدرس، والتماطل في أدائها في "انتظار الدعم الذي صار مطلبا أساسيا في كثير من المناطق، خصوصا في سياق انتشار ثقافة الدعم والمساندة الاجتماعية"[340].

جدول رقم :5 درجة تأثر الأسر ببعض المصاريف العائلية في الدواوير المدروسة

نوع المصاريف	تأثير ضعيف	تأثير متوسط	تأثير كبير	مجموع الأسر
المصاريف على الأرض والقطيع	8	16	112	136
ارتفاع الأسعار	3	6	12	21
الخسائر والأضرار الطبيعية	2	4	8	14
تكلفة الماء والكهرباء	10	69	102	181
تعليم الأبناء	31	76	192	299
قلة مساعدات الجمعيات	7	42	80	129
المجموع	61	213	506	780

المصدر: معطيات المندوبية السامية للتخطيط الخاصة بالدواوير حسب إحصاء 2014+معطيات المديرية الإقليمية للتربية الوطنية بتازة+ البحث الميداني.

صرح 38 % من الأسر التي شملها البحث بمنطقة الدراسة، أنها تتأثر بشكل كبير بالمصاريف المترتبة عن تعليم الأبناء، سواء المتعلقة بشراء الأدوات المدرسية أو تكاليف النقل المدرسي، أو المصاريف المتعلقة بالإقامة في الداخلية ابتداء من السلك الإعدادي، بينما صرح العديد من الأسر بقلة المساعدات من طرف الجمعيات[341].

نسجل على العموم، أن هناك ارتباطا بين مستوى إمكانيات الأسر وتراجع التسجيل المدرسي، وبين الخطاب الذي يتبناه الآباء حول عدم قدرتهم على تحمل التكاليف المادية للتمدرس[342]، تُوجهُ نفس ظروف الجهل والفقر والعجز أرباب الأسر، بمنطقة الدراسة، إلى التخلي الكلي عن ذهاب الأبناء للمدرسة، ويكتفون بصرف ما تمنحه الجهات المانحة من دعم على قلته.

II.4.1. الهجرة والإفراغ المجالي رغبة في الاستفادة من الخدمات الاجتماعية

تشكل الهجرة انعكاسا للظروف الاجتماعية المتأزمة في مجال الدراسة، ويقف من ورائها بشكل رئيسي (جدول رقم 7)، غياب البنية التحتية من الخدمات الأساسية وعدم تغطيتها لمجال عيش السكان في الدواوير والمداشر الأكثر تهميشا، مما

[340] - عبد الهادي أعراب، م س، ص 61.

[341] - من بين الملاحظات البارزة خلال البحث الميداني، أن الساكنة لا تفرق بين دور الدولة والجمعيات التي تقدم المساعدة في الميدان، ما دام الأولى تتم تحت إشراف الثانية، وهو ما جعل الساكنة تعبر عن حاجتها الكبيرة إلى مساعدات الجمعيات التي تجدها تختلف من جماعة إلى أخرى بين الجماعات المدروسة.

[342] - مبارك ربيع، 1984، عواطف الطفل، الدار العربية للكتاب، ص 342.

أدى إلى تنشيط الهجرة نحو المراكز القروية والحضرية المجاورة، وقد تسبب هذا العامل إلى جانب عوامل أخرى، في إفراغ دواوير بأكملها من الساكنة التي فضلت الالتحاق بأبنائها، لإتمام مسارهم الدراسي والبحث عن فرص الشغل.

جدول رقم6 : دوافع الهجرة الداخلية بمجال الدراسة

دوافع الهجرة	النسبة من مجموع المستجوبين	الهجرة داخل الإقليم
قساوة المناخ	9	
ضعف مردودية الأنشطة الفلاحية	11	
العزلة	16	
غياب التجهيزات	22	
البحث عن العمل	10	
استكمال تعليم الأبناء	19	
الالتحاق بالأبناء	8	
أخر	5	61%
المجموع	100	

المصدر: البحث الميداني 2019.

صرح 19 % من الأسر المستجوبة التي بلغت 780 أسرة، بخصوص السؤال حول دوافع الهجرة، أن دافعها للتفكير في الهجرة هو استكمال تعليم الأبناء، فيما صرح 16 % أن السبب يتمثل في عزلة المنطقة، بينما عزى 22 % السبب إلى غياب التجهيزات.

وقد عبر 67 % من ساكنة مجال الدراسة عن التفكير في الهجرة داخل الإقليم فقط، في اتجاه المراكز القروية والحضرية القريبة، يرغب 56 % منهم في الاستقرار بمدينة تاهلة، و 40% في تازة و15 % بجرسيف، بينما أكد 9 % على التفكير في الاستقرار بمدينة رباط الخير، وهو ما يبرز أهمية المراكز الصاعدة في احتواء الهجرة القروية، لما أصبحت تحوزه من بنية تحتية ضرورية للحياة الاجتماعية. "فبعد النجاح أو الفشل في المدرسة خارج الدوار، نادراً ما تكون العودة إلى الجبل، حيث يشارك التعليم"[343] وبقية الخدمات الاجتماعية في حتمية الهجرة.

II.5.1. ضعف التغطية المجالية عامل في تعثر مسار التمدرس والأمية

لم تأتي المدرسة في مجال الدراسة في إطار تحديث فلاحي أو انفتاح خارجي يستدعي تعليم الأبناء لمواكبة التحولات الداخلية، حيث لم يعرف تأثير التحولات الخارجية، اللهم إلا المرتبطة بالالتحاق بالجندية، حيث كانت الجندية لا تتطلب إلا الشهادة الابتدائية والإعدادية، دون استحضار لأهمية المسار الدراسي، ما أدى إلى تفشي الأمية (المبيان رقم 1).

[343] - *Nabil Lahcen et el Ayachi Brahim, Exode et manifestation de crise sociale, cas de la tribu Bouilloli en 2004 (Moyen Atlas septentrional, Maroc). Revue AFN Maroc, N 6-8, juin 2012, p135.*

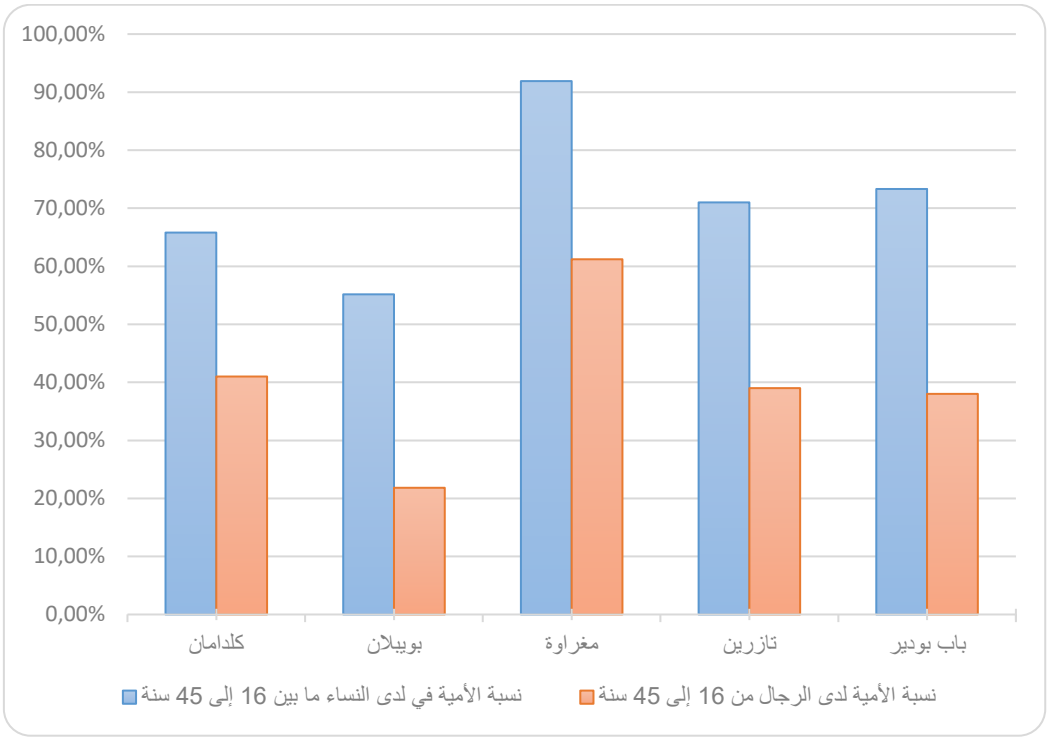

المصدر: معطيات المندوبية السامية للتخطيط الخاصة بالدواوير حسب إحصاء 2014+ برامج عمل الجماعات المدروسة.

مبيان رقم 1 : نسبة الأمية من الجنسين في الفئة من 16 إلى 45 سنة

يعرف مجال الدراسة نسبا مرتفعة من الأمية، سواء في صفوف النساء أو الرجال، حيث تسجل جماعة مغراوة ارتفاعا في نسبة الأمية بصفة عامة بين الفئة العمرية (من 16 إلى45 سنة) لتصل إلى 65,5% في صفوف الذكور. وتبلغ لدى فئة النساء 92%، وهي من أعلى النسب على الصعيد الإقليمي والوطني. تأتي بعدها تازرين بنسبة 60%، وتصل لدى فئة النساء إلى 72%، ثم تأتي بعدها جماعة باب بودير بنسبة 60%، وهي الأخرى ترتفع فيها الأمية في الفئة العمرية للإناث حيث تمثل 73.31 %. أما الجماعة الترابية الأقل أمية من بين الجماعات المدروسة، فتأتي كل من كلدمان وبويبلان، حيث إن انخفاض معدل الأمية في بويبلان راجع لانخفاض نسبة الساكنة التي تتراوح أعمارها ما بين 16و45، حيث تسود في هذه الجماعة الفئة الأكثر من 45 سنة، أما في كلدمان فيعزى الانخفاض النسبي للأمية للارتفاع التدريجي للمتمدرسين في الفترة المدروسة وتواجد بعض الجمعيات التي تشرف على محو الأمية.

وإذا كانت الأمية، ناتجة عن عدم الالتحاق بالمؤسسة التعليمية وعدم الاستفادة من فرص محوها، فإن أغلبية المتمدرسين في مجال الدراسة، يتعرضون لأمية متأخرة، بعدم إتمام مسارهم الدراسي، لأسباب متعددة يأتي في مقدمتها ضعف التغطية المجالية من المؤسسات التعليمية في السلك الثانوي، وتراجع الأسر عن الاستثمار في تعليم الأبناء، بسبب ضعف الولوج إلى العمل/"الوظيفة"، والتي تعود بالنفع في ما بعد على الأسرة ذاتها، دون إغفال عدم تمكن المؤسسات التعليمية من اقتحام المجتمعات القروية الفقيرة، وتجعل من نفسها منطلقا للتحولات القيمية والثقافية.

خاتمة

خلصت المنهجية المتبعة في هذه الدراسة، والتي تناولت التغطية المجالية من البنية التحتية والخدمات المرتبطة بها لقياس الولوجية والاستفادة من الخدمات التعليمية، إلى ضعف تغطيتها للمجال المدروس، خاصة المرتبطة بالسلك الثانوي التأهيلي، مما أضعف العرض المدرسي وغيّب العدالة المجالية والحق في التمدرس، في الوقت الذي أصبح من الممكن الحديث عن الجودة بدل توفير التجهيزات في بعض المناطق الأخرى.

كما تأكدت العلاقة بين ضعف التجهيزات والبنيات التعليمية وانعكاساتها السوسيومجالية، حيث يساهم بُعد المدرسة وقلة التجهيزات المرتبطة بها، بالإضافة إلى ضعف التغطية المجالية من بنيات التعليم الثانوي التأهيلي، وكذلك الهشاشة الاجتماعية للأسر، غير القادرة على تحمل تكاليف تنقل الأبناء، في استمرارية الهدر المدرسي وضعف تعليم الفتيات، الذي يفاقم آفة الأمية ويدفع بغالبية الأسر نحو البحث عن الاستفادة من المرافق الاجتماعية عن طريق الهجرة.

ويمثل تحقيق التغطية المجالية من التجهيزات الاجتماعية، إلى جانب تحسين جودة التعليم وأدائه، أفقا لتثمين الرأسمال البشري. وفي السياق ذاته، تم اقتراح بعض التوصيات التي من شأنها إنجاح التعليم كمشروع اجتماعي ورهان تنموي مثمر[344] بمجال الدراسة:

- ضرورة التعامل مع مجال الدراسة بمنطق التميز الإيجابي، نظرا لخصوصيته الطبيعية والبشرية القاسية، برفع الاستثمارات المخصصة للبنية التحتية من طرقات ومؤسسات تعليمية وتجهيزات اجتماعية مرتبطة بالعرض التربوي.
- توفير أجهزة القرب الضرورية، وتأهيل الطرق بما يمكن من تحسين مؤشرات التنمية البشرية والاجتماعية، لتحقيق التغطية المجالية من التجهيزات الكفيلة بتجويد العرض المدرسي بأسلاكه الثلاثة.
- التركيز على أهمية برمجيات نظم المعلومات الجغرافية، في اقتراح الملاءمة المجالية لتوطين المشاريع، بالاعتماد على مؤشرات متعددة ومتنوعة، تعطي للمؤشرات الاجتماعية والحركية المجالية، معاملات أكبر تنسجم مع خصوصيات المجال، المتسم بالتوزيع اللامتكافئ للبنيات والمؤسسات ذات الوقع المجالي.
- تحسين مداخيل الأسر، بتوسيع الأنشطة المدرة للدخل، وتقوية الاقتصاد الاجتماعي التضامني، بتثمين العلاقات الاجتماعية المحلية والاستفادة من وفرة الموارد الترابية الجبلية، لتقوية قدرات الأسر على مواجهة ارتفاع التكاليف المرتبطة بالخدمات الاجتماعية.
- تعبئة المدرسة، لتنزيل النموذج التنموي في شقه الخاص بالأوساط الجبلية، وجعل البنيات التحتية فاعلة في التأطير المجالي وتثبيت السكان.
- التسريع بتنزيل مشروع الحماية الاجتماعية وقانون الجبل، لتحقيق الانسجام ما بين الجوانب المجالية والاجتماعية لرفع التهميش والهشاشة عن المناطق الجبلية بشكل عام ومجال الدراسة بشكل خاص.

لائحة المصادر والمراجع

العربية

أعراب عبد الهادي، 2008، واقع التعليم بالوسط القروي، ملاحظات واستنتاجات ميدانية، مجلة علوم التربية دورية مغربية متخصصة، العدد السابع والثلاثون.

البقالي خالد، 2021، تشخيص واقع الخدمات الصحية والتعليمية باستخدام نظم المعلومات الجغرافية (حالة الجماعات الترابية بضاحية مدينة مكناس)، المجلية الإفريقية العلمية، الجلد 3، العدد الرابع.

بوبرية عبد الواحد وآخرون، 2013، التعليم والتنمية القروية بالأطلس المتوسط الشمالي الشرقي: حالة تاهلة، مؤلف جماعي تازة ومحيطها الموارد الترابية وأفاق التنمية المستدامة، منشورات مرايا الطبعة الأولى.

ضايد حسن،2005، المجال والمجتمع جنوب الريف الأوسط، أطروحة الدكتوراه الدولة في الجغرافيا، كلية الأداب والعلوم الإنسانية سايس فاس.

مبارك ربيع،1984، عواطف الطفل، الدار العربية للكتاب.

مقبوب إدريس، 2008، إكراهات تمدرس الفتاة القروية بالأطلس المتوسط الشمالي الشرقي، مجلة علوم التربية، دورية مغربية متخصصة العدد السابع والثلاثون.

[344] - مبارك، م س، ص 346.

مقبوب إدريس، إكراهات تمدرس الفتاة القروية في الأطلس المتوسط الشمالي الشرقي (تازة نموذجا)، أطروحة لنيل الدكتوراه في علم الاجتماع، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهراز، فاس 2006/2005.

الفرنسية

BEZZARI, L (2014). Le développement territorial au Moyen Atlas centro-occidental. Atouts, contraintes et enjeux d'acteurs. Thèse doctorat, Géographie humaine. Saïs Fès.

Idil A (1982). L'évolution des structures sociales et spatiales dans le Moyen Atlas du nord-est. Maroc, Université de Toulouse le Mirail. Institut de Géographie Daniel Faucher.

Nabil L et el Ayachi B (2004). Exode et manifestation de crise sociale, cas de la tribu Bouilloli en 2004 (Moyen Atlas septentrional, Maroc). Revue AFN Maroc, N 6-8, juin 2012.

Zaanoun El H. (1983). La confédération des tribus Ait-Warain: étude géographique de l'évolution d'une tribu berbère. Thèse de 3ème cycle en Géographie. Paris 7.

تطورالقواعد الخاصة بالأحداث في التشريع الجنائي المغربي : رصد المواكبة التشريعية للإتفاقيات الدولية ولتحولات المجتمع المغربي

د. يوسف تملكوتان[345]

ملخص الدراسة :

تهتم هذه الدراسة بتطور القواعد الخاصة بالأحداث في التشريع الجنائي المغربي، إذ تم إبراز مختلف المراحل التشريعية التي مر بها النظام الجنائي المتعلق بالأحداث، ليتضح من ذلك أن هذا النظام تطور حسب ظروف كل مرحلة وخصوصياتها.

ولعل أهم مرحلة بارزة في تاريخ النظام الجنائي الخاص بالأحداث هي مرحلة التزام المشرع المغربي بالإتفاقيات الدولية التي صادق عليها المغرب، إذ عرفت هذه المرحلة تطورا كبيرا في عدالة الأحداث بما يتماشى مع المعايير الدولية في هذا المجال، مع الحفاظ على خصوصية المجتمع المغربي وتحولاته المختلفة، ومن خلال هذه الدراسة سيتم إبراز التاريخ الذي مر به التشريع الخاص بعدالة الأحداث، وكيفية مواكبته للإتفاقيات الدولية ولتحولات المجتمع المغربي.

كلمات مفتاحية : التشريع الجنائي المغربي – القواعد – الأحداث – المجتمع المغربي.

Study summary:

This study is concerned with the development of the rules relating to juveniles in Moroccan criminal legislation, as the various legislative stages that the criminal system related to juveniles went through were highlighted, making it clear that this system developed according to the circumstances and specificities of each stage.

Perhaps the most important and prominent stage in the history of the juvenile criminal system is the stage of Moroccan legislator's commitment to the international agreements ratified by Morocco, as this stage witnessed a major development in juvenile justice in line with international standards in this field while preserving the privacy of Moroccan society and its various transformations, and through... This study will highlight the history of juvenile justice legislation, and how it keeps pace with international agreements and the transformations of Moroccan society.

Keywords: Moroccan criminal legislation - rules - events - Moroccan society.

مقدمة :

إن الحديث عن تطور القواعد الخاصة بالأحداث في التشريع الجنائي المغربي يحيل على الإطار التاريخي لهذا التشريع، ذلك أن القواعد الجنائية الخاصة بالأحداث شأنها شأن باقي القوانين المغربية، عرفت مجموعة من التحولات يمكن رصدها من خلال المسار التاريخي للتشريع الجنائي المغربي.

[345] - دكتور في القانون الخاص، تخصص العلوم الجنائية، جامعة عبد المالك السعدي، المملكة المغربية.

وما دامت القواعد الخاصة بالأحداث تندرج ضمن التشريع الجنائي المغربي فإن التاريخ وعاء يختزن مجموعة من الأمور بخصوص النظام الجنائي، ومما يختزنه التاريخ بخصوص هذا النظام هو أنه في مسار تاريخه الطويل تميز بازدواجية في الإطار الرجعي وتداخله، حيث إن المغرب ظل إلى غاية خضوعه لما يسمى بالحماية يطبق في المجال الجنائي أحكام الشريعة الإسلامية استنادا إلى المذهب المالكي، بالإضافة إلى منظومة الأعراف التي كانت سائدة في مختلف المناطق المغربية، إلا أن هذا الأمر سيعرف تحولا تاريخيا في الأصول المرجعية للتشريع الجنائي المغربي، تمثل هذا التحول في الإنتقال من الأصول الشرعية والعرفية إلى المرجعية الوضعية الغربية[346]، إلى حين صدور أول قانون للمسطرة الجنائية سنة 1959[347] الذي قضى على الفروق العنصرية التي كرسها المستعمر، وإبرازه للملامح الأولى لتوحيد القواعد الخاصة بالأحداث.

وبرزت معالم التطور بعد تدخل المشرع بمقتضى الظهير الشريف المتعلق بالإجراءات الانتقالية الصادر في 28 شتنبر 1974[348] ليدخل تعديلات مهمة على قانون للمسطرة الجنائية سنة 1959، وكرس في فصله الأول قناعته بتغيير هذا القانون معتبراً ما تضمنه قانون الإجراءات الانتقالية مجرد تغييرات مرحلية يعمل بها إلى حين دخول القانون رقم 22.01 المتعلق بالمسطرة الجنائية حيز النفاذ[349].

وتماشيا مع الالتزامات الدولية التي التزم بها في مجال حقوق الإنسان بصفة عامة وفي مجال حقوق الطفل بصفة خاصة[350]، عمل المغرب على ملاءمة قوانينه الوطنية مع مقتضيات الاتفاقيات الدولية التي صادق عليها[351]، ويظهر ذلك

---

[346] - محمد لفريخي، القانون الجنائي المغربي أصوله ومعالم توليفته، دراسة في الأصول وأساسيات التطور، أطروحة لنيل الدكتوراه، جامعة محمد الخامس السويسي، كلية العلوم القانونية والإقتصادية والإجتماعية سلا، السنة 2014، ص: 14.

[347] - الصادر بموجب الظهير الشريف رقم 1.58.261، يحتوي على قانون المسطرة الجنائية، منشور في الجريدة الرسمية بتاريخ 28 شعبان 1378 (5 مارس 1959)، عدد 2418 مكرر، ص: 705.

[348] - ظهير شريف بمثابة قانون رقم 1.74.448 بتاريخ 11 رمضان 1394 (28 شتنبر 1974) يتعلق بالإجراءات الانتقالية تطبيقا للظهير بمثابة قانون رقم 1.74.338 بتاريخ 24 جمادى الثانية 1394 (15 يوليوز 1974) المتعلق بالتنظيم القضائي للمملكة والمرسوم رقم 2.74.498 بتاريخ 25 جمادى الثانية 1394 (16 يوليوز 1974) الصادر تطبيقا لمقتضيات الظهير بمثابة قانون المذكور، المنشور بالجريدة الرسمية عدد 3230 مكرر، بتاريخ 13 رمضان 1394 (30 شتنبر 1974)، ص: 2794.

[349] - ديباجة القانون رقم 22.01 المتعلق بالمسطرة الجنائية الصادر بموجب الظهير الشريف رقم 1.02.255 صادر في 25 من رجب 1423 (3 أكتوبر 2002)، الجريدة الرسمية عدد 5078 بتاريخ 27 ذي القعدة (30 يناير 2003)، ص: 316.

[350] - أقرت الجمعية العامة للأمم المتحدة يوم 1989/11/20 عن طريق التراضي أول معاهدة دولية حول حقوق الطفل وهي تتويج لصيرورة تاريخية، وتم إدراج مسألة صياغة معاهدة دولية لحقوق الطفل وليس مجرد مدونة في شكل توصية تفتقد القانونية الإلزامية، الهدف من هذه الاتفاقية الجديدة هو إحاطة الطفل بالضمانات المقبولة من طرف مجموع المجتمع الدولي، خرجت هذه الاتفاقية إلى الوجود بعد عشر سنوات من العمل.

[351] - صادق المغرب على اتفاقيات الأمم المتحدة الرئيسية السبع المعنية بحقوق الإنسان هي: العهدان الدوليان الخاصان بالحقوق المدنية والسياسية، والحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية (1966)، واتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز العنصري (1970)، واتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة (1993)، واتفاقية مناهضة التعذيب والمعاملة لا إنسانية والمهينة (1993)، كما صادق على البروتوكولين الاختياريين لاتفاقية حقوق الطفل بشأن اشتراك الأطفال في النزاعات المسلحة (2002)، وبيع الأطفال واستغلال الأطفال في البغاء والمواد الإباحية (2001)، وانضم المغرب كذلك إلى سبع من اتفاقيات منظمة العمل الدولية الثماني المعنية بحقوق الإنسان وهي الاتفاقية رقم (98) المتعلقة بحق التنظيم النقابي والمفاوضة الجماعية (1975) والاتفاقيات رقم (29) و (105) المتعلقتان بالسخرة والعمل الإجباري (1975 و1966 على التوالي)، والاتفاقيتان (138) و (182) المتعلقتان بمنع استخدام الأطفال والقاصرين (2000 و2001) وبالنسبة

جليا من خلال جعل من أولوياته التشريعية مسألة ملاءمة قوانينه الوطنية مع مقتضيات الاتفاقيات الدولية التي صادق عليها، ذلك أن من بين الأسباب التي أدت بالمشرع المغربي إلى إدخال تعديلات بخصوص القواعد الخاصة بالأحداث في الكتاب الثالث من القانون رقم 22.01 المتعلق بالمسطرة الجنائية، هي الإلتزام بمقتضيات الاتفاقيات الدولية والعمل على تنفيذها في مجال عدالة الأحداث، ومواكبته للتحولات التي عرفها المجتمع المغربي.

تبرز أهمية هذا الموضوع في كون أن النظام الجنائي الخاص بالأحداث يحتل مكانة خاصة لأنه من القضايا التي يجب أن تتكامل فيها الجهود القانونية والاجتماعية لمعالجة ظاهرة جنوح الأحداث، وتزداد أهمية الموضوع في كون أن هذه الفئة المجتمعية تستحق الإهتمام والدراسة لتطوير النظام القانوني الخاص بهم وإيجاد الحلول المناسبة لهم من أجل وقايتهم من الجنوح والإنحراف.

ولمعالجة هذا الموضوع يتطلب منا طرح الإشكالية الرئيسية التالية:

كيف تطورت القواعد الخاصة بالأحداث على مر تاريخ التشريع الجنائي المغربي؟ وكيف واكب المشرع المغربي للإتفاقيات الدولية ولتحولات المجتمع المغربي في مجال قواعد حماية الأحداث؟

ولتناول هذا الموضوع والإجابة عن الإشكالية المطروحة يتطلب الأمر التقسيم التالي :

- المبحث الأول: المراحل الأولى لتكوين المقتضيات التشريعية الخاصة بالأحداث
- المبحث الثاني: مرحلة الإنفتاح على الإتفاقيات الدولية ومواكبة تحولات المجتمع المغربي

المبحث الأول: المراحل الأولى لتكوين المقتضيات التشريعية الخاصة بالأحداث

لبيان مراحل تكوين المقتضيات التشريعية الخاصة بالأحداث، سيقتصر الحديث في هذا المبحث على المقتضيات التشريعية الخاصة بالأحداث في مرحلة الحماية (المطلب الأول) ثم بعد ذلك في مرحلة بعد الإستقلال (المطلب الثاني).

المطلب الأول: المقتضيات التشريعية الخاصة بالأحداث في مرحلة الحماية

للمواثيق الإقليمية وافق المغرب على إعلان القاهرة لحقوق الإنسان في الإسلام الصادر عن مؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية عام 1990، وهو وثيقة إرشادية لا تحتاج إلى تصديق، كما وافق على الميثاق العربي لحقوق الإنسان المعدل الذي اعتمدته القمة العربية في تونس في ماي 2004، لكنها لم تصادق عليه، شأنها شأن معظم الدول العربية، كما صادق المغرب على الميثاق الإفريقي لحقوق الإنسان والشعوب.

كما صادق المغرب على الإتفاقية الدولية لحقوق الطفل في 14 يونيو 1993، وتم نشرها في الجريدة الرسمية عدد 4440 بتاريخ 8 شعبان 1417 الموافق لـ 1996/12/19 بظهير شريف صادر في نونبر 1996، وكان تحفظ المغرب فيما يخص هذه الاتفاقية كالتالي:" إن المملكة المغربية التي يضمن دستورها لكل واحد حرية ممارسة شؤونه الدينية، تتحفظ عل أحكام المادة 14 التي تعترف للطفل بالحق في حرية الدين، نظرا لأن الإسلام هو دين الدولة".

كان المذهب المالكي هو المذهب السائد في المغرب بشتى المجالات، فكانت قواعد الشريعة الإسلامية هي التي تطبق على الأحداث الجانحين وسن الرشد وفق المذهب المذكور وحسب المشهور لدى مالك هو ثمانية عشر سنة[352].

ومن المعلوم أن قواعد الشريعة الإسلامية لا تجيز أن تطبق عقوبات زجرية على الحدث غير البالغ لهذا السن، بل سمحت بتطبيق تدابير التأديب والحماية[353]، وبعد هذا منطلقا أساسيا نحو مبدأ مهم يعتبر أسمى المبادئ الإنسانية المعتمدة في نصوص التشريعات الإسلامية المعمول بها في المغرب والتي يمكن أن تصل إليه المجتمعات الحضارية المعاصرة[354]، وهذه النصوص مليئة بتدابير الحماية الخاصة بالطفل منذ ولادته وحتى بلوغه سن الرشد الشرعي.

وبعد خضوع المغرب للحماية عرف التشريع الجنائي المغربي بخصوص الأحداث الجانحين تسلسلا مرجعيا وتاريخيا اختلف باختلاف التقسيم الترابي للمناطق المغربية من طرف المستعمر الفرنسي والاسباني وكذلك بمنطقة طنجة الدولية[355].

فقد صدر أول نص تشريعي بالمغرب يهتم بالأحداث الجانحين سنة 1925 بمنطقة طنجة الدولية آنذاك، بعد وقوع المغرب تحت السيطرة الغربية[356]، حيث نصت المادة 31 من الظهير المذكور على التدابير التي يجب على الحدث[357]، وهي كما يلي:

"عندما يكون سن المتهم أقل من 18 فإنه يبرأ إذا ثبت أنه ارتكب الفعل بإدراك وتبصر فالعقوبات الصادرة بشأنه تكون كالتالي:

إذا الفعل جناية، فإن العقوبات الجنائية تعوض بسجن إصلاحي، مدته في الحالات الخاصة من خمس سنوات إلى عشرين سنة، وفي جميع الحالات حيث لا يكون قد قام إلا بجنحة بسيطة، فإن العقوبة التي تعلن ضده لا يمكن أن تتجاوز ثلث ما كان يحكم به عليه لو كان قد بلغ 18 سنة من عمره"[358]، هذا النص كان يطبق على الأجانب ولا يطبق على الأحداث المغاربة، إلا في الحالات التي يمتد الاختصاص إليهم[359].

---

[352]- محمد بازي، المعاملة الجنائية للأحداث في التشريعات العربية، مجلة المحامي، العدد 34، سنة 1999، ص: 76.

[353]- أجمعت المذاهب الإسلامية على عدم تجاوز تطبيق العقوبات الزجرية على الحدث غير البالغ، محمد بازي، نفس المرجع السابق، ص: 76.

[354]- ادريس الكتاني، ظاهرة انحراف الأحداث، دراسة اجتماعية للطفولة المنحرفون في المغرب، مطبعة التومي، الطبعة الأولى، سنة 1976، ص: 192.

[355]- عبد الحميد المليحي، الآليات الضبطية للسلوك الانحرافي لدى الأحداث الجانحين، دراسة سوسيو قانونية، أطروحة لنيل الدكتوراه في القانون الخاص، جامعة عبد المالك السعدي كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية طنجة، السنة الجامعية 2014- 2015، ص: 153.

[356]- صفاء الغياتي، دور المؤسسات القضائية والإصلاحية والسجنية في معالجة جنوح الأحداث، بحث نهاية التكوين لنيل دبلوم الماستر، جامعة محمد الأول كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية وجدة، السنة الجامعية 2010- 2011، ص: 3.

[357]- ادريس الكتاني، مرجع سابق، ص: 193.

[358]- عبد الرحمان مصلح الشرادي، انحراف الأحداث في التشريع المغربي والقانون المقارن، مطبعة الأمنية الرباط، الطبعة الأولى 2002، ص: 118.

[359]- عبد الحميد المليحي، مرجع سابق، ص: 150.

وبتاريخ 19 يناير 1939، صدر نص تشريعي خاص بالمحاكم الفرنسية في منطقة الحماية بالجنوب ينظم الإجراءات والتدابير التي يتعين أن تراعى عند النظر في قضايا الأحداث المحالين على المحاكم العصرية بالمغرب[360]، وقد صدر هذا التشريع بمقتضى ظهير مؤرخ في 28 من ذي القعدة 1957 (19 يناير 1939)، ونص على أنه لا يمكن أن يطال الأحداث الذين تقل أعمارهم عن 13 سنة والذين ارتكبوا جناية أو جنحة على المحاكم الزجرية، وإنما عن المحاكم الابتدائية التي تطبق في حقهم تدابير الحماية والتهذيب[361]، المنعقدة بهيئتها المدنية، وفي غرفة المذاكرة كما نص هذا الظهير على إحداث محاكم للأحداث في دائرة كل محكمة ابتدائية تبت في الجنح المرتكبة من طرف الأحداث الذين تتراوح أعمارهم بين 13 و16 سنة، وفي الجنح المرتكبة من طرف الأحداث الذين تتراوح أعمارهم بين 16 و18 سنة.

ويتم تطبيق مقتضيات القانون الجنائي مبدئيا على الأحداث المتراوحة أعمارهم بين 13 و18 سنة، مع إمكانية استبدال ذلك بالتدابير المنصوص عليها للأحداث الذين هم دون الثالثة عشرة من عمرهم، وكما في حالة الحكم بالعقوبة يمكن وضع الحدث في حالة الحرية المحروسة، التي نظم الظهير شروطها وكيفية تنفيذها[362].

وفي 30 شتنبر من سنة 1953 صدر بنفس المنطقة السابقة الذكر ظهير جديد ينص على أنه لا يجوز أن يحال على المحاكم الزجرية أي شخص لم يبلغ 18 سنة من عمره، منشئا بمقتضياته محكمتين للأحداث، تختص الأولى بالنظر في الجنايات المرتكبة من طرف الأحداث الذين تتراوح أعمارهم بين 7 و18 سنة، والثانية تختص بالنظر في الجنح المرتكبة من طرف الأحداث الذين تتراوح أعمارهم بين 7 و16 سنة، واختلفت أحكام هاتين المحكمتين باختلاف أعمار الأحداث المحالين عليها[363]، ولكن هذا الظهير كسابقه ظل خاصا بالأحداث الأجانب ولا يطبق إلا في دائرة اختصاص المحاكم العصرية الفرنسية.

أما بمنطقة الحماية الاسبانية صدر ظهير بإنشاء محاكم خاصة بالأحداث المنحرفين بتاريخ 11 غشت 1953، والذي تم تعديله بظهير آخر بتاريخ 17 مارس 1955، وهو التاريخ الذي بلغت فيه الحركة الوطنية للمقاومة من أجل استرجاع[364] الاستقلال ذروتها في منطقة الحماية الفرنسية. والجدير بالذكر أن الفرق بين المحاكم العادية والمحاكم العصرية المعتمدة آنذاك يكمن في أن سن الرشد الجنائي بالمحاكم العصرية هو 18 سنة، وبالمحاكم العادية 13 سنة، وهذه الأخيرة لم تكن تهتم بقضايا الأحداث إلى أن صدر منشور رقم 191 بتاريخ 28 يونيو 1952 بشأن ضرورة إعادة الاهتمام الرئيسي بإصلاح الأحداث المجرمين عن تطبيق النظام الزجري المعمول به.

---

[360]- محمد سكلي، السياسة الجنائية والوقاية من انحراف الأحداث، بحث لنيل الماستر المتخصص في علوم التربية، جامعة محمد الخامس السويسي كلية علوم التربية، السنة الجامعية 2008- 2009، ص:20.

[361]- عبد الرحمان مصلح الشرادي، مرجع سابق، ص: 118- 119.

[362]- ادريس الكتاني، مرجع سابق، ص: 193- 194.

[363]- صفاء الغياتي، مرجع سابق، ص: 4.

[364]- نفضل استعمال مصلح استرجاع المغرب للاستقلال بدل حصول المغرب عن الاستقلال، لأن المغرب دائما كان مستقلا إلى أن فقد استقلاله بعد فرض الحماية عليه، واسترجع استقلاله بعد انتهاء فترة الحماية.

وقد لاحظ أحد الباحثين[365]، أن التشريع الاستعماري قام على التمييز العنصري في مختلف المقتضيات الصادرة بشأن حماية حقوق الأحداث، حيث تم التمييز بين الأحداث الأجانب المقيمين بالمغرب وبين الحدث المغربي في الاعتراف بسن الرشد الجنائي الذي تم تحديده للأجانب في السن 18 سنة بمقتضى ظهير صادر في 30 شتنبر 1953، وبالنسبة للمغاربة حدد في 13 سنة كاملة، وذلك بصدور القانون الجنائي المغربي في 24 أكتوبر 1953، الذي اشتمل على نصوص تتضمن مقتضيات خاصة بالأحداث المغاربة من جملتها النص على تدابير حماية الأحداث الذين تتراوح أعمارهم بين 13 و16 سنة أو ما بين 16 و18 سنة.

وعلى العموم فإن المغرب لم يسلم من استفحال ظاهرة جنوح الأحداث التي انعكست سلبا على القيم الثقافية والحضارية منذ فرض الحماية الفرنسية سنة 1912، والتي أحدثت تقلبات كبيرة وزعزعت البنيات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية للمجتمع المغربي، وعرقلت مقوماته الاجتماعية كتماسك الأسرة والتآزر بين أفرادها، وقد شكل جنوح الأحداث بالمغرب آنذاك موضوعا جديدا استأثر باهتمام بعض الباحثين الأجانب والمغاربة تناولوا مختلف الأسباب والعوامل التي تؤدي للانحراف، وتحليل جنوحهم من الناحية الكمية والكيفية بالاستعانة ببعض الإحصائيات التي كانت تصدرها إدارة الحماية الفرنسية عن الموضوع أو إحصائيات القطاع المسؤول عن الشباب بالمغرب، الذي أصبح يصدر ومنذ 1947 إحصائيات عن جنوح الأحداث وإن كان ذلك بصفة غير مسترسلة[366].

وظلت سياسة المشرع المغربي في مرحلة الحماية متأثرة بالأوضاع الاجتماعية والسياسية مما يفيد غياب أية ساسية جنائية في مجال الأحداث في تلك المرحلة، ولم تبرز التوجهات الحقيقية للمشرع الجنائي المغربي إلى حين استرجاع المغرب للاستقلال، حيث صدر أول قانون للمسطرة الجنائية بتاريخ 10 فبراير 1959 في أولى محطات الإصلاح التشريعي منذ استرجاع المغرب استقلاله الذي عزم عليه المغرب في بداية الخمسينات بهدف التخلص من براثين الاستعمار، فقد أسس لسياسة جنائية ترمي مبدئيا إلى حماية الحدث الجانح وإعادة تربيته وتهذيبه، وفي نفس الوقت القضاء على الآثار الوخيمة للنصوص التشريعية الخاصة بالمستعمر وعلى انعكاساته السلبية على الجنوح بالمغرب كما وكيفا، التي كانت أولى أسبابه العامل الديموغرافي وتشابك المشاكل الاجتماعية والاقتصادية التي ورثها المغرب عن الاستعمار.

المطلب الثاني : المقتضيات التشريعية الخاصة بالأحداث في مرحلة بعد الاستقلال

عمل المغرب منذ استرجاعه للاستقلال على الإهتمام بحماية الأحداث كجانحين أو كضحايا في السياسة الجنائية المغربية[367]، حيث تمكن المشرع المغربي وبعد مضي ثلاث سنوات بعد استرجاع الاستقلال من إصدار أول تشريع يقضي على الفروق العنصرية التي كانت قائمة بين القانونين المتعلقين بالمحاكم العصرية الخاصة بالأجانب والمحاكم المغربية[368]،

---

[365]- ادريس الكتاني، مرجع سابق، ص: 195.

[366]- الحسين وبا، الحدث الجانح وواقع العقوبات والتدابير الوقائية الصادرة في حقه، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع الرباط، الطبعة الأولى، 2015، ص: 17.

[367]- محمد مرزوكي، مرجع سابق، ص: 344.

[368]- ادريس الكتاني، مرجع سابق، ص: 196.

وكان أول قانون للمسطرة الجنائية هو الذي صدر بتاريخ 10 فبراير 1959[369] الذي تضمن تنظيما جديدا للقضاء الخاص بالأحداث المنحرفين في الكتاب الثالث من هذا القانون، من الفصل 514 إلى الفصل 567، وبفضل هذا القانون أصبح قضاء الأحداث موحدا في المغرب وقضى على التمييز العنصري السائد في عهد الحماية[370]، ومن أهم مضامينه:

- **توحيد الجهة المختصة بمحاكمة الأحداث:**

حيث انقسمت آنذاك الهيئات القضائية المختصة من حيث النظر في المخالفات المرتكبة من طرف الأحداث إلى اختصاص المحكمة الابتدائية، أما الجنح والجنات فهي من اختصاص محكمة الأحداث التي تحدث بجانب كل محكمة إقليمية.

- **سن الرشد الجنائي:**

كان يدرك سن الرشد الجنائي ببلوغ 16 سنة كاملة، إلا أنه يجوز للمحكمة فيما يتعلق بالجانحين الذين هم بين 16 و18 سنة أن تحكم بموجب مقرر معلل إما بتعويض العقوبات العادية أو تتميمها بتدبير واحد أو عدة تدابير خاصة بالحماية أو إعادة التهذيب المنصوص عليها بشأن الأحداث الذين هم دون 16 سنة[371].

ويتدرج السن على مستوى إجراءات المتابعة وبناء على تقسيم الأحداث إلى ثلاث فئات:

- **فئة الأحداث هم دون سن 12 سنة:**

  - في حالة ارتكاب مخالفة لا يجوز في حق الحدث إلا التوبيخ.
  - في حالة ارتكاب جنحة أو جناية لا يجوز أن تطبق عليه عقوبات زجرية، ولا يمكن أن يودع في السجن ولو بصفة مؤقتة[372]، وإنما يمكن أن يتخذ في شأنه تدابير الحماية أو إعادة التربية، وفي سائر الأحوال أن يحكم بهذه التدابير لمدة معينة من غير أن تتجاوز التاريخ الذي يبلغ فيه الحدث 18 سنة كاملة[373].

- فئة الأحداث بين 12 و16 سنة:

  - في حالة ارتكاب مخالفة لا يجوز في حق الحدث إلا التوبيخ، وإما الحكم بغرامة ينص عليها القانون، وعلاوة على ذلك يمكن إيداع الحدث تحت نظام الحرية المحروسة إذا كان من مصلحته الحدث اتخاذ التدبير المناسب.

---

[369]- حميد الوالي، دور المقاربة الحقوقية في تطوير العمل التربوي، المجلة المغربية للطفل والأسرة، كرسي اليونسكو الطفل والأسرة والمجتمع، جامعة سيدي محمد بن عبد الله كلية الحقوق فاس، الموصد الوطني لحقوق الطفل، العدد 1 يناير 2010، ص: 103.

[370]- ادريس الكتاني، مرجع سابق، ص: 196.

[371]- أنظر الفصل 514 من ظهير رقم 1.58.261 يحتوي على قانون المسطرة الجنائية، منشور في الجريدة الرسمية بتاريخ 28 شعبان 1378 (5 مارس 1959)، عدد 2418 مكرر، ص: 705.

[372]- أنظر الفصل 528 من قانون المسطرة الجنائية لسنة 1959.

[373]- ادريس الكتاني، مرجع سابق، ص: 197.

- في حالة ارتكاب جنحة أو جناية تطبق على الحدث إما تدابير الحماية وإعادة التهذيب وبصفة استثنائية يمكن للمحكمة أن تعوض أو تتمم التدابير بموجب قرار معلل بعقوبة السجن أو الغرامة، فإذا كانت الجريمة المقترفة تستوجب في حق مجرم راشد عقوبة الإعدام أو السجن المؤبد وجب أن يحكم على الحدث بعقوبة تتراوح بين 10 سنوات و20 سنة سجنا، وإذا كانت الجريمة تستوجب عقوبة السجن مع القيام بأشغال لمدة معينة يحكم على الحدث بعقوبة تتراوح بين 3 و10 سنوات سجنا، وإذا كانت الجريمة المقترفة تستوجب عقوبة السجن فإن العقوبة المقررة في القانون يخفض مقدارها الأقصى والأدنى إلى النصف[374].

– **فئة الأحداث بين 16 و18 سنة:**

ما دام القانون الجنائي يحدد سن الرشد الجنائي في 16 سنة كاملة ككل شخص راشد، فإن الأصل هو أن تطبق على الحدث مقتضيات هذا القانون، لكن للمحكمة صلاحيات تعويض العقوبات العادية أو تتميمها بتدبير أو أكثر من التدابير المنصوص عليها لفائدة الأحداث الذين هم أقل من 16 سنة.

– **الإجراءات المتبعة في قضايا الأحداث:**

يختص في متابعة الأحداث في قضايا جنح وجنايات الأحداث وكيل الدولة لدى المحكمة الإقليمية، ففي حالة ارتكاب جناية فتتم المتابعة بعد أن يقوم قاضي التحقيق بالبحث السابق على المتابعة، وفي حالة ارتكاب جنحة فإن قاضي الأحداث يقوم بالبحث السابق ولا يكلف به قاضي التحقيق إلا في حالة تشعب الدعوى، وطالب به قاضي الأحداث[375]، وفي جميع الأحوال يجب على قاضي الأحداث وقاضي التحقيق القيام ببحث اجتماعي عن الحدث قبل صدور الحكم في القضية، بالإضافة إلى إجراء بحث طبي وفحص نفساني، وعند الاقتضاء إيداع الحدث بمركز الإيواء أو الملاحظة.

ويعتبر حضور محامي الحدث حضورا إلزاميا، وفي حالة عدم تنصيب محامي للدفاع عن الحدث فإن قاضي الأحداث يعين له محاميا في إطار المساعدة القضائية، ويقوم قاضي الأحداث في حالة ارتكاب جنحة بإصدار أمرا قضائيا بالإحالة إما على غرفة الشورى، وإما على محكمة الأحداث حسب خطورة الجريمة المقترفة، وتجرى المناقشات والحكم في هذه الغرفة بصفة سرية وبحضور الحدث وأوليائه والمحامي وهيئة الحكم.

ويجب على قاضي التحقيق إذا كان البحث مسندا إليه اتباع مسطرة البحث العادية، ولا يجوز له أن يتخذ أثناء البحث نفس التدابير المخولة لقاضي الأحداث، ويصدر قاضي التحقيق أمرا قضائيا بعدم المتابعة، أو بالإحالة على محكمة الأحداث وذلك بعد انتهاء التحقيق.

---

[374]- أنظر الفصل 517 من قانون المسطرة الجنائية لسنة 1959.

[375]- ادريس الكتاني، مرجع سابق، ص: 199.

وتجرى المحاكمة في جلسة سرية وبحضور الحدث وأوليائه والمحامي وهيئة الحكم، ويمكن للمحكمة أن تعفي الحدث من الحضور في الجلسة أو تأمر بانسحابه أثناءها، وتبت المحكمة بعد الاستماع إلى الحدث وإلى الشهود والأبوين والوصي المخول لهم ذلك بمقتضى القانون وتصدر الحكم في جلسة علنية بحضور الحدث.

من خلال استقراءنا للمقتضيات القانونية التي جاء بها قانون المسطرة الجنائية لسنة 1959 نلاحظ أن المشرع المغربي في تلك الحقبة قد أسس لعدالة جنائية خاصة بالأحداث يقصد من ورائها اتخاذ تدابير العلاج والتربية متأثرا في ذلك بالتشريع الفرنسي. إلا أن تطبيق القواعد الجنائية الخاصة بالأحداث واجه عدة صعوبات تتعلق بمؤسسة قضاء الأحداث، حيث أن أغلب القضاة لم يكن لهم تكوين خاص، ولجوا من كلية الحقوق مباشرة إلى القضاء إذ لا يتوفرون على أي خبرة أو تكوين تخصصي يتعلق بعدالة الأحداث، مما أدى إلى إيداع عدد كبير من الأحداث إلى السجون بموجب قرارات قضائية خاصة بالفئة التي كان سنهم يتراوح بين 16 و18 سنة، وهذا يبين أن أغلب القضاة لم يتمكنوا من استعمال سلطاتهم التقديرية، مما أدى إلى عدم حصول اجتهادات قضائية في الموضوع، بالإضافة إلى عدم وجود مؤسسات حماية الطفولة بالقدر الكافي في المغرب في تلك المرحلة أو نقص في الكفاءات والأطر داخل المؤسسات.

أما تنفيذ العقوبة فينفرد بخاصية استمرت منذ الحماية وبعد صدور القانون الجنائي لسنة 1953، ويتعلق الأمر بإشراف مؤسسات الملاحظة وإعادة التربية التابعة للشبيبة والرياضة والتي أسند لها الاختصاص في استقبال الأحداث المطبق عليهم نظام التربية المحروسة[376].

لقد حددت المذكرة الإدارية عدد 20 ماي 1971 نظام العمل الداخلي المؤسساتي لرعاية الأحداث الجانحين، كما أوضحت الدورية عدد 1471 الصادرة بتاريخ 13 دجنبر 1978 تقنية العمل التربوي بمراكز الملاحظة وإعادة التربية وأندية العمل الاجتماعي، هذا التقسيم الذي تم الحفاظ عليه منذ القرار الوزاري الصادر بتاريخ 13 غشت 1954، حيث نقلت فرنسا تجربتها في مجال رعاية الأحداث الجانحين.

بالرغم من أن المنشور الوزاري الصادر عن وزارة التربية الوطنية المغربية بتاريخ 25 نونبر 1957 قد أحدث ما يسمى بمراكز الانتقاء، إلا أنه سرعان ما تم التخلي عنها وفي فترة بداية السبعينات أدمجت المراكز التي كانت موجودة في الملاحظة، وفي فترة الثمانينات حدث إدماج آخر يتمثل في إلحاق مراكز الملاحظة بمراكز إعادة التربية في إطار ما سمي بالمؤسسات الإقليمية أو الجهوية، فأصبحت كل المراكز الإقليمية تشتمل على فرع الملاحظة وآخر لإعادة التربية بعدما كانت أغلب المراكز مخصصة للملاحظة فقط وذلك بالنظر للصعوبات الحاصلة.

وتجدر الإشارة إلى أن تسمية هذه المؤسسات مرت بمنعطفات عدة، فأول الأمر اصطلح على تسميتها باسم مؤسسات التربية المحروسة، وثم تم استبدالها بما سمي بمراكز الملاحظة وإعادة التربية، ولكون هذا الاسم لم يكن شاملا ولكنه يعني فقط بجزء من عمل هذه المؤسسات باتت تعرف فيما بعد بمؤسسات رعاية الطفولة خلال نهاية السبعينات،

[376]- محمد الغياط، السياسة الجنائية وحماية حقوق الحدث الجانح في المغرب – دراسة قانونية تربوية اجتماعية – طوب بريس، الطبعة الأولى، 2006، ص: 99.

ومع مطلع الثمانينات ومع صدور قرار لوزير التشبيه والرياضة رقم 957.80 بتاريخ 11 يوليوز 1981[377] ظهر اسمها الحالي مؤسسات حماية الطفولة وذلك للتمييز بينها وبين باقي مؤسسات رعاية الطفولة الأخرى، ومدلول التسمية الجديدة يتضح من خلال الغاية والهدف من إنشائها، فهي مخصصة لاستقبال وإيواء الأحداث المنحرفين المحالين عليها من لدن السلطات القضائية المختصة طبقا لفصول المسطرة الجنائية، ومعدة كذلك لحماية الأحداث الذي ثبت إمكانية تعرضهم للانحراف والمستفيدين من الخدمات الاجتماعية التربوية التي تقدمها مكاتب الاستشارة والتوجيه التربوي عن طريق الأنشطة المزاولة في إطار العمل في الوسط الطبيعي[378].

وفي إطار تطوير قانون المسطرة الجنائية وتجاوز بعض الصعوبات القانونية التي مر بها صدر الظهير الشريف المتعلق بالإجراءات الانتقالية بتاريخ 28 شتنبر 1974، ولعل أهم ما تضمنته هذه الإجراءات الانتقالية بالنسبة للقواعد الجنائية الخاصة بالأحداث هو جعل التحقيق إلزامي في الجنايات المقترفة من قبل الأحداث، وتعيين قاضي الأحداث بقرار من وزير العدل لمدة ثلاثة سنوات.

في خضم التحولات التي أصبح يعرفها المغرب، وعملا بالالتزامات الدولية التي تعهدت بها الدولة، واستجابة لمناداة الحقوقيين ورجال القانون وهيئات المجتمع المدني، عملت السلطة التشريعية على ملاءمة مجموعة من القوانين الجنائية مع المقتضيات الدولية المتعلقة بحقوق الإنسان بصفة عامة وحقوق الطفل بصفة خاصة، عن طريق إصدار قانون جديد للمسطرة الجنائية تضمن عدة تعديلات تتعلق بالقواعد الخاصة بالأحداث، حيث اعتمد القانون في معالجته لقضايا الأحداث الجانحين على عدة مبادئ منها ما أقرته الشريعة الإسلامية، مع الالتزام بأحكام الاتفاقيات والمعاهدات الدولية التي صادقت عليها المملكة المغربية.

المبحث الثاني: مرحلة الإنفتاح على الإتفاقيات الدولية ومواكبة تحولات المجتمع المغربي

تماشيا مع الالتزامات الدولية التي التزم بها في مجال حقوق الإنسان بصفة عامة وفي مجال حقوق الطفل بصفة خاصة، عمل المغرب على ملاءمة قوانينه الوطنية مع مقتضيات الاتفاقيات الدولية التي صادق عليها، ويظهر ذلك جليا من خلال جعل من أولوياته التشريعية مسألة ملاءمة قوانينه الوطنية مع مقتضيات الاتفاقيات الدولية التي صادق عليها، ذلك أن من بين الأسباب التي أدت بالمشرع المغربي إلى إدخال تعديلات بخصوص القواعد الخاصة بالأحداث في الكتاب الثالث من القانون رقم 22.01 المتعلق بالمسطرة الجنائية، هي الإلتزام بمقتضيات الاتفاقيات الدولية[379] والعمل

[377]- يتعلق هذا القرار بتنظيم وتحديد اختصاصات مؤسسات حماية الطفولة، الصادر بالجريدة الرسمية عدد 3590 بتاريخ 18 شوال 1401 موافق (19 غشت 1981)، ص: 978.

[378]- أنظر الفصل الأول من قرار وزير الشباب والرياضة رقم 957.80 المتعلق بتنظيم وتحديد اختصاصات مؤسسات حماية الطفولة.

[379]- تنص ديباجة الدستور المغربي لسنة 2011 على أن : "المملكة المغربية، العضو العامل النشيط في المنظمات الدولية تتعهد بالتزام ما تقتضيه مواثيقها من مبادئ وحقوق وواجبات، وتؤكد تشبثها بحقوق الإنسان كما هي متعارف عليها عالميا...".

على تنفيذها في مجال عدالة الأحداث (المطلب الأول)، ومواكبته للتحولات التي عرفها الواقع الإجتماعي (المطلب الثاني)، لتحقيق المصلحة الفضلى للطفل.[380]

المطلب الأول : مرحلة تأثر المشرع المغربي بالاتفاقيات الدولية والالتزام بمقتضياتها

في ظل المكانة الكبيرة التي تتميز بها الاتفاقيات الدولية المتعلقة بحقوق الإنسان عامة والطفل خاصة فإن المغرب صادق على العديد منها، وجاءت هذه المصادقة المكثفة على اتفاقيات حقوق الإنسان بعد التعديل الدستوري لسنة 1992، ويعتبر ذلك تكريسا لما التزم به دستوريا[381] المتمثل في الالتزام باحترام حقوق الإنسان كما هي متعارف عليها

---

[380]- تعتبر مسألة تحقيق المصلحة الفضلى للطفل القاسم المشترك بين الاتفاقيات الدولية العديدة الخاصة بحقوق الطفل من جهة، والتشريع المغربي من جهة ثانية، فعلى الرغم من تعدد الاتفاقيات الدولية الخاصة بحقوق الطفل، إلا أن لها نفس الهدف فكل قواعدها تمت صياغتها بنفس الوازع.

-JACQUELINE Rubellin-Devichi et RANIER Frank, L'enfant et les conventions internationales, presses universitaires de lyon, lyon, 1996, p :21.

إن المصلحة الفضلى للطفل كمفهوم يصعب التعرف عليها وتمييزها عن مصلحة الإنسان البالغ، وتعتبر اتفاقية حقوق الطفل لسنة 1989 تحقيق المصالح الفضلى للطفل بمثابة معيار لاتخاذ القرارات التي تهمه، وهذا يعني بأن مصالحه قد تختلف وتتميز عن مصالح والديه وأسرته وأن الطفل يجب اعتباره بصفته الشخصية، هذا الاتجاه يخلص شخصية الطفل اجتماعيا من قبضة عائلته وأوليائه الذين يميلون إلى الخلط بين مصالحه، ومصالحهم الخاصة.

-JACQUELINE Rubellin-Devichi, le principe de l'intérêt supérieur de l'enfant dans la loi et la jurisprudence française, R, française des affaires a propos des manifestations internationales, population et famille, n°4, décembre 1994.p :165.

يعرف الأستاذ كاربونيه المصلحة الفضلى للطفل كالتالي: "إن الأمر يتعلق بمصلحة خاصة بالطفل بما أنه صغير، ويمكن أن نسميها في بعض الأحيان بمصلحته التربوية... مصلحته التي لا يعرف هو نفسه ما هي، وهي ليست مصلحة آنية ولكن مصلحته كرجل المستقبل غير المحددة.

- JEAN Carbonier : né le 20 avril 1908 à Libourne et mort le 28 octobre 2003 à Paris, est un juriste français, professeur de droit privé et spécialiste de droit civil, Le milieu juridique français le surnomme souvent le doyen Carbonnier, en référence à la fonction qu'il a occupé à l'université de Poitiers, le Doyen carbonnier figure parmi, les plus grands juristes français. c'est à lui que le gouvernement français a confié la rédaction des, avant –projets de la plupart des grades réformes en droit de la famille intervenus depuis 1965.

كما تم التعليق على مفهوم المصلحة الفضلى : ويضيف قائلا:... فإذا كانت مصلحة البالغ من الصعب الوصول إليها فما بالك بالمصلحة الفضلى للطفل".

-JACQUELINE Rubellin-Devichi, le principe de l'intérêt supérieur de l'enfant dans la loi et la jurisprudence française, R, française des affaires a propos des manifestations internationales, population et famille, Op.Cit, p :165.

[381]- ورد في تصدير الدستور المغربي لسنة 1992 أنه "إدراكا منها لضرورة إدراج عملها في إطار المنظمات الدولية، فإن المملكة المغربية، العضو العامل النشيط في هذه المنظمات، تتعهد بالتزام ما تقتضيه مواثيقها من مبادئ وحقوق وواجبات، وتؤكد تشبثها بحقوق الانسان كما هي متعارف عليها عالميا..."

عالميا[382]. والإلتزام بالتوصية رقم 12 الموجهة من لجنة حقوق الطفل التابعة للأمم المتحدة، والتي تقضي بضرورة ملاءمة الدول لقوانينها الداخلية مع ما اعتمدت عليه المنظومة الدولية في مجال حقوق الطفل.

وتشهد المصادقة على الاتفاقيات الدولية المتعلقة بحقوق الطفل أو تلك التي لها تأثير عليها على حسن نية المغرب في الالتزام بها وتمكين إرادته القوية والدينية، ويبقى إدماج مقتضياتها في القانون الداخلي المغربي وحده يشكل ضمانة أساسية لحمايتها إلى جانب النص على أولوية الاتفاقيات الدولية على القانون الداخلي، لما له من نتائج هامة تكرس الحماية الدولية لهذه الحقوق، ويعتبر هذا مؤشر من بين المؤشرات السياسية لقياس درجة إرادة المغرب القوية للالتزام بها[383].

كما تتأكد أهمية التزام المملكة المغربية بملاءمة قوانينها الجنائية مع ما تنص عليه الاتفاقيات الدولية اندماجه في الدينامية الدولية بحرصها على الوفاء بتعهداتها والتزاماتها، ووجد ذلك ترجمته في مجالات عدة منها قانون المسطرة الجنائية[384]، الذي كان من أهم توجهات المشرع في هذا القانون هو ملاءمة القواعد الإجرائية الجنائية مع الاتفاقيات الدولية المتعلقة بحقوق الإنسان بصفة عامة، وبحقوق الطفل بصفة خاصة.

لقد عرفت حقوق الطفل ببلادنا في السنوات الأخيرة نقاشا فكريا عميقا واكبه المشرع الجنائي المغربي بتكييف قواعد المسطرة الجنائية الجديد مع المنظومة الدولية في مجال قضاء الأحداث، سعيا منه في تطوير وتحديث ترسانته القانونية بشكل يجعل من التشريع الخاص بالأحداث أهم تشريع يهدف إلى الحماية وتقويم السلوك وإعادة الإدماج عن طريق آليات قضائية فعالة.

ويمكن القول أن الترسانة القانونية الخاصة بالأحداث بالمغرب قد عرفت تحسنا ملموسا ومسارا إيجابيا خلال السنوات القريبة الماضية حيث تم تحديث الآليات القانونية بشكل يضمن حماية قانونية كافية لفئة الأحداث، وقد اعتبر ذلك محطة أساسية في ملاءمة القواعد الجنائية الخاصة بالأحداث مع الاتفاقيات الدولية المتعلقة بحقوق الطفل التي صادق عليها المغرب، بذلك يكون المغرب قد استجاب لضرورة الانفتاح على الاتفاقيات الدولية الخاصة بالطفل

---

[382]- هذا الالتزام يتطلب التوفيق بين المرجعية الدينية ومبادئ المملكة وبين المرجعية التي تستند عليها مبادئ وقواعد حقوق الإنسان لأنهما غير منسجمتين.

- ROUSSET Michel, la difficile conciliation entre l'idéologie unanimitaire et l'idéologie démocratique, le cas du Maroc, the maghrebreview, Vol 10, n° 10, 1985, p : 10.

فكيف يمكن لدولة تتشبث بمرجعيتها الإسلامية أن تنضم للمفهوم العالمي لحقوق الإنسان عامة ولحقوق الطفل خاصة التي تبلورت في العالم الغربي والتي هي مزيج لثقافات بعيدة عن الثقافة المغربية المتشبعة بتعاليم الدين الإسلامي.

- CASSIN René, CASSIN René, religions et droits de l'Homme, In Institut International des droit de l'homme, Amicorum disciphlorumque libre, IV méthodologie des droits de l'homme, Ed pedone, 1972.p : 98.

[383]- المرصد الوطني لحقوق الطفل، التقرير العام، المؤتمر الوطني لحقوق الطفل الدورة السادسة، الرباط 26/25 ماي 1999، ص:4.

[384]- عبد العزيز بوزيان، تفعيل المعاهدات الدولية في إطار القانون الجنائي المغربي، ندوة وطنية حول السياسة الجنائية بالمغرب واقع وآفاق، منشورات جمعية نشر المعلومة القانونية والقضائية، سلسلة الندوات والأيام الدراسية، المجلد الأول، الطبعة الثانية، العدد 3 ، السنة 2004، ص: 363.

وإدماج هذه الاتفاقيات في قانونه الداخلي، وتسمح هذه الملاءمة بالقول أن المغرب ينظم لعالمية هذه الحقوق من أجل تحقيق حماية أفضل لحقوق الأحداث.

وفي هذا الإطار فإن جميع المستجدات تسير في سياق الملاءمة بين القواعد الجنائية الخاصة بالأحداث وغيرها من الاتفاقيات ذات الصلة، ويبقى أول المقتضيات هي رفع سن الرشد الجنائي إلى 18 سنة[385]، والغاية من هذه المقتضيات هي حماية الحدث ووقايته من الإجرام ثم إصلاحه وتفادي إيذائه إذا انخرط في عالم الإجرام.

وبذلك تهدف الآليات القانونية الخاصة بالأحداث إلى حماية الحدث في ثلاثة وضعيات، إذ يحمي الحدث الجانح، والحدث ضحية جريمة، والأطفال الموجودون في وضعية صعبة من جراء اختلاطهم بمجرمين أو منحرفين، وهؤلاء الأحداث وفر لهم المشرع حماية قانونية، لأن القصد ليس هو العقاب إنما هو الحماية وتفادي ضلوعهم في الانحراف.

ولا يمس بحرية الحدث إلا إذا تعذر تسليمه لمن يتولى رعايته أو كانت ضرورة البحث أو سلامة الحدث تقتضي ذلك، وقد أشرك المشرع أولياء الحدث وفعاليات المجتمع المدني في البحث وفي كل متابعة، وأثناء تنفيذ التدابير التي يحكم بها على الحدث، وله الحق في إجبارية المؤازرة من طرف المحامي[386].

تجدر الإشارة إلى أن المشرع لم يتضح للملاءمة مع الاتفاقيات الدولية تنظيم المسألة بقضاء متخصص، غير أنه أوجد عدة أجهزة تدور في ذلك القضاء الجنائي تكون مختصة، وفي هذا الإطار نص على شرطة قضائية مختصة بالأحداث، ونص في مجال النيابة العامة على اختصاص قضاة النيابة العامة في قضايا الأحداث، فيعين الوكيل العام للملك لدى محكمة الاستئناف، ووكيل للملك لدى المحكمة الابتدائية قاضيا من القضاة للأحداث بقرارات لوزير العدل باقتراح من رؤساء المحاكم الابتدائية أو الاستئنافية.

واحتراما لخصوصيات الأحداث، تم التنصيص على سرية الجلسات وسرية الأحكام ولا يسمح بحضور جلسات الأحداث إلا الدفاع، والقضاة، والهيئات المعنية بشؤون الطفولة، والأقارب، أو الجهة التي يخول لها رعاية الطفل الحدث، كما تم التنصيص على فصل قضايا الأحداث عن الراشدين وتأخير قضايا الأحداث إلى أن يبت في قضايا الراشدين ما لم تعارض وذلك مع مصلحة الحدث، وظل التحقيق إجباريا في الجنايات المرتكبة من طرف الأحداث[387].

أصبح للبحث الاجتماعي دورا مهما يهدف للبحث عن التدابير الكفيلة لإدماج المتهم الذي يبلغ أقل من 20 سنة في المجتمع بكيفية ناجحة[388]، إذ أن التدابير التي وفرت لفائدة الأحداث تقتضي أيضا إشراك المجتمع المدني، فقد أصبحنا نجد أن الجمعيات المخولة لها رعاية الأحداث متواجدة على الساحة في إطار تطبيق التدبير الذي تقضي به المحاكم.

---

[385]- تنص المادة 458 من القانون رقم 22.01 بمثابة قانون المسطرة الجنائية. "يتحدد سن الرشد الجنائي ببلوغ ثمان عشرة سنة ميلادية كاملة.يعتبر الحدث إلى غاية بلوغه سن اثنتي عشرة سنة غير مسؤول جنائيا لانعدام تميزه. يعتبر الحدث الذي يتجاوز سن اثنتي عشرة سنة وإلى غاية بلوغه ثمان عشرة سنة مسؤولا مسؤولية ناقصة بسبب عدم اكتمال تميزه".

[386]- المادة 460 من القانون رقم 22.01 بمثابة قانون المسطرة الجنائية.

[387]- الفقرة الأخيرة من المادة 465 والمادة 466 و476 و486 من القانون رقم 22.01 بمثابة قانون المسطرة الجنائية.

[388]- يظهر أن المشرع المغربي عمل في المادة 474 من القانون رقم 22.01 بمثابة قانون المسطرة الجنائية بنفس المبادئ التي تنص عليها قواعد الأمم المتحدة النموذجية لإدارة شؤون قضاء الأحداث فحسب مقتضيات المادة 16 من (قواعد بكين)، "يتعين في جميع الحالات، باستثناء

في هذا الصدد، أحدث المشرع نوعين من التدابير، وتتمثل في تدابير الحراسة المؤقتة المنصوص عليها في المادة 471، التي يقضي بها خلال البحث التمهيدي أو التحقيق الإعدادي، وتدابير الحماية أو التهذيب التي تصدرها المحكمة بعد صدور الحكم والموجود في الفصل 481، وهي كلها تدابير تربوية أو تدابير للعلاج وإعادة الإدماج.

ونص أنه إستثناء لا يحكم على الحدث بالإعدام وبالسجن المؤبد وبعقوبة 30 سنة، فهناك بعض الأحداث الذين يرتكبون جرائم خطيرة جدا وأن حالتهم لا يكون ممكنا فيها علاجهم أو تهذيبهم، وتربيتهم بواسطة التدابير وحدها، ففي هذا المجال فتح المشرع الباب أمام قضاة الأحداث بأن تقرن تدابير الحماية والتهذيب بعقوبات، غير أنه لا يمكن أن يحكم عليهم بالعقوبات المشار كاملة إذ تخفض إلى النصف[389].

لذلك فإن أقصى مدة سجن أن يحكم بها على الحدث هي 15 سنة[390]، وهناك إمكانية للطعن في كل الأحكام وفي التدابير، بالإضافة إلى إمكانية التقاضي على الأقل في درجتين، والتدابير التي يحكم بها على الحدث تكون دائما قابلة للتغيير من قبل قاضي الأحداث كلما استدعت ذلك مصلحة الحدث[391].

وبخصوص الحدث في وضعية صعبة، فقد عرف المشرع هذه الوضعية بكونهم الأحداث البالغين أقل من 16 سنة الذين تكون سلامتهم البدنية، أو الذهنية، أو الأخلاقية، أو التربوية معرضة للخطر من جراء اختلاطهم بأشخاص منحرفين أو لكونهم معرضين للانحراف أو معروفين بسوء سيرتهم أو لهم سوابق في الإجرام، أو إذا تمردوا على سلطات آبائهم أو حاضنيهم أو الأوصياء عليهم أو المقدمين عليهم أو كافليهم، أو لأنهم إعتادوا الهروب من المؤسسة التي يتابعون فيها دراستهم أو تكوينهم أو هجروا مقر عائلتهم أو لعدم توفرهم على مكان صالح يستقرون به[392].

المطلب الثاني : مواكبة تحولات الواقع الاجتماعي وخصوصيات المجتمع المغربي

إذا كانت مبادئ حقوق الإنسان، ومن خلالها حقوق الطفل قد كانت واحدة من بين الأسباب الداعية لتعديل الترسانة القانونية المغربية الخاصة بالأحداث بهدف ملاءمتها وانسجامها، فإن تصاعد نسبة جرائم هذه الفئة قد شكل سببا هاما الذي انطلق منه المشرع المغربي في تحديث القواعد الخاصة بالأحداث بشكل يتماشى مع التحولات التي يعرفها الواقع الاجتماعي المغربي، وسد الثغرات والصعوبات القانونية التي تعيق عملية تقويم السلوك الإنحرافي للأحداث وإعادة إدماجهم بالمجتمع.

الحالات التي تنطوي على جرائم ثانوية، وقبل أن تتخذ السلطة المختصة قرارا نهائيا يسبق إصدار الحكم، إجراء تقص سليم للبيئة والظروف التي يعيش فيها الحدث والظروف التي ارتكبت فيها الجريمة، كي يتسنى للسلطة المختصة إصدار حكم في القضية عن تبصر".

[389]- المادة 482 من القانون رقم 22.01 بمثابة قانون المسطرة الجنائية.

[390]- المادة 439 من القانون رقم 22.01 بمثابة قانون المسطرة الجنائية.

[391]- أنظر من المواد 501 إلى 504 من القانون رقم 22.01 بمثابة قانون المسطرة الجنائية.

[392]- المادة 513 من القانون رقم 22.01 بمثابة قانون المسطرة الجنائية.

وقد بدأت بوادر ظهور ظاهرة جنوح الأحداث بالمغرب بعد استرجاع الاستقلال[393]، وأدى ظهور التغيرات في الواقع الاجتماعي إلى بروز عدة عوامل ومسببات الانحراف الذي تلعب فيه المشاكل الاجتماعية دورا مهما[394]، الأمر الذي يتطلب وباستمرار التعمق في الأبعاد المختلفة للانحراف على أساس علمي مبني على التخطيط الواضح والمتكامل وبتنسيق مميز[395] من أجل الوصول إلى صياغة تشريعية لقواعد قانونية تضمن معها حماية فئة الأحداث من الانزلاق في براثين الجريمة.

يمتاز المجتمع المغربي بفتوة العنصر البشري وهذه الحقيقة تم إثباتها في جميع عمليات الإحصاء العام للسكان التي عرفها المغرب[396]، ومنه فإن فئة الأطفال تشكل القاعدة الهرمية للساكنة المغربية وهذه الفئة تعاني من عدة مشاكل أهمها الانحراف والجنوح والتي تؤثر بشكل كبير على تطورهم ونموهم على جميع المستويات[397]، حيث شكلت وضعية الطفل إحدى عقبات التنمية الاقتصادية والاجتماعية في المغرب[398]، ذلك نتيجة الانتقال السريع الذي تعيش فيه قيم المجتمع المغربي الذي يطغى عليه التناقض ويصعب فيه التكيف على الناشئة وخاصة الطفولة والمراهقين.

لوحظ في السنوات الأخيرة تزايد حجم ونوع الانحراف وأصبحت في كثير من الأحوال تتسم بالعنف الشديد[399]، وامتد هذا العنف إلى الوسط الأسري، وداخل المدارس بل اكتسبت أحيانا طابع الجرائم الجماعية أو جرائم العصابات أكثر من الطابع الفردي.

---

[393]- محمد الغياط، مرجع سابق، ص: 85.

[394]- يوسف بن العربي الدلائي، أثر البرامج الوقائية في الحد من ظاهرة انحراف الأحداث، دراسة ميدانية، بحث لنيل دبلوم الدراسات العليا المتخصصة في علوم التربية، جامعة محمد الخامس كلية علوم التربية الرباط، السنة الجامعية 2001- 2002 ص: 69.

[395]- عبد الله الأرضي، انحراف الأحداث ووسائل الوقاية والعلاج على ضوء العقوبات البديلة، دراسة ميدانية بالسجن المحلي ومركز الإصلاح والتهذيب بسلا، بحث لنيل دبلوم الدراسات العليا المتخصصة في علوم التربية، جامعة محمد الخامس السويسي كلية علوم التربية الرباط، السنة الجامعية 2005- 2006، ص: 35.

[396]- على سبيل المثال تأكد في تلك الفترة حسب الإحصاء العام للسكان والسكن لسنة 2004 أن عدد السكان المغاربة وصل إلى 29.680.069 نسمة ومن بينهم 15.039.407 نساء بنسبة 50,77% وعدد 14.640.662 ذكور بنسبة 49.3%. ومن بين السكان القانونيين نجد أن الأطفال الذين يتراوح عمرهم ما بين 4 سنوات إلى 24 سنة يمثلون نسبة 51,8% بما مجموعة 15.336.912 نسمة متساوية بين الذكور والإناث. نشرة المندوبية السامية للتخطيط النتائج العامة للإحصاء العام للسكان والسكنى، المغرب سنة 2004.

ويمثل الأطفال ما بين (ما بين 0 إلى 18 سنة) أكثر من ثلث الساكنة، نصفهم من الإناث ونسبة 10 في المائة منهم يقل عمرهم عن 5 سنوات. نشرة المندوبية السامية للتخطيط النتائج العامة للإحصاء العام للسكان والسكنى، المغرب سنة 2014.

[397]- محمد الغياط، مرجع سابق، ص: 81.

[398]- صنفت منظمة الأمم المتحدة للطفولة (اليونيسف) المغرب في الدرجة (68) حسب إحصائيات 1994 التي سجلت 56 حالة وفاة في الألف كمعدل، ومعدل وفيات الأطفال الرضع، بلغ (46) وفاة وفي الوثائق الرسمية، وقدم للعدالة حسب وزارة العدل سنة 1990 (10,138)حدثا جانحا يتوزعون من حيث الجنس إلى (8025) ذكرا، و(2113) أنثى، وحسب وسط الإقامة يسجل (5872) من الوسط الحضري و (4324) من الوسط القروي، أما حسب ما تم ارتكابه من جرائم فقد قدم (9982) بسبب جنح و(508) بسبب جنايات. إبراهيم سعيد السويري، الدور التربوي لمؤسسات الرعاية الاجتماعية للأحداث، دراسة للدور التربوي والتعليمي لمؤسسات الرعاية الاجتماعية في كل من ليبيا والمغرب، بحث لنيل درجة الدكتوراه الدولة في علوم التربية، جامعة محمد الخامس كلية علوم التربية الرباط، السنة الجامعية 2000- 2001، ص: 53.

[399]-محمد الغياط، مرجع سابق، ص: 86.

في ظل هذه الوضعية أصبحت ظاهرة جنوح الأحداث في ارتفاع مستمر وزادت اتساعا بفعل النمو الديموغرافي[400] وتعدد العوامل المساهمة في الجنوح[401]، هذه الظاهرة التي أصبحت مسألة حصرها محل نقاش وذلك باختلاف الصيغ التي تتم بها معالجتها من بلد لآخر حسب خطورة الجريمة وجنس مرتكبيها.

في المغرب تعالج ظاهرة جنوح الأحداث من خلال عدة مقاربات منها ما هو اجتماعي واقتصادي بالدرجة الأولى، ثم منها ما هو أمني قانوني، وبالمقابل يبقى الجانب العلمي المرتبط برصد الظاهرة من الناحية الإحصائية ضعيفا بخلاف عدد من الدول المتقدمة كفرنسا، التي ترسم سياستها الجنائية الخاصة بالأحداث بناء على تشخيص واقع المشكلة، حيث يتم إعداد بحوث ودراسات تختص بالكشف عن أسباب الانحراف كخطوة أولى، ثم يعمل بعد ذلك على مواجهتها من خلال اعتماد آليات قانونية تهدف إلى الحفاظ على مصلحة الحدث، ففرنسا تتميز بتنوع قوانينها الخاصة بالأحداث نتيجة كثرة الإحصائيات الرسمية التي ترصد الظاهرة والإحاطة بها من كل الجوانب.

ورغم عدم دقتها فتسجل الأرقام في المغرب معدل تصاعدي بخصوص إجرام الأحداث، وقد استشعر المشرع المغربي ناقوس الخطر، حيث عمل على بذل جهود من أجل التصدي للظاهرة وذلك بالعمل على تغيير آليات العدالة الجنائية في علاقة بالأحداث عن طريق إدخال تعديلات على الترسانة القانونية، وإقرار إجراءات خاصة للمحاكمة.

إن هذه الجهود تعبر عن فلسفة المشرع المغربي التي ترمي إلى تكريس الضمانات الإجرائية فيما يتعلق بعدالة الأحداث، تحقيقا لنجاح دور القضاء بهذا الخصوص وانعكاسه على تجاوز الصعاب والمعيقات، وذلك للحد من الجرائم والمخالفات القانونية الخاصة بالأحداث وكذا المعرضين للانحراف والذين لا يحتاجون إلا لاتخاذ تدابير لحمايتهم من الانحراف ومساعدتهم اجتماعيا.

خاتمة :

وفي الأخير يمكن القول أن التشريع الجنائي المغربي في مجال حماية الأحداث تطور وفق المراحل التي مر بها، وكانت كل مرحلة من هذه المراحل تتميز بظروفها الخاصة مما يتحتم على التشريع مواكبة هذه الظروف والإنسجام معها.

فبعدما كان المذهب المالكي وقواعد الشريعة الإسلامية والأعراف المحلية هي السائدة في معاملة الأحداث مرحلة قبل الحماية، فإن التشريع الجنائي المغربي بخصوص الأحداث بعد دخول المستعمر عرف تغيرا مرجعيا واختلف باختلاف التقسيم الترابي للمناطق المغربية من طرف المستعمر الفرنسي والإسباني وكذلك بمنطقة طنجة الدولية، وهو ما أفرز

---

[400]-ومرد ذلك هو حصول انخفاض في نسب الخصوبة والوفيات مما يدل على حصول نوع من التحول الديمغرافي، ذلك أن المؤشر التركيبي للخصوبة لا يتجاوز 95.2 بينما انتقلت نسبة وفيات الأطفال (الوفاة قبل بلوغ السنة الأولى) من 40 طفل من 1.000 مولود حي سنة 2004، إلى 2.28 من كل 1.000 مولود حي سنة 2011، بانخفاض يبلغ 25 بالمائة، ويرجع ذلك إلى التحسن المستمر الذي عرفته ظروف الرعاية الصحية منذ التسعينات. المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي، التقرير السنوي 2013، ص: 36. منشور بالموقع الإلكتروني الرسمي للمجلس الإقتصادي والاجتماعي والبيئي على الرابط المباشر التالي:

- http://www.ces.ma/ar/Pages/Rapports%20annuels/rapport-annuel-2013.aspx أطلع عليه بتاريخ 28-11-2023.

[401]- عبد الحميد المليجي، مرجع سابق، ص: 80.

تشريعا عنصريا يميز بين الأحداث المغاربة والأحداث الأجانب المقيمين بالمغرب لا من حيث الإعتراف بسن الرشد الجنائي ولا من حيث التدابير المقررة في تأهيل وإعادة الإدماج وغيرها من الإجراءات الخاصة بهذه الفئة.

وظلت سياسة المشرع المغربي في مرحلة الحماية متأثرة بالأوضاع الاجتماعية والسياسية مما يفيد غياب أية ساسية جنائية في مجال الأحداث في تلك المرحلة، ولم تبرز التوجهات الحقيقية للمشرع الجنائي المغربي إلى حين استرجاع المغرب للاستقلال، حيث صدر أول قانون للمسطرة الجنائية بتاريخ 10 فبراير 1959 في أولى محطات الإصلاح التشريعي منذ استرجاع المغرب استقلاله الذي عزم عليه المغرب في بداية الخمسينات بهدف التخلص من براثين الاستعمار، فقد أسس لسياسة جنائية ترمي مبدئيا إلى حماية الحدث الجانح وإعادة تربيته وتهذيبه، وفي نفس الوقت القضاء على الآثار الوخيمة للنصوص التشريعية الخاصة بالمستعمر وعلى انعكاساته السلبية على الجنوح بالمغرب كما وكيفا، التي كانت أولى أسبابه العامل الديموغرافي وتشابك المشاكل الاجتماعية والاقتصادية التي ورثها المغرب عن الاستعمار.

وفي خضم التحولات التي أصبح يعرفها المغرب، وعملا بالالتزامات الدولية التي تعهدت بها الدولة، واستجابة لمناداة الحقوقيين ورجال القانون وهيئات المجتمع المدني، عملت السلطة التشريعية على ملاءمة مجموعة من القوانين الجنائية مع المقتضيات الدولية المتعلقة بحقوق الإنسان بصفة عامة وحقوق الطفل بصفة خاصة، عن طريق إصدار قانون رقم 22.01 بمثابة قانون جديد للمسطرة الجنائية تضمن عدة تعديلات تتعلق بالقواعد الخاصة بالأحداث، حيث اعتمد القانون في معالجته لقضايا الأحداث الجانحين على عدة مبادئ منها ما أقرته الشريعة الإسلامية، مع الالتزام بأحكام الاتفاقيات والمعاهدات الدولية التي صادقت عليها المملكة المغربية، وقد تطورت هذه القواعد بشكل كبير لتواكب التوجهات الدولية والخصوصيات الوطنية.

لائحة المراجع المعتمدة

❖ **الكتب :**

- ادريس الكتاني، ظاهرة انحراف الأحداث، دراسة اجتماعية للطفولة المنحرفون في المغرب، مطبعة التومي، الطبعة الأولى، سنة 1976؛
- الحسين وبا، الحدث الجانح وواقع العقوبات والتدابير الوقائية الصادرة في حقه، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع الرباط، الطبعة الأولى، 2015؛
- عبد الرحمان مصلح الشرادي، انحراف الأحداث في التشريع المغربي والقانون المقارن، مطبعة الأمنية الرباط، الطبعة الأولى 2002؛
- محمد الغياط، السياسة الجنائية وحماية حقوق الحدث الجانح في المغرب – دراسة قانونية تربوية اجتماعية – طوب بريس، الطبعة الأولى، 2006.

❖ **الأعمال الجامعية :**

- إبراهيم سعيد السويري، الدور التربوي لمؤسسات الرعاية الاجتماعية للأحداث، دراسة للدور التربوي والتعليمي لمؤسسات الرعاية الاجتماعية في كل من ليبيا والمغرب، بحث لنيل درجة الدكتوراه الدولة في علوم التربية، جامعة محمد الخامس كلية علوم التربية الرباط، السنة الجامعية 2000- 2001؛

- صفاء الغياتي، دور المؤسسات القضائية والإصلاحية والسجنية في معالجة جنوح الأحداث، بحث نهاية التكوين لنيل دبلوم الماستر، جامعة محمد الأول كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية وجدة، السنة الجامعية 2010- 2011؛
- عبد الحميد المليجي، الآليات الضبطية للسلوك الانحرافي لدى الأحداث الجانحين، دراسة سوسيو قانونية، أطروحة لنيل الدكتوراه في القانون الخاص، جامعة عبد المالك السعدي كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية طنجة، السنة الجامعية 2014- 2015؛
- عبد الله الأرضي، انحراف الأحداث ووسائل الوقاية والعلاج على ضوء العقوبات البديلة، دراسة ميدانية بالسجن المحلي ومركز الإصلاح والتهذيب بسلا، بحث لنيل دبلوم الدراسات العليا المتخصصة في علوم التربية، جامعة محمد الخامس السويسي كلية علوم التربية الرباط، السنة الجامعية 2005- 2006؛
- محمد لفريخي، القانون الجنائي المغربي أصوله ومعالم توليفته، دراسة في الأصول وأساسيات التطور، أطروحة لنيل الدكتوراه، جامعة محمد الخامس السويسي، كلية العلوم القانونية والإقتصادية والإجتماعية سلا، السنة 2014؛
- محمد سكلي، السياسة الجنائية والوقاية من انحراف الأحداث، بحث لنيل الماستر المتخصص في علوم التربية، جامعة محمد الخامس السويسي كلية علوم التربية، السنة الجامعية 2008- 2009؛
- يوسف بن العربي الدلائي، أثر البرامج الوقائية في الحد من ظاهرة انحراف الأحداث، دراسة ميدانية، بحث لنيل دبلوم الدراسات العليا المتخصصة في علوم التربية، جامعة محمد الخامس كلية علوم التربية الرباط، السنة الجامعية 2001- 2002 .

❖ **المجلات :**

- حميد الوالي، دور المقاربة الحقوقية في تطوير العمل التربوي، المجلة المغربية للطفل والأسرة، كرسي اليونسكو الطفل والأسرة والمجتمع، جامعة سيدي محمد بن عبد الله كلية الحقوق فاس، الموصد الوطني لحقوق الطفل، العدد 1 يناير 2010؛
- محمد بازي، المعاملة الجنائية للأحداث في التشريعات العربية، مجلة المحامي، العدد 34، سنة 1999.

❖ **الندوات العلمية :**

- عبد العزيز بوزيان، تفعيل المعاهدات الدولية في إطار القانون الجنائي المغربي، ندوة وطنية حول السياسة الجنائية بالمغرب واقع وآفاق، منشورات جمعية نشر المعلومة القانونية والقضائية، سلسلة الندوات والأيام الدراسية، المجلد الأول، الطبعة الثانية، العدد 3 ، السنة 2004؛
- المرصد الوطني لحقوق الطفل، التقرير العام، المؤتمر الوطني لحقوق الطفل الدورة السادسة، الرباط 26/25 ماي 1999.

❖ **التقارير:**

- نشرة المندوبية السامية للتخطيط النتائج العامة للإحصاء العام للسكان والسكنى، المغرب سنة 2004.؛
- التقرير السنوي للمجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي برسم سنة 2013.

❖ **المراجع باللغة الأجنبية :**

- CASSIN René, religions et droits de l'Homme, In Institut International des droit de l'homme, Amicorum disciphlorumque libre, IV méthodologie des droits de l'homme, Ed pedone, 1972.

-JACQUELINE Rubellin-Devichi et RANIER Frank, L'enfant et les conventions internationales, presses universitaires de lyon, lyon, 1996.

-JACQUELINE Rubellin-Devichi, le principe de l'intérêt supérieur de l'enfant dans la loi et la jurisprudence française, R, française des affaires a propos des manifestations internationales, population et famille, n°4, décembre 1994.

- ROUSSET Michel, la difficile conciliation entre l'idéologie unanimitaire et l'idéologie démocratique, le cas du Maroc, the maghrebreview, Vol 10, n° 10, 1985.

بوموكاي وما حولها : دراسة في بعض الكتابات المحلية.

Boumougai and its environs: a study of some local writings.

د. **النعمة بوشامة**، باحث في تخصص علم الاجتماع، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة ابن طفيل، القنيطرة، المغرب.

ملخص:

يحاول مقالنا هذا تقديم مقاربة علمية حول أبرز تجليات منطقة بوموكاي الواقعة في مجال الجنوب المغربي وبالضبط بمنطقة زيني التي تبعد بحوالي 40 كيلومتر بأقصى الشرق الجنوبي لإقليم الطنطان، حيث عرفت هذه المنطقة راهنا تحولا فاصلا نظرا لما فرضته عليها شروط التمدين وخروج أهاليها للاستقرار في الحواضر المدنية المجاورة، فصرنا -بالمحصلة- أمام منطقة شبه فارغة بعدما كانت حاضرة زمانها، الأمر الذي حفزنا إلى البحث العلمي الدقيق حول بعض ما كانت تعيش على وقعه هذه المنطقة، مسلطين الضوء على بعض الوثائق القيمة التي تحصلنا عليها بمجال الدراسة، وذلك سعيا منا للمساهمة في التعرف على مقدراتنا المحلية ومؤهلات مجالنا الترابي في ظل عالم باتت تتحكم فيه سلطة اقتصاد المعرفة.

الكلمات المفتاحية: القبيلة، التوطين، منطقة زيني.

summary:

Our article attempts to present a scientific approach to the most prominent manifestations of the Pomokai region, located in southern Morocco, specifically in the Zini region, which is about 40 kilometers away in the far south-east of the Tan-Tan province. This region has currently undergone a decisive transformation due to what was imposed on it by the conditions of urbanization and the departure of its people to settle in the neighboring urban cities. As a result, we were faced with an almost empty area after it was present at the time, which prompted us to conduct precise scientific research on some of the things that affected this area, highlighting some of the valuable documents that we obtained in the field of study, in an effort to contribute to identifying Our local capabilities and the qualifications of our territorial domain in a world now controlled by the authority of the knowledge economy.

key words:

Tribe, settlement, Zeni region.

مقدمة:

عرف المجال الممتد جنوب وادي درعة السفلى خاصة بمنطقة زيني الواقعة جنوب شرق مدينة الطنطان استقرار مجموعة من المجموعات القبلية الصحراوية التي امتهنت العديد من المناشط الاقتصادية (الرعي، حرث وزراعة الأراضي/المعادر، امتهان الحرابة، التجارة، الحرف التقليدية، أدوار أهل الحل والعقد، التطبيب الشعبي، الأدب ..)، حيث أفضى تمسكها بهذا المجال القاهر والمتسم بندرة الموارد الطبيعية انعكاسا مباشرا على بنياتها الاجتماعية والثقافية، هذه البنيات التي ستتحول مع عامل توطين هذه المجموعات الرحالة ودخولها حياة التمدن والاستقرار الى حالة جديدة أثرت عميقا في البنيات التقليدية الأولى التي عاشت على وقعها لقرون خلت والموسومة بقيم التضامن المشتركة. وتأتي هذه الورقة لتقديم مقاربة علمية أولية من وجهة سوسيولوجية لا نزعم شموليتها وإنما حاولنا الاعتماد بالأساس على استقراء بعض

الوثائق التاريخية على شكل بعض المخطوطات التي بحوزتنا تمكنا من الحصول عليها وإعادة تحقيقها، وهي معطيات تقدم بعض أبرز مظاهر الحياة الاجتماعية والثقافية لدى أهالي هذه المنطقة، بالإضافة الى الراهن بهذا المجال وما يعرفه من توفر شروط الاستقرار على موسميته بمختلف الدواوير التاريخية بهذا المجال، **فما هي أبرز المعالم والجزئيات المؤرخة لمنطقة بوموكاي وأحوازها ؟**

في البدء: تحديدات مفاهيمية :

التوطين: يعد التوطين عملية موجهة وفق تخطيط مسبق يسعى للاندماج الاجتماعي، يروم خلق تنمية اجتماعية واقتصادية وسياسية متكاملة، وتسعى هذه المخططات التوطينية الى استقرار الانسان البدوي، مما يؤدي الى خلق تغيير على مستوى البنيات الحضارية والثقافية ورفع المستوى الاجتماعي، وبذلك يتم ادماج المجموعات البدوية ذات النمط الترحالي والرعوي في البنيات القانونية والسياسية والاقتصادية الجديدة للمجتمع الحديث، فيضحون مواطنين لهم حقوق وواجبات وجزء من أساسيات التنمية البشرية المعول عليها في النهوض بالمجتمعات الخارجة من نمط عيش الظعن والترحال.

القبيلة: "وفق النظرة الإرتقائية- التطورية للمجتمعات البشرية التي تدشنها بشكل واضح في تاريخ الأنثروبولوجيا أعمال لويس هنري مورغان، فإن النظام القبلي يعود إلى طور خاص من التطور هو طور البربرية التي تقع بين القوم المميز لطور الوحشية وبين الدولة التي يعتبر ظهورها معاصرا لطور الحضارة"[402]، ويطلعنا حقل الأنثروبولوجيا الثقافية أن القبيلة هي وحدة اجتماعية تجمع عدة معاشر أو عشائر أو مجتمعات محلية أخرى، وتنتشر في المجتمعات شبه البدائية بصورة شبه شاملة، وتتميز القبيلة بمكان محدد وبلغة واحدة وبحضارة واحدة.. ويشغل أفراد المجتمعات المحليةالتي تتكون منها القبيلة أرضا مشتركة ويتكلمون لغة واحدة ويطبقون أنماط ثقافية مشتركة، ويترتب عن ذلك سهولة التفاعل الاجتماعي بين أعضاء القبيلة الواحدة لاشتراكهم في المكان واللغة والحضارة.

منطقة زيني : تقع في أقصى جنوب شرق إقليم الطنطان جنوب المملكة المغربية على بعد حوالي أربعين كيلومترا وتظم مناطق (بوموكاي، تافراوت، تانولي، تلمزون، لمسيد..)، ف "الى الشمال من جبل زيني حيث توجد الكثير من ينابيع المياه، كما توجد بها أماكن تخزين المنتوجات الفلاحية المحلية"[403]، ومن حدود جبل زيني تنتمي المنطقة للصحراء الأطلنطية، والتي تمتد من وادي درعة شمالا إلى لكويرة جنوبا، والحدود الجزائرية شرقا، والمحيط الأطلسي غربا. وكانت منطقة زيني تحت الاحتلال الإسباني من سنة 1884م حتى خروج أخر جندي إسباني منها سنة 1976م، أي أنها منطقة كسائر مجال الجنوب المغربي خضعت للاستعمار قرابة قرن من الزمن، كانت تقطنها وتعبرها مجموعة من القبائل وهي قبائل أيتوسى الرقيبات يكوت وأيت لحسن وأولاد أبي السباع.. إلخ.

1. **بوموكاي: المجال والإنسان:**

---

[402] : عبد الودود ولد الشيخ، القبيلة والدولة في أفريقيا، ترجمة: محمد بابا ولد أشفع، الدار العربية للعلوم ناشرون، مركز الجزيرة للدراسات، ط1، 2013، ص. 15.

[403] : Manuel Mulero Clemente. Los territorios espanoles del Sahara y sus gruposnomadas. El Siglo. Las Palmas de Gran Canaria. 1945. P.34.

الرقعة الجغرافية التي ستشملها دراستنا هذه بدقة هو مجال بوموكاي وأريافه، الواقع بين منطقتي درعة السفلى وإقليم الطنطان، حيث تحده شمالا سلسلة جبال الواركزيز وشرقا منحدرات حمادة درعة، وغربا إقليم الطنطان وجنوبا أرياف (تافراوت، اغوينم، غانم، اخنيك اعلي..)، وتتموقع منطقة بوموكاي ضمن مجال زيني والذي تتخلله مجموعة من الجبال التي تدخل ضمن سلسلة جبال زيني المرتفع نسبيا بارتفاع يصل الى حوالي 250 متر عن سطح البحر، حيث تحيط به هذه الجبال من جميع الجهات وتتخللها بعض الوديان الجافة والموسمية الجريان، والتي تصب أثناء جريانها في وادي درعة السفلى، كما تنفصل منطقة زيني هذه عن منطقة "أيدار" وهي أراضي أقل ارتفاعا من أبرزها: سبخة لمحاكن ولمسيد، كما تمتد شرق سلسلة جبال زيني سلسلة جبال الواركزيز التي تعد مدخلا باتجاه منطقة لحمادة الكبرى، هذه الجبال التي يتموقع على حافتها الغربية قدم لحمادة ومجال "رق لبياض" التي تتخلله أودية "اكنيفيدة وأكساة".

ترجع أصول تسمية "بوموكاي" بحسب ما تداولته بالاجماع الرواية الشفهية المتعددة الى جذور تاريخية تعود الى الحقبة الصنهاجية ما قبل المجيء العربي المعقلي، اذ تعتبر هذه القبائل الى جانب قبائل زناتة ومصمودة ينحدرون من "بربر الصحراء" وهي المجموعات البربرية الصنهاجية من بقايا المرابطين، وهم من عرق يميل الى السواد كان يستوطن المنطقة المقابلة لجزر الخالدات والتي كانت قديما عبارة عن سهوب خضراء تتوفر فيها المياه بشكل كثيف مما سهل الحياة وسهل وجود تجمعات بشرية، حيث نجد أن جميع هذه المناطق المحيطة بهذه المنطقة تحمل أسماء ذات مرجعية صنهاجية (وادي بولغماد، بوعلاكة، تافراوت، تانولي، تابولعجينت، تارماست، تيفلفال، تيغيسيت، أمزكدي، تاليليت..)، وتأتي ترجمة اصطلاح بوموكاي الى ما معناه "مربي الأبقار" حيث يقال بأنها منطقة كانت معروفة بتربية الأبقار قبل ما يسمى بالتغريبة العربية المعقلية و الذي استعاضت عن ذلك بعد هذا الحضور الاثني العربي الجديد بقطعان الابل، وهناك من يرجعها الى ذلك الرجل الخبير في صنع "الحبال" التي تجلب موادها من أشجار النخيل (أو شجر لكطف) أو جلود المواشي، حيث توظف هذه الحبال في مختلف المناشط الاقتصادية المحلية (ربط المواشي والابل، جلب الماء من الآبار، ربط الخيام..)، كما شكلت منطقة بوموكاي تاريخيا محط جذب الرحل خلال مرحلة الترحال نظرا لموقعها الزراعي الهام المتسم بوفرة آبار المياة العذبة ، واللافت للنظر هو حجم استصلاح الأرض من خلال غرس حقول الصبار الشاسعة، وكذا تحصن الأهالي من الغارات الخارجية حيث كان أغلب الأهالي يعيشون على سفوح جبال بوموكاي لتحقيق المراقبة المستمرة من أي هجوم خارجي مفاجئ، حيث مكن موقعها الاستراتيجي الحماية من أي غزوات قبلية خارجية نظرا لوعورة تضاريسها الجبلية.

وتتكون ساكنة منطقة بوموكاي من مجموعة من الاثنيات الصحراوية (مقابر الهلاليين، أهل اعزى ويهدى، أيتوسى، الركيبات، أولاد أبي السباع، أهل أبا حازم..) تعيش بالقرب منها مجموعة من الوحدات القبلية المجاورة التي تربطها علاقات تاريخية (أيت لحسن، يكوت، ازركيين..)، وهو ما أكده موليرو بوجود "الرقيبات وأهل الشيخ ماء العينين وأيت أوسى وأيت لحسن ويكوت وأزركيين ولفويكات وتوبالت وغيرها"[404] كانت تتنقل في هذا المجال أثناء ترحالها الدائم بحثا عن المراعي لقطعان مواشيها وابلها، نظرا لما يزخر به من مؤهلات طبيعية خاصة خلال الفترات المطرية حيث تكثر أصناف الوحيش والطيور بالإضافة الى تواجد آبار الماء (حسيان تانولي، معراضة، أمزكدي، تيغيسيت، عيون تيفلفال، حسيان تارماست..)، الأمر الذي أفضى الى تنمية هذا المجال من خلال غرس حقول الصبار حيث كانت "توجد جنوب درعة آيت لحسن وأيت أوسى الذين يترحلون ويرعون المواشي ويزرعون أشجار الصبار "أكناري" (los poderosos Ait Ussa)، يتنقلون بقطعانهم من الماشية في المنطقة الاسبانية ويجنون ثمار زراعة العديد من لكرار كما ينتفعون من مغارس الصبار التي يعيشون عليها

[404]: Morales Flores Angel. Razas del Sahara espanol . In africa. Madrid. Num. Nov-Dic.1948. p.56.

خلال الصيف.. إننا بصدد قبيلة محاربة جمعت ما بين الحرابة وممارسة الزراعة الظرفية (لكرار، لمعاذر) وغراسة الشجر المثمر (أكناري) وهذا قل ما تحقق لقبيلة صحراوية"[405]، بالإضافة إلى استغلال أشجار الأركان وثماره وتربية النحل وتوظيف الأعشاب الطبيعية في التداوي الشعبي وتشييد البنايات العتيقة سواء للسكن أو للمراقبة الحربية، وهي معطيات من شأن الاستثمار الحقيقي والفعال فيها أن يعود على أهالي هذه المنطقة بالتنمية المنشودة.

إلا أن عملية توطين هؤلاء الأهالي سواء بفعل توالي سنوات الجفاف وتداعيات حرب الصحراء أدى الى نزوح غالبيتهم للمدن المجاورة (الطنطان، كليميم، العيون، السمارة..)، مما وفر بعض شروط الإقامة لها بهذه الحواضر الناشئة، غير أنه استقرار كان له الأثر السلبي على حاضرة بوموكاي التي لم تعد فيها الحياة متجددة ودؤوبة إلا خلال فترة الصيف من كل سنة، وبالضبط خلال مجيء بعض الأهالي لقضاء فترة العطلة والاجتماع مع ذوي القربى، أو كأقصى تقدير محاولة تجديد الارتباط بالأرض بما تحمله من حمولات ثقافية وتاريخية، إلا أن كل هذا يبقى في حدود الحنين للماضي وما يحمله من تاريخ يضمر ويظهر انطلاقا من المناسبة التي تمليه (موسم المعروف السنوي، انتخابات محلية، مبادرات الإدارة، تجمعات القبيلة..) إلخ، وقد نعزو كل هذه المتغيرات الراهنة الى تأثيرات التمدين حيث تراجعت القيم المشتركة أمام سطوة قيم السوق وضغوط واقع العمل المأجور، ومختلف تفاصيل الحياة المدنية التي تكاد لا تنتهي.

إن ما دفعنا الى محاولة توثيق جوانب من الحياة البدوية لمنطقة بوموكاي هو حصولنا على بعض المخطوطات التاريخية الهامة التي صارت بحوزتنا، وكذا انتمائنا الذاتي أساسا الى هذا المجال الرعوي، بالإضافة الى أن الوقوف عند بعض مميزات هذه المنطقة اقتصاديا واجتماعيا وقيميا، ومعاينتنا عبر آليات المشاركة اليومية أو الملاحظات المباشرة، كل هذا من شأنه أن يفيد في توثيق هذا التراث الثقافي المحلي في أفق استثماره في مشاريع التنمية المنشودة في بلادنا، **فما هي أبرز الملامح الثقافية والاجتماعية التي شهدتها منطقة بوموكاي وأحوازها ؟**

2. قراءة في بعض المخطوطات التاريخية بمنطقة بوموكاي:

يضم المخطوط الأول الذي بحوزتنا[406] على معطيات جد قيمة حول جوانب من تاريخ منطقة بوموكاي، حيث نجد أن كاتب هذا المخطوط وهو للإشارة أحد قضاة قبيلة أيتوسى المسمى قيد حياته "مولاي عمر بهنين"[407] قد افتتحه بهذه الكلمة المؤثرة:

"نعم وإني أطلب من الله ثم منك إذا نظرت ما كتب هنا يكتب في دفتر وتكون نسخة منه عند: لحسن ولد الهادف الوعرابي الجعفري الهاشمي الوعباني الأيتوسي ونسخة منه ثانية تتركها في خزانة مع ما عندي من الكتب.."[408]، ونستشف من هذه الكلمة حجم أهمية ما سيقدمه لنا هذا الكاتب من معطيات تاريخية حول مجال بوموكاي وما يحيط به من أحواز، مردفا بعد ذلك قائلا: "نعم إن قبيلة أيت أوسى لهم رجال رأينا منهم من أعراش إداوموليل الكثير.. الجنة تحت ظل السيوف، عرش أنفليس أهل إبراهيم اعلي أهل بجريفن أهل بل أحماد أهل اسعيد هؤلاء أنصار أبناء موسى بن نصير، الطلبة أبناء سيدي حبوب من ذرية سيدنا عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، إداومستر أبناء السيد يعقوب بن نصير كلهم أنصار سيدنا يعقوب بن نصير مدفون في مدينة آسا كانت مدينة علم وقراءة القرآن"، وهنا حاول الكاتب بشكل دقيق ومفصل أن يقدم لنا ما

---

405 : محمد دحمان، دراسات حول الصحراء (التراث- الإقتصاد- المجتمع)، آسا وما إليها في الكتابات الاسبانية، 2019، ص. 84.
406 : أنظر في ملحق المقال مقتطف من هذا المخطوط الذي بحوزتنا والذي تحدث عن جوانب من حاضرة بوموكاي.
407 : تحدث هذا القاضي الذي له مؤلفات عديدة تؤرخ لقبيلة أيت أوسى الصحراوية أنه كان يقوم بتحفيظ النشئ كتاب الله القرآن الكريم، ومنهم ابنه نور الدين محمد بن مولاي عمر وأنه قرأ كتاب الله وتعلم على يده الحط والجمع والضرب.
408 : مقتطف من المخطوط الأصلي الذي بحوزتنا.

يدخل ضمن علم الأنساب الشجرة القراباتية للوحدات الاثنية المكونة لقبيلة أيت أوسى(أنفاليس، أيت وعبان، أيت إدر، إيداوتيا، أيت بوجمعة، ايمغلاي، باقي أعراش ايداومكيت)، بل بلغ به الأمر أنه عمل حتى على تحديد أصولها وانتسابها، وما كانت تمتهنه تاريخيا من مناشط اقتصادية (التجارة، الزراعة، العلم، الحرابة..).

وينتقل بنا نفس الكاتب الى المجال الترابي الذي نحن بصدد دراسته في ورقتنا هذه والذي سماه ب"مرست بومكاي" تشبيها لها بتمركز بشري كان يعرف استقرار ونمط عيش رعوي، على شاكلة إرساء بشري برقعة جغرافية معينة، وهي من الاصطلاحات المحلية التي تعطى للمناطق التي كانت آهلة بالسكان والحركة الرعوية والزراعية في المرحلة الترحالية الظاعنة للمجتمع الصحراوي، مفصلا بدقة ما يحيط بها من أحواز سماها كالتالي: "مرست لحجار، معدر الأركان وأبركان، معدر واد العيون، معدر أكويدير، مرست تنولم، مرست تبولعجنت، أرسيس، أم البرد تافراوت، معادر واد درعة من قصر إدلوين الى مكب واد لعيون، مكب واد متتدين".

كما تحدث هذا الكاتب في جانب من هذا المخطوط كذلك عن جوانب من إمتهان اقتصاد الحرابة، إذ نجده على سبيل المثال يفصل لنا احدى الوحدات العشائرية المكونة لعرش أيتوعبان التابعة لقبيلة أيتوسى المسماة ب"أعرابات" محددا أصلها الى عرب "أولاد امبارك" من "أولاد عبد الله بن جعفر بن أبي طالب"، حيث ذكر أبنائهم كل من "البر بن سركوح" و "لحسن بن سركوح" و "عيلال بن سركوح" .. ومنهم "لحسن ولد الهادف" وأخوانه"، معتبرا أن "امبارك وحسن (بتشديد النون) وأعرابات هم قسمة في مكون أيت وعبان، مبرزا نشاطهم الحربي تاريخيا بدقة قائلا: بأنهم كانوا "أهل البنادق ورجال الحرب".

ويضيف في مقام آخر أثناء معرض حديثه عن المجلس التنظيمي الذي يؤطر القبيلة وخاصة موسمها السنوي وهو ما يسمى محليا ب"مجلس أيد أربعين"[409] أو "اجماعة" قائلا أنه: "وذلك من الجماعة وحين صلحت جماعة أيت أوسى جعلوا نصيب من العشور أظنه الثلث تأكل منه الطلبة في مسجد سيدي يعقوب الأنصار ومنهم الذين يقرؤون العلم في المدرسة وجعلوا عليها اسم الزاوية وقالوا يلزمنا أن تلتقي هنا في السنة مرة واحدة جميع جماعة أهل الحل والربط من القبيلة نتفاهم ما يصلح لقبيلتنا واتفقوا على أن يكون له موسم سوق يعمر يوم تسع وعشر واحدى عشر واثنى عشر في ربيع الثاني تشتري قبيلة أيت أوسى عرشا منها ناقة وتنحرها اكراما لزيادة سيدنا محمد صل الله عليه وسلم الربع للجماعة وثلاثة أرباع للزاوية أهل العلم والمسجد قراءة القرآن وكان استمرارهم هكذا من قال غير هذا فقد كذب على قبيلة أيت أوسى.."[410]، وهنا يحدثنا الكاتب عن أدق تفاصيل تنظيم الشأن الديني والعلمي داخل مؤسسة الزاوية باعتبارها كانت تشكل أبرز مربعات ديمومة الذهنية الاعتقادية لدى المجتمع المحلي، والذي كان يحاول تكريم حملة العلم من فقهاء وطلبة العلم من خلال توفير المسكن والمعيش اليومي مقابل تحصيلهم لمختلف صنوف العلم الشرعي، ويتوج هذا بتخليد ذكرى عيد المولد

409 : مجلس أيت أربعين: أي حكم الأربعين وهو عبارة عن مجلس يتكون من أعيان القبيلة ووجائها إذ تتم العضوية داخله على أساس المعطى القبلي وتكون غالبا رئاسته متداولة بين الأعضاء، كما أن قراراته صادرة بالإجماع بناءا على العرف المحلي وعلى ما تمليه العقيدة الإسلامية. ويعمل هذا المجلس على سن القوانين الملزمة للجميع وعلى الدفاع عن المجال الخاص بالقبيلة والدفاع عن المراعي، وحماية أبار المياه، وصيانة الأماكن الصالحة للحرث والإشراف على توزيعها وحدود التماس مع القبائل المجاورة. كما أنه مفوض للتفاوض باسم القبيلة. وتتنوع التأويلات المقدمة لإصطلاح أيت أربعين أو مجلس الأربعين كما يسميه البعض، فهناك من يرجع التسمية الى عدد الأعضاء حيث أنه كان يتكون من أربعين عضوا، وهناك من يعزو كلمة أربعين كونها مرتبطة بعمر العضو إذ لا تعطى العضوية في المجلس إلا بعد بلوغ سن الأربعين.

410 : مقتطف من مخطوط في حوزتنا حول قبيلة أيت أوسى الصحراوية القاطنة بالجنوب المغربي.

النبوي باحتفالية تشرف عليها القبيلة من خلال نحر النوق وختم القرآن ونشر ثقافة التقدير والرقي بأبنائه المتعلمين خاصة حملة كتاب الله وعلومه الفقهية.

ووفق هذا السياق المعرفي نجد في نفس هذا المخطوط مواضع أخرى للأدب من خلال توثيقه لنا لبعض من الأبيات الشعرية ناشدا:

"لك ذروة العلوم بين العباد

حرزت كل المعالي والله يوم المعاد

ملكت السفارة بالعلم والتقى

ولم تكتم علما خوفا من يوم اللقا

كلامك يشفي كل عليل

فخرا لنا بك أيها السيد النبيل

الله لك بكل شفاء بين الورى

مؤيد بسرياء وسيد بين القرى

لك بالناصر تجد المعالي والحقوق

تهيا وافرح وانبذ العقوق

نصر من الله أيها الفرقد

فخر لك بتلاوتك للكتاب تسعد

أمسكت موطأ أمامنا

وقطعت به رقاب كل معايد وخائنا

رب العباد حباك في كل مشهد

وأتاك كل فخر وعز على كل معاند".

ويضيف في معرض مدحه للنبي المصطفى محمد صل الله عليه وسلم قائلا:

"سل عن سبط الأفاخر الكرام والسنن

يروق حسنا بين الأنام والفطن

علوا وسددا أيها الناصر المؤتمر

دامت سعادة عاملنا الأبر

مذهب الخنا عن البلاد مشتهر

مشى المجد بين يدي الناصر مبتسما

له سبقا في التنظيم والعمائم

حزت كل المفاخر بالعلم والتقى

بشرى لك أيها الناصر يوم اللقا

مشيت سفيرا لشعبة الفخيم

بكل عز وشجاعة وفخر عظيم

دام لك العز والفخر بين الأنام

أيها الناصر لذ بكل شرف واحترام

أعطيت دروسا للمسلمين

ونبهت كل غافل من المحسنين".

وأما الوثيقة الثانية التي اطلعنا عليها فتتعلق بنسخة من عقد تصرف توثق لأحد ساكني حاضرة بوموكاي، حيث وصفت مالكها بأنه: "يتصرف في ملك يعرف بأغوينم بمزارع بومكاي، يحده شرقا علي واحماد وغربا أملاك القبيلة يمينا وشمالا الجبل.. يتصرف المالك في ملكه بلا منازع له فيه ولا معترض طول المدة المذكورة ولازال يتصرف فيه الى الآن قالوا ذلك وتقلدوا كل ذلك وعلمهم به المخالطة والمجاورة والاطلاع على غالب الأحوال"، وهذه الوثيقة تبين أن الأهالي بمجال بوموكاي كانوا يعملون على توثيق أملاكهم عند الأشخاص المختصين في العقود معتمدين في ذلك على ما يسمى باللفيف العدلي المشتمل على أزيد من اثنا عشر رجلا مشهود لهم بالشهادة القانونية والشرعية، وكذا ما عملوه من استصلاح للأرض (غرس، حفر الآبار، حرث لمعادر..) وهي وثائق عرفية محلية تساعدنا اليوم في فهم جوانب من نمط عيش المجموعات الاثنية التي كانت تعيش في منطقة بوموكاي وأحوازها.

واما الوثيقة الثالثة التي اطلعنا عليها فتتعلق بملكية ما يصطلح عليها محليا ب"الجنان" أي تلك الضيعة الفلاحية التي تكون في ملكية الأهالي، وهو عبارة عن توثيق تاريخي دأب سكان بوموكاي على كتابة أراضيهم وتحديد حدودها، حيث يخبرنا نفس الكاتب موثق هذه الوثيقة "مولاي عمر بهنين" وبموافقة من شيخه القاضي "علي بن ماء العينين العتيق" أنه "وفي اثنين وعشرون من صفر الخير سنة ألف وثلاثمائة وسبعة وستون هجرية 1367هـ قام اعبيد وأخيه عالي وأمهم امعييف بنت محماد اسعيد الوعراب قام ببيع جميع الجنان الذي هو لهما إرث من أبيهم محمد بن اعبيد الكائن في أم البرد بمرست بومكاي بحدوده شرقا فريق الماء وقبلة الشارع الطريق وغربا الطريق الممتد الى جهة "مرزيدان" وجنوبا حسين بن محماد اسعيد، اشتراه بثمن مبلغه خمسمائة ريالا سكة الوقت، وكذلك باع أحمد وأمه امعييف حظ أخواته ام الرجال وامبيريك

بوكالتهم لأخيهم أحمد وبذلك وقع البيع القاطع للجنان وأحلوه محلهما كحلول ذي مال في مال وعلى السنة والمرجع بحضرة الشيخ الحسن بن القايد وامبارك ولد العالم ومحمد سالم ولد إبراهيم ولد احماد أشياهو ومحمد ولد القايد اعليات.

وأما الوثيقة الرابعة فتتعلق بعقد زواج بحضور والد الزوجة يحمل بعض الشروط التي توافق عليها الزجان قبل عقد القران، كما توضح وثيقة أخرى في نفس الموضوع حكما فقهيا قام القاضي "ماء العينين بن العتيق" باستصداره حول نازلة تتعلق بإعادة عقد الزواج لسيدة كانت مطلقة من ساكني منطقة بوموكاي، حيث أفتى للزوجين بما جاءت به الشريعة الإسلامية بخصوص تحديد مدة العدة، وأمر بحضور ولي من جهة الزوجة حتى تمت عملية عقد القران من خلال توثيقه رسميا.

ويحدثنا بشكل مفصل القاضي "بهنين مولاي عمر" في وثيقة خامسة عن أن "أرض بوموكاي لم تكن يوما ما أرض موات بل كانت أرضا عامرة والرجوع في ذلك الى العرف، حيث كانت الابل تسقى منها دائما، ويذكر أن إحياء الأرض وملكها يكون على رأي أبي حنيفة وأحمد بن حنبل بتحويطها وأن يتخذ لها دار ويتعهدها بالبناء والغرس وحفر بئر وغير ذلك، ومع قول الشافعي ان كانت للزرع فيلزم اخراج ما بها وان كانت للسكنى فتقطعها بيتا وتسقيفها ومن ذلك قول أبي حنيفة .. وما قاله شيخنا الشيخ ماءالعينين في كتابه "دليل الرفاق على شمس الاتفاق" : وجوز احياء أرض ميتة لمسلم بالاتفاق، ولو ترى موات بأرض الإسلام، وغير ذلك فيه اختلاف الاعلام، انتهى، وعلى هذا تجز خدمة الأمصار المذكورة في وادي درعة في بقعة يسقيها لهم أحد.."، واستطرد القاضي في ذلك مالكي هذه الأرض شخصا بشخص حتى وصل في نهاية الوثيقة الى ختمها بعبارة: "وبهذا وقع تمليك هؤلاء الأنفار كما طلبوا مني".

وضمن نفس السياق، نصب قائد قبيلة أيت أوسى آنذاك قاضيا له بالنيابة من داخل منطقة بوموكاي وهو الرجل الورع المسمى قيد حياته "بوزيد ولد امبارك ولد البر" الملقب بكنية "بوشامة" حيث كانت أحكامه الفقهية حول مختلف النوازل والقضايا التي تعرض عليه قاطعة بما تمليه الشريعة الإسلامية، وبذلك ترك لنا هو الآخر أرشيفا كاملا من الوثائق المحلية النادرة والمهمة[411]، حول مختلف الأحكام التي حكم فيها بما فيها وثائق تفصل الإرث بين الاخوة والأسر[412]، وقد كانت رقعة "لمصلى" وهي عبارة عن أول مسجد كانت ساكنة بوموكاي تقيم فيه صلاتها مكانا لاستصدار الأحكام وتدارس المشاكل الداخلية لأهالي بوموكاي وما جاورها من أرياف.

ونقف بشكل مدهش جدا أمام الوثيقة السابعة وهي للإشارة كذلك مخطوط جد هام يتعلق بإعطاء الضوء الأخضر لأحد رجال منطقة بوموكاي لمزاولة مهنة التطبيب الشعبي، لأهالي الصحراء عامة وليس مجرد ساكني منطقة بوموكاي، جاء فيها: " وبعد، فقد اجتمعت على أمر من المسلمين من قبائل شتى أهل الحل والربط والديوان وأمروا أن أكتب لحاملا أبورقعة بن أبيه المغلاوي الأيتوسي أنه مشتهر الطب فيه مصالح المسلمين معاينة مرة بعد مرة الى ما تبين وأكثر من ذلك لأنه طبيب مجرب في كل عضو من الانسان ولحمه والبهائم، ويصف لنا هنا كيف قام بعلاج رجل يدعى "محمد بن اسعيد الوعباني" قدم اليه يعاني من كسر، حيث قام بتثبيت قصب على موضع الكسر وجعل عليهم لفة من الشعر وتبارى عليها اللحم وصار الكسر كأن لم يكن، كما أتته السيدة المسماة "التالية بنت حمد بن جاع ويسي" وكانت رجلها سقيمة لا تنام معها من شوكة قد شرب العظام منها وشق رجلها ونزع من أصل العظم أربعة أنامل وبرأت عظامها كأنها لم تكن، وبعد ذلك أتاه "امبارك بن

411 : مخطوطات لعائلة القاضي أهل بوزيد بوشامة ولد امبارك ولد البر في حوزتنا.
412 : مخطوط بحوزتنا حول تقسيم الإرث بين عائلة أهل اعليات ولد مبارك ولد البر بمنطقة بوموكاي من توثيق القاضي بوزيد بوشامة.

الأطرش الحسني" وقد ضربه الرصاص في الركبة وصار في أشد التعب وفرت الأحبة منه وأتاه وشق ركبته وسلخ عن اللعابة يمينا وشمالا وبرم اللعابة حتى نزع ما تحتها من العظام المنكسرة واللحم الميت ورد اللعابة لموضعها ورجع كأنه لم يكن، وبعد ذلك أتاه جلال بن اسعيد السلامي الرقيبي بابنته ارقية سقيمة البصر غم (بضم حرف الغين) على بصرها حتى لا تبصر شيئا وشق جوانب عينها وأخرج منها الغطا وأبصرت كل شيء كأنها لم يجري عليها العمى، وبعد ذلك نزع أربعة ضلوع من أحمدنانة بن احماد بن اعقيدة الوعباني وبره أحسن البرء، وبعد ذلك أتاه اعلي سالم بن محمد بن عبد الله اليكوتي بزوجته كبولة سقطت عليها اركيزة فضربتها على الرأس وشرم العظم وشق ما عن العظم وما انتشر منه.."[413]، وتضيف وثيقة أخرى في نفس الموضوع "الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعد، هذا وليعلم الواقف عليه ومن انتهى أمره اليه ممن يتولى القضاء في هذه الأزمنة الخالية من العلماء العاملين والأئمة المحققين أن ما سطره الكاتبون أعلاه وحوله من شهادتهم على الطبيب بوركع من الطب ونحوه صحيح وما استشهدوا به صريح لأنه مشهود به في بلاد العرب وغيرها وبه كتب شاهدا به من استكتب، بتاريخ أعلاه وحوله"[414].

وفي وثيقة ثامنة أخرى توثق لجوانب من حياة أهالي منطقة بوموكاي يحدثنا الكاتب "محمد صالح بن بوجمعة" على أنه "وفد علي الأمين بن المحجوب بن الرقيبي وأخاه عبد الله وأحمد بن إبراهيم بن لعربي وعبد الواحد مع ابنهم مع جامع بن يحي المغلاوي من جهة الجمل لرب المال أحمد بن إبراهيم وتفاصلوا فيها نقط الاختصام من كليهم عبر الزمان ونصروا أن يبقى بينهم الخير والإحسان بحضرة جمع غافر من المسلمين منهم محمد بن الرك وبوجمعة بن أيوب ولحسن كنو عليه شعطاطوغيره من المسلمين، وقع الرسم في شعبان ، عبد ربه محمد صالح بن بوجمعة وقاهم الله من عذاب الدنيا وعذاب الآخرة"[415].

وأما الوثيقة التاسعة فتعود لسنة 1325هـ وتتعلق بترسيم الحدود بين أبرز قبيلتين تستوطنان منطقة زيني، ويتعلق الأمر بمخطوط يوثق للصلح بين كل من قبيلة أيت أوسى وقبيلة يكوت المجاورة لها، حيث يخبرنا الفقيه "اليزيد بن باه" و القاضي "الخليل بن عبد الحي" وكاتب المخطوط السيد "الحبيب بن الحسين بن عبد الحي": "وبعد فقد أتتني جماعة أيتوس وجماعة يكوت مختلفين في ملك منطقة زيني، كل منهم يزعم أنه له من دون الآخر، فطلبت منهما البينة على الملك، لأن البينة تبين من فيهم وتوضح ما اشتكل لأن كلا منهما مدعيا.. فأريتهم الصلح والصلح خير فقبلاه وتراضيا عليه، من الجبل شرقا لأيتوس من عند مكسم الفرنان الى واد أعبر مع الجانب الشرقي لأيتوس لا مدخل فيه ليكوت ومن الجانب الغربي ليكوت وقته الجبل هو الحدادة من مكسم الفرنان الى الشبيكة ليكوت، موافقا للفرقتين لأن أيتوس بل ويكوت أيت الجمل.. فقبله تراضيا عليه بطوعهم ورضاهم فصار من عند مكسم الفرنان الى واد أعبر لأيتوس لا كلام فيه ليكوت ومن تكلم فهو ظالم ومتعد، ومن مكسم الفرنان من الجانب الغربي ليكوت لا كلام فيه لأيتوس الى الشبيكة فتراضيا عليه وقبلاه"[416]، وقد تم تعريف هذا المخطوط بتاريخ 23 ديسمبر سنة 1977م من قبل القاضي المقيم بمدينة تنغير المغربية "أديب عبد الوهاب"، شاهدا بأن هذا المخطوط صحيح وبأن كاتبه آنذاك مشهود له بالعدل والاستقامة وكان حين تاريخه قاضيا بالصحراء وأحكامه بها كثيرة ومشهورة.

413 : مخطوط بحوزتنا حول كيفية التطبيب الشعبي الذي كان يقوم به أحد المختصين في هذا الشأن من ساكنة بوموكاي.
414 : مخطوط بحوزتنا حول شهادة التطبيب المسلمة لأحد ساكنة بوموكاي في الحقبة الترحالية.
415 : مخطوط بحوزتنا حول صلح بين بعض أهالي منطقة بوموكاي وبعض أبناء القبائل الصحراوية المجاورة.
416 : المخطوط الأصلي في حوزتنا.

ونختم هذا المحور بوثيقة عاشرة لا تقل أهمية عن سابقيها حول تفويض ضيعة فلاحية في منطقة بوموكاي للأخ الأكبر لاحدى عائلات منطقة بوموكاي تحدث القاضي "امربيه رب بن سيد أحمد بن باه" عن تفاصيل هذه الواقعة جاء فيها: "الحمد لله وحده، هذا وكانت أبناء محمد العبيد فوضوا الأمر لأخيهم أحمد العبيد في أمر الجنان في مرصت أم صميد فاض وماض أمره بإذن معييف وأبنائها الذكور أحمد ولخير علي والبنات أم الرجال امبيريك علي سيدي الحسن وابيه وأخيه الحويسين ومحمد لمحمد، امربيه رب بن سيد احمد بن باه، غفر الله له ولوالده وللمسلمين وللحسان ويقر عليك أخيك في الله المسلم ألف سلام والحمد لله رب العالمين"[417].

لقد تبين من مختلف هذه المخطوطات التي حاولنا –قدر المستطاع- تحقيقها وتحليل ما جاء فيها من معلومات مختلفة وغزيرة أن نقف عند جوانب من نمط عيش ساكنة منطقة بوموكاي وأحوازها، سواء تعلق الأمر بتمليك الأرض أو استصلاحها وبناء الدور العتقية أو عقود الزواج والطلاق أو النوازل الفقهية التي كانت آنذاك تحاول فك بعض المشاكل الداخلية للأهالي، أو ما يتعلق بالتطبيب الشعبي الصحراوي، أو تنصيب أطباء وقضاة مختصين في هذا المجال، أو جوانب من حياة الأدب والثقافة.. وهي بذلك ثروة لامادية توثق لتاريخ أهالي هذه المنطقة وتؤصل لسيرورة حركتهم وطبيعة حياتهم وعلاقاتهم مع مختلف القبائل الصحراوية المجاورة، الأمر الذي من شأنه أن يساهم في ديمومة استثمار هذه الوثائق مستقبلا في عملية تثمينها وتوظيفها في مختلف الأوراش التنموية بمنطقة بوموكاي وما جاورها من أرياف.

3. التحولات الاجتماعية والثقافية بمنطقة بوموكاي وأحوازه:

أدى الاستعمار الاسباني الذي شمل منطقة بوموكاي[418] وما جاورها من أرياف الى فرض وضعية إدارية غير مسبوقة بالمنطقة، ولذلك حاولنا استقراء بعض ما كتبه ضباط الإدارة الاستعمارية الاسبانية حول منطقة بوموكاي، إذ يصف لنا في هذا الصدد الضابط الاسباني "إينريكي كارمونا" الذي زار منطقة زيني سنة 1953م "لقد وصلنا الى منطقة بوموكاي وأماكن أخرى من زيني توجد بها مئات من الخيام تكسوها خضرة الصبار في حقول تفصلها أسوار من الحجارة وتنتشر بها بنايات عتيقة، فلم نستطع كبح دهشتنا أمام هذا المنظر الفريد في ذلك الوادي المغطى بشجر الصبار وأسراب الخيام، فهؤلاء الناس من أطفال ونساء ورجال الصحراء جاؤوا هذا الصيف مثل الصيف السابق من مناطق بعيدة جدا وقطعوا مسافات هائلة للاستمتاع برطوبة مناخ منطقة زيني ولتذوق فاكهة الصبار الحلوة والشهية.. فمنذ ما يزيد عن تسعين سنة تم غرس هذه الأشجار بمنطقة تانولي وبوموكاي ومناطق أخرى من زيني، وهي زراعة ازدهرت بفضل هذا المناخ الخاص، منذ ذلك الحين أناس من أيت لحسن وأهل ماء العينين وأزركيين والرقيبات وخاصة من يكوت وبطن أيت وعبان من أيت أوسى يقدمون كل صيف الى هذه المنطقة، ولا يكتفون بالاستمتاع ولكنهم يقومون بغرس نقلات جديدة من الصبار ويبنون الأسوار والحدود وينشئون البنايات الصغيرة لحفظ الحبوب ولحفظ الماشية وعزلها.. لقد رحب بنا في بوموكاي رجل مسن من أيت أوسى من أوائل الذين غرسوا الصبار بهذا المكان، إنه رجل مسن وموقر، وجهه ضاعن في السن وله نظرة حادة، يتكلم ببطئ فلم أتمكن من الحصول منه على معطيات كثيرة لأن ذاكرته أصبحت ضعيفة جدا ولكنه لم يخف فخره بأنه أحد المؤسسين الذين جعلوا من منطقة زيني منطقة الصيف بالساحل الشمالي من الصحراء.. إن هذا الفرح الطفولي الظاهر على رجال الصحراء في هذه العطل الصيفية بمنطقة زيني ربما لا يكون مرحبا به وجيدا بالنسبة لقرائي ولكنه

---

[417] : مخطوط في حوزتنا حول كتابة ضيعة زراعية لأسرة بمنطقة بوموكاي.
[418] : مخطوط بحوزتنا يعود الى الحقبة الاستعمارية الاسبانية حيث توجد عليه ختم الإدارة الاسبانية يوثق لجوانب من الحياة اليومية بمنطقة بوموكاي.

بالنسبة للصحراوي الذي يعيش كل سنة على أرض شاقة تكابد الجفاف وضربات الرياح فوق أرض عارية من أي غطاء نباتي تحيط بها المضايقات ويلفها التقشف يكون قضاء أسبوع ببوموكاي أو تانولي هو خروج للتلذذ بما هو غير معتاد، فالمناخ بجبل زيني رطب وهائل والماء جيد وكثير وفاكهة الصبار حلوة كالعسل"[419].

كما يخبرنا الاسباني إينريكي كارمونا في موضوع حفلات الزفاف وما يتخللها من رقص شعبي بمنطقة بوموكاي تحديدا قائلا: "لا بد أن نعترف أنه لا توجد رقصة من رقصات الصحراء قد أثارت انتباهنا غير رقصة (الهرمة) وهي رقصة رجالية مليئة بالقوة وبالاحساس الحقيقي، فهي تبدأ بإيقاع طفيف وبعدد لابأس به من الرجال الواقفين في صف واحد ويقف أمامهم الشخص الذي يوجه رقصهم، وشيئا فشيئا يتطور الرقص وبشكل رتيب، ودون التظاهر باكتشاف الهرمة فاني أجروء على الإشارة أن هذا الرقص هو تعبير عن الشغف الذي يشعر به رجل الصحراء تجاه الجمل، لأن إيقاعه مأخوذ من صديق الرحل بالصحراء، إنها رقصة "الميهاريستا" ورمزيتها واضحة رغم أنه من غير المعروف إذا كان أيت وعبان سيتوقفون أم لا للتفكير بهذه الأشياء"[420]، وتبدأ هذه الرقصة (الهرمة) مع (الكوطرة) وهي تشبه بداية حركو مشي الجمل، ليتم الانتقال الى درجة ثانية تسمى (إيترك) أي الهرولة المستمرة ببطئ، ثم تأتي مرحلة (أكران) وهي درجة أكثر سرعة لتنتقل هذه الرقصة الى مرحلة (أخاتم)، وتختتم بأقصى سرعة تسمى ب (الربعة)، وأحيانا عندما تصل هذه الرقصة لأقصى درجاتها قد تصبح رقصة حربية بامتياز لا تختلف عن حالة "الغزي" أي الحملة الحربية التي تروم الهجوم على قبائل أخرى وغنم ممتلكاتها، وهكذا "مرت هذه الشهور بسرعة، فالصحراوي يعود مرة أخرى الى جفاف الصحراء والرعي الذي لا مفر منه بحثا عن المراعي وعن الماء، وسيتنقل عبر مسافات طويلة الى جهات عديدة ويواجه الرياح والرمال و(إيريفي) على أساس العودة الى زيني في الصيف المقبل"[421]، وهي أماكن بعيدة عن مجال جنوب درعة بين جبال زيني تصل أحيانا الى الساقية الحمراء وقد تصل حدود مجال تيرس وزمور في مجال وادي الذهب بل وفي حالات جد خاصة حتى دواخل القطر الموريتاني (منطقة الحوض).

كما تناول "إينريكي كارمونا" كيفية إقامة حفلات الزواج وما يصاحبها من أهازيج ورقصات بمنطقة زيني قائلا: "سوف تكون هذه التلال بمثابة مسرح للضوضاء لتنشيط الضيوف كما لو كانت ساحة أي قرية اسبانية مليئة بسكان ريفيين، ففي وقت متأخر من مساء يوم أحد، وبعد ساعات من حلول الليل حيث يبدأ القمر في سفك خيوطه الفضية فوق أشجار الصبار، عندما يبدأ الرذاذ يتساقط من السماء كغبار النجوم فيصبح كل شيء تحت شاعرية شفافة، يجتمع الفتية عند باب الخيمة للإحتفال بهذه الليلة وقد بدأ قرع (اطبل) بشكل بطيء ومتقطع، طبل مصنوع من (تازوة) مغطاة بجلد، يتم قرعه بالأيدي، ويجتمع حوله النساء قادمين من الفركان"[422] ، ذلك أن صوت الطبل يجل الأهالي من بعيد، فتجد المرأة مزينة بمختلف أنواع الحلي التقليدية (الخرز، الأساور، القلائد، الخلاخل الفضية الملونة..)، كما يقمن بوضع الحناء بشكل عادي جدا مع ظفر شعورهم بعناية، بينما ينبري الرجال الى لبس دراريعهم ذات الألوان الزرقاء والبيضاء مع سلاهيم مصنوعة من قماش أزرق داكن.

419 : Carmona (Enrique). El veraneo en La region del Zini. In : Africa. Num. 303. Febrero 1953. P.p.36-37.
420 : Carmona (Enrique). El veraneo en La region del Zini. P.p.38-39.
421 : Carmona (Enrique). El veraneo en La region del Zini. P.p. 38-39.
422 :. Carmona (Enrique). El veraneo en La region del Zini. P.p. 34-35.

تجلس النسوة في مكان خاص بهن حيث ينادى على بعضهن للرقص وبعد الالحاح عليها لدرجة جلبها بالأيادي لمركز دائرة غالبا ما تشكل من الشباب، فتجلس على ركبتيها وتبدأ في الرقص ببطئ موظفة حركات جسدها العلوي، من خلال ابداء حركات ملتوية تتم عبرها تحريك الرأس والكتفين والأصابع والذراعين، يواكب ذلك ارتفاع صوت (الكدرة) والتصفيق القوي لزيادة تشجيع الفتاة على الرقص، وعندما يشعر الشباب بقرب اعياء أو احراج الراقصة يتم فسح المجال لها للخروج من الدائرة لترك الفرصة لفتاة أخرى، مع زعاريت التشجيع المستمر، والجميل في كل هذا هو انطلاق مشاهد أدبية تتخلها أغاني الفرح والأغاني الحربية والدينية، وهي تعبير عن ما كانت تعيش على وقعه أهالي منطقة بوموكاي من بساطة وعفوية أثناء احياء احتفالاتهم الفرجوية، وهي لحظات للتنفيس عن قهر مجالهم ومحاولة إعطاء لون إيجابي لبيئتهم المحيطة.

وأضاف نفس الضابط الاسباني "إينريكي كارمونا" في معرض حديثه حول طبيعة المعيش اليومي لساكنة منطقة بوموكاي معتبرا بأنه في الوقت الذي يقضي الأطفال والنساء فترة الصباح في جمع فاكهة الصبار Chumbos يعمل الرجال على رعي المواشي و"بوصول أي زائر يرحب به الجميع ويحيط به الرجال الموجودين في الخيام، وبعد الترحيب بتحايا مطولة ومليئة بالتكرار ومهذبة ورسمية جدا يسألون الوافد الجديد عن الأخبار كالتالي: أش كاين من الأخبار ؟ إنه سؤال اعتيادي، ويحرك الزائر رأسه قليلا ويرفع حاجبيه ويبدأ بإعطاء القليل من الأخبار المهمة، واذا كانت الأخبار مميزة سيتخذ صوته شكل معين والكل يركز نظره عليه بدون أدنى لفتة محسوسة أو فارق بسيط، فإذا كان ما يقوله يسبب الجدل يتدخل حينها الكثيرون فيتصاعد إيقاع الحديث بشكل غير عادي ولكنهم يعودون للسكوت ولقطع الكلام، وفي هذه الأثناء يقوم المضيف باعداد الشاي والكسكس، واذا كانت الزيارة تهم أحد الأشخاص البارزين أو بعض الشيوخ يتم نحر جمل أو ذبح شاة على شرفه"[423].

وفي الحقيقة أن هذا الاستعمار الاسباني على الرغم من طول مدته التي ناهزت القرن من الزمن لم يقم بأي إعمار حقيقي من شأنه أن يساهم في خلق تنمية اقتصادية واجتماعية، بل عمل على جعل هذه المنطقة وما يحيط بها مجرد مراكز شبه عسكرية تابعة لنفوذهم الاستعماري وتوظيفها بحسب ما تقتضيه مصالحهم، وهكذا لم يتجاوز عملهم بهذه المنطقة سقف تنصيب بعض الشيوخ التابعين لهم، قصد إعادة تشكيل بعض الوثائق الثبوتية لهؤلاء الأهالي، أو تسوية بعض الأماكن المخصصة لنزول الطائرات العسكرية كما كان الحال فوق قمة/كعدة بوموكاي، وفي أقصى تقدير تجنيد بعض أبناء هذه القبائل في سلك الخدمة العسكرية، وكل هذا من أجل فرض حالة من المراقبة المستمرة لهؤلاء البدو شبه المستقرين، وتفاديا لأي غارات حربية من شأن أن ينظمونها ضدهم، لتكون المحصلة النهائية وباختصار تسهيل استنزاف مذخرات المنطقة ومواردها الطبيعية لا غير قصد نقلها خاما للقطر الاسباني.

ويبقى العامل البارز الذي شكل معطى موضوعيا عجل في انقلاب البنيات الاجتماعية والثقافية للمجتمع المحلي بمنطقة بوموكاي وما يحيط بها من أرياف عديدة (تافراوت، تانولي، تارماست، تابولعجينت، اغوينم، غانم، تاليليت..) هو قهر ظروف الطبيعة القاسية حيث توالي سنوات الجفاف، مما انعكس سلبا على مساحات شاسعة للغطاء النباتي، الأمر الذي أدى الى تراجع قطعان المواشي باعتبارها كانت تشكل أبرز موارد معيشة هؤلاء الأهالي، مما دفع بالكثير منهم الى الهجرة الى ضواحي المراكز الاستعمارية الناشئة، مما سرع في تشكل ذيمغرافي جديد تغلب عليه العشوائية ضمن هذه التجمعات الصحراوية، لم يعمل على إعادة تنظيمها إداريا وسياسيا الا الدولة الوطنية التي حاولت بعد استرجاع المنطقة ترتيب

[423] : Carmona (Enrique). El veraneo en La region del Zini. P.p. 37.

التوازنات الاقتصادية والسياسية، على الرغم من ما شاب هذه الترتيبات من إعادة انتاج سلطة القبيلة التي ظلت حاضرة خاصة على مستوى استمرار العلاقات القرابية والدموية والتي لازالت تؤثر على علاقات الانتماء الحزبي والسياسي، كما أنه لازال يتم توظيف هذه العصبية كذلك من أجل التقرب من دواليب السلطة، وأحيانا ابتزازها خلال تأزم الحصول على مراكز انتخابية أو سياسية، ولذلك نجد أن العمليات الانتخابية و"العصبية الترابية" المتعلقة بانفجار الصراع حول الأرض والحدود الترابية خاصة خلال مواسم حرث الحقول/لمعادر، وتوريط بعض فئة الشباب من قبل جيل كبار السن في هذه العصبية القبلية التقليدية، إلا قرائن على الكيفية التي يتم بها انتاج سلطة القبيلة واستمرار ديمومتها الى اليوم.

خاتمة:

انتقل المجتمع المحلي بمنطقة بوموكاي وما يحيط به من أرياف قروية الى وضعية مجتمعية جديدة فرضتها ظروف حياة التمدين، مما أدى الى تقهقر أشكال اجتماعية وثقافية تقليدية لصالح قيم جديدة تطغى عليها في مجمل الأحوال حياة الفردانية، مما انعكس سلبا على تنمية هذه الربوع والأرياف، إلا أن كل هذا لم يقطع الصلة بتاتا مع منطقة زيني وخاصة أرياف بوموكاي وأحوازها، وهو ما عايناه من خلال بعض المبادرات الإدارية والحكومية والمحلية (شق الطرق، دعم الرعاة والفلاحين، انشاء جمعيات المجتمع المدني، مواكبة إدارية لحياة الأهالي، معالجة حقول الصبار المتضررة من بعض الأمراض، ترميم المنازل العتيقة..). كما أنه وبالرغم من أن الكتابات المحلية سواء في شكل مخطوطات حول منطقة بوموكاي أو الكتابة الاستعمارية الاسبانية التي حاولت مقاربة هذا المجال وساكنته على ندرتها وضعف تكوينها الأكاديمي، إلا أنها قدمت بعض التفاصيل المرتبطة بتاريخ هذه المنطقة ونمط عيش سكانها، وهو ما ساعدنا اليوم باعتمادها كمادة مصدرية لتدوين جزء من تاريخ منطقة بوموكاي وأحوازها، آملين من خلال ورقتنا هذه أن يأخذ مستقبلا بعين الاعتبار ما تزخر به منطقة بوموكاي وما جاورها من ثروات طبيعية ومعادن نفيسة ورأسمال رمزي أثناء وضع البرامج التنموية، التي تستهدف إعادة احياء حاضر هذه المنطقة، حتى تصير قطبا انتاجيا من شأنه أن يعيد التعايش بين مختلف شرائح المجتمع واثنياته المختلفة، في اطار التعدد الثقافي المحلي الذي من شأنه أن يساهم في آفاق تنموية واستثمارية واعدة ببلادنا.

قائمة بعض المراجع المعتمدة:

المخطوطات:

- مخطوط بحوزتنا يتحدث عن جوانب من حاضرة بوموكاي.
- خطوط في حوزتنا حول قبيلة أيت أوسى الصحراوية القاطنة بالجنوب المغربي.
- مخطوطات لعائلة القاضي أهل بوزيد بوشامة ولد امبارك ولد البر في حوزتنا.
- مخطوط بحوزتنا حول تقسيم الإرث بين عائلة أهل اعليات ولد مبارك ولد البر بمنطقة بوموكاي من توثيق القاضي بوزيد بوشامة.
- مخطوط بحوزتنا حول كيفية التطبيب الشعبي الذي كان يقوم به أحد المختصين في هذا الشأن من ساكنة بوموكاي.
- مخطوط بحوزتنا حول صلح بين بعض أهالي منطقة بوموكاي وبعض أبناء القبائل الصحراوية المجاورة.
- مخطوط في حوزتنا حول كتابة ضيعة زراعية لأسرة بمنطقة بوموكاي.

المصادر:

- محمد دحمان، دراسات حول الصحراء (التراث- الإقتصاد- المجتمع)، آسا وما إليها في الكتابات الاسبانية، 2019.
- عبد الودود ولد الشيخ، القبيلة والدولة في أفريقيا، ترجمة: محمد بابا ولد أشفع، الدار العربية للعلوم ناشرون، مركز الجزيرة للدراسات، ط1، 2013.
- Morales Flores Angel. « Razas del Sahara espanol » . In africa. Madrid. Num.83.84. Nov-Dic.1948.
- **Carmona (Enrique). El veraneo en La region del Zini. In : Africa. Num. 303. Febrero 1953.**
- **Manuel Mulero Clemente. Los territorios espanoles del Sahara y sus gruposnomadas. El Siglo. Las Palmas de Gran Canaria. 1945.**

L'utilisation des techniques de communication pour réussir professionnellement

Zerouali Sanae. Docteur en Langue et Communication
sanaezerouali@gmail.com

Résumé

Pour réussir professionnellement, la pratique des techniques de communication est cruciale, à savoir poser des questions claires et précises pour établir une conversation, obtenir des informations et approfondir la compréhension. L'écoute active est aussi importante pour comprendre, établir des relations solides et améliorer la communication. A ceci, s'ajoute la prise de parole qui permet d'exprimer des idées, de transmettre des informations et de favoriser une communication claire et efficace. Quant à la reformulation elle consiste à redire avec d'autres mots ce qui a été exprimé par une personne. En utilisant ces techniques, vous pouvez améliorer la qualité de la communication, renforcer les relations professionnelles et favoriser une compréhension mutuelle.

Du point de vue techniques de communication, la communication peut être catégorisée selon les modes d'expression utilisés pour transmettre des messages, telle que la communication verbale, qui implique l'utilisation de mots parlés pour transmettre des informations, des idées et des émotions, la communication écrite, qui repose sur l'utilisation de mots écrits pour transmettre des messages. Quant à la communication non verbale, elle englobe d'autres moyens de communication pour la transmission des informations. Pour ce qui est de la communication visuelle, elle utilise des éléments visuels tels que les graphiques, les diagrammes, les infographies, les présentations visuelles, les vidéos, les images, les symboles, les couleurs et la mise en page pour transmettre des informations et des idées. Elle joue un rôle essentiel dans notre société moderne où l'information est souvent présentée visuellement pour attirer l'attention et faciliter la compréhension.

Mots clés : Communication, techniques de communication, typologie, réussite professionnelle

الملخص: استخدام تقنيات التواصل لتحقيق النجاح المهني

لتحقيق النجاح المهني، تعتبر ممارسة تقنيات التواصل أمرا حاسما، بمعرفة كيفية طرح أسئلة واضحة ودقيقة لإقامة الحوار، والحصول على المعلومات وتعميق الفهم. يعتبر الاستماع النشط أعاملا مهما لفهم الأمور، وإقامة علاقات قوية وتحسين التواصل. بالإضافة إلى ذلك، يتيح لنا الحديث التعبير عن الأفكار، ونقل المعلومات وتعزيز التواصل الواضح والفعال. أما إعادة الصياغة، فتعني إعادة صياغة ما قيل بكلمات أخرى من قبل شخص آخر. باستخدام هذه التقنيات، يمكنك تحسين جودة التواصل، وتعزيز العلاقات المهنية وتعزيز التفاهم المتبادل.

من الناحية التصنيفية، يمكن تصنيف التواصل وفقا لوسائل التعبير المستخدمة في نقل الرسائل، مثل التواصل اللفظي الذي يشتمل على استخدام الكلمات المنطوقة لنقل المعلومات والأفكار والمشاعر، والتواصل الكتابي الذي يستند إلى استخدام الكلمات المكتوبة لنقل الرسائل. أما التواصل غير اللفظي، فيشمل وسائل أخرى لنقل المعلومات. أما التواصل البصري، فيستخدم عناصر بصرية مثل الرسوم البيانية والمخططات والرسوم البيانية والعروض المرئية ومقاطع الفيديو والصور والرموز والألوان والتصميم لنقل المعلومات والأفكار. لهذا، يمكن القول بأن التواصل البصري يلعب دورا حاسما في مجتمعنا الحديث حيث يتم تقديم المعلومات غالبا بشكل بصري لجذب الانتباه وتسهيل الفهم.

الكلمات المفتاحية: التواصل، أنواع التعبير، تصنيف طرائق التواصل، النجاح المهني

Introduction

Dans le contexte professionnel, l'utilisation des techniques de communication occupent une place primordiale. Qu'il s'agisse de correspondance électronique, de rapports ou de

documents officiels, ou de contacts directs, il est impératif de maîtriser l'art de communiquer, car la communication revêt une importance primordiale dans notre vie quotidienne, tant sur le plan personnel que professionnel. Il est crucial de veiller à la clarté et à l'organisation de toute intervention, qu'elle soit orale ou écrite. De plus, il convient d'adapter le style de la communication en fonction du destinataire et des objectifs souhaités de la communication.

Pour réussir professionnelle dans sa vie, il est impératif de maitriser certains facteurs, dont l'un des plus importants est la communication efficace. La capacité à communiquer de manière claire, concise et persuasive est essentielle pour établir des relations solides, influencer les autres, résoudre les conflits et progresser dans sa carrière. Dans cet article, nous explorerons les différentes techniques de communication qui peuvent vous aider à réussir professionnellement en fournissant des conseils pratiques et des stratégies éprouvées.

Cet article explorera les différentes techniques de communication qui peuvent contribuer à votre succès professionnel, en fournissant des conseils pratiques et des exemples concrets.

I. Typologie des techniques de communication de base

1. Poser des questions : un outil essentiel pour la communication

Poser des questions est une technique de communication de base et un outil précieux pour établir une conversation, obtenir des informations et approfondir la compréhension d'un sujet. C'est aussi, la manière de se connaître, d'explorer une situation, d'obtenir des informations, d'approfondir certains points, de se préparer à agir. Toutefois, ces questions doivent être claires et précises, c'est-à-dire faciles à comprendre (utiliser un langage simple et évitez les ambiguïtés). Pour entamer une discussion fructueuse, il est préférable d'utiliser des questions ouvertes qui nécessitent des réponses détaillées et favorisent une conversation plus approfondie.

Entre temps, et pour bien entamer une discussion, les personnes en action doivent être attentives, aussi bien en posant des questions qu'en recevant des réponses. Cette compréhension permet l'allongement de la discussion tout en étant respectueux et empathique en se posant les questions et en recevant les réponses. Cela favorisera un climat de confiance et encouragera une communication ouverte. Mis pour garantir une communication honnête, il est souhaitable d'éviter les manipulations, c'est-à-dire, poser des questions neutres et objectives, sans influencer les réponses de votre interlocuteur.

A ceci, il faut ajouter qu'une compréhension mutuelle nécessite, de temps en temps, des clarifications, d'où la reformulation des questions avec plus de détails, ce qui évitera les malentendus et approfondira le débat. Toutefois, ce dernier ne doit pas être monopolisé par une seule personne, ceci dit, il faut accorder suffisamment de temps, à tous les participants, en leur permettant de répondre et poser leurs propres questions, et par conséquent, nous aboutirons à une communication ouverte, démocratique et productive.

Pour donner une certaine efficacité à la communication, les questions doivent être pertinentes et adaptées à la situation d'échange afin de recueillir l'information attendue auprès de l'interlocuteur. Ainsi, nous avons les **questions fermées**, qui impliquent des réponses précises (oui/non), et qui n'exigent pas des argumentations. Nous avons aussi les **questions ciblées** (faits), qui demandent des réponses courtes et précises aussi. Quant aux **questions à choix multiples, l'**éventail des réponses est plus large, car elles demandent à l'interlocuteur une certaine réflexion et une certaine mobilisation des idées sur une question donnée.

2. L'écoute : un élément fondamental pour la bonne communication

L'écoute active est l'une des techniques de communication les plus fondamentales et les plus essentielles. C'est aussi une des compétences les plus précieuses en communication. Elle

joue un rôle crucial dans la compréhension, l'établissement de relations solides et l'amélioration de la communication globale. C'est-à-dire accorder une attention totale à votre interlocuteur, sans interruption ni distraction. Mais, pour développer les compétences en matière d'écoute, il faut que la conversation engagée, entre des personnes, soit dynamique, invitant tout le monde à prêter une grande attention aux discussions, en écoutant correctement les autres interlocuteurs. Il faut montrer que, le débat est intéressant en utilisant des moyens participatifs (en établissant un contact visuel, en hochant la tête et en évitant d'interrompre ou de penser à des réponses pendant que l'autre personne parle et en souriant ou en réagissant de manière appropriée aux informations partagées).

En d'autres termes, il faut gardez l'esprit ouvert, suspendre les jugements jusqu'à ce que tout le monde intervienne et éviter de sauter aux conclusions ou de formuler des opinions avant d'avoir entendu tous les faits. Il faut donc avoir de l'empathie en écoutant, avec un sentiment partagé, les émotions et les préoccupations des autres, sans jamais interrompre l'interlocuteur tout en essayant d'identifier les points importants de son message ainsi que les arguments du discours de l'autre. « Aussi paradoxal que cela puisse paraître, un bon communiquant est d'abord quelqu'un qui sait se taire et, in fine, écouter. Mais cette compétence cruciale est loin d'être un jeu d'enfant car encore faut-il savoir entendre. Peu de personnes sont en effet aujourd'hui capables de prêter réellement attention aux messages qui leur sont adressés. Il incombe donc d'être dans une écoute dite active qui consiste à accorder au collaborateur 100 % de l'attention afin de pouvoir ensuite synthétiser et reformuler ses propos »[424]. Et pour montrer l'importance de la communication entretenue, il est souhaitable de prendre la parole pour faire un constat sur le débat pour montre aux autres ce que vous avez saisi de cette conversation, tout en essayons de reformuler certaines idées pour vérifier votre compréhension et encourager une communication claire, efficace et constructive. De cette manière, nous pouvons dire que, l'écoute active et attentive, améliore la qualité de la communication, renforce les relations et favorise une meilleure compréhension mutuelle et des relations professionnelles solides.

3. La prise de parole : une technique d'expression et de transmission

La prise de parole est une autre technique de communication de base qui joue un rôle essentiel dans l'expression de nos idées, la transmission d'informations et l'établissement d'une communication claire et efficace. Pour améliorer cette technique de communication, il nous parait important de bien saisir les contenus des messages et des idées des autres, de bien structurer l'intervention qui doit avoir un fil conducteur, c'est-à-dire organiser la prise de parole de manière logique. Cela aidera l'intervenant à être plus clair et cohérent lorsqu'il sexprime. En plus, il faut utiliser un langage clair, approprié et compréhensif de la part de l'auditoire (éviter les termes trop techniques ou complexes et adapter le niveau du discours suivant les connaissances des autres)[425].

Parfois, pour mieux communiquer, nous pouvons utilisez des supports visuels appropriés pour présenter des informations complexes ou de soutenir le discours avec des éléments visuels, tels que des diapositives, des graphiques ou des tableaux qui éveillent l'auditoire qui peut sentir une certaine routine ou s'il semble désintéressé. Bien sûr, ces présentations doivent être soigneusement structurées de manière logique et pratiquées à l'avance pour gagner en confiance et en assurance. Utilisez des techniques de narration et engagez votre auditoire en posant des

[424] - La communication comme clé pour manager. Document consulté le 2 Juin 2023. Disponible sur : *https://www.michaelpage.fr* › management-equipe ›

[425] - Bodie, G. D. et Cordero, E. D., 2017. Listening competence and listening comprehension: A review and theoretical integration. International Journal of Listening, p. 12.

questions. Une présentation bien préparée et captivante peut vous aider à influencer positivement les autres et à renforcer la crédibilité professionnelle.

Pour créer une certaine dynamique et rendre le débat interactif, il faut maintenir un contact visuel avec l'auditoire, poser des questions pertinentes ou en encourageant la participation, et fournir des clarifications ou en utilisant des exemples concrets pour mieux expliquer des idées qui paraissent confuses ou seulement non comprises.

La communication efficace est essentielle pour résoudre les conflits professionnels de manière constructive. Lorsqu'un conflit survient, il faut écouter attentivement toutes les parties impliquées en prenant en compte leurs perspectives. Utilisez des techniques de communication non violente pour exprimer vos opinions et vos besoins de manière respectueuse. La gestion efficace des conflits démontre votre maturité professionnelle et votre capacité à travailler en équipe, comme nous pouvons la déduire de la citation suivante « La gestion des confits est la capacité d'anticiper, de reconnaître et de régler les conflits de façon efficace. La communication est un outil essentiel à maîtriser dans la démarche de gestion des différends »[426].

4. La reformulation sert à mieux communiquer

La reformulation est une technique de communication essentielle, qui vise à redire avec d'autres mots d'une manière plus concise ou plus explicite ce qui vient d'être exprimé par une personne.

Reformuler ce n'est pas répéter, mais redire avec d'autres mots ce que l'interlocuteur a dit. La reformulation est un instrument de l'écoute. Elle sert à améliorer l'écoute, à encourager la parole de chacun, et à la mettre en valeur. Elle sert aussi à vérifier, à rectifier avec nuance, à dédramatiser ce qui a été prononcé. Cela permet de démontrer votre compréhension et votre écoute active, tout en clarifiant et en renforçant la communication.

Toutefois, la reformulation nécessite une grande attention et une bonne compréhension du discours pour ne pas tomber dans les contradictions et les faux jugements. Donc, il faut être très attentif en prenant la parole pour faire des commentaires ou pour apporter des éclaircissements. Il faut donc, faire un résumé clair et court sans ajouter trop de détails, mais en mettant l'accent sur les points forts de l'intervention en insistant sur les informations clés, sans pour autant offenser l'interlocuteur, ce qui créera un climat d'entente et non de désaccord. Certes, la reformulation nécessite une certaine manière respectueuse et impartiale, qui évite les jugements ou les commentaires négatifs qui pourraient altérer la qualité de la communication. Car l'objectif est de faciliter la compréhension mutuelle et d'encourager un échange constructif. Ceci veut dire qu'avant de faire une reformulation, il faut préparez le terrain en utilisant des phrases qui montrent que vous êtes en train de récapituler et non de faire des jugements. Cela permet de signaler que vous allez résumer les paroles de l'autre personne et lui donner l'occasion de corriger ou de clarifier si nécessaire. Cela montre que vous êtes ouvert à la communication et que vous voulez vous assurer d'avoir une compréhension précise. Dans le cas contraire, ou si l'autre personne indique que vous n'avez pas bien saisi ses idées, il faut se montrer ouvert en lui demandant des clarifications supplémentaires, afin de modifier la reformulation en conséquence. Cela montre que vous êtes prêt à mettre en œuvre les ajustements nécessaires pour améliorer la communication.

[426] - Gestion de conflits et communication. Document consulté le 6 juin 2023. Disponible sur : http://gpp.oiq.qc.ca › gestion_de_conflits_et_commun

La reformulation est un outil puissant pour renforcer la compréhension mutuelle et éviter les malentendus. En l'utilisant régulièrement, vous développerez vos compétences en communication et contribuerez à des échanges plus clairs et plus efficaces.

II. Typologie de la communication

1. Communication verbale

La communication verbale se réfère à l'utilisation de mots parlés ou prononcés pour transmettre des idées, des informations, des émotions et des intentions entre les individus. Elle implique l'usage de la langue et de la parole pour établir une interaction directe avec les autres. Elle est pratiquée sous plusieurs formes, car elle peut se faire en face à face, lors de réunions, de présentations ou de conversations téléphoniques. Elle permet l'échange d'informations en temps réel et favorise la compréhension mutuelle grâce à la rétroaction immédiate. La communication verbale est le type de communication le plus couramment utilisé. Elle implique l'utilisation de mots parlés ou prononcés pour exprimer nos pensées, nos opinions et nos intentions. Elle permet une interaction directe et immédiate avec les autres, favorisant ainsi la clarification des messages et la compréhension mutuelle. Dans tous les cas, elle permet une interaction directe entre les individus, favorisant ainsi la clarification des idées et des messages.

Les mots que nous choisissons, la manière dont nous les prononçons, notre rythme de parole, les moments de silence et notre intonation revêtent une importance cruciale dans la communication verbale. Ils sont essentiels pour transmettre le sens et les émotions d'un message, et peuvent influencer la perception et l'interprétation des interlocuteurs.

La communication verbale joue un rôle fondamental dans de nombreux domaines de la vie, qu'il s'agisse du milieu professionnel, académique, social ou personnel. Elle facilite l'établissement de relations, le partage d'idées, l'expression d'opinions, la résolution de problèmes, la négociation et la collaboration.

Toutefois, il est important de souligner que la communication verbale peut également présenter des défis et des obstacles. Parmi ceux-ci, on trouve les malentendus, les différences culturelles, les disparités de compétence linguistique ainsi que les difficultés inhérentes à la communication à distance

En effet, la communication verbale utilise les mots parlés ou prononcés comme moyen de transmission des messages entre les individus. Elle occupe une place centrale dans notre vie quotidienne en favorisant les échanges d'informations, la compréhension mutuelle et la création de liens.

2. Communication écrite

Il s'agit d'une communication qui utilise des mots écrits, tels que les e-mails, les lettres, les rapports, les notes de service, des rapports, des articles, des messages instantanés et des textes pour transmettre des messages entre les individus. La communication écrite offre l'avantage d'être documentée et peut être révisée avant d'être transmise. Elle est souvent utilisée pour les communications formelles et nécessite une attention particulière à la structure, à la grammaire et à l'orthographe.

Elle permet de communiquer de manière formelle et informelle, en fournissant des informations détaillées, en exprimant des idées, en partageant des opinions et en facilitant la documentation et l'archivage des informations. Elle est largement utilisée dans le monde professionnel, académique, administratif et personnel. La communication écrite nécessite une attention particulière à la clarté, à la cohérence et à l'organisation des idées, ainsi qu'à l'utilisation appropriée de la grammaire, de la ponctuation et du style pour assurer une communication efficace.

La communication écrite revêt une importance considérable dans de nombreux aspects de la vie, tant sur le plan personnel que professionnel, comme nous pouvons le constater de la manière suivante :

- La communication écrite offre la possibilité de transmettre des informations de manière claire, précise et détaillée. En exprimant ses idées par écrit, on peut structurer ses pensées, organiser les informations de manière logique et fournir des explications approfondies. Cela permet de réduire les risques de malentendus et de favoriser une meilleure compréhension entre les interlocuteurs.
- L'écriture joue un rôle crucial dans la documentation des informations, des décisions et des discussions. Les documents écrits servent de référence à long terme, permettant de revenir sur les informations ultérieurement. Ils sont d'une importance capitale pour constituer des preuves tangibles et préserver l'historique des échanges. En conservant une trace écrite, il devient possible de se référer aux informations passées de manière fiable et de prendre des décisions éclairées.
- Dans les contextes professionnels, la communication écrite est souvent privilégiée pour les échanges officiels, tels que les rapports, les lettres formelles, les contrats et les politiques. Elle offre une traçabilité et une légitimité importantes, et permet d'exprimer des idées de manière structurée et professionnelle.
- Lorsque les interlocuteurs sont éloignés géographiquement, la communication écrite devient essentielle. Les courriels, les messages instantanés et autres formes de communication écrite permettent de communiquer de manière efficace et rapide, en surmontant les barrières de la distance et du décalage horaire.
- L'écriture offre l'opportunité de réfléchir, de réviser et d'améliorer ses idées avant de les transmettre. On peut prendre le temps de choisir les mots appropriés, de revoir et d'ajuster le contenu pour s'assurer de la clarté et de la cohérence.

La communication écrite facilite la communication entre des personnes parlant différentes langues. Grâce à des outils de traduction et à la possibilité de revoir et de corriger les textes, elle permet de surmonter les obstacles linguistiques.

3. Communication non verbale

En complément de la communication verbale et écrite, il existe également la communication non verbale qui fait référence à tous les moyens de communication autres que les mots parlés ou écrits. Elle se réfère à l'utilisation de gestes, des postures, de proximité physique, d'expressions faciales, de langage corporel, de ton de voix et d'autres signaux non verbaux pour transmettre des messages. La communication non verbale peut renforcer ou compléter les messages verbaux et transmettre des émotions, des attitudes et des intentions.

Parmi les aspects importants de cette communication, nous citons les éléments suivants :

- Les expressions faciales, comme les sourires, les froncements de sourcils et les regards, sont des moyens puissants d'exprimer et de percevoir les émotions. Elles complètent et renforcent le sens des mots utilisés dans la communication verbale.
- Le langage corporel, à savoir les gestes, les postures et les mouvements du corps qui peuvent transmettre des messages, des intentions et des attitudes. Par exemple, une posture droite peut indiquer l'assurance, tandis qu'un regard fuyant peut suggérer le manque de confiance.
- Le contact visuel est un élément crucial de la communication non verbale. Il peut indiquer l'attention, l'intérêt et l'établissement de la connexion avec l'autre personne. Éviter le contact visuel peut être perçu comme de la timidité ou de la méfiance.
- La proximité physique qui définit la distance entre les individus lors d'une interaction et qui peut transmettre des messages importants. Une proximité étroite peut indiquer une relation

familière ou une intention d'intimité, tandis qu'une distance plus grande peut signifier une volonté de maintenir une certaine distance ou de respecter l'espace personnel.

- La façon dont nous utilisons notre voix, y compris le ton, le rythme, le volume et l'intonation, peut influencer la signification et l'impact de notre communication verbale. Par exemple, un ton de voix chaleureux et calme peut exprimer l'apaisement, tandis qu'un ton fort et agressif peut transmettre de l'hostilité.

Les signaux visuels, tels que les signaux de la main, les signes ou les symboles peuvent également être utilisés pour communiquer sans utiliser de mots. Ils sont particulièrement utiles dans les situations où il y a une barrière linguistique ou lorsque la communication doit être rapide et concise.

4. Communication visuelle

La communication visuelle utilise des éléments visuels tels que les graphiques, les diagrammes, les infographies, les présentations visuelles, les vidéos, les images les symboles, les icônes, les couleurs et la mise en page pour transmettre des informations et des idées. Elle est particulièrement efficace pour simplifier des concepts complexes, captiver l'auditoire et rendre les informations plus facilement compréhensibles. Elle permet aussi la simplification des concepts complexes, d'attirer l'attention de l'auditoire et de rendre les informations plus compréhensibles et mémorables. D'un point de vue scientifique, il a été prouvé que l'utilisation de visuels aide les individus à se souvenir plus efficacement des informations. La raison en est que les images sont déposées et stockées directement dans notre mémoire à long terme, alors que les mots vont dans notre mémoire à court terme [427]. Bref, elle joue un rôle crucial dans notre société moderne, où l'information est souvent présentée de manière visuelle pour capter l'attention et faciliter la compréhension. Voici quelques points importants à propos de cette communication :

- La communication visuelle possède un pouvoir d'attraction et d'impact considérable grâce à ses éléments visuels percutants. Une image ou un graphique captivant peut immédiatement attirer l'attention et susciter l'intérêt du public. En utilisant des images et des symboles facilement compréhensibles, la communication visuelle permet de transmettre des messages de manière concise et mémorable.

- La communication visuelle facilite une compréhension rapide des informations. Les images et les graphiques simplifient des concepts complexes, les rendant ainsi plus accessibles et faciles à interpréter. La communication visuelle est fréquemment utilisée dans des domaines tels que la publicité, le marketing, l'éducation et la signalisation pour transmettre des messages clairs et impactants. Grâce à son pouvoir visuel, elle permet de véhiculer des informations de manière efficace et mémorable, tout en captant l'attention et en favorisant l'engagement du public.

- La communication visuelle possède la remarquable capacité de transcender les barrières linguistiques et culturelles. Les symboles et les images peuvent être interprétés de manière similaire par des individus provenant de différentes cultures et parlant différentes langues. Ainsi, la communication visuelle permet d'établir une communication plus inclusive et globale. Elle offre une plateforme visuelle commune qui favorise la compréhension mutuelle et facilite les échanges entre les personnes, indépendamment de leur origine linguistique ou culturelle. Cela en fait un outil puissant pour promouvoir l'unité et la collaboration dans notre monde diversifié.

---

[427] - Tout savoir sur la communication visuelle et son impact. Document consulté le 10 Juin 2023. Disponible sur : https://www.techsmith.fr › blog › 4-raisons-pour-lesquell.

- La communication visuelle offre la possibilité de mettre en valeur certaines informations en utilisant des éléments visuels tels que les couleurs, les polices, les tailles et les mises en page créatives. Elle permet de diriger l'attention du public vers les éléments clés et d'organiser visuellement les informations de manière logique et attrayante. Grâce à ces techniques, la communication visuelle crée une hiérarchie visuelle qui guide les spectateurs vers les points essentiels et facilite leur compréhension. Elle permet également de transmettre des émotions, de créer des ambiances et de renforcer l'impact global du message. En utilisant de manière stratégique les éléments visuels, la communication visuelle rend l'information plus attrayante, engageante et mémorable pour le public.

- Les éléments visuels sont également efficaces pour susciter des émotions et raconter des histoires. Ils peuvent transmettre des sentiments, des atmosphères et des récits de manière visuellement captivante. Les visuels peuvent créer une connexion émotionnelle avec le public et stimuler l'engagement. Par exemple, une publicité utilisant des images évocatrices peut susciter des émotions positives et inciter les gens à agir.

- La communication visuelle peut être rendue accessible aux personnes ayant des limitations sensorielles en utilisant diverses techniques. Par exemple, l'utilisation de couleurs contrastées facilite la lisibilité pour les personnes malvoyantes ou daltoniennes. De plus, des polices de caractères lisibles et de taille adéquate permettent une meilleure compréhension pour les personnes ayant des difficultés visuelles. Pour les personnes malentendantes, l'ajout de sous-titres ou de transcriptions textuelles aux éléments visuels peut être bénéfique. Enfin, fournir des descriptions alternatives des images ou des graphiques permet aux personnes non voyantes d'accéder à l'information visuelle. En adaptant les visuels de manière appropriée, la communication visuelle devient plus inclusive et permet à un plus grand nombre de personnes de recevoir et de comprendre le message transmis.

- Les éléments visuels jouent un rôle important dans l'influence et la persuasion du public. Ils sont souvent utilisés pour présenter des arguments convaincants, créer des identités visuelles percutantes et renforcer la crédibilité d'une marque ou d'un produit. Les visuels bien conçus et attractifs peuvent captiver l'attention du public et transmettre des messages de manière mémorable et persuasive. Par exemple, des graphiques et des images impactantes peuvent illustrer les avantages d'un produit ou d'un service, tandis que des logos et des designs distinctifs peuvent renforcer l'identité d'une marque et susciter la confiance chez les consommateurs. En utilisant des éléments visuels stratégiquement, la communication visuelle peut influencer les attitudes, les comportements et les décisions du public, contribuant ainsi au succès des initiatives de marketing et de communication.

- Pour ce qui est de la communication interpersonnelle, elle englobe les échanges d'informations, de pensées, d'idées et d'émotions qui se produit entre deux personnes ou plus. Souvent informelle, elle vise à établir des relations solides, à partager des informations pertinentes, à résoudre des problèmes et à renforcer la compréhension mutuelle. En d'autres termes, elle repose sur une interaction directe et face à face, où les participants peuvent s'exprimer verbalement et non verbalement pour partager leur compréhension mutuelle.

La communication interpersonnelle joue un rôle fondamental dans nos interactions quotidiennes, que ce soit dans notre vie personnelle, professionnelle ou sociale. Elle est essentielle pour établir et maintenir des relations harmonieuses, pour résoudre les conflits, pour prendre des décisions collectives et pour partager des informations importantes.

Lors d'une communication interpersonnelle, les individus échangent des idées et des opinions, écoutent activement, expriment leurs émotions, posent des questions et fournissent des rétroactions. Les composantes verbales, telles que les mots, les phrases et le ton de voix, sont accompagnées de signaux non verbaux tels que les expressions faciales, les gestes, la posture et le contact visuel.

Une communication interpersonnelle efficace repose sur des compétences telles que l'empathie, l'écoute active, la clarté des messages, la gestion des émotions et la capacité à s'adapter aux besoins et aux préférences de l'autre personne. Elle nécessite également une communication ouverte, honnête et respectueuse, favorisant ainsi une compréhension mutuelle plus profonde.

La communication interpersonnelle peut se produire dans divers contextes, tels que les conversations informelles entre amis, les interactions professionnelles avec des collègues, les discussions familiales, les négociations, les entretiens et bien d'autres situations. Certes, la communication interpersonnelle est l'échange direct d'informations, de pensées et d'émotions entre les individus. Elle est essentielle pour établir des relations solides, résoudre les conflits et partager des informations de manière efficace. Une communication interpersonnelle réussie repose sur des compétences de communication appropriées et sur une volonté de comprendre et de s'engager avec les autres de manière respectueuse et authentique. Elle joue donc, un rôle essentiel dans le renforcement des liens et la construction de relations harmonieuses.

Conclusion

Pour réussir professionnellement, il est essentiel de maîtriser et d'utiliser efficacement les techniques de communication, tout en ayant la capacité de choisir le moyen le plus approprié pour transmettre convenablement les messages dans des contextes professionnels et personnels.. La communication joue un rôle crucial dans tous les aspects de la vie professionnelle, que ce soit pour établir des relations solides avec les collègues, présenter des idées de manière convaincante, collaborer efficacement en équipe ou gérer les situations conflictuelles.

La communication est un processus complexe et multidimensionnel. Les différents types de communication, tels que la communication verbale, écrite, non verbale, visuelle et interpersonnelle, offrent des outils variés pour exprimer nos pensées, établir des relations et partager des informations. Comprendre ces différents types de communication nous permet d'adapter nos méthodes de communication en fonction des contextes et des objectifs spécifiques, favorisant ainsi une communication efficace et harmonieuse.

L'utilisation des techniques de communication appropriées peut aider les interlocuteurs à atteindre leurs objectifs professionnels de plusieurs manières. Tout d'abord, une communication claire et concise permet de transmettre vos idées et vos informations de manière efficace. En structurant vos messages, en utilisant un langage précis et en évitant les ambiguïtés, vous pouvez assurer une compréhension mutuelle et éviter les malentendus.

De plus, l'écoute active est une compétence essentielle pour réussir professionnellement. En accordant une attention réelle aux autres, en posant des questions pertinentes et en faisant preuve d'empathie, vous pouvez favoriser des relations de confiance et comprendre les besoins et les préoccupations des autres. Cela facilite la collaboration, la résolution de problèmes et la prise de décisions collectives.

L'adaptation de votre style de communication en fonction des personnes et des situations est également importante. Chaque individu a sa propre manière de communiquer, et en vous adaptant à leurs préférences et à leur style, vous pouvez établir des connexions plus fortes et gagner en influence. Par exemple, certaines personnes préfèrent une communication directe et concise, tandis que d'autres accordent plus d'importance aux détails et aux explications approfondies.

En outre, l'utilisation des techniques de communication non verbale peut renforcer l'impact de vos messages. Votre langage corporel, votre expression faciale, votre ton de voix et

votre contact visuel peuvent transmettre des émotions, des intentions et des attitudes. Une communication non verbale positive et cohérente renforce votre crédibilité et votre présence lors des interactions professionnelles.

Enfin, l'utilisation des outils de communication modernes, tels que les e-mails professionnels, les présentations visuelles, les réseaux sociaux et les plateformes de collaboration en ligne, peut vous aider à communiquer de manière plus efficace et efficiente. Il est important de maîtriser ces outils et de les utiliser de manière appropriée pour optimiser votre communication professionnelle.

En somme, l'utilisation des techniques de communication appropriées est essentielle pour réussir professionnellement. Une communication claire, une écoute active, une adaptation aux autres, l'utilisation de la communication non verbale et des outils de communication modernes sont autant de compétences qui peuvent vous aider à établir des relations solides, à influencer positivement les autres et à atteindre vos objectifs professionnels avec succès.

Bibliographie

Bodie, G. D., & Cordero, E. D., 2017. Listening competence and listening comprehension: A review and theoretical integration. International Journal of Listening, 31(1), 1-21.

Fisher, S. L.20, 18. The art of clarity: How to write clearly and concisely. Oxford University Press.

Gestion de conflits et communication. Document consulté le 6 juin 2023. Disponible sur : http://gpp.oiq.qc.ca › gestion_de_conflits_et_commun

Gross, J. J., & Thompson, R. A., 2007. Emotion regulation: Conceptual foundations. Handbook of emotion regulation, 3(24)

La communication comme clé pour manager. Document consulté le 2 Juin 2023. Disponible sur : https://www.michaelpage.fr › management-equipe ›

Tout savoir sur la communication visuelle et son impact. Document consulté le 10 Juin 2023. Disponible sur : https://www.techsmith.fr › blog › 4-raisons-pour-lesquell.

ISSN 2569-

Les défis de la protection sociale des migrants, réfugiés et leurs enfants au Maroc

SERRHINI Hanane
Enseignante à l'École Supérieure de Technologie de Meknès
Université Moulay Ismail de Meknès

Résumé

Cet article vise à lever le voile sur une problématique complexe qui concerne une population vulnérable au Maroc. Il s'agit des migrants, réfugiés et demandeurs d'asile qui en dépit des efforts du pays dans le domaine de la régularisation de leur statut administratif en 2014 et 2016, leurs conditions de vie sont critiques et leur accès aux droits fondamentaux restent limités à cause de nombreux obstacles. Des organisations internationales, des ONG et d'autres acteurs ne cessent de dénoncer leur situation et revendiquent une protection effective de leurs droits et libertés fondamentales.

Mots clés : migrant, réfugiés, demandeurs d'asile, situation, protection sociale, droits fondamentaux.

Abstract

This article aims to lift the veil on a series of complex issues facing refugees and asylum seekers in Morocco.

Despite the country's efforts to regularise their administrative status in 2014 and 2016, the living conditions of refugees and asylum seekers are critically low and their access to fundamental rights remain fraught, due to numerous obstacles. International organisations, NGOs and other stakeholders continue to denounce their situation and demand urgent protection of their fundamental rights and freedoms.

Introduction

Les droits et les libertés fondamentales sont reconnus à tous les individus avec égalité et sans discrimination. Cela est confirmé par la Déclaration Universelle des Droits de l'Homme qui prévoit à tous, la jouissance des droits et des libertés sans distinction de nationalité, d'origine, de race, de couleur, etc.

En effet, les personnes en situation de déplacement de leurs pays d'origine, appelés migrants, réfugiés, demandeurs d'asile, selon les causes de leurs mobilités, devraient bénéficier d'une protection effective en vertu du droit international humanitaire, et cela tout au long du processus migratoire, notamment depuis le pays d'origine passant par les pays de transit jusqu'au pays d'installation provisoire ou permanente. Les États d'accueil sont tenus de favoriser leur intégration pour les protéger contre l'exclusion sociale. Cette dernière ne pourra que renforcer leur marginalisation.

A ce propos, un discours raciste présentant négativement les migrants irréguliers et incitants à la violence à leur égard via les médias et les réseaux sociaux ne contribuerait qu'à accroître les risques de propagation de la haine, de la méfiance et de la stigmatisation dans la société.

Par ailleurs, le traitement équitable des tous les étrangers sur un territoire donné est pris en compte selon qu'on est ressortissant d'un pays en développement ou non. La situation s'aggrave pour ceux arrivant ou résidant en situation administratives irrégulière dans le pays d'accueil appelés aussi « clandestins » ou « sans papiers » « migrants illégaux ». C'est le cas des personnes migrantes, réfugiées et des demandeuses d'asile en provenance des pays d'Afrique subsaharienne et du Moyen orient sur le territoire marocain.

Le Maroc, accueille un nombre important de migrants et réfugiés qui se retrouvent en situation irrégulière en application du droit interne du pays, soit en pénétrant dans le territoire marocain sans passer par les voies légales et avoir fait l'objet d'enregistrement auprès des autorités compétentes du contrôle des frontières terrestres, aériennes ou maritimes ou après l'expiration de la date de leurs titres de séjours ou visa d'entrée au Maroc.

La situation et les conditions de vie de ces personnes sont critiquées du fait du non-respect de leurs droits et libertés, principalement leur accès à la santé, au logement, à la justice, au travail et aux services sociaux de base. [428]

Cet article essaye de montrer que l'accès des migrants irréguliers, réfugiés et demandeurs d'asile à leurs droits fondamentaux au Maroc est fortement conditionné par un certain nombre d'exigences, de considérations et d'obstacles.

Il s'agit bien évidement d'exposer selon une approche analytique et descriptive les exigences juridiques d'entrée, de séjour sur le territoire marocain (I.) et dans un second les obstacles que rencontrent ces personnes pour bénéficier de leurs droits et libertés (II.).

L'étude se focalise sur l'analyse de plusieurs rapports nationaux et internationaux en matière de revendication des droits des migrants et refugiés au Maroc. Ces rapports qui ne cessent de dévoiler la précarité de la situation et des conditions dans lesquelles vivent de nombreux immigrés, réfugiés, demandeurs d'asile et leurs enfants particulièrement ceux en attente de transiter vers l'Europe. Leurs droits économiques, sociaux et culturels sont insuffisamment protégés.

I. Les exigences juridiques

L'entrée, le séjour et l'accès à l'emploi au Maroc requièrent plusieurs conditions et exigences, C'est ainsi qu'il nous parait utile d'analyser dans un premier lieu les différentes mesures juridiques qui limitent l'entrée et le séjour au Maroc (A.). Et dans un second les condamnations qu'encourent les migrants en situation administrative irrégulière et toute personne impliquée pour facilitation de ce genre d'immigration (B.)

A. Des conditions d'entrée et de séjour sur le territoire marocain restrictives

Les entrées, les sorties ainsi que l'établissement des personnes sur le territoire marocain sont règlementées par la loi 02-03 et son décret d'application n° 2-09-607[429]. Cette loi relative à l'entrée et au séjour des étrangers au Maroc, à l'émigration et l'immigration irrégulière prévoit

[428] Voir le compte rendu du Comité pour la protection des droits des travailleurs migrants et des membres de leur famille qui a examiné le rapport périodique du Maroc sur la mise en œuvre de la Convention le 29 Mars 2023.
https://www.ungeneva.org/fr/news-media/meeting-summary/2023/03/dialogue-morocco-experts-committee-migrant-workers-commend

[429] Décret n° 2-09-607 du 15 rabii II 1431 (1er avril 2010) pris pour l'application de la loi n° 02-03 relative à l'entrée et au séjour des étrangers au Royaume du Maroc, à l'émigration et l'immigration irrégulières. Bulletin officiel n° 5836 du 21 joumada I 1431 (6 mai 2010).

que la personne étrangère est identifiée, dès son entrée ou débarquement sur le territoire marocain, á partir de l'élément de la nationalité. La loi exige des documents d'identités valides tels que le passeport et le titre de voyage ainsi que le visa marocain. Toutefois, des ressortissants de certains pays sont exemptés de disposer de visa. Il s'agit des ressortissants originaires des pays de l'UE, de certains pays arabes et d'Amérique du Nord ainsi que certains pays d'Afrique subsaharienne notamment le Sénégal, le Mali, la côte d'ivoire, le Cameroun, le Gabon, le Niger, Congo Brazzaville.

Cette exemption ne les exclus pas désormais de présenter les raisons et les motifs de leurs séjours au Maroc. En effet, l'étranger doit justifier son intention d'existence et qu'il dispose de moyens financiers suffisants. Il concerne les visiteurs, les étudiants et/ou toute personne désirant exercer une activité commerciale ou professionnelle au Maroc. Pour ces derniers, s'ajoutent en plus de l'exigence de la nationalité pour occuper certaines fonctions, une autorisation de l'autorité gouvernementale chargée du travail ainsi qu'un certificat médical attestant l'aptitude physique.[430] En effet, ces exigences compliquent l'accès des migrants et réfugiés à l'emploi au Maroc, c'est ainsi que la plupart d'entre eux se retrouvent en chômage et n'ont qu'à recourir à la mendicité ou au travail informel. Bien que ces dernières questions soient malheureusement justifiées par le taux de chômage élevé au Maroc, qui a atteint 12,8% au premier semestre de l'année 2023 selon le Haut-Commissariat au Plan, et par la dominance de l'activité informel qui occupe environ 80% de l'économie marocaine.

Il en est de même, de l'octroi ou du renouvellement de la carte de résidence. Cette dernière est soumise à des conditions restrictives voir dissuasives. Bien qu'elle ne concerne que des cas bien précis par les articles 16 et 17 la loi 02 -03 notamment les réfugies, les conjoints et les enfants des étrangers y compris les enfants apatrides. Ces personnes doivent justifier qu'ils résident d'une manière permanente sur le territoire marocain depuis au moins quatre ans.

Ces exigences juridiques ainsi que les procédures administratives sont complexes. Cela décourage les personnes migrantes et les réfugiés de régulariser leurs situations administratives auprès des autorités marocaines et les induit à être en position irrégulière.

[430] L'article 516 du Code du Travail stipule que « tout employeur désireux de recruter un salarié étranger doit obtenir une autorisation de l'autorité gouvernementale chargée du travail » et que « l'autorisation peut être retirée à tout moment par l'autorité gouvernementale chargée du travail ». Ce même article prévoit également que « cette autorisation soit accordée sous forme de visa apposé sur le contrat de travail ».

Il est à noter que selon des ONG, la possession de titre de séjours ou même d'un récépissé du HCR ne protège pas les migrants, les demandeurs d'asile et les réfugiés des arrestations ou des expulsions menées de temps á autres par les autorités sécuritaires marocaines.

« *Ces arrestations n'épargnent même pas les migrants ayant des cartes de séjour légales, ce qui contredit le discours officiel et met à nu la politique dite de régularisation y compris des femmes qui peuvent être enceintes avec leurs enfants en contravention de la loi 02-03.* »[431].

Toutes ces règles et normes sont jugées draconiennes[432] en raison premièrement de la situation et des conditions que vit un nombre important de migrants en situation administrative irrégulière et deuxièment des sanctions diverses et coercitives auxquelles ils font face.

B. Des sanctions diverses et répressives

Un dispositif de sanctions est à l'encontre des personnes étrangères qui ne remplissent pas les conditions d'entrée et de séjour sur le territoire marocain. Il est d'ordre administratif et pénal[433]. Lorsque l'acte migratoire se fait d'une manière illégale en présence d'éléments matériels graves, tels que le trafic illicite de migrants, l'exploitation, la traite des êtres humains, dans ce cas, les peines de prison peuvent aller d'un à six mois, et les amendes variant de 2 000 à 30 000 dirhams (DH).

S'agissant des personnes physiques ou morales impliquées dans les affaires de la migration clandestine, tels que les transporteurs, les agents et les employés administratifs, les sanctions peuvent aller de 6 mois à 15 ans de prison, assorties d'amendes de 50 000 à 500 000 DH, ainsi que la confiscation des moyens utilisés. Les peines s'aggravent selon le genre et l'intention du transporteur (habituel, momentané, maritime, terrestre, aérien) et les conséquences et dommages causés, notamment les décès et les incapacités.

En ce qui concerne les sanctions administratives qui visent à interdire ou à expulser les migrants en situation administrative irrégulière sur le territoire marocain, elles sont principalement : la reconduite à la frontière, l'expulsion et e la mise en résidence surveillée.

Pour la première sanction, il s'agit selon l'article 21 de la loi 02-03, d'une mesure qui peut être ordonnée soit à l'étranger qui ne peut justifier son entrée régulière ou à celui qui s'est maintenu

[431] AMDH, Nador « Rapport Migration et Asile à Nador : De Graves Violations Au Service Des Politiques Migratoires Européennes Année 2019», AMDH Nador.
[432] GADEM « Le cadre juridique relatif à la condition des étrangers au regard de l'interprétation du juge judiciaire et de l'application du pouvoir exécutif », 2009.
[433] Ces sanctions sont prévues par le code pénal (articles 317 et 325) et par la loi 02-03 (chapitre VIII : dispositions pénales ; articles de 42 à 56).

sur le territoire marocain après l'expiration de son visa ou encore à celui à qui la carte d'immatriculation ou la carte de séjour a été retirée.

La décision de reconduite à la frontière peut être assortie d'une décision d'interdiction du territoire. Dans ce cas, l'étranger a le droit d'être assisté par un interprète. Toutefois, ce droit à l'instar d'autres droits tels que la notification et l'assistance d'avocat ne sont généralement pas respectés.[434]

Quant á la deuxième et la dernière sanctions, elles visent l'étranger dont la présence constitue une menace à l'ordre public ou à la sûreté de l'État. La loi 02-03 prévoit dans son article 34 des locaux ne relevant pas de l'administration pénitentiaire pour maintenir les étrangers pendant le temps nécessaire à leur départ. L'étranger est informé de ses droits immédiatement après son transfert dans ces locaux.[435]

Ces dispositions sont néanmoins critiquées par la société civile du fait que les autorités administratives marocaines abusent des motifs du respect de l'ordre publique et de la sureté de l'État dans leurs décisions à l'égard des migrants et réfugiés subsahariens au Maroc en ce qui concerne l'éloignement, l'expulsion ou le maintien dans des centres de rétentions.

Il est préoccupant de constater que les démarches d'arrestations, d'enfermements et d'expulsions des personnes migrantes et réfugies au Maroc se font sans respect des normes et procédures légales. Du fait que malgré les dispositions juridiques en vigueur qui exemptent certaines catégories de personnes de ces procédures, telles que les personnes régularisées, les femmes enceintes, les réfugiés et les mineurs, de nombreux individus de ces groupes sont arrêtés et éloignés du territoire sans respect de leurs droits fondamentaux. Cela soulève des inquiétudes quant à la mise en œuvre effective des lois et des politiques, ainsi que la protection des droits humains. [436]

---

[434] GADEM, op.cit.

[435] Article 34 de la loi 02-03 « Peut être maintenu, s'il y a nécessité absolue, par décision écrite et motivée de l'administration, dans des locaux ne relevant pas de l'administration pénitentiaire, pendant le temps strictement nécessaire à son départ, l'étranger qui : 1 - n'est pas en mesure de déférer immédiatement à la décision lui refusant l'autorisation d'entrer sur le territoire marocain ; 2 - faisant l'objet d'une décision d'expulsion, ne peut quitter immédiatement le territoire marocain ; 3 - devant être reconduit à la frontière et qui ne peut quitter immédiatement le territoire marocain. L'étranger est immédiatement informé de ses droits, par l'intermédiaire d'un interprète. Le cas échéant. Le procureur du Roi est immédiatement informé. Les sièges des locaux visés au présent article et les modalités de leur fonctionnement et de leur organisation sont fixés par voie réglementaire ».

[436] « *Ces déportations forcées constituent une grave atteinte aux droits des migrants et demandeurs d'asile : elles sont effectuées sans aucune procédure judiciaire et sur la base d'informations tirées des migrants par menaces et maltraitance dans des lieux d'enfermement illégaux qui échappent à tout contrôle judiciaire. Les*

II. Les difficultés d'accès aux droits pour les migrants, réfugiés et demandeurs d'asile

Les personnes migrantes au Maroc trouvent plusieurs difficultés pour bénéficier de leurs droits de bases, tels que le logement, l'accès à la santé et à la justice.

A. La précarité au niveau du logement

Au sens large, le logement est un droit dont tout individu doit bénéficier pour qu'il puisse vivre en sécurité, en paix et en dignité et pas seulement un toit au-dessus de sa tête. Il est d'une importance capitale pour pouvoir jouir de tous les autres droits notamment économiques, sociaux et culturels.

« Le droit à un logement suffisant s'applique à tous. (...) les individus, comme les familles, ont droit à un logement convenable sans distinction d'âge, de situation économique, d'appartenance à des groupes ou autres entités, ou de condition sociale et d'autres facteurs de cette nature »[437].

Le Maroc connait des insuffisances dans le domaine d'hébergements des personnes vulnérables notamment l'absence de centres d'accueils et de structures d'hébergements pour les réfugiés, les demandeurs d'asile et les mineurs non accompagnés. Ces derniers se retrouvent face à de grandes difficultés pour trouver un logement décent.

A l'instar du coût des locations estimées élevé pour ces personnes, les demandes de location ou de conclusion de contrat de bail sont souvent rejetées par les propriétaires de logement. Pour différents motifs tels que la crainte de la cohabitation avec plusieurs personnes sous le même toit, l'inquiétude suscitée par les visites fréquentes d'amis et de proches, les difficultés financières des locataires pour honorer les loyers, la méfiance profonde envers les migrants connus par leur forte mobilité.

Il est incontestable que, le contrat de bail constitue un vrai empêchement pour les migrants, les réfugiés et les demandeurs d'asile pour entamer presque toutes leurs procédures administratives. Du fait qu'elle est une pièce maitresse pour l'obtention du certificat de résidence. Ce dernier

migrants sont filmés et photographiés avec prise des empreintes digitales sans leur gré et sans que personnes sache le sort réservé à ces données personnelles ». du rapport de l'AMDH, Nador « Rapport Migration et Asile à Nador : De Graves Violations Au Service Des Politiques Migratoires Europeennes Année 2019»,

[437] Le Pacte international relatif aux droits économiques, sociaux et culturels (PIDESC)

est nécessaire pour l'obtention ou le renouvèlement de tous les documents d'identité notamment la carte de séjour et le passeport.

Ces obstacles s'amplifient par le manque de moyens financiers à cause du chômage, de leur vulnérabilité et du manque d'aides sociales à leurs égards. C'est ainsi que plusieurs migrants, réfugiés et demandeurs d'asile rejoignent leurs proches et amis dans l'occupation des lieux abandonnés et des campements faits de bâches en plastique comme c'est le cas de la gare d'Oulad Ziane à Casablanca et des forêts auprès des deux enclaves espagnoles de Ceuta et Melilla.

B. Le dysfonctionnement au niveau de la santé

La santé est un droit supposé être garanti à toute personne indépendamment de son statut administratif, sa nationalité, sa religion, son sexe, ou son appartenance ethnique ou politique en vertu du droit international. A cet effet, et dans le but d'améliorer les conditions d'accueils des personnes migrantes à la sante, le ministère tutelle a pris plusieurs initiatives notamment deux circulaires en 2003 et 2008 et un règlement intérieur des hôpitaux en 2011. Ces textes juridiques leur prévoient la gratuite des prestations.[438]

Cependant, les migrants en situation irrégulière, les réfugiés et les demandeurs d'asile restent parmi les populations les plus vulnérables et qui trouvent plus de difficultés pour accéder aux soins de santé. D'après l'OIM, le risque d'être atteint de maladie et/ou de troubles psychologique est plus élevé chez la population migrante à cause des conditions ou vivent ces individus. Le fait de subir différentes formes de stress, d'exploitation et de violence ainsi que le manque d'hygiène et d'alimentation, depuis leurs pays d'origine jusqu'au pays de destination, [439]ont des répercussions sur leur état de santé physique et mentale.

Au Maroc, les principaux obstacles administratifs ou socioéconomiques auxquels se heurte la population migrante pour accéder aux services de santé sont :

- Les barrières de la langue constituent des obstacles tant du côté des migrants et des réfugiés que du côté du personnel des services de la santé. Ces derniers ne sont pas toujours sensibilisés ni adaptés sur le plan culturel et linguistique pour répondre convenablement à leurs besoins ;

[438] PNPM « État des lieux de l'accès aux services pour les personnes migrantes au Maroc, 2018 », PNPM, juin 2019.
[439] L'Organisation Internationale pour les Migrations « Migration internationale, santé et droits de l'Homme », OMS, HCNUDH, OIM, Rapport 2013.

- Les barrières géographiques notamment la présence de certains groupes de migrants dans des zones éloignées, telles que des forêts, des camps isolés, éloignés des centres hospitaliers, engendre des défis majeurs pour répondre à leurs besoins ;
- L'accès limité à la couverture médicale du fait des difficultés rencontrées pour accéder au Régime d'Assistance Médicale (RAMED) ;[440]
- L'ignorance des droits et la méconnaissance des structures de santé et des moyens de transport d'urgence contribuent à la détérioration de la santé des migrants ;
- L'information fallacieuse qui circule entre les migrants qui déforment la réalité des services de santé au Maroc, notamment en ce qui concerne l'accueil qui leur est réservé ;
- Le sous-provisionnement de certains centres hospitaliers et particulièrement de proximités en médicaments. Ces centres sont mal dotés en médicaments et ne prennent pas suffisamment en compte les besoins spécifiques de la population migrante concentrée dans des quartiers marginalisés. Par conséquent, les ordonnances demeurent à la charge des patients migrants qui, en raison de leur précarité, se retrouvent dans l'incapacité de les acheter ;
- La non possession des documents d'identité tels que la carte de séjour ou le certificat de résidence entrave l'accès aux soins de santé, même en cas de situations graves ;
- Les services de santé dans certains centres hospitaliers sont jugés exagérés comme celles de retenir une pièce d'identité du malade migrant ou de son compagnon jusqu'au recouvrement des factures.

Ces obstacles sont exacerbés par les dysfonctionnements du système de santé au Maroc, caractérisés par des insuffisances dans la gestion des ressources, les pratiques du personnel, la complexité des structures, la bureaucratie lourde et l'évolution des besoins des usagers. [441] Malgré les efforts du ministère de la Santé pour améliorer la qualité des services, des problèmes persistants affectent tant les Marocains que les étrangers, privant notamment des milliers de personnes gravement malades de l'accès à des soins d'urgence, notamment dans les forêts avoisinantes des enclaves de Ceuta et Melilla.

[440] La couverture médicale de base au Maroc est régie par la loi n° 65-00 portant code de la couverture médicale de base. Ce texte énonce dès son préambule l'engagement de l'État d'assurer la gratuité et la qualité des prestations de santé à toutes les couches sociales de la population avec égalité et équité et conforment aux conventions internationales. Elle prévoit aussi l'Assurance Maladie Obligatoire (AMO) et le Régime d'Assistance Médicale (RAMED).

[441] Le Conseil Économique, Social et Environnemental « Rapport La protection sociale au Maroc Revue, bilan et renforcement des systèmes de sécurité et d'assistance sociales » - Auto-Saisine 34/2018- https://www.cese.ma/media/2020/10/Rapport-La-protection-sociale-au-Maroc.pdf

C. Les défis d'accès à la justice

L'accès à la justice est un droit fondamental qui permet à chaque individu de recourir devant les autorités compétentes pour défendre ses droits et intérêts. Les articles 14 du pacte international relatif aux droits civils et politiques ainsi que l'article 18 de la convention des droits de tous les travailleurs migrants et des membres de leur famille soulignent l'égalité de tous devant la justice.[442] Il en est de même pour la constitution marocaine du 1er juillet 2011, qui consacre le droit universel à ester en justice tout en garantissant l'égalité,[443] l'équité et la gratuité pour tous ceux ne disposent pas de ressources suffisantes. Toutefois, malgré cet engagement juridique, l'accès à la justice reste un grand défi pour les migrants et réfugiés au Maroc.

En effet, outre les barrières culturelles, linguistiques et financières, les migrants font face à plusieurs difficultés pratiques pour accéder à la justice.

Il s'agit d'un côte, de la méfiance de s'approcher aux autorités judicaires par crainte d'être repérés et expulser vers leurs pays d'origine. Cette méfiance résulte de leur situation administrative irrégulière et de la non possession des documents d'identité.

D'un autre côté, de nombreux migrants, malgré les actes de violence, d'abus, d'agression et de racisme dont ils sont victimes, ne portent pas de plaintes au niveau des autorités compétentes, en raison de la peur et de la compréhension limitée de leurs droits. Ces lacunes en matière d'informations pour cette population déjà marginalisée les rendent plus vulnérable.

Par ailleurs, des défis majeurs accentuent leur réticence à engager des procédures judiciaires, il s'agit de la complexité de ces procédures et de leur lenteur ainsi que de leur coût élevé pour des migrants démunis de ressources et qui souhaitent être assistés par un conseil juridique notamment un avocat et un interprète. ainsi que l'obstacle de la langue officielle, en l'occurrence l'arabe utilisée devant les tribunaux et dans la rédaction des procès-verbaux complique souvent la situation de ces personne en migration. Tous ces facteurs rendant l'accès des migrants à la justice difficile et renforcent les inégalités devant la loi.[444]

[442] L'article 8 de la Déclaration universelle des droits de l'homme de 1948 dispose que « Toute personne a droit à un recours effectif devant les juridictions nationales compétentes contre les actes violant les droits fondamentaux qui lui sont reconnus par la constitution ou par la loi ».

[443] L'article 118 de la DUDH stipule que "l'accès à la justice est garanti à toute personne pour la défense de ses droits et de ses intérêts protégés par la loi".

[444] « Le droit à la justice ne semble pas respecté, a poursuivi Mme Poussi, en demandant ce qui est envisagé par l'État pour relever tous les défis s'y rapportant, y compris en cas de violence sexiste et sexuelle. Quelle est Elle

Conclusion

Le chantier de la protection sociale au Maroc reste un grand défi devant des problématiques majeures qui sont liées à des structures sociales au niveau de l'accès aux services de base tels que l'éducation, la santé, le logement et l'emploi. L'absence de protection sociale expose la population à la pauvreté, aux inégalités et à l'exclusion sociale tout au long du cycle de vie et constitue donc un obstacle majeur au développement économique et social

En effet, selon le Conseil Economique, Social et Environnemental (CESE, 2018), le système de protection sociale au Maroc est marqué par son incapacité à protéger tous les citoyens y compris les groupes vulnérables.

Les migrants et réfugiés sont classifiés dans les catégories des personnes en situation difficile. Ils font face aux risques accrus. Leurs conditions de vies sont marquées par l'exclusion sociale à cause de l'absence de soutien familial, d'assistance sociale, de la précarité dans le logement et de la vulnérabilité économique à cause du chômage et du travail informel.

Ils tentent de survivre par leurs propres moyens, notamment par des transferts d'argent que leur font parvenir les familles restées dans le pays d'origine ou en faisant recours à la mendicité à ou à l'aide communautaire qu'offre chaque groupe de nationalité à ses compatriotes.

Personne ne peut nier, les efforts louables du Maroc afin de répondre aux besoins de ces personnes et leurs enfants notamment la régularisation de près de 50.000 migrants irréguliers et 5.000 réfugiés syriens ainsi que l'élaboration de la stratégie National d'Immigration et d'Asile en 2014. Cependant, le bilan de cette stratégie reste dérisoire et leur situation est devenue critique.

À cet égard, plusieurs questions ont été soulevées dans le compte rendu du comité des Nations Unies pour la protection des droits des travailleurs migrants (le 28 Mars 2023, en examinant le rapport périodique du Maroc sur la mise en œuvre de la convention internationale sur la protection des droits de tous les travailleurs migrants et des membres de leur famille).

a ensuite évoqué le transfert des migrants à l'intérieur du pays et dans des zones éloignées des villes après leur avoir confisqué leurs téléphones mobiles, ce qui les isole complètement », Dans le Compte rendu de séance du « Comité pour la protection des droits des travailleurs migrants a examiné aujourd'hui le rapport périodique du Maroc sur la mise en œuvre de la Convention internationale sur la protection des droits de tous les travailleurs migrants et des membres de leur famille », 28 mars 2023.

Le comité a mis l'accent sur plusieurs aspects concernant les droits fondamentaux de la population migrante sur le territoire marocain et particulièrement ceux liés aux conditions de vie et au respect du droit du travail, ainsi que la possibilité de bénéficier d'une assistance juridique telle que la défense et l'accès à un interprète.

Bibliographie

- La Convention internationale sur la protection des droits de tous les travailleurs migrants et des membres de leur famille, adoptée par l'Assemblée générale de l'Organisation des Nations Unies le 18 décembre 1990. Dahir n° 1-93-317 du 1er ramadan 1432 (2 août 2011), publié au Bulletin officiel n° 6018 du 9 rabii I 1433 (2-2-2012).

- La Convention n° 97 concernant les travailleurs migrants (révisée) 1949 ratifiée par le Maroc en juillet 2014, par Dahir n° 1-14-119 du 10 ramadan 1435 portant promulgation de la loi n° 81-13 portant approbation de la convention n° 97. Et publié dans le Bulletin Officiel n° 6280 du 10 chaoual 1435 (7-8-2014).

- Décret n°2-09-607 d'application de la loi sur l'entrée et le séjour des étrangers au Royaume du Maroc, à l'émigration et l'immigration Irrégulières. adopté le 1er avril 2010. Bulletin officiel. n°5836 du 6 mai 2010 publiant le

- Le Conseil Economique, Social et Environnemental « Rapport La protection sociale au Maroc Revue, bilan et renforcement des systèmes de sécurité et d'assistance sociales », Auto-Saisine 34/2018.
https://www.cese.ma/media/2020/10/Rapport-La-protection-sociale-au-Maroc.pdf

- Le Comité pour la protection des droits des travailleurs migrants et des membres de leur famille en examinant le rapport périodique du Maroc sur la mise en œuvre de la Convention le 29 Mars 2023.
https://www.ungeneva.org/fr/news-media/meeting-summary/2023/03/dialogue-morocco-experts-committee-migrant-workers-commend

- L'Organisation International du Travail, « Rapport mondial sur la Protection Sociale 2017-2019 : Protection Sociale Universelle pour atteindre les objectifs de développement durable », OIT.

- Le Rapport Banque mondiale, 2019.
http://pubdocs.worldbank.org/en/554211570642867929/FR-mpo-am19-morocco.pdf

- L'OMS « État de la santé dans la région africaine de l'OMS : analyse de la situation sanitaire, des services et des systèmes de santé dans le contexte des objectifs de développement durable », OMS, Bureau régional de l'Afrique, 2018.
https:// creativecommons.org/licenses/by-nc-sa/3.0/igo

- CNDH, Rapport : Etrangers et droits de l'Homme au Maroc: pour une politique d'asile et d'immigration radicalement nouvelle, CNDH, juillet 2013, 16p. https://www.ohchr.org/Documents/Issues/SRMigrants/submissions/Morocco-NHRI_Annex3_Submission_GA-Report.pdf

- L'Association Marocaine des Droits de l'Homme « Rapport : La tragédie au poste frontalier de Bario Chino : Un crime ignoble des politiques migratoires européennes, espagnoles et marocaines » AMDH Nador. 20/07/2022.

- L'AMDH « Migration et Asile à Nador : De Graves Violations Au Service Des Politiques Migratoires Européennes », 2019.

- L'AMDH « La situation des migrants et des réfugies à Nador en 2018 » Rapport Nador, 2019.

- L'UNESCO « le refoulement », Unesco, 2019.
http://www.unesco.org/new/fr/social-and-human-sciences/themes/international-migration/glossary/refoulement/.

- GADEM « Le cadre juridique relatif à la condition des étrangers au regard de l'interprétation du juge judiciaire et de l'application du pouvoir exécutif »,2009.

-GADEM « Rapport Zone d'Attente Maroc : Anafé, GADEM », GADEM, 2017.

-AMDH, Nador « Rapport Migration et Asile à Nador : De Graves Violations Au Service Des Politiques Migratoires Européennes Année 2019 ». AMDH, 2019.

- ALIANZA POR LA SOLIDARIDAD, « Des voix qui s'élèvent : Analyse des discours et des résistances des femmes migrantes subsahariennes au Maroc » , Alianza por la solidaridad, décembre 2018.
https://www.alianzaporlasolidaridad.org/wp- content/uploads/ Des-voix-qiu-selevent.pdf

- PLATE NATIONALE DE PROTECTION DES MIGRATION(PNPM), « Etat des lieux de l'accès aux services pour les personnes migrantes au Maroc : Bilan, perspectives et recommandations de la société civile », 2018
disponible sur le site web de la PNPM : http://www.pnpm.ma

- PNPM « Assises Marocaines des Organisations de la Société Civile Actives en Soutien aux Personnes Migrantes: Compte Rendu, 2018 » , PNPM, 2018. Disponible sur : http://www.pnpm.ma/
- PNPM « Blocage des avis de naissance des nouveau-nés par faute de règlement des factures »,PNPM, 2017. Disponible sur : http://www.pnpm.ma/